إهداء

إلى الأستاذ الدكتور

تحية تقدير واعتزاز

جلال الحفناوي

نَقْدُ الشِّعْرِ الأُزْدَى

عِنْدَ أَلْطَافُ حُسَيْن حَالِي

بسم الله الرحمن الرحيم

نقدُ الشِّعرِ الأُردىّ
عِندَ ألطاف حُسين حالِى

الدكتور جلال السَّعيد الحفناوى

الكتاب : نقد الشعر الأردى عند ألطاف حسين حالى

المؤلف : د. جلال الحفناوى

رقم الطبعة : الأولى

تاريخ الإصدار : ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩م

الناشر : دار النشر للجامعات

رقم الإيداع : ٨٥١٧/ ٩٩

الترقيم الدولى : I. S. B. N 977 - 316 - 017 - 3

إهداء

إلى أمي..

الرؤوم التى صنعت منى جملة مفيدة فى كتاب الحياة

وإلى زوجتى ..

رفـــيـــقـــة الـدرب .. وقـــســـيـــمـــة الحـــمـل





المقدمـــة

يعتبر الطاف حسين حالى الناقد الكلاسيكى الاول وصاحب أول كتاب منهجى فى نقد الشعر الاردى، كما يعد من الشخصيات البارزة فى الحركة الفكرية الحديثة فى شبه القارة الهندية، حيث ساهمت كتاباته المتنوعة فى بناء المجتمع الإسلامى الهندى، وهو من رواد التجديد فى الشعر الاردى ثار على المناهج النقدية القديمة التى كانت تهتم بالبلاغة والنحو والبديع وانتهى إلى قوانين تقريرية فى النقد الاردى تعتمد على الخيال والعاطفة وأسس قواعد جديدة للنقد الاردى أعلى فيها من قيمة الجانب الاخلاقى وتبنى نظرية « الفن للمجتمع » التى اهتمت بالجانب المعرفى للشعر وجعلته أداة لإصلاح المجتمع لا وسيلة للمتعة الخالصة التى يبحث عنها أنصار نظرية « الفن للفن ».

ويعد حالى من رواد الشعر الاردى الحديث الذين قاموا بإصلاحات عديدة فى الشعر الأردى من ناحيتى الشكل والمضمون وترك ثروة شعرية كبيرة تنوعت فيها فنون الشعر المختلفة من غزل ومثنوى وقصيدة ومرثية ورباعى ومسدس، وقد عبر فى شعره عن هموم وقضايا شعبه وتلاحم من قومه ونظم الشعر الهادف وركز على الموضوعات القومية والاجتماعية والأخلاقية وشعر الطبيعة ونبغ فى شعر الغزل الفن الشعرى الاول فى الشعر الأردى، والذى تميز بتقاليد فنية يتوارثها الشعراء ويتمتع بشهرة فائقة لدى العوام والخواص، وتأثر حالى بأساتذة هذا الفن فتعلم من غالب جمال المعنى وقوة الاسلوب وفصاحته وتأثر بطريقة شيفته وأسلوب مؤمن وجميع صور التأثر هذه نلمحها بوضوح فى غزلياته القديمة، إلا أن صلة التوافق بين حالى ومير كانت أكثر عمقاً لان الإغراق فى البساطة والإخلاص فى الفن والصنعة عند مير كان عوناً ونبراساً لحالى فى بداية نظمه للغزل فانسابت خواطره بلا تكلف أو تصنع وتميز غزله بالبساطة والوضوح فى الصياغة إلى جانب القدرة على إظهار الألم والحرقة التى تذكرنا بأنين مير وأحزانه، لكن حالى لم يكن مثل مير الذى يتلذذ بمفرده بآلامه الداخلية وتعتصره أحزانه ولا كغالب الحائر الهائم فى صحراء الخيال، بل كان حالى أكثر تفاعلاً مع الواقع والشعور الاجتماعى العام

وتنبع حرقته وآلامه من البيئة المحيطة به فيتنامى لديه الإحساس بآلام مجتمعة.

وقد احتج حالى فى «مقدمة شعر وشاعرى» على العناصر التقليدية المتوارثة فى الشعر الأردى فهجر موضوعات الغزل التقليدية القديمة مثل الفلسفة والتصوف والخمريات والعشق، مع أن هذه العناصر موجودة بشكل أو بآخر عند أساتذة ذلك العهد مثل غالب وشيفته ومؤمن الذين تأثر حالى بهم فى غزلياته، لكن بعد أن صقل طبعه وصفت قريحته اعترف حالى بعدم وجود أى تناقض بين محاولة الاعتماد على عناصر الغزل القديمة مثل البلبل والوردة فى بعض غزلياته القديمة وبين المضمون الجيد لهذه العناصر، وتأكيداً لذلك استخدم حالى هذه الرموز القديمة بمعانى جديدة تتناسب وروح الحقبة التى عاش فيها، لذا نراه يؤسس عناصر جديدة خرج فيها من نطاق فرديته الضيقة إلى هموم المجتمع وأصبحت حالة العصر هى تفكيره وقصة الوجود هى قصته، ومن هذا المنطلق عبر حالى عن أحاسيسه فى شعره بشكل كامل دون التقيد بموضوع معين أو بالقافية والرديف فى معظم غزلياته الجديدة.

فثقافة الشاعر هى الباعث الأول فى توسيع الدائرة اللامحدودة لموضوعات الشعر، ففى بداية عهد حالى كانت الدائرة الحقيقية له محدودة بدخائل العشق وحالته النفسية، أما وقد أحاط بمشاهد الحياة وتجاربها المتكررة فظهر التنوع والرحابة أيضاً فى كيفية العشق ومفاهيمه المختلفة فعبر حالى عن الحب ومشاعره بأفكار جديدة واهتم بالأوضاع السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأفكار الإصلاحية، وبكى على ضعف المسلمين واعترته رغبة جامحة فى الإصلاح، فجعل من جميع الموضوعات مجالاً خصباً للغزل، وهكذا احتوى الغزل الحياة والكائنات على رحابتها بين دفتيه ومحا الحدود الداخلية والخارجية للتجارب والمشاهد المتعددة.

وقد استخدم حالى فى معظم غزلياته القافية فقط، وبذلك أزال عقبة الالتزام بالرديف من طريق تطور الغزل والتى كانت تعتبر من عيوب الغزل عند شعراء مدرسة لكناؤ ودهلى على السواء، وأرقام حالى رابطة قوية بين اللفظ والمعنى بعد أن طهر الغزل من مساوىء الصنعة والمحاورات الشعرية والأبنية الشعرية الصعبة وأحدث الترابط والوحدة الداخلية بين أبيات الغزل.

وقد ظهرت الآراء النقدية فى الشعر الأردى – أول ما ظهرت – متأثرة بآراء الناقد الشخصية والذوقية فى الشعر فكان الشعر الجيد – من وجهة نظره – هو الذى يضم فى

ثناياه ما اتفق من لمسات جمالية تتناسب وذوق العامة فضلاً عن الخاصة، وكان الشعراء والنقاد مهتمين - كالنقد العربى القديم - بالبديع والمحسنات وعلوم البلاغة الأخرى، وبالنقد اللغوى أكثر من أى قضية نقدية أخرى، فكان النقد الأردى يعتمد على النظر فى طبيعة الشعر من ناحية خلوه من الأخطاء اللغوية وفصاحة الألفاظ وبعده عن التعقيد اللفظى وسلامة الوزن والقافية والرديف، وكانت مقاييس جودة الشعر تقاس بمدى تأثيره على عدد أكبر من الجمهور، لذا كان النقد الأردى بداهة يخضع للأذواق لا لقواعد معينة يستطيع بها الناقد أن يُقيّم العمل الشعرى، فكانت «مقدمة شعر وشاعرى» بمثابة بداية للنقد المنهجى المنظم القائم على أسس وقواعد نقدية ثابتة وبداية للنقد الحقيقى فى الشعر الأردى، حيث قام حالى بأول عملية متكاملة لنقد الشعر الأردى القديم وحطم دائرته المحدودة بشعور نقدى واعٍ، حيث تعرض للأسس النقدية الأولية وسلم بأن هناك خطأ فى فهم ماهية الشعر وأن ثمة علاقة بين الشعر والأخلاق وبناء على هذا قام ببحث فى فنون الشعر الأردى وقدم نموذجاً للعملية الإبداعية.

وقد نشر حالى «مقدمة شعر وشاعرى» عام ١٨٩٣م فى ظل الحركات الإصلاحية التى كان يموج بها المجتمع الهندى آنذاك، حيث أثرت هذه الحركات السياسية والاجتماعية والفكرية بشكل أو بآخر - ولو عن طريق غير مباشر - فى صياغته لنظرية جديدة لنقد الشعر الأردى تتوافق مع طبيعته لأن النقد قبل حالى كان نتفاً متفرقة فى كتب البلاغة والأدب وتذاكر الشعراء فجمع حالى شتاته وأفرد له كتاباً قائماً بذاته حاول فيه تأصيل مفهوم جديد لنقد الشعر الأردى ليصبح علماً قائماً بذاته له أصوله وقواعده التى يجب على كل شاعر مراعاتها، وبذا قضى على فوضى الأذواق الشخصية التى كانت عبارة «خوش گواست» أى شاعر فحل من أعظم أحكامها، وقد تطرق حالى فى مقدمته إلى موضوعات نقدية هامة فتحدث عن ماهية الشعر وتأثيره، وعن الجانب المعرفى فيه وأهميته للحضارة الإنسانية وعرّف خصائص الشعر الجيد والشروط الواجب توافرها فى الشاعر الفحل وتناول قضية الأخلاق فى الشعر والمبالغة والكذب وقضية اللفظ والمعنى والطبع والصنعة، وحاول طرح أفكاره وآرائه الأخرى فيما يتعلق بإصلاح الشعر الأردى وخاصة الفنون الشعرية الشهيرة فى الشعر الأردى وهى: الغزل والقصيدة والمرثية والمثنوى.

وقد أقام حالى مقاييسه النقدية على أسس ثلاثة هى: الصدق «اصليت»، والعاطفة

« جوش » والبساطة « سادگی » وحاول تطبيق هذه المقاييس على نماذج من الشعر العربى والفارسى والأردى، وأثبت أن هدف الشعر ليس اللعب بالألفاظ وابتكار الأفكار الصعبة فحسب، بل فى إظهار الخواطر الصادقة وامتاز نقده باللون العلمى الاستدلالى.

وقد تناول هذا البحث حياة الطاف حسين حالى ومنهجه فى نقد الشعر الأردى فشمل دراسة وافية للأحوال السياسية والاجتماعية والفكرية فى شبه القارة الهندية فى القرن التاسع عشر الميلادى مع التركيز على الفترة التى عاش فيها حالى (١٨٣٧ – ١٩١٤م)، والتى تعد من أدق وأعقد الفترات التاريخية فى حياة شبه القارة الهندية وظهور حركات سياسية وفكرية واجتماعية ودينية عديدة، كما تعد هذه الفترة بداية لحركة البعث فى الأدب الأردى وظهور الصحافة الحديثة التى واكبها حركة ثقافية واسعة ساعد على رواجها الطباعة الحديثة التى أدخلها الإنجليز فى الهند، ثم تناولت حياة الطاف حسين حالى، وتعرضت لمراحلها المختلفة بالتفصيل وأهم الشخصيات التى تأثر بها وخاصة السيرسيد وشيفته وغالب وارتباطه بحركة على گڑھ، ورائدها السير سيد أحمد خان وتعرضت لروافد ثقافته المتعددة، وأهم ملامح شخصيته ثم مؤلفاته النثرية والشعرية وسمات أسلوبه وريادته لحركة التجديد فى الشعر الأردى فى لاهور عام ١٨٧٤، ثم تحدثت عن جهوده الفكرية والاجتماعية فى بناء المجتمع الإسلامى فى الهند وتناولت من خلال هذه الدراسة حالى الشاعر والكاتب والمفكر والمصلح والناقد وكتابه « مقدمة شعر وشاعرى » بالتفصيل وتعدد مصادره النقدية من شرقية قديمة – عربية وفارسية وأردية – إلى غربية حديثة – يونانية وإنجليزية – ثم نقد لهذا الكتاب ودراسة وصفية تحليلية له، وترجمته إلى اللغة العربية فى ملحق مستقل خاص به.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح نظرية نقد الشعر الأردى وتطورها والمراحل التى مرت بها حتى تبلورت على الطاف حسين حالى، وتتبع هذه النظرية التى تعددت روافدها الشرقية والغربية، مع تأصيل هذه الروافد تأصيلاً جذرياً وبيان أوجه القصور فيها، وذلك فى إطار حياة حالى وعصره ودوره فى حركة التجديد فى الشعر الأردى الحديث.

وينقسم هذا البحث عن الطاف حسين حالى ومنهجه فى نقد الشعر الأردى إلى بابين يحتوى كل باب منهما على ثلاثة فصول وملحق أفردته للترجمة العربية لكتاب « مقدمة شعر وشاعرى ».

وقد تناول الباب الأول منهما الطاف حسين حالى حياته وعصره وجهوده الفكرية والاجتماعية فخصصت الفصل الأول من هذا الباب لدراسة الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية لشبه القارة الهندية إبان عهد حالى، وقد بدأت هذا الفصل بخلفية تاريخية سريعة عن بداية دخول المسلمين إلى الهند ثم حكمهم لها وتعاقب الأسر الإسلامية على حكمها بداية من الدول الغزنوية التى مهدت لحكم المسلمين هناك، ثم الدولة الغورية فسلاطين دهلى ودولة المماليك والخلجيين وآل تغلق وأسرة السادات واللودهيين، ثم الدولة المغولية التى وصل فيها الحكم الإسلامى إلى ذروته والحضارة الإسلامية إلى قمة ازدهارها، ومن ثم بدأت فى الضعف والاضمحلال بعد وفاة أورنگزيب آخر ملوك المغول الأقوياء بسبب خروج طوائف الهند المختلفة على السلطة الشرعية ومجىء الغزوات الخارجية - فارسية وأفغانية - وبداية صراع الدول الأوربية على تجارة الهند وانفراد انجلترا فى النهاية بشبه القارة الهندية، وقد تناولت الحياة الفكرية إلى جانب هذه الأحداث السياسية فهى تُعد انعكاساً لها فتطرقت إلى الحديث عن نشأة اللغة الأردية وكلية فورت وليم عام ١٨٠٠م وكلية دهلى عام ١٨٢٥، وتطور النثر الأردى ونشأة الشعر الأردى فى الدكن وظهور الطباعة والصحافة الأردية الحديثة.

وبعد ذلك تحدثت عن أهم الحركات الإسلامية فى الهند فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ودور هذه الحركات فى المحافظة على تعاليم الدين الإسلامى والثقافة الإسلامية ودورها البارز فى إحياء فريضة الجهاد ومحاربة السيخ والإنجليز لإقامة حكومة إسلامية، وقد مهدت لذلك بالحديث عن حركة شاه ولى الله الهلوى (١٧٠٢ - ١٧٦٢م) التى حاربت البدع والتقاليد الاجتماعية البالية التى انتشرت فى المجتمع الإسلامى الهندى آنذاك ودعاً إلى التمسك بتعاليم الإسلام وكانت حركة شاه ولى الله الهلوى أولى الحركات الإسلامية التى خاضت النضال المسلح ضد السيطرة الإنجليزية وعلى رأس هذه الحركات حركة المجاهدين بزعامة السيد أحمد الشهيد الذى أخذ على عاتقه مهمة التنفيذ العملى لأفكار شاه ولى الله الدهلوى فحارب السيخ فى شمال الهند وانتصر عليهم فى مواقع عدة فى سبيل إقامة حكومة إسلامية حتى تحالف الإنجليز مع السيخ وقضوا عليها، وفى نفس الوقت ظهرت الحركة الفرائضية وحركة تيتومير فى البنغال وكان لها نفس أهداف وخطط حركة المجاهدين، وقد أدى ظهور هذه الحركات فى شمال الهند وجنوبها إلى نشر الوعى الدينى بين المسلمين وتبلور عقيدة الجهاد مما كان له بليغ الأثر فى نفوس المسلمين التى اشتعلت بالحماس لهذه الفكرة فقاموا بثورة

التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، ومن ناحية أخرى أدى نشر الوعى وإلقاء الخطب باللغة الأردية إلى تطورها لأن زعماء هذه الحركات كانوا يستعملون اللغة البسيطة السهلة حتى يفهمها العامة الذين هم أساس حركاتهم، فترك السيد أحمد الشهيد كتاب « صراط مستقيم » وألف إسماعيل الشهيد كتابه الشهير « تقويت إيمان » .

ثم تناولت الصراع الأوربى للسيطرة على الهند بصورة مختصرة وتتبعت مراحل هذا الصراع حتى تمكن الإنجليز من السيطرة على الهند بعد القضاء على الفرنسيين وازدياد هذه السيطرة يوماً بعد يوم حتى نافس الإنجليز الملك المغولى نفسه وجردوه من صلاحياته وتفاقمت الحالة الاجتماعية وازدادت سوءاً حتى قام المسلمون بثورة ١٨٥٧م، ولكنها باءت بالفشل لعوامل عدة وانتهت بالسيطرة المباشرة على ا لهند عام ١٨٥٨م، ونفى الملك المغولى بهادر شاه ظفر إلى رانجون ببورما وانفراد الإنجليز بحكم الهند وصب جام غضبهم على المسلمين خاصة والهنود عامة، وكانت هذه الحقبة التاريخية من أعقد الحقبات فى تاريخ الهند، حيث استمر الإنجليز فى اضطهاد المسلمين لأنهم كانوا السبب فى اندلاع ثورة التحرير حتى قام السير سيد أحمد خان بمحاولة التفاهم والتصالح مع الإنجليز وتخفيف العداء الإنجليزى للمسلمين فيما يعرف بحركة على گڑھ، ودعا السير سيد إلى التعاون مع الإنجليز وتعلم لغتهم بعد أن رفض أنصار حركة ديوبند السلفية التعاون معهم أو الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية .

وبعد ذلك تحدثت عن أهم سمات الحياة الفكرية فى عصر حالى والتى تمثلت فى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : تزعمه قاسم نانوتوى وعلماء الدين أصحاب حركة ديوبند ١٨٨٩م ومدرستهم العقيدية هى مدرسة ديوبند واهتموا بالعلوم الدينية والثقافية الإسلامية .

والاتجاه الثانى : هو اتجاه حركة على گڑھ، وكانت ذات اتجاه عقلى دعا رائدها السير سيد أحمد خان إلى الإقبال على الثقافة الإنجليزية والتعليم الحديث وأنشأ كلية على گڑھ لتنفيذ أهدافه .

والاتجاه الثالث : كان اتجاه توفيقى دعا إلى التوفيق بين الثقافة الإسلامية والثقافة الإنجليزية وهم أنصار « ندوة العلماء » الذى تزعمها شبلى النعمانى، وقد انعكست هذه الاتجاهات الفكرية على الأدب والشعر الأردى، فكانت بداية لخروج الأدب عن جموده وتطور النثر وتنوع أساليبه وتقريب الشعر إلى الحياة الاجتماعية وجعله أداة لإصلاح

المجتمع، وقد قام بهذه المهمة أدباء وشعراء بارزين أمثال حالى وشبلى النعمانى ومحمد حسين أزاد والسير سيد أحمد خان ونجحت اللغة الأردية فى إثبات ذاتها كلغة قادرة على تناول قضايا الأدب المتشعبة.

وقد أفردت الفصل الثانى لدراسة حياة حالى ومراحلها المختلفة منذ نشأته وتلقيه علومه الأولية حتى وفاته، فتناولت الدراسة ميلاده ونشأته وبداية قرضه للشعر فى بلدته پانى پت ثم رحيله إلى دهلى للدراسة بها ولقاءه بالشاعر أسد الله خان غالب ومصطفى خان شيفته وتلمذته على يديهما فى الشعر، وكانت هذه المرحلة بداية لصقل موهبته الشعرية فنظم بعض الغزليات، وتحدثت عن لقائه بالسير سيد الذى تأثر به كثيراً وانضم إلى حركة على كڑھ، وصار من أبرز أعضاءها ومن المقربين للسير سيد واللسان الشعرى لحركته، وكانت هذه المرحلة بداية إطلاع حالى على الثقافة الغربية، حيث عمل فى مكتبة جامعة البنجاب فى إصلاح لغة الكتب الإنجليزية المترجمة إلى اللغة الأردية وزعامته لحركة التجديد فى الشعر الأردى واشتراكه فى الندوات الشعرية التى أقيمت فى لاهور لهذا الغرض عام ١٨٧٤م.

ثم تناولت مؤلفات حالى النثرية والشعرية بالتفصيل، حيث ترك لنا مؤلفاته نثرية عديدة تنوعت موضوعاتها، وقد قسمتها إلى خمسة أقسام من ناحية الموضوعات وهى: مؤلفاته دينية مثل مولود شريف وترياق مسموم وشواهد الإلهام وتاريخ محمدى، ومؤلفات فى الأدب واللغة وهى أصول فارسى ومجالس النساء ومؤلفات فى التراجم والتاريخ هى: حيات سعدى، وحيات جاويد ويادگار غالب وتذكره رحمانية وحالات حكيم ناصر خسرو، وكتاب فى علم طبقات الأرض هو مبادىء علم الجيولوجيا وكتاب فى نقد الشعر هو «مقدمة شعر وشاعرى»، وهو موضوع دراستنا، وإلى جانب هذا تحدثت عن خصائص أسلوب حالى وفن كتابة التراجم وشخصيته وثقافته.

وقد قمت بدراسة لشعر حالى الذى تنوعت موضوعاته، فنظم حالى فى الموضوعات الأخلاقية والدينية والتعليمية والاجتماعية والقومية وفى الدفاع عن المراة وشعر الأطفال وشعر المناسبات، وقد أدى تنوع هذه الموضوعات إلى تعدد الأجناس والفنون الشعرية، وقد نظم حالى فى معظم فنون الشعر الأردى مثل الغزل والقصيدة والقطعة والمثنوى والرباعى وتركيب بند والمسدس والرثاء فكان حالى بحق رائداً للشعر الأردى الحديث، وقد أحدث فيه تغيرات هائلة فى الشكل والمضمون.

وقد خصصت الفصل الثالث لدراسة جهود حالى الفكرية والاجتماعية فى بناء المجتمع الإسلامى الهندى ودور حالى كمصلح ومفكر، أما جهود حالى الفكرية فكان أبرزها قيامه بحركة التجديد فى الشعر الاردى فى لاهور عام ١٨٧٤م، ثم تحدثت عن جهوده الاجتماعية فتناولت دور مسدس حالى فى إيقاظ المسلمين من ثباتهم العميق ونقده لمجتمعهم وحثهم على نبذ العادات الاجتماعية البالية ودعوته للحاق بركب الحضارة الحديثة.

وتناولت فى الباب الثانى أصول نظرية النقد عند حالى، ففى الفصل الأول تناولت الأصول الشرقية التى استقى حالى منها نظريته النقدية التى تعد الأولى من نوعها فى الشعر الأردى، فتحدثت عن التراث النقدى الأردى قبل حالى رغم ندرته والأصول الأردية فى «مقدمة شعر وشاعرى» ثم الأصول النقدية الفارسية والعربية التى استعان بها حالى فى كتابة أول كتاب فى النقد الأردى.

أما الفصل الثانى فقد خصصته لدراسة الأصول النقدية الغربية الحديثة فى «مقدمة شعر وشاعر»، فتحدثت عن الأصول اليونانية، وأهمها نظرية المحاكاة الارسطية ورأى أفلاطون فى الشعر الجيد ودور الشعراء فى جمهوريته المثالية، ثم تناولت الاصول الإنجليزية النقدية فى «مقدمة شعر وشاعرى»، وتأثر حالى بأراء كولردج وخاصة فى الخيال الشعرى وأراء ميكالى وميلتون فى سمات الشعر الجيد، وخاصة أراء جون ميلتون التى قالها فى وصف الشعر الجيد، وهى البساطة والعاطفة والصدق، تلك الأراء التى كان لها نصيب وافر فى بلورة أفكار حالى النقدية.

وقد أفردت الفصل الثالث لدراسة وصفية تحليلية نقدية لمقدمة شعر وشاعرى، حيث قسمتها إلى ثلاثة موضوعات رئيسية: الأول تناولت فيه تأثير الشعر ودوره فى المجتمع وكيفية إصلاح الشعر وقضية الوزن والقافية، وفى الثانى تحدثت عن ماهية الشعر ونظرية الخيال وقضية اللفظ والمعنى والطبع والصنعة وثقافة الشاعر والبساطة والواقعية والعاطفة الجياشة والشعر الطبيعى، وفى الثالث تناولت فنون الشعر الاردى كالغزل والقصيدة والمرثية والمثنوى ورأى حالى فى إصلاح هذه الفنون الشعرية، ثم خاتمة البحث وعرضت فيها تلخيص لاهم أفكار الرسالة ونتائج الدراسة، ثم ثبت بأسماء المراجع والمصادر الأردية والعربية والفارسية والإنجليزية التى استعنت بها فى البحث وجعلت ملحق الرسالة

فى جزء منفرد عن الدراسة وهو ترجمة عربية لكتاب « مقدمة شعر وشاعرى »، وكان اعتمادى فى ترجمة « مقدمة شعر وشاعرى » على نسخة قديمة غير محققة طبعت فى لكناؤ بالهند فى مطبعة الناظر بريس عام ١٨٩٣، وموجودة فى مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ١٤٢٠ هندى، وقد بذلت جهداً مضاعفاً فى قراءة خطها نظراً لأنها مكتوبة بطريقة قديمة تتشابك فيها كلمات كثيرة فى كلمة واحدة مثل كلمة « اسكيلے » هى فى الأصل « اس كى ليى »، وغيرها من الضمائر والأفعال المتصلة ببعضها البعض، والتى تسبب الغموض للمترجم.

ولقد حرصت فى الترجمة على أن أترجم الحواشى كما هى، وكما ذكرها حالى فى متن النص الأصلى، على الرغم من أننى لا أتفق مع حالى فى بعضها، ولم أتدخل فى هذه الحواشى، وإن كنت قد أضفت بعض التعليقات لتوضيح غموض فكرة قد لا يدركها القارىء العربى، وخاصة وإن هذا الكتاب يترجم لأول مرة إلى اللغة العربية، كما لم يسبقنى أحد إلى ترجمة كتاب أدبى أو نقدى من اللغة الادرية إلى اللغة العربية، نظراً لصعوبة هذا النوع من التراجم، حيث يحتاج إلى جهد مضاعف فى توثيق الآراء والنظريات وردها إلى منبعها الأصلى، كما أنه يحتاج إلى دقة فى ترجمة المصطلحات الأدبية.

وبالنسبة للمصطلحات الإنجليزية التى وردت فى النص وكتبها حالى بالحروف الأردية مثل Verse Imagination ، وPotry وغيرها، فقد حرصت على أن أذكرها بحروفها الإنجليزية عند الترجمة، وكذلك بالنسبة للمصطلحات الأردية النقدية مثل « سادگى » أى البساطة، و« اصليت » أى الصدق أو الحقيقة، و« جوش » بمعنى العاطفة الجياشة، فقد حرصت على أن أذكرها إلى جانب الترجمة العربية لها لأنها مصطلحات نقدية خاصة أقام حالى عليها نظريته فى الشعر الجيد.

وواجهتنى صعوبات عديدة فى ترجمة الشواهد التى ذكرها حالى فى النص ليثبت بها فكرة أو ينفى بها رأى، وهى شواهد عربية وفارسة وأردية، فبالنسبة للشواهد العربية ذكرتها كما هى، ولكن اقتضى ذلك منى الرجوع إلى الكتب العربية التى نقل حالى عنها هذه الأبيات، وقد أثبت فى الهامش مصادر هذه الأبيات، وقد أخطأ حالى فى نقل بعض الشواهد العربية، إلا أننى نقلتها كما هى، وأشرت فى الحواشى إلى صحة رواية

هذا البيت أو ذاك، أما الشواهد الفارسية والأردية فقد واجهتني بسببها صعوبة من نوع خاص، وهي صعوبة فنية في المقام الاول تتعلق بشكل الكتاب، حيث يفضل ذكر هذه الشواهد بلغتها الأصلية في الحواشي، لكي يقارن القارىء بينها وبين الترجمة العربية المذكورة في متن الترجمة فآثرت أن أجمع هذه الشواهد وأذكرها في آخر الكتاب المُترَجْم، وخصصت ملحقاً للشواهد الشعرية الفارسية وآخر للشواهد الشعرية الأردية، وفضلت هذه الطريقة حتى لا تزدحم الحواشي بها، وبالتالي لا يعيرها أحد اهتمامه.

الباب الأول

ألطاف حسين حالى

الفصل الأول : الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية فى شبه القارة الهندية فى القرن التاسع عشر .

الفصل الثانى : حياته وثقافته .

الفصل الثالث : جهوده الفكرية والاجتماعية فى بناء المجتمع الإسلامى الهندى .



الفصل الأول

عصر حالى

الحالة السياسية والاجتماعية فى شبه القارة الهندية

فى القرن التاسع عشر

مع بداية القرن الثالث عشر الهجرى، التاسع عشر الميلادى بدأت عوامل الضعف تدب فى أوصال الدولة المغولية فى الهند، تلك الدولة الفتية التى حكمت الهند من عام (٩٣٢هـ / ١٥٢٦م) حتى عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م) شهدت فيها الحضارة الإسلامية فى الهند أزهى عصورها.

وكان الإمبراطور المغولى «شاه عالم» يحكم الهند مع مطلع هذا القرن وقد امتد حكمه من عام ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م حتى وفاته عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ومن ثم بدأت الدولة المغولية فى الإنهيار واستولى الانجليز على مقاليد الحكم فى الهند بعد فشل ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، وكان ذلك نهاية لفترة من العلاقات بين العرب والمسلمين من ناحية والهند من ناحية أخرى – امتدت منذ فترة ما قبل الإسلام»(١).

---

(١) كانت للعرب صلات وعلاقات تجارية مع الهند قبل الإسلام وكانت سفن تجار العرب فى الجاهلية تصل إلى بحر السند وشواطئ ما لبار وتعود محملة بالأقمشة المختلفة والتوابل والسيوف الهندية التى طالماتغنوا بها فى أشعارهم وأولعوا بها حتى سموا السيف المطبوع من حديد الهند، بالمهند وقالوا: «سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند». ابن منظور: لسان العرب: مادة هند (دار المعارف) وسموا كثيراً من نسائهم هندا. (أحمد أمين: ضحى الإسلام. جـ١ .ص٢٢٩) وبعد الإسلام بدأ المسلمون يتوافدون على سواحل الهند فى عهد الخلفاء الراشدين وفتحوا ثغوراً عديدة فى الهند أهمها مكران وخور الديبل. (البلاذرى: فتوح البلدان: بيروت. ١٩٨٣ص ٢٤٠–٢٤١ وص٤٢٥–٤٢٦، أيضا: سيد سليمان الندوى: عرب وهند كے تعلقات. الهند. ١٩٣٧ ص٦، ١٣) ثم بدأ الغزو الجدى للهند على أيدى الغزنويين الأتراك من ناحية غزنه وتولى سبكتكين حكم غزنه وأقام دولة فى بيشاور وتوفى عام ٣٨٧هـ وخلفه ابنه محمود الغزنوى الذى غزا الهند سبع عشرة مرة فى سبعة وعشرين عاماً وتملك بعض الحصون. (أحمد الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم. ج١. القاهرة ١٩٥٧م. ص٩١). وجاء السلطان محمد الغورى وقضى على الغزنويين وخلفهم على حكم الهند ثم جاء بعده المماليك فى ٦٠٢هـ/١٢٠٦م حتى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠ وخلفهم الخليجيين من ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م إلى ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ثم جاء بعدهم آل تغلق من ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م إلى ٨١٦هـ/١٤١٣م وسقطت دهلى =

. . . .

= في يد تيمورلنك سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٧م وحكمت أسرة السادات الهند في سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ثم خلفهم اللودهيين حتى عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م. وما أن حل عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م حتى فتح السلطان ظهير الدين محمد بابر الهند وقضى على سلاطين الدولة اللودهية في معركة پاني پت واستولى على دهلي في غرة صفر ٩٣٢هـ وجلس على عرشها في الرابع من رجب سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م وتوفي عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م (ظهير الدين محمد بابر: بابر نامه: ترجمة خان خانان بيرم خان. بومباى. (ب.ت) ص ١٦٣، وخلفه ابنه همايون ثم أكبرثم جهانگير فشاهجهان ثم اورنگزيب الذى يعد من اعظم ملوك هذه الأسرة واقواهم وبعد وفاته عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م بدأت عوامل الضعف والانهيارتدب في أوصال الدولة المغولية إذ حكمها سلسلة من الملوك الضعاف، فتولى بهادر شاه الأول الحكم بعد وفاة والدة اورنگزيب في عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م وظل في الحكم حتى عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م وقد قضى فترة حكمه في حروب داخلية من أجل تثبيت ملكه. وظل في الحكم حتى عام ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م.

(Dunbar: A history of India from earlest times to present day/ London, 1963 P. 289).

وخلفه جهاندار في ٢٩ مارس سنة ١٧١٢م فانصرف إلى حياة اللهو والمتعة حتى قتله أخوه فرخ سير وجلس على عرش دهلي في المحرم من عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م فكان زمام الحكم في أيدى أسرة السادات

(Dunbar: Ibid. P. 291 - 292)

(Elphinstine: History of India the Hindo and Mohamadan periods, London: 1849, P. 204).

وفي عهده ثار السيخ في البنجاب والمرهتها في الدكن فقبض السادات على فرخ سير وجاءوابرفيع الدرجات وأجلسوه على العرش في ١١٣١هـ/ ١١٧٩م بعد أن قتلوا فرخ سير،ومات رفيع الدرجات بعد ثلاثة شهور من توليه الحكم وخلفه رفيع الدولة شاهجهان الذى مات أيضا في نفس العام وخلفه محمد شاه سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٩م وكان العوبة في يد أسرة السادات وفي عهده غزا نادر شاه الفارسي الهند عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٩م ومن بعده غزا القائد الأفغاني أحمد شاه الإبدالي الهند عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م وقد جاء بناءاً على طلب شاه ولي الله الدهلوى الذى قام بحركة إصلاحية حاول فيها إصلاح الملك والرعية، وتوفي محمد شاه سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م.

(More Land: A short history of India. Second Edition 1944. P. 267 - 268).

وخلفه ابنه احمد شاه الذى ورث ملكا ضعيفاومضت عليه عدة سنوات وكانت نهايته مؤلمة إذ قبض عليه غازى الدين وهو أحد القواد وسمل عينيه وأجلس مكانه عالمگير الثاني في عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وفي عهده عاد أحمد الإبدالي إلى دهلي وخربها ولكن الوباء تفشى في جنوده فرجع إلى بلاده عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وترك جيشا بقيادة نجيب الدولة الروهيلي ليساند غازى الدين ولكن غازى الدين استعان بالمرهتها ضد نجيب الدولة وكان معه ولي العهد «شاه عالم الثاني» وقتل عالمگير عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م وأجلس على العرش مكانه ابنه كام بخش ولكن الإبدالي وصل إلى شمال الهند واستولى على لاهور وهزم المرهتها في معركة پاني پت عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦١.

(Spear: Twilight of the Mughuls, studies in Late Mughul cambridge at the Universities Press. 1951. P. 13-14).

وبعد ذلك نادى الإبدالي بشاه عالم الثاني سلطانًا على دهلي وتوفي الإبدالي سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م =

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادى بدأ الإنجليز فى نشر التعليم الإنجليزى بين المسلمين والهندوس، وبدأوا فى الاهتمام باللغة الأردية لتكون ندا للغة الفارسية التى كانت لغة الحكام المسلمين فى الهند، ولغة الحضارة الإسلامية الهندية لعدة قرون خلت، وقد أدى تشجيع اللغة الأردية إلى حركة تأليف واسعة النطاق فى النثر الاردى.

وكان أول احتكاك فعلى بين الأردية كلغة وثقافة وبين أهل الثقافات الأخرى ممثلا فى كلية فورت وليم وقد أسسها الحاكم البريطانى العام فى الهند اللورد ويلزلى عام ١٧٩٩م وكان الهدف من إنشاء هذه الكلية هو تعليم الضباط الإنجليز الذين سيلتحقون بالعمل فى شركة الهند الشرقية لغة الهند وحضارتها ليكون هؤلاء الضباط واقفين على تقاليد هذا البلد وتاريخه وكذلك كان الهدف من إنشاء هذه الكلية هدفا استعماريا بحتا هو خدمة مصالح الإنجليز فى الهند دون أن يضعوا فى الاعتبار الاهتمام باللغة الاردية وآدابها ولكنهم ساهموا فى تطور اللغة الأردية وانتشارها فى الهند دون قصد وبذلك أصبحت اللغة الأردية لغة رسمية فى المصالح الحكومية بدلا من اللغة الفارسية(١).

وفى ٤ مايو ١٨٠٠م فتحت كلية فورت وليم فى كلكتا أبوابها للدراسة وأشرف عليها «جون گلكراست (١٧٥٩ – ١٨٤٧م) ونص برنامجها على كتابة الكتب باللغة الأردية فى موضوعات مختلفة ومتنوعة وترجمة الكتب من اللغة الإنجليزية إلى الأردية وترجمة مختارات من الآداب الشرقية وكان لكلية فورت وليم بليغ الأثر فى تطور النثر الأردى وبداية النثر الفنى والأردى الذى يُؤرخ له بقيام هذه الكلية وكان لجون گلكراست «دور بارز فى تطور النثر الأردى وبجهوده أصبحت اللغة الأردية لغة متطورة وصارت اللغة الحكومية وقد أحدث فيها تطورات عظيمة حتى حلت محل اللغة

= فاشتد أزر المرهتها فعين شاه عالم الثانى ملكهم أميرا للجيوش كلها واصبحت إمبراطورية المغول فى كفالته. (جوستاف لوبون. حضارات الهند. ص ٣١٢) وأراد شاه عالم ان يسترد البنغال من الإنجليز فوقعت بينهما حروب انتهت بانتصارهم فى «بُكسر» سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م وقبض غلام قادر روهيلا على شاه عالم وسمل عينيه سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م ولم يمكث طويلا ومات عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م. (لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى. جـ٤. ص٣١٣) وخلفه ابنه اكبر شاه ثانى فلم يكن له اى تاثير فى الحكم (Spear, op. Cit., P.67).

وجاء بعده بها درشاه الثانى فى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م وكان آخر ملوك الأسرة المغولية وقد نفاه الإنجليز إلى رانجون فى بورما بعد ثورة ١٨٥٧م وبذلك انتهى حكم الدولة المغولية للهند وبدأ حكم الإنجليز المباشر للهند من عام ١٨٥٨م واستمر حتى عام ١٩٤٧م.

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٠٥.

الفارسية كلغة للبلاط وللحكومة الإنجليزية، وعندما عمل موظفًا لدى حكومة الشركة أدرك أن تعلم الضباط الإنجليز اللغة الفارسية فقط ليس كافيا بل يجب عليهم معرفة اللغة الهندوستانية(*) أى اللغة الأردية التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت لغة كل الطبقات ولذلك ضرب گلكراست المثل بنفسه وعُرف عنه أنه كان يرتدى الملابس الهندية ويتحدث باللغة الأردية السليمة علاوة على إلمامه باللغة السنسكريتية والفارسية واللغات الشرقية الأخرى وقد احتذى حذوه كثير من ضباط الانجليز وخاصة فى تعلم اللغة الأردية(١).

وقام گلكراست بجمع الأدباء والمؤلفين من أنحاء الهند وأطرافها، وعينوا فيها بعض الأساتذة الإنجليز العارفين باللغة الأردية، وقام گلكراست بانتخاب العديد من الكتب النثرية والقصائد الشعرية الأردية ورتبها وترجمها إلى اللغة الإنجليزية وألف كتبًا عديدة منها: قاموس إنجليزى – هندوستانى فى مجلدين وكتاب «أدباء الشرق» وقدم له بمقدمة باللغة الأردية و«قواعد اللغة الهندوستانية» و«علم اللغة الهندوستانية» وقام فى كتابه الأخير ببحث فى أصل اللغة الأردية وقد قام باستعراض الآراء السابقة فى هذا الموضوع وتوصل إلى أن اللغة الأردية قد وُضع أساسها فى الهند فى أيام فتح تيمور للهند(٢).

وساعد گلكراست فى إدارةالكلية بعض الضباط الإنجليز مثل: دويك وتيلر والدكتور هنتر والعديد من أدباء الأردية وكُتّابها وعلى رأسهم ميرآمن وشير على أفسوس وحسين لطفى حيدرى وجوان للولال جى ونهال چندلاهورى وإكرام على ولا وسيد محمد منير وسيد بشير على ومير بهادر على حسين وحيدر بخش حيدرى ومير كاظم على جوان ومظهر على ولا وحفيظ الدين أحمد وميرزا على لطف وغيرهم من الأدباء الذين أدوا خدمات جليلة للغة الأردية والنثر الأردى، وقد كتب ميرآمن الدهلوى كتابه «باغ وبهار عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م وهوترجمة أردية لكتاب «قصة چهار درويش لأمير خسرو وقد استعمل ميرآمن فى هذه القصة لغة الحوار اليومية والتعبيرات التى يستعملها سكان دهلى بأسلوب ممتع جذاب فكان تصويرًا للحياة الاجتماعية والحضارية فى عهده ويعد كتابه أول كتاب يكتب بلغة عامة الناس بأسلوب بسيط سلس ولكن هذا الأسلوب لم

(*) أطلق الإنجليز على اللغة الأردية اسم اللغة الهندوستانية.

(١) رام بابو سكسينه: المرجع السابق ص ٤٠٦.

(٢) محمد معين الدين دردائى: تحقيقى مقالے. ص٤٤.

يرق لبعض الكتاب فقاموا بانتقاد أسلوبه ولغته وعلى رأس هؤلاء مرزار رجب على بيگ سرور الذى ألف كتابه «فسانه عجائب» سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م انتقد فيه أسلوب ميرآمن البسيط وكتب قصته بلغة متكلفة وعبارات فارسية وكان سرور ينتمى إلى مدرسة لكناؤ التى اهتمت بالتكلف والتصنع فى النثر والشعر وكتب أدباء هذه المدرسة قصصًا نثرية مثل «طلسم هو شُربا» وقصة «أمير حمزة» وطوروا فن القصة ومع أن هذه القصص خيالية إلا أنها قدمت لنا صورة حية وكاملة للعادات والتقاليد والجوانب الحضارية لهذا العهد(١).

وقد كتب الأدباء المنتمون لكلية فورت وليم العديد من المؤلفات فى النثر والشعروقام مرزا على لطفى بترتيب أول كتاب فى تراجم شعراء الأردية باللغة الأردية اسمه «گلشن هند» أى روضة الهند وذلك سنة ١٨٠٧م وكانت كتب التراجم التى ألفت قبله تكتب باللغة الفارسية، وكتب شير على أفسوس (١٧٣٥ - ١٨٠٩م) عدة مؤلفات أهمها: الترجمة الأردية لگلستان سعدى والمعروفة باسم «باغ اردو» سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م وطبعت فى كلكتا لأول مرة سنة ١٨٠٢ وفى سنة ١٨٠٤ كتب كتابه المشهور «آرايش محفل» وصحح وحقق كليات سودا وله ديوان شعر وتوفى عام ١٨٠٩م(٢).

وعمل مير بهادر على حسينى أستاذًا فى كلية فورت وليم وكتب «أخلاق هندى» سنة ١٨٠٢م ولخص رسالة گلكراست فى النحو والصرف وفن العروض فى اللغة الأردية وطبعت فى كلكتا سنة ١٨١٦م وترجم «تاريخ آسام» تأليف شهاب الدين تابش وشارك فى ترجمة القرآن الكريم.

وكتب سيد حيدر بخش حيدرى كتابًا معروفًا بـ«قصة مهر وماه» سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م وقدمه لگلكَراست فاعجب به وعينه فى كلية فورت وليم، وترجم عدة كتب منها: قصة ليلى والمجنون وطوطا كهانى ترجمة لـ«طوطى نامه» الفارسى لسيد محمد قادرى وألفه سنة ١٨٠١ نزولاً على رغبة گلكراست.

أما مرزا كاظم على جوان فقد ترجم مسرحية «شكنتلا» لكاليداس وكتب لها مقدمة تحدث فيها عن أصل هذه القصة وذكر أن كاليداس ترجم هذه المسرحية عن البرج بهاشا سنة ١٧١٦م، وقد انتهى مرزا كاظم من هذه الترجمة سنة ١٨٠١م وطبعت فى كلكتا

---

(١) ابو الليث صديقى: جديد اردو ادب ص ٣١ - ٣٣ ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٠٧.

(٢) محمد حسين آزاد: آب حيات ص ٢٥ - ٢٦.

سنة ١٨٠٢م وقام مرزا كاظم بترجمة القرآن الكريم بأمر من گلكراست وترجم أيضا كتاب « تاريخ فرشته ».

وقام نهال چند لاهورى بترجمة قصة « تاج الملك وبكاؤلى » من الفارسية للاردية وقد عمل مدرسا فى كلية فورت وليم ومن أشهر مؤلفاته « مذهب عشق » المعروفة بقصة « گل وبكاولى » التى ألفت بالفارسية باسم عزت الله بنغالى سنة ١١٢٤هـ / ١٨١٠.

وقد عاصر كتاب كلية فورت وليم أدباء عظام مثل: سيد جعفر روان لكنوى وسيد افتخار الدين شهرت وعبد الكريم خان الدهلوى وخليل على اشك الذى ترجم « أكبر نامه » باسم واقعات أكبر وذلك فى ١٨٠٩م ولم يطبع، ومرزا جان طپش الذى كتب بالأردية « مثنوى » طويلاً باسم « بهاردانش » ونشرت كليه فورت وليم كلياته(١).

وفى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٨٠٢م كتب شرى للوجى لال كوى « بريم ساكر » وقام مظهر على ولا ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م بترجمتها للأردية باسم « بتيال بچيسى » وقد انتشرت اللغة الأردية فى ذلك الوقت وأصبحت لغة يفهمها العوام فضلاً عن الخواص وكان ميرانشاء الله خان أول من كتب « قواعد اردو » سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م(٢).

وقد انشأت كلية فورت وليم وبذلك دخلت الطباعة الحديثة الهند لأول مرة فساهمت فى نشر الكتب باللغة الأردية وبذلك ساهمت الطباعة الحديثة فى انتشار اللغة الأردية وتطور النثر الأردى.

وقام السيد أحمد الشهيد (١٧٨٢ – ١٨٣١م) بتأسيس حركة المجاهدين فساهمت فى تطور النثر الأردى لأنهم استعملوا لغة بسيطة سهلة من أجل نشر الدعوة الإسلامية ووعظ المسلمين ومن أجل نشر أفكاره الإصلاحية وقد كتب المجاهدون رسائل وكتبًا عديدة فترك لنا السيد أحمد الشهيد كتبًا كثيرة أشهرها « ترغيب جهاد » و« هداية المؤمنين » و« نصيحة المؤمنين » و« موضح الكبائر » و« البدعات » و« مائة مسائل » وغيرها وكتب شاه عبد العزيز (توفى ١٢٢٩هـ) « فتاوى عزيزية » باللغة الفارسية وقام مولانا شاه رفيع الدين (١١٦٣ – ١٢٣٣هـ) بترجمة القرآن إلى الأردية، وترجم شاه عبد القادر (١١٦٧ – ١٢٣٠هـ) أيضا القرآن الكريم سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م وكتب تفسيرًا له يسمى « موضح القرآن » وكتب شاه محمد إسماعيل – الذى شارك السيد أحمد الشهيد

(١) رام بابو سكسيته : تاريخ ادب اردو. ص ٤٠٩ – ٤١١.

(٢) محمد حسين آزاد : آب حيات. ص ٢٥، ٢٦.

فى جهاده واستشهد فى بالاكوت ١٢٤٦هـ - رسالة التوحيد و« صراط مستقيم » وتنوير العينين » و« تقويت الإسلام » وبذلك ساهمت أسرة شاه ولى الله الدهلوى فى نشر علوم القرآن والسنة النبوية فى شبه القارة الهندية[١].

وهكذا ساهمت كلية فورت وليم والطباعة الحديثة وحركة المجاهدين فى نشر اللغة الأردية وتطور النثر الأردى وبدأت العلوم والفنون الجديدة تنتشر فى الهند عن طريق كلية دهلى « دهلى كالج » ففى سنة ١٨٢٥م أسست كلية دهلى « دهلى كالج » وكانت تمثل صحوة فى شمال الهند وكان لها نفس الدور الذى كان لكلية فورت وليم فى جنوب الهند، فبينما ركزت كلية فورت وليم على النواحى الأدبية واللغوية وتعليم الإنجليز القادمين للهند اللغة الأردية والفارسية والثقافية الهندية فإن كلية دهلى بدأت عملها بحصر عناصر الشرق والغرب معًا تحت سقف واحد فقام أساتذتها ومدرسوها بكتابة مؤلفات عديدة فى مجال العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية وكذلك الأدب واللغة والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلك وعلم السياسة والفلسفة والتاريخ والسيرة والجغرافيا والنقد والصحافة والشعر والتذاكر والمعاجم والرواية والمقال الصحفى وغيرها من المجالات العلمية والأدبية وهكذا كانت كلية دهلى علما من أعلام التجديد فى ذلك الوقت.

وقد بدأت الكلية سنة ١٨٢٥ بتدريس الفيزياء والكيمياء والرياضيات[٢] وفى سنة ١٨٢٧م افتتحت الكلية قسما للغة الإنجليزية وعلى الرغم من معارضة الناس لذلك إلا أن إقبال الطلبة على الدراسة فى هذا القسم لم يكن قليلا ففى نفس السنة التى افتتح فيها هذا القسم كان عدد الطلاب يربو على الثلاثمائة طالب.

وكان مقر الكلية فى البداية بالقرب من بوابة المدرسة الأجميرية ولكنها عندما تطورت انتقلت إلى البوابة الكشميرية وبالقرب من نهر جمنا واستقرت فى النهاية فى المكتبة الملكية وذلك فى سنة ١٨٤٣م[٣].

ولم يكن الطلبة يدفعون أى مصاريف للإلتحاق بكلية دهلى وكانت الكلية تعطى لخريجيها أكبر المناصب، ووصل التعليم فيها إلى القمة خاصة فى العلوم الرياضية

(١) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤١٥ - ١٤٦.
(٢) مولوى عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٩، ١٤.
(٣) رام بابو سكسينه : المرجع السابق ص ٤٧٩.

والطبيعية والفنون الجديدة وكان التعليم فى هذه الكلية يتم عن طريق القاء المحاضرات لأنه لم تترجم كتب فى العلوم والفنون الجديدة حتى ذلك الوقت وكانت العلوم العربية والفارسية تدرس باللغة الاردية.

وفى سنة ١٨٤٢م افتتحت فى الكلية «دار للترجمة» لنشر العلوم الغربية باللغة الأردية وقد ضمت هذه الدار كثيرا من العلماء الهنود والإنجليز وبجهودهم ترجمت أعداد كبيرة من الكتب فى شتى المجالات وقامت حركة تأليف وترجمة واسعة فى مدن الهند الكبرى مثل: أگرا وبنارس ولكناؤ وهذه الكتب موجودة الآن فى مكتبة المكتب الهندى وقد استفاد النشر الأردى من حركة الترجمة استفادة كبيرة وبدأت الكتب تؤلف بلغة بسيطة سلسة بلا تعقيد أو تكلف(١).

وقد ساهم عدد كبير من الأساتذة الانجليز والهنود فى التدريس فى كلية دهلى وعلى رأس هؤلاء السيد تيلر مدير هذه الكلية الذى مات فى ثورة ١٨٥٧م وبينِدت أجود هياپرشاد وبطرس شبرنجر ووزير على وأمير على ومملوك على أستاذ اللغة العربية(٢) ورام چندر استاذ الرياضيات الشهير وامام بخش صهبائى أستاذ اللغة الفارسية والذى قام بإصلاح أشعار أكثرامراء المغول فى عصره ومات أثناء ثورة ١٨٥٧م.

وقد تعلم فى كلية دهلى كثير من مشاهير الهند وأدبائها الذين ساهموا فيما بعد فى تطور اللغة الأردية ومنهم: مولوى نذير أحمد الذى ترجم العديد من كتب القانون إلا أن شهرته ترجع إلى قصصه الإصلاحية، ومحمد حسين آزاد الذى ترك ثروة أدبية ونقدية عظيمة وپيارى لال آشوب ومولوى ذُكاء الله ومنهم من وصل إلى مناصب عظيمة فى الهند مثل شهامت على الذى أصبح وزيرا لرياسة اندور، والدكتور مكندلال الذى كان مشهورا ومعروفا فى شمال الهند باكمله وغيرهما(٣) ويذكر رام بابوسكسينه أن حالى تعلم فى كلية دهلى إلا أن حالى كان قد نفى ذلك فى ترجمته لحياته حيث قال: لم أحصل من التعليم الانجليزى أى قدر فعندما وصلت إلى دهلى كنت أقيم فى مدرسة حسين بخش ليلا ونهارا وكان الناس يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا فى كلية دهلى جهلة ولم أفكر فى التعليم الإنجليزى ولم أذهب لرؤية هذه الكلية

(١) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) مولوى عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٣٥ .

(٣) رام بابو سكسينه . المرجع السابق . ص ٤٧٩ .

كما لم التق بالذين تعلموا فيها فى ذلك الوقت مثل مولوى ذكاء الله ومولوى نذير أحمد ومحمد حسين آزاد وغيرهم»[١].

وقد اغلقت كلية دهلى ابوابها فى ثورة ١٨٥٧م بعد أن مات مديرها تيلرُ وامام بخش صهبائى. وعندما قتل عالمگير قام ولى عهده مرزا عبد الله على جوهر باعلان نفسه ملكا وتلقب بشاه عالم وكان فى ذلك الوقت يعيش تحت رعاية شجاع الدولة ملك أودهـ وبعد أن تخلص أحمد شاه الابدالى من المرهتها واراد ان يرحل عن الهند أقر شاه عالم ملكا وعماد الملك وزيرا ونجيب الدولة قائدا للجيش[٢].

ورغم رحيل أحمد الابدالى عن الهند ظل شاه عالم غائبا فى منفاه بالشرق لفترة طويلة حاول فيها استخلاص البنغال من ايدى البريطان ولم يفلح فى ذلك وإن كان قد افلح فى انقاذ لقب المملكة من الضياع[٣].

وقد شهدت الهند فى هذه الفترة اضطرابات عديدة من جانب المرهتها والسيخ والافعان وتحولت المملكة إلى ولايات منفصلة وابتعد الملك فى منفاه[٤].

وقد عاد شاه عالم إلى دهلى سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧٢ فى كنف المراهتها إذ اعاده إليهاملكهم مادها فاراو فعينه شاه عالم على إمارة الجيوش وصارت الدولة تحت امرة المرهتها حتى جاء غلام قادر خليفة نجيب الدولة وقبض على شاه عالم واسمل عينيه سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م فقضى على ما تبقى من هيبة الملك و ظل المرهتها يثبتون أقدامهم إلى ان اطبق البريطانيون على دهلى سنة ١٨٠٣م بقيادة ولزلى وصار الملك المغولى يتقاضى راتبا شهريا من البريطانيين ويعمل وفق أوامرهم إلى أن توفى سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م[٥]. و حين قضى شاه عالم خلفه ابنه أكبر شاه الثانى ليقضى حياة يغلب عليها الخمول والضعف وخلفه ابنه بهادر شاه الثانى عام ١٨٣٧م ليعيش بدوره على الرزق الذى كان يجريه البريطانيون على ابيه من قبل بعيدا عن كل نشاط سياسى أو

---

(١) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(2) SPEAR: TWILIGHT OF MUGHULS. STIDIES IN LATE MUGHUL Ca MBRIDGE UNIVERSITY PRESS. 1951. P. 14 - 15.

(٣) احمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية. جـ٢ . ص ٦٤٦.

(4) EL-PHINSTINE. HISTORY OF INDIA, THE HINDU AND MOHAMATAN PERIODS, TIRD EDITON LONDON, 1849. P. 669.

(٥) احمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهند وباكستانيه جـ٢، ص٢٣٣ – ٢٣٤.

مشاركة فى الحكم(١).

وفى السادس من ذى القعدة سنة ١٢٧٣هـ العاشر من مايو ١٨٥٧م قامت الثورة الهندية وقد قام بهاجنود معسكر ميريت(٢) حيث قاموا باشعال النار فى المبانى داخل قلعة ميريت وحطموا السجون وحرروا السجناء. ثم انطلقوا بعد ذلك إلى دهلى فدخلوها وقاموا بقتل عدد كبير من البريطانيين(٣) ثم توجهوا إلى بهادر شاه ظفر وطلبوا منه قيادة الثورة على الرغم من أنه لا يملك جيشا أو مُلكا ولكنهم أرادوا أن يكون لهم رمزا(٤).

ولكن الثورة فشلت لعدم وجود إمدادات مادية كافية وجهل قوادها بتنظيمها ولأسباب أخرى سنذكرها فيما بعد. وقد قام الانجليز بمحاكمة بهادرشاه ظفروقرروا نفيه إلى رانجون فى بورما هو وأسرته فى أكتوبر ١٨٥٨م، وظل بهادر شاه ظفر فى رانجون إلى آخر حياته حيث توفى فى السابع من نوفمبر سنة ١٨٦٢م ودفن هناك(٥) وبذلك انتهت فترة حكم الدولة المغولية فى الهند وفى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م اعلنت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ضم الهند إلى التاج مباشرة(٦) وخروجها من سلطة شركة الهند الشرقية وعينت اللورد كيننج حاكما عاما للهند تحت سلطة التاج وتفرغ الانجليز بعد ذلك لاذلال الهنود عامة والمسلمين خاصة وأذاقوهم من ضروب الانتقام والتنكيل مما لا يتسع المجال لسرده.

ولم تكن الثورة الهندية ثورة سياسية فى تاريخ شبه القارة الهندية قامت فيها حكومة مكان أخرى فحسب بل كانت ثورة حضارية ونهاية ثمانية قرون من حكم المسلمين ونفوذهم فى الهند ونهاية لحضارة المسلمين وجهودهم فى قرون وصار المسلمون محكومين إذلاء بعد ماكانوا سادة واضطهدوا من الانجليز والهندوس والقى الانجليز بمسئولية قيام الثورة كاملة على عاتق المسلمين واعتبروهم روح هذه الثورة لانهم قد

(١) احمد محمود الساداتى: المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(2) MORELAND, ASHORT HISTORY OF INDIA. SECOND EDITION, LONDON, 1944. P. 369.

(3) SPEAR: OP. CIT., P. 201.

(4) SPEAR: OP. CIT., P. 205.

(5) SPEAR: OP. CIT., P. 226-227.

(٦) احمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية. جـ٢، ص٦٤٦.

سلبوا الحكم من أيديهم . وفى هذا شيء من الحقيقة لأن ثورة ١٨٥٧م كانت بمثابة حلقة من حلقات جهاد المسلمين المتواصل لطرد الانجليز من الهند بداية من السلطان سراج الدولة والسلطان تيبوفى البنغال ونهاية بالسيد أحمد الشهيد فى البنجاب والحركات الإسلامية فى جميع أنحاء الهند .

وقد أكد السير سيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨م) هذه المخاوف التى كانت تدور فى خلد المسلمين فى ذلك الوقت عندماكتب رسالة «أسباب بغاوت هند» أى أسباب ثورة الهند وذكر فيها أن مخاوف المسلمين كانت فى محلها وخاصة أن الإنجليز تدخلوا فى أمور دينهم فى نفس الوقت الذى انهمك فيه المبشرون فى الدعوة للديانة المسيحية، وعلى كل حال فقد فشلت ثورة ١٨٥٧م وسام الإنجليز المسلمين العذاب وتغيرت السيادة فى الهند وحاول الهندوس تسلم القيادة من المسلمين بعد ثمانية قرون من حكمهم وصارت الثروة فى يد الإنجليز ولم يعد للمسلمين إلا البكاء على أطلال ماضيهم[1] .

وفى تلك الأثناء ظهرت فى الهند حركة سياسية اجتماعية هى حركة «على گرطه» التى رادها السير سيد أحمد خان وكان يهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين المتردية والخروج بهم من كبوتهم وحاول أن يزيل سوء الفهم بين المسلمين والانجليز وخلّف جواً من التفاهم والتعاون معهم لأنه - فى رأيه - لن يتقدم المسلمون دون إقامة جسور التفاهم مع الإنجليز وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها من المسلمين لعدم استساغتهم لطريقته فى الإصلاح حتى اتهموه بالتملق والعمالة للإنجليز وصدرت الفتاوى تكفره إلا أنه استمر فى حركته بإيمان وإخلاص وكانت حركة على گرطه بداية لحركة أدبية جديدة فى الأدب واللغة الأردية اتجهت إلى الأدب الإصلاحى الهادف وأعلن السير سيد أن الهدف من الشعر والأدب هو الإصلاح وفلاح القوم وأن اللغة ما هى إلا وسيلة لإظهار الأفكار فلذلك يجب على الأدباء أن يختاروا اللغة السهلة السلسة بلا تكلف أوصنعه[2] وقام بنفسه بإعادة صياغة كتابه «آثار الصناديد» فى لغة سهلة سلسة وكتب عدة كتب ساهمت فى تطور النثر الأردى هى رسالة «أسباب بغاوت هند» التى كتبها سنة ١٨٥٨م وطبعت سنة ١٨٦٣م و«وفادار مسلمانان هند» أى وفاء مسلمى

---

(١) أبو الليث صديقى : جديد اردو ادب ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) محمد معين الدين دردائى : تحقيقى مقالے . ص٦٩ .

الهند وكتب تفسيراً للإنجيل سماه « تبيين كلام »، وقام فى ٤ ديسمبر ١٨٧٠م بإصدار مجله « تهذيب الأخلاق » على غرار مجلتى « إسبكتير » و« أورتيتلر » الإنجليزيتين اللتين كانتا تصدران فى لندن ويديرهما « اديسون » و« استيل » وكان السير سيد يقوم بترجمة هاتين المجلتين أو يلخص أفكارهماثم ينشر ذلك فى مجلة « تهذيب الأخلاق » إلى جانب ما يقوم بكتابته بنفسه حول الموضوعات الخاصة بالتعليم الجديد والعلوم الحديثة وقد ساهمت هذه المجلة مساهمة فعالة فى تغيير أساليب الكتابة وموضوعاتها مما ساعد على ازدهار النثر الأردى[1]، وقد ألقت ثورة التحرير ١٨٥٧م بظلالها على الحياة بصفة عامة وعلى الأدب الأردى بصفة خاصة وقد واجه السيرسيد ورفاقه عواقب فشل هذه الثورة من جانب الحياة الاجتماعية والأدبية وألقى الضوء على جميع جوانب الحياة والأدب وكان الشعر والأدب الأردى فى ذلك الوقت تصوراً ناقصاً ومحدوداً فى نطاق لغة الحديث اليومية بين العوام أو فى نظم الشعر ولم يكن الأدب ترجمانا للحياة والواقع فحسب، بل كان غريباً عن متطلبات الحياة وحقائق الكون.

وقد ساند السير سيد فى حركته كثير من الأدباء المؤيدين لأفكاره وساهموا بذلك فى نشر الحركة الأدبية فى الهند فى تلك الفترة وكانت بصماتهم واضحة على الأدب الأردى حتى اليوم وعلى رأس هؤلاء الأدباء الطاف حسين حالى (١٨٣٧ - ١٩١٤م) ومحمد حسين آزاد (توفى: ١٩١٤م) ونذير أحمد (١٨٣١ - ١٩١٢) وشبلى النعمانى (١٨٥٧ - ١٩١٤) وذكاء الله (١٨٣٢ - ١٩١٠م) ونواب محسن الملك (١٨٣٧ - ١٩٠٧م) ونواب وقار الملك (١٨٣٩ - ١٩١٧م) ومولوى چراغ على (١٨٤٤ - ١٨٩٥م) ومولى سيد أحمد الدهلوى (ولد سنة ١٨٤٦م) وقد كتب هؤلاء الأدباء كتباً قيمة فى جميع الموضوعات كالتاريخ والفلسفة والسياسة والدين والأخلاق والعلوم وهيأوا الألفاظ والمصطلحات المناسبة فى اللغة الأردية لتواكب العصر مما كان له عظيم الأثر فى ظهور حركة التجديد والبعث فى الأدب الأردى[2].

وقد تميز حالى بالكتابة فى موضوعين أظهر فيهما النبوغ والتفوق وهما فن كتابة التراجم والنقد الأدبى، فكتب فى التراجم: « حيات سعدى » و« يادگار غالب » و« حيات

---

(١) سيد أحمد خان: أسباب بغاوت هند. نقلا عن كتاب « حيات جاويد » لألطاف حسين حالى من ص ٨٨٦ حتى ص ٩٢٩.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

جاويد » وأسس حالى بذلك فن التراجم فى اللغة الأردية ومنحها قدراً كافيًا من القوة والاستدلال والشمول بحيث أصبحت الآن فى الادب الاردى نماذج كاملة يحتذى بها فى هذا الفن الادبى وكان فن كتابة التراجم قبل حالى قاصراً على حياة السلف واعمالهم فقط مع إضفاء نوع من المبالغة وهالة من التقديس لهذا البطل أو ذاك لإثبات تفوقه غير العادى، أما حالى فقد قدم شخصيات واقعية معاصرة له وقيّم فيها جوانب كل شخصية مع إبراز المحاسن والعيوب دون مبالغة. أما الموضوع الثانى الذى برع فيه حالى فهو النقد الادبى فكتب أول كتاب منهجى فى النقد الأردى وهو « مقدمه شعر وشاعرى » وهو موضوع بحثنا فى الصفحات القادمة.

وعلاوة على هذا فقد كان حالى شاعراً ورائداً للشعر الأردى الحديث وقدم نماذج شعرية قيمة فى الشعر القومى وشعر الطبيعة.

وكان محمد حسين آزاد كاتب نثر ومؤرخًا وناقداً أدبيًا وشاعراً وعالم لغويات وله أسلوب متفرد وشارك حالى الدعوة للشعر الجديد وكتب عدة كتب نثرية قيمة فى اللغة والادب هى: آب حيات « ورتب ديوان ذوق » و« دربارا كبرى » و« نگارستان فارس » و« نيرنگ خيال »[1].

أما شبلى النعمانى فقد كان آخر حلقة فى سلسلة رفاق السير سيد فاخذ عنه الاستدلال المنطقى وعن آزاد التحقيق والتدقيق وعن حالى الصفاء والبساطة فى الأسلوب كما أخذ من نذير أحمد قوة البيان وبذلك اكتسب شبلى النعمانى جميع مزايا معاصريه فى كتابة النثر وبرع فى مجال كتابة التاريخ وفلسفته فكتب سلسلة تراجم لمشاهير الإسلام وعلى رأسهم الفاروق عمر بن الخطاب و« المأمون » و« سيرة النعمان » وغيرها وكان نذير أحمد الدهلوى أول من برع فى فن الترجمة فترجم العديد من الكتب الإنجليزية للغة الإردية أبرزها كُتب القانون، وانفرد عن اقرانه بكتابة القصة والرواية فكان بحق أول قاص وروائى اردى وضّح كثيرا من القضايا الاجتماعية فى رواياته بأسلوب قصصى واقعى شائق بعيدا عن الأسطورة والخيال فترك لنا « توبة النصوح » و« مرآة عروس » و« بنات النعش » و« ابن الوقت » وغيرها من القصص.

وترك ذكاء الله عدة كتب فى الرياضيات والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وعلم السياسة، وكتب مولوى سيد أحمد الدهلوى المعجم الأردى الشهير « فرهنگ

---

(١) محمد معين الدين. تحقيق مقالے ص ٧٣.

آصفيه»(١) وعلى الرغم من أن هؤلاء الادباء كتبوا فى موضوعات متباينة ومختلفة وفى فروع مختلفة من فروع الادب إلا انهم كانوا يلتقون جميعا على هدف واحد ومذهب أدبى واحد وهو حركة التجديد فى الأدب الأردى التى سميت بحركة على گرطھ الادبية واحدثوا ثورة عارمة فى مجال النشر الأردى مما كان له ذور كبير فى اثرائه ليواكب حركة العصر الحديث وليكون فى خدمة المجتمع.

الصحافة الأردية :

عرفت الدولة المغولية فى أيام الملك أكبر الصحف فى صورتها الأولية حيث كانت أخبار المملكة تقدم إليه يوميًا على هيئة «تقارير» يقوم بكتابتها مجموعة من أدباء البلاط وكان الهدف منها كتابة أخبار الملك والبلاط والوزراء والأمراء ووصف المعارك والحروب وندوات الشعر وغيرها من مظاهر الحياة الملكية وبذلك كانت هذه التقاريرقاصرة على الأسرة الملكية والحاشية دون بقية الشعب.

ولم تكن هذه التقارير صحافة بالمصطلح الحديث لهذه الكلمة، ومع دخول شركة الهند الشرقية إلى الهند ودخول الطباعة معها عام ١٨٠٥م بدأت تصدر عدة جرائد وصحف فى بومباى ومدارس وصدرت أول صحيفة إنجليزية فى كلكتا باسم GEN-ERAL ADVERTISER أى المبلغ العمومى عام ١٨١٨م ثم صدرت جريدة أخرى باللغة الإنجليزية هى «INDIA GAZETTE» أى جريدة الهند الرسمية عام ١٨٢٠م وكانت هذه الصحف تهتم بنشر الاخبار السياسية والتجارية للشركة وخدمة أهدافها الاستعمارية ولم يكن نصيب الفرد العادى منها شيئا وقد احتكر الانجليز إصدار الصحف وراقبوا ذلك مراقبة صارمة(٢). ونتيجة لتطور الطباعة صدرت مجلات وصحف عديدة باللغة الاردية واحدث ذلك طفرة كبرى فى تزويد العامة بالمعلومات الكافية والصادقة عن الأحداث التى تدور فى العالم وقد أدى ذلك أيضا إلى إتاحة الفرصة للكتّاب لتناول الموضوعات المختلفة فصاغوا الموضوعات الاوربية بلغتهم الاردية، وفى عام ١٨٣٢م أصدر الإنجليز قراراً بإلغاء اللغة الفارسية كلغة رسمية للهند وجعل اللغة الأردية لغة رسمية بدلا منها مما كان له بليغ الأثر فى تطور اللغة الأردية(٣). وفى سنة ١٨٣٦م حصلت الصحف

---

(١) رام بابو سكسينه. تاريخ ادب اردو ص ٤٦٥.

(٢) عبد السلام خورشيد: كاروان صحافتى ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٣٧.

والمطبوعات على حريتها وأصدر مولوى محمد باقر حسين والد الأديب محمد حسين آزاد أول صحيفة باللغة الأردية هى «ارد وأخبار» ولم تكن صحيفة بالمعنى الحديث بل كانت عبارة عن مجموعة من الأخبار المتفرقة وكانت عبارة عن ورقة أدبية تنشر بين الحين والحين غزليات ذوق وغالب ومؤمن والشعراء المعاصرين لهم، وفى سنة ١٨٥٠ أصدر منشى هرسنگـ راى صحيفة «كوه نور» فى لاهور تحت أشراف حكومة الشركة وكان لهذه الصحيفة شهرة واسعة فى انحاء الهند وصدرت هذه الجريدة أسبوعيا فى البداية ثم صدرت مرتين ثم ثلاث مرات فى الأسبوع واغلقت فى النهاية(١).

وقام منشى نولكشور والفريق الذى كان يعمل معه بإصدار عدة صحف مثل «مشعلة طور» و«مطلع نور» فى كانپور و«پنجابى اخبار» و«انجم اخبار» فى لاهور و«اشرف الاخبار» فى دهلى و«فيكتوريا اخبار» فى سيالكوت و«قاسم الاخبار» فى بنگلور و«كشف الاخبار» فى بمباى و«كارنامه» فى لكناؤ «و«جريدة روزگار»، فى مدارس ولكن سرعان ما توقفت هذه الصحف عن الصدور وقام منشى نولكشور بإصدار صحيفة «اوهـ اخبار» سنة ١٨٥٨م وكانت مادة هذه الصحيفة فى الغالب عبارة عن مجموعة من الأخبار المترجمة عن الصحف الانجليزية وصدرت هذه الصحيفة أسبوعية فى البداية ثم أصبحت تصدر يومية وكانت تضم مجموعة من الكتاب الكبار(٢).

ثم صدرت جريدة خاصة بالمسلمين فى مدراس هى «شمس الأخبار» ولكنها اغلقت بعد فترة قصيرة وأصدر پندت مكند رام صحيفة «أخبار عام» وكانت جريدة خاصة رخيصة الثمن وتولت حكومة الشركة الإشراف عليها بعض الوقت وكانت توزع على المدارس وصدرت هذه الصحيفة فى البداية أسبوعية ثم أصبحت تصدر يومية وكانت تضم مجموعة كبيرة من الكتاب إلا أن لغتها كانت تفتقر إلى الخصائص الادبية(٣).

وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٠م أصدر السير سيد أحمد خان جريدة «تهذيب الأخلاق» على غرار الصحف الإنجليزية التى رآها فى لندن أثناء زيارته لها وكانت هذه الجريدة لسان حال حركته من أجل نشر الحضارة الغربية والعلوم الجديدة وكان لهذه الجريدة دور بارز فى تطور النثر الأردى حيث كانت تُكتب بأسلوب بسيط سهل يفهمه

---

(١) محمد حسين آزاد. آب حيات. لاهور (ب.ت) ص٣٥.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٩٥.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو، ص٤٩٦.

العامة والخاصة واستمرت هذه المجلة فى الصدور حتى سنة ١٨٩٧م وكانت أول جريدة لها سمات الصحف الحديثة التى تصدر اليوم وكتب حالى فى هذه الجريدة مقالات عديدة خاصة بالادب والشعر والنقد الادبى وجُمعت مقالاته التى كتبها فى هذه الصحيفة والصحف الاخرى فى جزءين تحت اسم «مقالات حالى» واشترك فى تحرير هذه المجلة معظم رفاق السير سيد وعلى رأسهم وقار الملك ومحسن الملك وچراغ على ونذير على وغيرهم. وقد جمع مجلس تطوير الادب الأردى «مجلس ترقى أدب» بلاهور هذه المقالات فى عدة مجلدات كان نصيب السير سيد منها عشرة مجلدات.

وفى سنة ١٨٧٧م صدرت جريدة «أودَ هـ پنچ» فى لكناؤ وكانت جريدة ساخرة نالت إعجاب الناس منذ نشأتها لأسلوبها الفكاهى الساخروبدأ الجميع يقلدونها وخاصة ما كان يكتب فيها عن الحرية والحضارة والمقلدين للغرب وخاصة السير سيد ورفاقه الذين لم يسلموا من انتقادهم وانتقدت هذه الصحيفة ألطاف حسين حالى لتأييده حركة على گڑھ ودعوته لشعر الطبيعة والشعر الجديد، وحررت هذه الصحيفة بأسلوب راق وكانت تدافع عن التقاليد الإسلامية وتدعو إلى الثقافة الإسلامية على عكس صحيفة «تهذيب الاخلاق» التى روجت للحضارة الغربية فى الهند، وأشرف على إدارة هذه الصحيفة الكاتب سجاد حسين ولفيف من أصحاب الاسلوب الفكاهى اللاذع.

وفى سنة ١٨٨٣م صدرت فى لكناؤ جريدة «رفيق هند» وكانت أول جريدة أردية تتناول الأحداث والوقائع السياسية وصدرت فى البداية أسبوعية ثم صدرت مرة كل ثلاثة أيام إلا ان لغتها لم تكن أدبية.

وفى سنة ١٨٨٧م أصدر منشى محبوب عالم جريدة «بيسه أخبار» وكانت رخيصة الثمن إلا ان موضوعاتها كانت قيمة فاقبل عليها الجميع وكتب حالى فيهاعدة مقالات تتعلق بالشعر والادب الاردى[1].

وقد أدت حركة الصحافة الحديثة فى الهند إلى جانب الطباعة إلى تطور اللغة الأردية وانتشارها فى أرجاء الهند وأخذ النثر الأردى بصفة خاصة يزدهر وخاصة فن كتابة المقال الصحفى مما كان له بليغ الأثر فى تطور أسلوب الكتابة الأردية وإثراء اللغة الأردية بالمصطلحات الحديثة وتطورت الابحاث فى أصل اللغة الأردية وقام العالم اللغوى

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٩٧.

شوكت سبزوارى بكتابة عدة كتب تناولت علم اللغة الأردية أهمها « أردو لسانيات » أى علم اللغة الأردية و« داستان زبان أردو » أى قصة اللغة الأردية وكتاب « أردو زبان كا ارتقا » أى تطور اللغة الأردية.

وهكذا تطورت اللغة الأردية وكانت كالنحلة التى ترتاد الحدائق وتمتص من رحيق أزهارها المختلفة فى اللون والرائحة والمذاق لتحوله إلى عسل صاف فيه شفاء للناس فأخذت فصاحة العربية وجمال الفارسية وسلاستها وقوة التركية وأصبحت فى العصر الحديث إحدى لغات الحضارة الإسلامية.

الحركات الإسلامية فى الهند فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر

عندما دخل المسلمون الهند منتصرين تربعوا على عرض السلطة هناك أكثر من ثمانية قرون بسبب تفوقهم العسكرى وأسلوب حكمهم وحضارتهم التى تركت بصمات واضحة على أرض الهند، نعم كانوا أجانب عن الهند ولكن عندماجاءوا إليها وأقاموا بها أصبحت الهند وطنهم وصارت مصلحة الهند مصلحتهم وعندما طال بهم المقام تضاءل - بالتدريج - الإحساس لديهم بالغربة وتعانقت الحضارتان الإسلامية والهندية - على الرغم من اختلافهما - مكونتين حضارة ثالثة تمتزج فيها خصائص الحضارتين ألا وهى حضارة الهند الإسلامية وقد حصل المسلمون على امتيازات كبيرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية واستمرت هذه الامتيازات طالما كانت الحكومة فى يد المسلمين.

وكان ازدهار الحضارة فى عهد المغول من الأحداث الهامة فى تاريخ الهند فقد بنى ملوك المغول صرح هذه الحضارة بحسن تدبيرهم لأمور مملكتهم ولكن لم يستطع خلفائهم الضعاف من بعدهم المحافظة على هذه الحضارة وفى وقت قصير ظهرت الفتن واجتمعت على الدولة المغولية كل قوى التخريب وخاصة المرهتها والسيخ والروهيلا الذين تفاقم شرهم وألحقوا بالدولةأضرارا جسيمة أدت بهم فى النهاية إلى الوقوع فى براثن الاستعمار الانجليزى، فبعد وفاة اورنگزيب ضعفت الحكومة المركزية واستقل حكام الاقاليم وذهب وقار الأمراء المغول وسيطرت عليهم أهواؤهم الشخصية ومصالحهم الخاصة وتعاركوا فيما بينهم على الحكم حتى تزلزلت اركان دولتهم كما فسدت القيم الأخلاقية وانعدم الشعور بها لدى العامة واضمحل اقتصاد الدولة عندما بدأ الأمراء ينفقون أموال الدولة فى الحروب والمؤامرات(١).

وقد انعكست هذه الأوضاع السيئة على الناحية الدينية فعمت البدع والخرافات وابتعد الناس عن الدين ونسى المسلمون روح الإسلام فعم الفساد الاخلاقى وانتشرت الأمراض الاجتماعية ولم يعد هناك فرق واضح بين المسلمين والهندوس من حيث

---

(١) سيد ابو مظفر ندوى: مختصرتاريخ هند. طبعة ثانية. سلسلة دار المصنفين معارف اعظم گرطهـ ١٩٣٨م ص١١٠.

التقاليد الاجتماعية فبدأت البدع الهندوسية فى الدفن والزواج وغيرها تنتشر بين المسلمين رغم مخالفتها للشريعة الإسلامية – بسبب التأثير المكانى، وكان الوقت مناسبا والبيئة صالحة لظهور مصلحين اسلاميين فى وسط هذه الفوضى والاضطرابات الاجتماعية والدينية لشرح تعالم الإسلام من جديد وبزغ نجم شاه ولى الله الدهلوى الذى حاول اصلاح أحوال المسلمين[١]. ولم تظهر أى علامات على ضعف حياة المسلمين الاجتماعية – فى الظاهر – حتى وفاة أونگزيب ولكن فى الحقيقة أن الفساد العقلى والاجتماعى كان قد بدأ فى الظهور منذ عهد الملك أكبر لذا نرى أن حركة احياء الدين التى نادى بها الشيخ أحمد السرهندى فى عهد الملك جهانگير كانت قوية وضمت تحت لوائها مئات العلماء وقام الشيخ السرهندى بمحاولة إزالة الركود الفكرى وأكد على اتباع القرآن والسنة وتمسك المسلمين بعقائد هم وظهر أثر هذه الحركة على أكمل وجه فى عهد شاهجهان وأرنگزيب الذى بموته تعرضت الحياة الاجتماعية للخطر نتيجة الضعف السياسى ومحاولة الإنجليز الهيمنة على حكم الهند[٢]. وقد ضاعف الاحتلال الانجليزى من المساوئ الاجتماعية للمسلمين وافسد حياتهم وكان رد فعل المسلمين إزاء ذلك متمثلاً فى حركتين مختلفتين ومتضادتين هما:

أ - **الحركة الأولى**: عارضت الإنجليز ورفعت راية الجهاد لتخليص الهند منهم لكى تقيم الحكومة الإسلامية وتزامنت هذه الحركة مع بداية السيطرة الإنجليزية ويأتى السيد أحمد الشهيد زعيم حركة المجاهدين على رأس هذه الحركة التى واصلت جهودها لتحرير الهند من الإنجليز بعد وفاة شاه ولى الله الدهلوى واستمرت هذه الحركة حتى عام ١٨٧٢م وكانت مدرسة « ديوبند » هى قلعتهم العقيدية المنادية بأفكارهم الإصلاحية.

ب - **الحركة الثانية**: وهى حركة على گرهـ وبدأت عام ١٨٧٠م وكانت تدعو إلى التفاهم والتصالح مع الإنجليز ورادها السير سيد أحمد خان، وكلية على گرهـ هى مركزهم الفكرى.

وسوف أتناول فى الصفحات القادمة ظروف نشأة هاتين الحركتين ودورهما فى الحياة الاجتماعية فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ الهند لما لهما من دور بارز فى تطور النثر الأردى، أما الجانب الفكرى للحركتين فسأتناوله عند الحديث عن الحياة الفكرية.

---

(١) محمد اكرام: موج كوثر. ص١٣ ١٤

(٢) عبيد الله سندهى شاه ولى الله كے سياسى تحريك. لاهور. ط١. ١٩٤٥م ص١٧.

الحركة الأولى: معارضة الإنجليز والحركات الإسلامية

أ - حركة شاه ولى الله الدهلوى (١٧٠٢ - ١٧٦٢م) نـ

قامت هذه الحركة الإصلاحية فى الهند فى الوقت الذى كان العالم الإسلامى يغص بالحركات الإصلاحية والثورية التى كانت تنبعث من آن لآخر ضد الحكومة الإنجليزية ولم يكن لدى المسلمين أية وسيلة يستطيعون بها منع القوى غير الإسلامية الاخرى فى الهند مثل السيخ والمرهتها والجات بالإضافة إلى الإنجليز والقضاء عليهم خاصة فى الوقت الذى ضعفت فيه الإمبراطورية المغولية ولم يعد لها أى دور حقيقى فى حكم الهند وقد عم المجتمع الفقر وانتشرت الامراض الاجتماعية بين المسلمين وخاصة النفعية والانانية وعدم الشعور بالامان فلا أمل فى الخروج من هذه الحالة، ولم يلح فى الأفق أى علاج لها، ولكن هذا النوع من الاضطراب وسوء الأوضاع الاجتماعية كان بيئة صالحة لظهور المصلحين والمفكرين الذين يدرسون الأوضاع والاحداث بعمق ويقترحون الحلول المناسبة لها، وفى هذه البيئة المضطربة ولد شاه ولى الله فى دهلى وأسس المدرسة الرحيمية التى أصبحت فيما بعد نواة لحركته الإصلاحية، وقد كان عالماً فذا وهبه الله بصيرة نافذة وعقلاً راجحاً فقام باستعراض مفصل لحالة المسلمين المتردية فى الهند فى منتصف القرن الثامن عشر وقد اعتبر أن المشاكل الاجتماعية التى يواجهها المسلمون كانت نتيجة لضياع السلطة منهم وتفشى الفساد الأخلاقى بين المسلمين لذلك كان الهدف الأساسى لحركته هو إحياء الأخلاق القويمة فى مجتمعه والقضاء على النظام الرجعى فى الحكم وإقامة نظام حكم جديد لذلك اعتبر شاه ولى الله الجهاد ضرورياً لتنفيذ اهدافه، وفى بداية جهوده الإصلاحية اتجه أولاً إلى الملك فى محاولة لإيقاظه من نوم الغفلة لكنه فشل فاتجه إلى الامراء ولكنهم لم يسمعوا إليه.

وقد اهتم شاه ولى الله بالنظام الاجتماعى فى الهند وأكد على أن تماسك المجتمع ينحصر فى مدى فعالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم فيقول فى كتابه «حجة الله البالغة» فى باب «سيرة الملوك»: يجب أن يكون الملك متصفاً بالأخلاق المرضية، وإلا كان كلاً على المدينة، ولا يألوا جهداً فى إصلاح المدينة، ولما كان الملك لا يستطيع إقامة هذه المصالح كلها بنفسه وجب أن يكون له بإزاء كل حاجة أعوان، ومن شرط الأعوان الأمانة

والقدرة على إقامة ما أُمر به، ويجب على الملك أن يسأل كل يوم ما فيهم من الأخبار ويعلم ما وقع من الإصلاح وضده[1]، وقد أكد شاه ولى الله الدهلوى على أهمية الضرائب فى تنظيم المدينة.

ويرى بالنسبة لتنظيم اقتصاد المدينة أنه «يجب على أهل المدينة أن يكون توزعهم فى الإقبال على الاكساب بحيث لا يضر بالمدينة مثل أن يقبل أكثرهم على التجارة ويدعوا الزراعة أو يتكسب أكثرهم بالغزو ونحوه، إنما ينبغى أن يكون الزراع بمنزلة الطعام والصناع والتجار والحفظة بمنزلة الملح المصلح له»[2]، وبذلك أكد شاه ولى الله على أهمية التوازن بين الحرف والصناعات حتى يكون هناك بينهما فلا يؤدى إلى خلل فى أحدها على حساب الآخر.

وتكمن العظمة الحقيقية فى شاه ولىّ الله فى أنه قام بالتفكير جيداً فى الأسباب الرئيسية لتأخر المسلمين وعزا أسباب انحطاط المسلمين وفساد أخلاقهم إلى جهلهم بتعاليم الإسلام وكان يعتقد أنه يستطيع أن يقيم ثورة عازمة بعد العمل بالشريعة الإسلامية[3]، ولاحظ عدم التوازن فى النظام الاجتماعى للهند، وأكد على رفاهية الفلاحين والحرفيين لأن النظام الاجتماعى المتماسك كان فى ذلك الوقت سنداً للنظام السياسى[4] وكان يريد بعض الإصلاحات الفورية، بالإضافة إلى الخطط السياسية التى تحدث تغيرات فى طريق عمل المسلمين ولا تعوقها، وكانت خطته تتضمن أولاً إنقاذ المسلمين وتخليصهم من مخاطر العادات والتقاليد غير الإسلامية والتى تصبح بمرور الوقت عرفاً سائداً بين المسلمين بسبب علاقاتهم الاجتماعية المختلفة مع الطوائف الأخرى ولم يكن يريد أن يصبح المسلمون جزءاً من البيئة العامة لشبه القارة الهندية فحسب، بل يريد أن يقيم العلاقات والروابط القوية مع بقية العالم الإسلامى.

ويعتبر شاه ولى الله أول مفكر إسلامى أعطى أهمية أساسية للناحية الاقتصادية ودرس تقدم الأمم وتأخرها من هذه الوجهة، ويرى أن أى مجتمع لا يستطيع أن يطبق

---

(١) شاه ولى الله الدهلوى: حجة الله البالغة جـ١، طبعة بولاق، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣.

(٣) معين الدين عقيل: تحريك ازادى مين اردو كاحصه، ص ٤٧، ٤٨ – جمال الدين الشيال: الحركات الإصلاحية، جـ١ ص ٣٤.

أيضاً: Kalek Ahmed, Shahwaliullah and Indian Politics. P. 145 - 133.

(٤) عبيد الله سندهى: شاه ولى الله كى سياسى تحريك. ص ٦٣.

العدل مادامت الجماعات المنتجة فيه تعتمد على الآخرين(١)، ويعتبر الفساد الأخلاقى نتيجة حتمية للتدهور الاقتصادى ويقول فى « حجة الله البالغة » : إن أى قوم يستمرون فى طريق المدنية والحضارة فإن صناعتهم وحرفتهم تصل إلى أعلى درجة من الكمال، ولكن إذا ركنت الطبقة الحاكمة إلى حياة الدعة والراحة فإن العبء سيزداد على الطبقات العاملة ويعيش أكثر أعضاء المجتمع مثل الحيوانات وتتدهور الأخلاق الاجتماعية عندئذ، وإذا واجهوا أى ضائقة اقتصادية فإنهم يعجزون عن حلها(٢).

وشعر شاه ولى الله بضعف الإمبراطورية المغولية والنظام الإقطاعى القديم ولذلك بدأ يتكون عنده البصيرة السياسية وكان يعلم أن النظام الإقطاعى ليست له القدرة على إصلاح الأوضاع الاقتصادية المتدهورة فى عصره ولم يكن هناك فى ذلك الوقت أية طبقة متعلمة يمكن أن تحل محل طبقة الإقطاعيين التى كانت فى نظره من أسباب ضعف الإمبراطورية المغولية ونادى بأن يحل محلهم صغار الإقطاعيين لأنهم كانوا يمثلون قوة ضغط خاصة على سلطة الحكومة المركزية تريد أن تقلص دور الملك وتسلب منه بعض صلاحياته، وشعر شاه ولى الله بأن النظام الإقطاعى ليس جديراً بالإمساك بزمام الحكم، لذا وضع عينيه على طبقة الصنّاع والتجار الذين كانوا بائسين فى ذلك العصر حتى إذا تهيأت لهم الأوضاع المناسبة انقضوا على طبقة الإقطاعيين وأمسكوا بزمام الأمور(٣).

وقد سلك شاه ولى الله طريق الاعتدال والوضوح فى كتاباته وحاول إثبات التوافق بين التعاليم الإسلامية والحياة الإنسانية وترجم القرآن للفارسية حتى تصل معانيه إلى أفهام الناس بسهولة، وعلى الرغم من أن حركة شاه ولى الله لم تنتشر وتزدهر فى حياته إلا أن أعظم إنجازاته هى بحث الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى عصره ومحاولة إقامة حكومة إسلامية فدعا أحمد شاه الإبدالى لغزو الهند لتحقيق هذا الهدف فقام أحمد شاه بالقضاء على الحركات الوطنية طبقاً لمقترحات شاه ولى الله، ولكنه لم ينجح فى تغيير العقلية الإقطاعية فضعف الاقتصاد وتدهورت شئون الدولة خاصة بعد رحيل أحمد شاه، وظهرت العيوب فى نظام الدولة فتمكن الإنجليز من إقامة حكمهم على هذه العيوب، ولم يكن يفكر فى خطر السيخ والمرهتها والزط على قيام الحكومة الإسلامية

(١) عبيد الله سندهى : شاه ولى الله كے سياسى تحريك ص ٦٠.

(٢) خليق احمد نظامى : شاه ولى الله كے سياسى مكتوبات، ص ١٠.

(٣) معين احسن جذبى : حالى كاسياسى شعور، ص ٣٧.

فحسب، بل كان يعتبر قوة الإنجليز المتزايدة هى الخطر الأول(١)، وبعد وفاة شاه ولى الله خلفه ابنه شاه عبد العزيز (١٧٤٦ - ١٨٢٤م) على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولى الله فى عصره، وقد تدهورت الحياة الاقتصادية والسياسية وسيطرت شركة الهند الشرقية على مناطق واسعة من الهند وأصبح المسلمون محكومين وضاعت من الطبقة العليا الوظائف والمناصب والمكيات وضيق الإنجليز على العلماء سبل الرزق، وساءت أحوال الفلاحين بفرض ضرائب جديدة وحاول أولاد شاه ولى الله الآخرين: شاه رفيع الدين وشاه عبد القادر وشاه عبد الغنى، بالإضافة إلى شاه عبد العزيز إقامة حكومة إسلامية التى كانت الهدف الرئيسى لشاه ولى الله، ولكن الإنجليز أعلنوا رفضهم لهذه الفكرة كما رفضها الإقطاعيين، لذلك قام تلاميذ شاه ولى الله بالانتشار فى القرى والمدن يدعون إلى ترك البدع واتباع السنة وكانوا يهدفون إلى يقظة المسلمين وتوحيدهم وقام أولاد شاه ولى الله بتأليف الكتب الدينية وبتفسير كتبه وترجم شاه عبد القادر وشاه رفيع القرآن الكريم إلى اللغة الاردية.

وقد انعكس السخط بين المسلمين فى الميدان الدينى على الجدل الذى ثار بشأن وضع الهند تحت الحكم البريطانى، أتعتبر الهند عندئذ دار إسلام أم دار حرب ولم يكن هذا الجدل جديداً فعندما اكتسحت دولة المرهتها مناطق شاسعة من الهند الإسلامية فى القرن الثامن عشر ثارت المسألة نفسها، ولكن العلماء فى ذلك الوقت رأوا أن الهند لم تفقد وضعها باعتبارها دارإسلام، ولكن الاحتلال الإنجليزى للهند على عكس الحكم المرهتى الذى لم يدخل تغييرات يعتد بها فى النظام الاجتماعى للهند(٢)، ولذلك وصلت الدعوة الإسلامية إلى ذروة نجاحها عندما أصدر شاه عبد العزيز فتواه الشهيرة(٣) عام ١٨٠٣م بأن جميع المنطقة الواقعة تحت الحكم الإنجليزى الممتدة من دهلى حتى كلكتا هى دار الحرب وليس دار الإسلام، ومعنى ذلك أن الإسلام لم يعد السلطة الفوقية فى الهند أو على الأقل ليست هناك حرية عبادة على الرغم من أن الإنجليز لا يتدخلون فى الشعائر الخاصة بالمسلمين والمسلمون الآن يعيشون فى دار حرب يعنى أنهم حرموا من السلطة أو السيادة ولم تسمح لهم الحكومة الإنجليزية بممارسة الشعائر الدينية بحرية كاملة من اجل ذلك فالجهاد ضدها فرض على كل مسلم، ولكن لان الإمبراطور المغولى

(١) معين احسن جذبى: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث، ص ٦٣.

(٣) شاه عبد العزيز: فتاوى عزيزية (مطبعة مجتباى دهلى) جلداول، ص ١٦، ١٧.

فى وضع ضعيف، وقد أصبح موظفاً حقيراً لدى الإنجليز ولم يكن للمسلمين أى حركة منظمة تجمع جهودهم فلم تخرج الفتوى بأى رد فعل فورى لكنها ولدت حركة ثورية كان هدفها إقامة الحكومة الإسلامية(١) وطرد الإنجليز وهم: «حركة المجاهدين» بقيادة السيد أحمد الشهيد الذى حمل لواء الجهاد والدعوة الإسلامية بعد وفاة شاه عبد العزيز سنة ١٨٢٤م بعد أن أرسى دعائم الدعوة الإسلامية وازدهرت حركة شاه ولى الله على يديه.

ب - حركة المجاهدين وفكرة الجهاد

فى المراحل الأولى من التوغل الأوربى فى العالم الإسلامى قاوم المسلمون فى مواقع كثيرة الوضع الجديد بالقوة ورجعوا إلى عقيدة الجهاد فى سبيل تعبئة الجماهير وحشدها وتبريراً وتسويغاً للنضال وتحديد العدو تحديداً دقيقاً ولما كان الحكام الاستعماريون غير مسلمين فقد كانت عقيدة الجهاد ملائمة تماماً لتحقيق هذه الأهداف(٢).

وكانت عقيدة الجهاد إلهاماً لكثير من الحركات التى خاضت النضال المسلح ضد السيطرة الاستعمارية الغربية على معظم أراضى العالم الإسلامى وبصفة خاصة فى شبه القارة الهندية، حيث كان لهذه العقيدة أهمية كبرى فى مقاومة الإنجليز فى الهند(٣)، بعد أن استقروا فى البنغال وتوغلوا منها إلى جميع أنحاء الهند فقامت حركات إسلامية فى البنجاب والبنغال على السواء تدعو إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية وطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية وقد اتخذت هذه الحركات وعلى رأسها - حركة المجاهدين - شكلاً منظماً بزعامة السيد أحمد البريلوى(٤).

---

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه، ص ٥١.

(٢) محمد صالح جعفر الظالمى: من الفقه الإسلامى، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧١م، ص ٤٤.

(٣) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث، ص ٩.

(٤) ولد السيد أحمد البريلوى سنة ١٢٠١ هـ/١٧٨٦م فى راى بريلى وحفظ القرآن بها وبايع شاه عبد العزيز وهو فى الثانية والعشرين وانضم إلى جنود نواب أمير خان والى تونك سنة ١٨١٠م وقضى عنده ست سنوات أكمل فيها تدريباته العسكرية واتقن فن الجندية، وفى سنة ١٨١٦م رحل إلى دهلى وبدأ فى سلسلة ارشاده ووعظه، وقد تاثر فى ذلك بشاه عبد العزيز وحركة شاه ولى الله وقام بتنفيذ افكاره ونظرياته عملياً وحاول إقامة نظام سياسى مبنى على العدل الاقتصادى ومطابقاً للشريعة الإسلامية، إلا ان اوضاع الهند فى عهده تغيرت كثيراً عنها فى عهد شاه ولى الله ولم تعد الحركة الإصلاحية كافية لنظام الحكم القائم والذى يسيطر عليه الإنجليز وأعوانهم من السيخ والهندوس، بل ينبغى أن يقوم المسلمون بحركة ثورية لطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية واشتهر بالسيد أحمد الشهيد. (محمد إكرام: =

وكان السيخ قد أقاموا لهم حكومة قوية فى البنجاب ووقف المسلمين عاجزين أمامهم فقام السيد أحمد الشهيد وأعلن الجهاد ضد السيخ وبايعه شاه إسماعيل ابن أخت شاه عبد العزيز ومولانا عبد الحى صهر شاه عبد العزيز وأصبحا من أخلص أعوانه وقاموا بتكوين حركة المجاهدين سنة ١٨٢٠م، وقام السيد أحمد الشهيد ورفيقاه بالطواف بشرق الهند وجنوبها يدعون المسلمين إلى نبذ العادات والتقاليد غير الإسلامية والتمسك بالشريعة الإسلامية وأشعلوا حماس المسلمين من البنغال حتى دهلى(١).

وكانت حركة المجاهدين تهدف إلى طرد الإنجليز فى المقام الأول، يقول السيد أحمد الشهيد إن حربنا ليست ضد الأمراء والحكام المسلمين بل ضد الكفار ومثيرى الفتن فمنذ عدة سنوات والهندوس والمسيحيين ينشرون المفاسد والمظالم بعد أن سيطروا على أكثر مناطق الهند وبدأت تسود عادات الكفر والشرك وماتت شعائر الإسلام فعندما رأيت هذا الوضع صدمت صدمة كبيرة وانتابنى شوق إلى الهجرة، ونشأ فى قلبى غيرة الإيمان وفى رأسى حماس الجهاد(٢).

فى سنة ١٨٢١م سافر السيد أحمد ورفيقاه مولوى عبد الحى وشاه إسماعيل ونفر من أنصار حركة المجاهدين إلى مكة ووقفوا فى كل مدينة وقرية يدعون الناس إلى التمسك بتعاليم الإسلام حتى وصلوا إلى مكة وبايعه بعض العلماء المصريين والبلغار وترجم مولوى عبد الحى كتاب السيد أحمد الشهيد الذى يحتوى على أهداف حركته إلى اللغة العربية، وهناك التقى بعلماء من جميع البلا الإسلامية وخاصة الإمام القاضى(*) محمد الشوكانى ثم عاد الشهيد إلى الهند فى ٢٩ من أبريل ١٨٢٤م(٣)، بعد أن اطلع على حركة محمد بن عبد الوهاب فى نجد لإحياء الدين وتطهيره من البدع والخرافات ولم يبق أى مصلح هندى بمعزل عن هذه الأفكار الوهابية، لكن أفكار السيد أحمد كانت تختلف عن الأفكار الوهابية على الرغم من اشتراكهما فى بعض الأفكار الإصلاحية(٤).

= موج كوثر، ص ١٥، ١٦، هنتر: ہمارے هندستانى مسلمان: ترجمة صادق حسين، بدون تاريخ لاهور ص ١١٨).

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى مين اردو كاحصه، ص ٨٣٦.

(٢) سيد ابو الحسن الندوى: سيرة سيد احمد شهيد، ص ١١٠.

(*) تاثر بالمذهب الوهابى كل من الإمام الشوكانى (١١٧٢ – ١٢٥٠ هـ) فى اليمن ومحمد بن على السنوسى فى ليبيا ونستطيع ان نلمس اثر الوهابية عند الإمام محمد عبده.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٢٢، ٢٣.

(٤) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى، ص ٩٢٨.

وبدأ السيد أحمد الشهيد العدة للجهاد فى سبيل الله بعد أن اجتذب أعداداً كبيرة من الأتباع من الفلاحين والحرفيين المقهورين فى البنغال وشمال الهند والذين كانوا يعانون من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية نتيجة لدخول الحكم الأجنبى وكان الهدف الاستراتيجى الذى يسعى إليه السيد احمد هو تحرير البلاد من سيطرة الإنجليز وكانت أهم الوسائل التكتيكية فى نظره هى احتلال بعض الاقاليم التى تبعد عن متناول الإنجليز ليؤسس فيها حكومة إسلامية حتى يستطيع أن يخوض القتال لتحرير الهند، وقد بدأ أولاً بمحاربة السيخ بعد أن اتخذ من منطقة الحدود الشمالية الغربية على مقربة من الحدود الأفغانية قاعدة له ولأتباعه ولم يجد أى عوائق من جانب الإنجليز فى أداء مهمته لأنهم كانوا يريدون إضعاف القوتين ليسهل على الإنجليز السيطرة عليهما[1]، وقد أحرز المجاهدون عدة انتصارات فى بداية جهادهم ضد السيخ ولكن سرعان ما ظهرت العوائق أمامهم بعد أن نجح السيخ فى صرف حاكم بشاور يار محمد عن مساعدة المجاهدين فحاول وضع السم للسيد أحمد فى طعامه ولكن الله أنقذه من الموت وفى ميدان الحرب قام بتفريق شمل المجاهدين وقامت سلسلة من الحروب بين السيخ وزعماء القبائل وبين حركة المجاهدين ومات مولوى عبد الحى فى هذه الظروف الصعبة، ولكن المجاهدين واصلوا جهادهم حتى انتصروا على السيخ.

وحلفائهم وأقاموا حكومة لهم فى بشاور عام ١٨٣٠، وعين السيد أحمد الشهيد مولوى سيد مظهر على قاضيا على المدينة وبدأ يفصل فى القضايا طبقاً للشريعة الإسلامية وفرض الضرائب وحارب البدع ولكن زعماء القبائل ضاقوا ذرعاً بهذه الضرائب فقرروا قتل المجاهدين مرة واحدة فى الليل وهجموا عليهم وهم يصلون الفجر وذبحوهم[2] جميعاً فتاثر بذلك السيد أحمد الشهيد وقرر الرحيل إلى كاغان والتقى فى بالاكوت مع جيش السيخ بقيادة شيرسيج فى مايو ١٨٣١م، الذى حاصر المجاهدين من الجوانب الأربعة بسبب خيانة بعض الجنود وغدرهم حتى أصبحوا فى دائرة وهزموا المجاهدين واستشهد ستمائة منهم وعلى رأسهم شاه إسماعيل الشهيد ومولوى خير الدين وبهرام خان والسيد أحمد الشهيد الذى ظن البعض أنه المهدى المنتظر وأنه قد اختفى إلى حين وعلى المسلمين أن يوحدوا صفوفهم ويقاتلوا الكفار والإنجليز، فسوف

---

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادی مين اردو كاحصه، ص ٥١ - معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٤٣.

(٢) سيد أبو الحسن الندوى: المرجع السابق ص ١٥، محمد إكرام: موج كوثر ص ٢٧ : ٣١.

يعود ليقودهم إلى النصر المبين[١].

وقد ترك السيد أحمد الشهيد كتاباً واحداً هو «الصراط المستقيم» وقام رفيقاه شاه إسماعيل ومولوى عبد الحى بترتيبه وندرك منه مدى تفهم السيد أحمد الكامل للمسائل الدينية المختلفة وأنه حاول طرد الإنجليز والقضاء على السيخ ونشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ولم يعارض التصوف مثل الوهابيين ولكن كانت لديه الرغبة فى إصلاحه، وبعد وفاته قام خلفاؤه وعلى رأسهم مولانا ولايت على وعنايت على بمساعدة بعض مريدى السيد أحمد الآخرين بجمع شتات المجاهدين وتنظيم حركتهم واتخذوا مدينته مركزاً لهم ولاقوا نجاحاً كبيراً فى المناطق الريفية فى بهار والبنغال وقامت جماعة صادق پور – التى أطلق عليها الإنجليز اسم الوهابيين ليصدوا المسلمين عنها – بمساعدات قيمة للمجاهدين فى معسكر تهانة وكان هدفهم إقامة نظام موحد من البنغال حتى إقليم سرحد[٢].

واستمر المجاهدون فى الحروب والمنازعات مع الإنجليز من سنة ١٨٥٢ حتى ١٨٥٧، وكانت الإمدادات تأتى سراً لهم من جميع أنحاء الهند وخاصة بهار والبنغال ليواصلوا الحرب وبعد ثورة ١٨٥٧م التى أبلو فيها بلاءً حسناً ظل المجاهدون يحاربون حتى سنة ١٨٦٨م[٣].

ويقول هنتر: «لقد ظل مسلمو الهند لسنوات يهددون بالخطر الحكومة الإنجليزية فى الهند ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه الفئة المتمردة (المجاهدين) التى نالت الحماية والعون من الأكثرية الإسلامية فى غرب الهند إلى أى مدى يمكن أن تنجح تحت قيادة هذا القائد (أى السيد أحمد الشهيد)»[٤].

وقد أثرت حركة المجاهدين على الحياة فى شبه القارة الهندية تأثيراً واضح المعالم وولدت عند المسلمين الإرادة والعزيمة وسط هذا الجو العدائى من جانب الهندوس والسيخ وإنجلترا وكانت حركة المجاهدين أول حركة شعبية خلقت عند المسلمين الإحساس السياسى ولم يكن هدفها إعادة عرش أو أسرة إلى الحكم، بل كان هدفها تحرير

---

(١) هنتر: همارے ہندستانی مسلمان: ترجمة صادق حسين ص ٥٠.

(٢) معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور: ص ٤٥.

(٣) هنتر: المرجع السابق: ص ٢٠، ٤٢.

(٤) هنتر: المرجع السابق: ص ٤٥ وعبد القيوم: حالى ارد ونثر نگارى ص ٥٩.

المسلمين من الظلم والعبودية وقد رسموا بدمائهم الذكية معالم طريق المسلمين فى الهند.

جـ - الحركات الإسلامية فى البنغال:

بعد المحاولات الشجاعة من السلطان تيبو للقضاء على السيطرة الإنجليزية فى البنغال والتى وضعها الإنجليز فى حسابهم لأهميتها حتى قضت عليه نتيجة للخداع والخيانة من جانب قواده وقامت بريطانيا بتثبيت أقدامها فى الهند بكل الصور الممكنة فادى ذلك إلى تفجر الحركات الإسلامية التى اشترك فيها المسلمون والمصلحون والمفكرون وقد اعتنقوا فكرة الجهاد ووجهوا انتباههم إلى إصلاح الفرد من أجل إحياء العقائد الإسلامية وكان الجهاد أحد العوامل المؤثرة فى معارضة السيطرة الإنجليزية، وقد استمر السيد أحمد الشهيد فى رفع راية الجهاد ضد السيخ والإنجليز فى البنجاب حتى استشهد فى معركة بالاكوت عام ١٨٣١ بفعل العناصر الخيانية فى صفوف حركته والتى كانت سبباً فى القضاء على السلطان تيبومن قبل فى البنغال.

وكان أهم عمل مثمر للسيد أحمد وخلفائه من بعده أنهم قامو بمد نشاط حركتهم ألى البنغال فى الشرق وأقاموا علاقات قوية بينهم وبين المراكز والحركات الإسلامية الأخرى فى الهند من أجل إحياء فروض الدين وإقامة شعائره الصحيحة بعد أن كان البنغال بمعزل عن الحركات الإسلامية فى شمال الهند وبدت التأثيرات الهندوسية ظاهرة بوضوح فى حياة المسلمين هناك بسبب صعوبة الانتقال بين البنغال والبنجاب وتأثير الإقطاعيين الهندوس على حياتهم الاقتصادية، وكان القرن التاسع عشر نذيراً بعودة الحياة الإسلامية للبنغال ونهاية العزلة الدينية للمسلمين بسبب ظهور الحركات الإصلاحية والإحيائية التى قام بها أنصار السيد أحمد الشهيد ومريدوه فى البنغال، وكانت أولى حركات المجاهدين فى البنغال الحركة الفرائضية[1].

١ - الحركة الفرائضية:

هى أولى الحركات الإسلامية الإحيائية فى البنغال وقام بها حاجى شريعت الله ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م - ١٢٥٧ هـ/ ١٨٤٠، وقد سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع بنفسه على الحركة الإصلاحية فى نجد عندما ذهب للحج ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٢ حتى أنه أخذ على

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر: ص ٥٧.
- غلام رسول مهر: اٹھارہ سو ستاون کے مجاهد: ص ٦٣، ٦٤.

عاتقه مسئولية الدعوة إلى إحياء الإسلام والإصلاح الدينى عندما رجع من الحجاز فقام بوعظ المسلمين وإرشادهم، وأكد على أهمية أداء الفرائض الإسلامية ولهذا سميت بالفرائضية أى المهتمة بأداء الفرائض وسمى أتباعها باسم «توبار(*)»(١)، وقد نبذ الفرائضيون التقاليد والبدع والاحتفالات التى ليس لها أى سند فى القرآن والسنة وانتشرت هذه الحركة بسرعة فى مناطق كبيرة فى البنغال ويرجع لهذه الحركة الفضل فى خلق الشعور لدى المسلمين بتفوقهم وسموهم على الهندوس(٢)، ومات حاجى شريعت الله عام ١٢٣٦ هـ / ١٨١٦ بعد أن أرسى قواعد هذه الحركة وجاء بعده حاجى محمد ١٢٥٧ هـ/ ١٨٤٠م. فقام بتنظيم الحركة وجعلها أكثر وعياً وأصبح لها فاعلية سياسية واجتماعية كبيرة وأسس المراكز الدينية فى شرق البنغال وكان يعين خلفاءه ورفض دفع الضرائب التى كان الإقطاعيون الهندوس يفرضونها على المزارعين المسلمين وتوفى حاجى محمد ١٢٢٨ هـ/ ١٨٦١م بعد أن وسع من نطاق حركته الإحيائية فى البنغال ونواحيها، ولكنه واجه أثناء قيادته لهذه الحركة عقبات كثيرة وتفاقمت الخلافات بين الجماعة الفرائضية وعامة المسلمين عندما أفتت الحركة بأن الهند أصبحت دار حرب ولهذا لا يجوز صلاة الجمعة والعيدين فيها، ومن هنا نشأ الخلاف الذى اتخذ شكل الاضطرابات والقلاقل فى معظم مراحله وأدى ذلك إلى تركهم للصلاة فى المساجد(٣).

وكانت هذه الحركة فى الأصل حركة دينية بحتة شأنها فى ذلك شأن «الطريقة المحمدية»، تسعى إلى أهداف روحية مثل الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع غير الإسلامية، ولكنها سرعان ما اكتسبت بعداً اجتماعياً محدداً وواضحاً تحت قيادة محمد محسن المعروف باسم «دود وميان» وهو ابن حاجى شريعت الله وذلك أنها أخذت تنظم الفلاحين والحرفيين المسلمين فى نضالهم ضد الإقطاعيين وأصحاب مزارع النيلة من الإنجليز(٤).

وبعثت الحركة الفرائضية الحياة فى الناحية الدينية فى فريد يور ودكاو بارسال، ولكن

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر، ص ٥٧، ٥٨.

(*) توبار بمعنى تابع أو مريد.

(٢) معين الدين عقيل: تحريك آزادى ميں ارد وكاحصه: ص ٤٥، ٤٦.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٥٨.

(٤) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيده الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٦٧.

يؤخذ عليها أنها كانت ذات طابع محلى وهو ما تلافاه السيد أحمد الشهيد فى حركته.

٢ - حركة تيتومير :

كانت هذه الحركة معاصرة للحركة الفرائضية وأسسها تيتومير المتوفى ١٨٣١م وكانت هذه الحركة على علاقة بحركة المجاهدين فى شمال الهند فقد كان تيتومير يخوض نضالاً نشطاً فى البنغال الغربية فى نفس الفترة التى كان السيد أحمد يخوض قتاله ضد السيخ وكان هدف هذه الحركة فى البداية نشر روح الجهاد بين المسلمين ضد الإنجليز وأعوانهم من الهندوس إلى جانب الإصلاح الدينى، ثم أخذت صبغة سياسية شعبية وقد جمع تيتومير حوله عدداً كبيراً من الأشياع من الفلاحين والصناع وخاض نضالاً ضد أصحاب مزارع الفيلة الإنجليز والإقطاعيين الهندوس[١]، ونالت حركته الشهرة فى أوساط عامة المسلمين وقد خلفت فيهم الاعتماد على أنفسهم مما هيأ لهم بعد ذلك الحصول على حقوقهم المختلفة بالجهاد ضد الإنجليز الهندوس، وقد أعلنت حركة تيتومير رغبتها فى القضاء على الحكم الإنجليزى وإعادة الحكم الإسلامى للهند مرة أخرى، وقد أدى هذا الإعلان من جانب الحركة إلى انتشار الحركات الثورية المختلفة ضد الإنجليز فى مختلف أنحاء الهند وكانت نهاية الحركة على يد الإنجليز لأنهم لم يستطيعوا مواجهة جيش منظم ومسلح بأسلحة حديثة فى حين كانوا يفتقدون إلى التخطيط المنظم والقيادة العسكرية الواعية فضلاً عن أسلحتهم البسيطة[٢]، وهناك مريد آخر للسيد أحمد الشهيد جدير بالاهتمام وهو مولانا كرامت على جونبورى المولود سنة ١٨٠٠م، وكان السيد أحمد قد التقى به أثناء تجواله فى أطراف الهند للدعوة والإرشاد وأوكل إليه مهمة الدعوة والإصلاح فى البنغال، وقد قضى فى هذه المهمة نحو أربعين عاماً وأحدث تغيرات هامة فى عادات الناس وظل بمعزل عن حركة المجاهدين ولكنه أفتى فتوى اعترض فيها على اعتبار الهند دار حرب مما أدى إلى ارتياح الإنجليز[٣].

وواصل المجاهدون حربهم للإنجليز فى كل مكان وأحيوا عقيدة الجهاد فى نفوس المسلمين وبثوا روح الحرية فى الجيش المفكك فاشتعلت نيران ثورة ١٨٥٧م التى أراق المجاهدون فيها دماءهم فى سبيل الحرية والشهادة وبعد فشلها صب الإنجليز جام غضبهم

---

(١) قيام الدين أحمد : هندوستان مين وهابى تحريك كلكته، ١٩٦٦، ص ٣٥٨ - ٣٦٣.

- اودلف بيترز : الإسلام والاستعمار : عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٦٧.

(٢) معين الدين عقيل: تحريك آزادى ميں اردو كاحصه، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٦٠.

عليهم لأنهم كانوا فى طليعة فصائل الثورة وجردوهم من ابسط حقوقهم الإنسانية ومات مرشدهم مولوى عنايت على غازى سنة ١٨٥٨م، ولكنهم واصلوا معارضتهم للإنجليز وعلى رأسهم مولوى يحى على ومولانا احمد الله عظيم آبادى ومولانا صفرتها نيسرى فى البنغال حتى اعتقلهم الإنجليز عام ١٨٦٤م وحكمت عليهم بالسجن المطلق واستمرت سلسلة الاعتقالات للمجاهدين حتى عام ١٨٧٢م، وبذلك طويت آخر صفحة فى حياة المجاهدين تلك الحركة الثورية الإسلامية التى عارضت الحكم الأجنبى للهند بعد أن ظلت مصدر قلق الإنجليز ودخلت الهند تحت السيطرة المباشرة للإنجليز وتاج ملكتهم فيكتوريا عام ١٨٥٨م.

وبعد فشل حركة المجاهدين من الناحية العسكرية بدأوا يفكرون فى صعوبة مواجهة الإنجليز بعدم تكافؤ قوتيهما، لذا فكر المجاهدون فى الجهاد الاكبر وهو إصلاح نفوس المسلمين عن طريق نشر المفاهيم الدينية الصحيحة عن طريق الدعوة السلمية فى جميع أنحاء الهند وانشأوا لهذا الفرض شبكة من المدارس والكتاتيب لتدريس العلوم الدينية والتقليدية ليحافظوا على كيانهم وامتد تأثيرهم على جميع الحركات الإصلاحية التى قامت بعد فشل الثورة مثل مدرسة ديوبند التى أسسها محمد قاسم نانو توى والتى كانت تدرس أفكار شاه ولى الله الثورية الإصلاحية.

وقد تأثر السير سيد أحمد خان بهذه الحركة، كما ذكر فى كتابه «آثار الصناديد» كما اشترك فى دروس السيد أحمد الشهيد الوعظية فى المسجد الجامع، ويؤكد حالى أن السير سيد قد تأثر فى المرحلة الاولى من حياته بأفكار مولانا إسماعيل الشهيد وخاصة فيما يتعلق بالتحرر من التقاليد(١).

وقد يصدق رأى حالى هذا على طريقه تفكير السير سيد فى أول حياته، ولكن بعد ذلك حدثت تغيرات هائلة فى افكار السير سيد حتى أنه اتخذ خطا معاكساً تماماً لحركة المجاهدين وأفكارهم، وذلك عندما بدأ فى التعاون مع الإنجليز والتقرب إليهم بدعوى إيجاد التفاهم والمصالحة.

وفى الصفحات القادمة سأتحدث عن أوضاع المجتمع الهندى بعد الثورة وانعكاس فشلها على المسلمين بصفة خاصة قبل أن أتناول حركة على گرطه ومحاولة التفاهم والتصالح مع الإنجليز.

---

(١) حالى: حيات جاويد: ص ٧٧.

الصراع الأوربى للسيطرة على الهند

كانت البندقية وفرنسا تحتكران التجارة بين الشرق الإسلامى ودول أوربا فكانت للأولى تجارة البر فى بلاد الشام والثانية احتكار تجارة البحر عن طريق نقل هذه التجارة من موانىء مصر وبلاد الشام إلى أوربا وكانت هذه العلاقات نفسها سبباً من أسباب حركة الكشف الجغرافية إذ كانت المنافسة بين فرنسا وأسبانيا فى هذا العصر على أشدها وضاقت البرتغال ذرعاً باحتكار تجار البندقية لتجارة البحر المتوسط فتلمست سبيلاً آخر للاستيلاء على هذه التجارة والوصول إلى منابعها فى الهند(١).

وقد تزعمت البرتغال الدفاع عن المسيحية فى أوربا وتجددت فيها الروح الصليبية وازدادت قوة ووصل فاسكو داجاما كلكتا فى ٢٧ مايو ١٤٩٨م(٢) ويعتبر وصوله لكلكتا نقطة تحول فى تاريخ الهند وأوربا، وقد دفع البرتغاليين إلى المجىء للهند الرغبة فى القضاء على الإسلام الذى هدد أوربا كثيراً، وكذلك الحرص على احتكار تجارة التوابل لكن بعد قيام الثورة الصناعية فى بريطانيا أصبح الدافع القوى هو الرغبة فى إيجاد أسواق جديدة لتصريف المصنوعات الأوربية، وكان اهتمام الأوربيين بالهند فى بادىء الأمر مقصوراً على التجارة ولكن فى القرن التاسع عشر أصبح بسط النفوذ السياسى فى طليعة المطالب وصار الوسيلة المضمونة للاستغلال الاقتصادى(٣).

وقد تبدلت الزعامة الأوربية فى تلك الفترة فانتقلت من البرتغاليين إلى الهولنديين بعد انضمام البرتغال إلى أسبانيا سنة ٩٨٨ هـ/ ١٥٨٠م، فوصلوا إلى الهند سنة ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٦م وتكونت شركة الهند الهولندية فى مارس ١٠١٠ هـ/١٦٠٢م(٤)، لتشترى منتجات الهند والجزر الهندية الشرقية بأثمان بخسة وتبيعها بأثمان مرتفعة فى أوربا(٥)،

---

(١) حسين مؤنس: الشرق الإسلامى فى العصر الحديث، مطبعة حجازى القاهرة، ط٢، ١٩٣٨ ص ٤٢.

(٢) H. G. KEENE. Sketch of The History of Hindustan. Deihi, idarah - 1972, P. 195.

(٣) على أدهم: الهند والغرب، دار المعارف، القاهرة، (ب. ت) ص ٣٠ - ٣١.

(٤) Dunbar: A History of India from earliest times to the present day. London, i st. 1936. P. 218.

(٥) وول ديورانت: الهند وجيرانها ص ٤٠٢.

H. H. Dodwell.k M. A, OP. Cit, P. 28 - 58.

فاسسوا شركة الهند الشرقية وكان هوكنز أول سفير لهم فى بلاط جهانكَير المغولى ونال الإنجليز بالدسائس براءات منه وسمح لهم بالاتجار فى سورات وهو جلى وقد أقاموا المصانع بهما وقد اتسعت أملاك الشركة بالتدريج، ففى عام ١٦٦١م اشترت الشركة مدينة بومباى من البرتغاليين ودخلت مدراس عام ١٦٧٧م وجعلتها مقراً لها(١).

وقد بدأ التغلغل البريطانى فى الهند بمراكز تجارية أصبحت بعد قليل شركات قائمة ثم احتاجت الشركات إلى قوات تحمى متاجرها ومخازنها واتسعت الشركات حتى أصبحت مدناً بأسرها، ثم جاء الفرنسيون الهند عام ١٦٦٤م وكونوا شركة الهند الشرقية الفرنسية للتجارة فى الهند تحت رعاية كلوبير ومساعدة لويس الرابع عشر واستطاعوا فى خلال عشر أعوام أن يقيموا موانى لهم فى پوند شيرى»، و« ماهى»، و« چندرنكَر» ومدراس(٢) وقد اغتنم دوبلكس فرصة وفاة نظام حيدر آباد الدكن فأجلس أحد أنصاره على عرشه ونصب أميراموالياً على حكومة أركوت وعظم بذلك نفوذ دوبليكس حتى كاد الإنجليز له وتذرعوا بحوك الدسائس له فى قصر فرساى فاستطاعوا أن يحملوا لويس الخامس عشر على استدعائه وترك جميع ما فتحه وعقد هدنة مع الإنجليز فى سنة ١٧٥٤م(٣) وبذلك خلا الجو للإنجليز فحصنوا مراكزهم فى كلكتا ومدراس وبومباى وتداخلوا فى النزاعات القائمة بين الأمراء المحليين وجاءوا بجنود لهم لخوض المعارك ورشت الشركة وارتشت للوصول إلى أهدافها فى الهند، واستطاعت أن توطد أقدامها فى عهد « كلايف » ١١٧٠ هـ/ ١٧٥٦م ورأى حاكم البنغال الأمير سراج الدولة أن يوقف تدخل الإنجليز فى شئون الدولة فهاجم حصن وليم واستولى عليه فقامت حملة من مدراس بقيادة روبرت كلايف فاستردت حصن وليم وعقدت صلحاً مع سراج الدولة، ولكن كلايف نقض المعاهدة واستطاع بمساعدة أحد الخونة فى جيش سراج الدولة – وهومير جعفر – أن ينتصر عليه فى موقعة بلاسى الشهيرة ١١٧٠ هـ – ١٧٥٧م وأن يقتله ويقيم صنيعه مير جعفر حاكماً على البنغال وعندما خلفه مير قاسم أراد أن يؤكد نفوذه ويسترد البنغال من الإنجليز بمساعدة إمبراطور المغول الضعيف شاه عالم ولكنهم هزموا فى « بكسر» عام ١١٧٨ هـ/ ١٧٦٤م واضطر شاه عالم أن يتنازل للإنجليز عن حق

---

(١) Jaffar. The Mughal Empire, from Babar to Aurangzeb. Ist. 1936. Peshawar. P. 366, 367.

(٢) Dunbar. OP. Cit. P. 221.

(٣) جوستاف لوبون: المرجع السابق: ص ٢٤٣، ٢٤٤.

الإشراف المالى على البنغال واوريسا وبيهار فى معاهدة عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م وفى عام ١٧٦٧م خلف ورن هستنجز روبرت كلايف على حكم الشركة فأراد أن يثبت مركز الإنجليز فى الأراضى التى استولوا عليها ولكنه اصطدم بقوة المراهتها وسلطان ميسور القوى حيدر على الذى استطاع أن يرد الجيش الإنجليزى بقيادة إيركوت سنة ١١٧٩ هـ/١٧٦٥م ويعد جيش المرهتها ويتحالف مع الفرنسيين، ولكن الجيش الإنجليزى أجبر حيدر على على التراجع أمامه وترك السواحل عام ١١٩٥ هـ/١٧٨١م بعد تراجع حلفائه الفرنسيين(١) ومات حيدر على عام ١١٩٦ هـ/١٧٨٢م وخلفه ابنه السلطان تيبو الذى واصل الحرب ضد الإنجليز وفى عام ١٩٩ هـ/١٧٨٥م ترك هستنجز الشركة وخلفه كورانواليس الذى تحالف مع المرهتها ونظام حيدر آباد على محاربة السلطان تيبو واستطاع أن يدخل پنكّلور والتمس تيبو الصلح على أن يتخلى عن قسم من بلاده وفى عام ١٧٩٨م تولى ولزلى حكم الشركة فقام بمحاصرة تيبو فى العاصمة «سرنگاپتم» وحاربه تيبو بشجاعة غير أن أحد قواده وهو «مير صادق» فتح القلعة للإنجليز وخرتيبو شهيداً فى أرض المعركة وبالقضاء على تيبو تخلص الانجليز من أقوى عدو لهم وأصبح من السهل السيطرة على الجنوب بعد أن قهروا المرهتها سنة ١٢٢٨ هـ/١٨١٣م وفى سنة ١٢٣٩ هـ/١٨٢٣ ثم استيلاء الإنجليز على آسام وعلى أركان فى بورما وقامت سلسلة من الحروب بين الإنجليز والسيخ من عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٤٩م، وانتهت بهزيمة السيخ وضم اللورد النبرو الپنجاب إلى أملاك الشركة وفى عهد دلهوزى ضمت للشركة مملكتا حيدر آباد وأوده وبذلك سيطر الإنجليز على جميع أجزاء الهند وقام دلهوزى بإلغاء ألقاب الملوك والأمراء المغول ووجه إنذاراً إلى الملك المغولى بهادر شاه القابع فى قلعة دهلى بأنه سيكون آخر رجل فى الدولة المغولية يحمل لقب الملك وأن القلعة ستؤخذ منه وتحول إلى ثكنة عسكرية(٢)، وهكذا استطاعت الشركة فى مدة قرن أن تبسط سلطانها على الهند وتستعبد شعبها وتستنزف ثرواتها، وكان هذا فتحاً للبلاد صريحاً غاشماً كما قال وول ديورانت، وذلك الفتح الذى «دفع بثلاثين مليوناً من الأنفس البشرية إلى أقصى حدود الشقاء» كما قال اللورد ميكالى.

---

(١) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص ٣٤٨ حتى ٣٥٢.
وعلى آدهم: الهند والغرب، ص ٦٣ حتى ٦٥.
(٢) على آدهم، الهند والغرب ص ٦٦، ٦٧.
- عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص ٣٥٥ وما بعدها.

الثورة الهندية : حرب التحرير عام ١٨٥٧

ساهمت عوامل عديدة فى ضعف الإمبراطورية المغولية فى الهند ثم زوالها، فقد كان اورنگزيب يريد أن يجعل حدود الهند الطبيعية حدوداً لدولته وكان فى الدكن مملكتان إسلاميتان هما غولكَندة وبيجاپور ومملكة هندية ثالثة هى مملكة المهرات وكانت الأخيرة تكاشح الإسلام بالعداوة حتى بلغ من جراة أحد ملوكها «شيواجى» أن نهب قافلة للحجاج فى سورت فساق إليه أورنكزيب جيشاً فخضع أولاً ثم خرج عليه ثانياً واعتصم بجبال «پوتا» وظل متمرداً يقاتل المغول حتى مات وفى سنة ١٦٨٥م زحف أورنكزيب بجيش جرار إلى الدكن واستولى على مملكتى غولكَندة وبيجابور واخذ سماجى بن شيواجى أسيراً ثم قتله واستولى على آسام سنة ١٦٦٠م وعلى آراكان سنة ١٦٦٦ ولم تبلغ السلطنة الإسلامية المغولية من القوة والغلبة ما بلغته أيام اورنكزيب فكانت حدودها من كابل إلى آراكان ومن الهيمالايا إلى الكارنات فى أقصى جنوب الهند(١).

ولم تصبح الهند فى قبضة حاكم واحد إلا فى أيام اورنگزيب، وذلك لوقت قصير ولم تدم تلك الدولة المتماسكة زمناً طويلاً فكان موت اورنگزيب نذيراً بانهيار الدولة المغولية فلم يكد يتوفى حتى وقعت الهند فى الفوض فأخذ المرهتها والأفغان والسيخ والجات والراجپوتيون والأمراء المسلمون فى اقتطاع ممالك مستقلة لهم ولم يبق لخلفاء أورنكزيب سوى سلطة اسمية(٢) فقامت دولة حيدر آباد الدكن عام ١٧٢٤م ودولة البنغال ١٧٠٧م ودولة أود هـ ١٧٢٤م ولم يبق للمغول سوى دهلى وأگرا والسند وبدأت تتضافر عوامل عدة للنيل من دولة المغول والتمهيد لسقوطها، وتمثلت هذه العوامل التى ساعدت على انهيار الدولة المغولية فى عوامل داخلية وهى خروج طوائف الهند على الحكومة المركزية وشق عصا الطاعة ضدها وكان من أخطر هذه الطوائف طائفة السيخ وهم من الجات البنجابيين(٣)، وزعيمهم مصلح ديني يدعى غوروناتك ظهر فى القرن التاسع الهجرى وأواخر القرن الخامس عشر الميلادى (١٤٦٩م) واقطعهم الملك أكبر

---

(١) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى جـ٣، ص ٣١٠، ٣١١.

(٢) جوستاف لوبون: حضارات الهند: ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٣) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم جـ٢، ص ١٧٧، ١٧٨.

قطعة أرض فى أمرتسار فصارت عاصمتهم الروحية وأصبحوا قوماً أولى بأس شديد فجاسوا فى ديار الهند وقام تاسع زعمائهم غور وتيغ بهادر بالخروج علي سلطة الدولة المغولة فقبض عليه اورنگزيب عام ١٠٨٦ هـ/ ١٦٧٥م وقتله، ولكنهم عادوا للفتنة مرة ثانية وتعاونوا مع الإنجليز للسيطرة على البنجاب وأذاقوا المسلمين خاصة التعذيب والقتل والتنكيل مما حدا بالسيد أحمد الشهيد زعيم حركة المجاهدين أن يقوم بقتالهم وقتال الإنجليز لسنوات طويلة حتى اتفقوا علي الفتك بجماعته واستشهد عام ١٨٣١م.

وكانت جموع المرهتها أيضاً من العوامل القوية فى ضعف الدولة المغولية فقد أسس « شيواجى » دولة لهم فى جبال كهات وسهول كونكن وألف عصابات نشرت الفوضى فى الدكن وهددت كيان الدولة فى دهلى[١].

وقد قضى اورنكزيب ستة وعشرين عاماً فى محاربتهم حتى شاركوا فيما بعد إلى جانب الراجبوت والروهيلا فى انهيار الدولة المغولية.

وكان الغزوان الفارسى والأفغانى من العوامل الخارجية التى عجلت بنهاية الدولة المغولة فقد بدأ نادر شاه هجومه على الأراضى الأفغانية التابعة للهند عام ١١٥٠ هـ/١٧٣٨م وكان محمد شاه قد أهملها منذ سنتين حتى تفشى فيها الفقر والضعف بين جنودها وسقطت فى أيدى الفرس بعد خمسة أسابيع، ثم تقدم نادر شاه بعد ذلك نحو البنجاب فسقطت بيشاور فى يده فى ستة أيام ثم أحاط بلاهور فى شوال سنة ١١٥١ هـ/ يناير ١٧٣٩م وقام بتخريب البنجاب[٢].

وبعد الهزيمة التى تلقتها قوات الهند أرسل محمد شاه نظام الملك ليهادن نادر شاه وفى أوائل ذى الحجة سنة ١١٥١ هـ/مارس ١٧٣٩م دخل نادر شاه دهلى لكنه أباح المدينة لجنوده وأشاع القتل الجماعى فى الحادى عشر من مارس من نفس العام فاستشهد حوالى عشرين ألفاً وعندئذ أمرهم نادر شاه بالكف وعاد إلى بلاده فى ربيع الثانى ١١٥٣ هـ/١٧٣٩م بعد أن نهب كل ما يستطيع من كنوز وأموال[٣]، وترك الهند وقد خيم

---

(١) أحمد محمود الساداتى: المرجع السابق، ص ١٨٢، ١٨٥، ٢٢٢.

(٢) مقبول بيگ بدخشانى: تاريخ إيران، جـ٢، لاهور، ١٩٧١، ص ٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) Dunbar: A History of india from the earliest times to the present day, first bublished, London. 1936. P. 300, 301.

الخراب والدمار على جنباتها.

ولم تكن الهند قد تخلصت من كارثة الغزو الفارسى حتى دق أبوابها غازى جديد جاء هذه المرة من ناحية الشرق، وهو أحمد شاه الإبدالى الذى زحف على الهند عام ١١٦١ هـ/١٧٤٨م وبعد وفاة محمد شاه استغل أحمد شاه الإبدالى هذه الفرصة وهجم على البنجاب واستولى عليها سنة ١١٦٢ هـ/١٧٤٩م وعاس فيها فساداً(١) وعاد أحمد شاه الإبدالى إلى بلده عام ١١٧٣ هـ/ ١٧٦١م بعد أن هزم المرهتها وعين شاه عالم ملكاً على الهند منذ أن بدأت شركة الهند تنفرد بحكم الهند أخذت تفرض على أهل الهند قوانينها الجائرة التى تهدف إلى إفقارهم وزلزلة نظامهم الاجتماعى والتهوين من شأن عقيدتهم وحاولت نشر المسيحية بكل السبل، ومن هنا وجد العلماء ورجال الدين المسلمون ما وصل إليه شأن دينهم فازدادت ثورتهم حدة على الإنجليز ووجدوا الدلائل القوية لشحذ النفوس بالثروة ضدهم وظهرت الحركات المختلفة من أجل إشعال نار الجهاد الوطنى وهب علماء المسلمين يدفعون خطر الإنجليز عن طريق الخطب الحماسية التى تدعو المسلمين إلى الوحدة والجهاد ضد الإنجليز امتداداً من شاه ولى الله الدهلوى وشاه عبد العزيز حتى السيد أحمد الشهيد.

ويذكر عشرت رحمانى أن أسباب ثورة التحرير(*) يرجع إلى ما قام به المجاهدون من نشر الوعى فى مختلف أنحاء الهند فبدأت تتولد نار الجهاد فى قلوب المسلمين على الرغم من ظلم الحكومة الإنجليزية(٢)، وقد بدأت المخاوف تزداد بسبب السيطرة الإنجليزية

---

(١) إعجاز الحق قدوسى: تاريخ سندهـ. جـ٢، ص ٤٣٧ - ٤٣٩.

(*) لقد تعددت مسميات الثورة ا لهندية فإذا رجعنا إلى المصادر الغربية نرى أنها تنعتها باسم « Mutiny » أى التمرد Moreland, Ashort Histery of India، أو العصيان وثورة السباهى (العسكر) جوستاف لوبون وقد تابع الأوربيون بعض الكتاب المسلمين ومنهم السير سيد أحمد خان الذى اطلق على الثورة اسم: بغاوت أى التمرد أيضاً، أما المصادر الأردية الأخرى فإنها تتسمك باسم « جنگ آزادى » أى حرب التحرير كما يسميها عشرت رحمانى، ولكن كلمة بغاوت قد كثر استخدامها تقليداً للسير سيد، وعلق الدكتور عبد المنعم النمر فى كتابه « تاريخ الإسلام فى الهند على ذلك بقوله « لقد سمى الإنجليز أهل البلاد الذين يقفون ضدهم « بغاة » هكذا بلا حياء وسرت هذه الكلمة مع سريان حكمهم فى البلاد فاستعملها أهل الهند وسموا أنفسهم بغاة كما سماهم الإنجليز!! علماً بأن البغاوة هى الخروج على السلطان الشرعى بدون وجه حق، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حق تفىء إلى أمر الله. سورة الحجرات آية: ٩.

(٢) عشرت رحمانى: ١٨٥٧ كے مسلمان مجاهد، ص ٨٢٧.

وبدأت جميع الطوائف تفكر فى أنهم سوف يفقدون عاداتهم وتقاليدهم وحريتهم الدينية وخاصة أن الحكومة الإنجليزية كانت تشجع حركة التبشير ونشر المسيحية بالقوة، كذلك سوء الاحوال الاقتصادية المتدهورة، حيث اضطهدت الحكومة الإقطاعيين وتسلط الإقطاعيون بدورهم على الفلاحين واستأثر الإنجليز بالمناصب العليا ولم يعد للهنود وظائف سوى بعض الوظائف الحقيرة إلى جانب العمل فى الجيش الإنجليزى وكانت تدر راتباً قليلاً جداً وراجت الرشوة وانتشرت البطالة وكان الحكام يعيشون بعيداً عن الرعية وواجهت الأسر العريقة ظروف الحياة الصعبة وأصيبت الطوائف المتوسطة والفقيرة بنكسة خطيرة فى نظامهم الاجتماعى وقام الإنجليز بالسيطرة على جميع الولايات والأقاليم الهندية وقاموا بعزل سلطان أوده وتنحية الأمراء المسلمين والراجاوات الهندوس من مناصبهم وأصبحت سلطة المغول فى دهلى اسمية وكان بهادر شاه ظفر (آخر ملوك المغول فى الهند) يسكن القلعة الحمراء وليس له أية سلطة فقد كان يتلقى راتبه من الإنجليز وكان يخضع فى كل أموره للأوامر الإنجليزية، وقد تبرم الأمراء والرؤساء وأصحاب النفوذ من السلطة الإنجليزية وأعلنوا عصيانهم، وكان الإنجليز يعتمدون على الجيش فقط وعلى الرغم من قلة عدد الجنود الإنجليز إلا أنهم كانوا يعتمدون على الجيوش المحلية المنتشرة فى جميع أنحاء الهند وكانت مصدراً لقوتهم وبدونها لا تستقر سلطتهم، لكن الضباط الإنجليز كانوا يوجهونها لصالحهم وكان سلوكهم شنيعاً مع الجنود، حتى قام الجنود المسلمون والهندوس بالشكوى من سوء معاملتهم من قبل هؤلاء الضباط الذين يتدخلون تدخلاً سافراً فى عاداتهم القومية والدينية لذلك عم السخط عليهم بسبب اضطهاد الإنجليز لهم وإجبارهم على استعمال دهون الخرطوش التى تعتبر محرمة فى أديانهم (فدهن البقر محرم على الهندوس تحريم دهن الخنزير على المسلمين) وبذلك ازدادت معارضة الهنود للإنجليز.

وقد زاد النفوس اشتعالاً ما أقدم عليه دلهوزى من اعتقال واجد على شاه ملك آوَدَهـ وضم بلاده للشركة عام ١٢٧٣ هـ/١٨٥٦م.

وقد بدأت الثورة فى معسكر «ميرت» يوم ١١ مايو ١٨٥٧م حينما صدرت الأوامر للجند باستعمال خراطيش الرصاص عن طريق قضمها بالفم فتذمر الجنود وعصوا الأوامر لان هذه الخراطيش كانت مدهونة بشحم الخنزير والبقر وهما محرمان على المسلمين والهندوس، فقام الإنجليز بالحكم على عدد منهم بالسجن وتفننوا فى تعذيبهم وكان

ذلك يوم ٩ مايو وفى اليوم التالى ثار ا لجنود فى معسكر ميرت على رؤسائهم يقتلون ويدمرون ثم زحفوا إلى دهلى وفى يوم ١١ مايو حاول الجيش الإنجليزى صدهم عن دهلى ولكنهم هزموه ودخلوا دهلى وتجمع آلاف الجنود الثائرين من المسلمين والهندوس واختاروا الملك المغولى الكهل بهادر شاه قائداً لهم ورمزاً للثورة بعد أن رضيت عنه جميع الطوائف فانضوى المرهتها والهندوس والمسلمون تحت راية الحرب وقد جعل بهادر شاه قيادة الثورة لبعض أبنائه مثل « ميرزا مغل » و« خضر سلطان » وقاد المدفعية « بخت خان » وانقض الاهالى على الإنجليز مع الجنود فى كل مكان وأثاروا فيهم الرعب، ولكن الإنجليز استطاعوا أن يحتوا هذه الثورة ويقمعوها بعد أن ظهرت بوادر الفشل على هذه الثورة نتيجة سوء التخطيط وعدم تنظيم صفوف الثوار، بالإضافة إلى أن قادة الثورة لم يكن لديهم تجربة فى قيادة الجنود فأدى ذلك إلى ظهور عناصر فاسدة فى صفوف المجاهدين قامت بالنهب والتخريب وقد قوبل ذلك بتخطيط منظم دقيق من جانب الإنجليز، ووقوف السيخ وبعض رجال القلعة مثل ميرزا الهى بخش فى جانب الإنجليز مما دفع الملك إلى ترك القلعة هو وأهله وذهبوا إلى مقبرة « همايون » خارج دهلى طلباً للحماية فكان لهذه الخطوة تأثيرها السيء فى نفوس الثوار، حيث دب الذعر والخوف فى قلوبهم فما لبث الإنجليز أن سيطروا على الثورة فى ١٩ سبتمبر من نفس العام بعد أن استمرت أربعة أشهر.

وكان المسلمون هم قادة الثورة فتحملوا النصيب الأكبر من الظلم الذى بدأه الإنجليز بالقبض على بهادر شاه ظفر وزوجته وأولاده وقام الإنجليز بقتل « ميرزا مُغل » و« ميرزا خضر » و« ميرزا أبو بكر » وحكموا فى يوم ٢٧ يناير ١٨٥٨م على بهادر شاه بالنفى إلى رانجون فى بورما بتهمة قيادة فصائل الثورة فرحل إلى بورما فى ١٧ أكتوبر ١٨٥٧م، وفى أول نوفمبر سنة ١٨٥٨، اعلنت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ضم الهند إلى التاج مباشرة وخروجها من سلطة شركة الهند الشرقية وعينت اللورد كيننبح حاكماً عاماً للهند تحت سلطة التاج، ثم تفرغ الإنجليز بعد ذلك لإذلال الهنود وخاصة المسلمين الذين أذاقوهم من ضروب الانتقام والتنكيل مما لا يتسع المجال لسرده.

وفى الصفحات القادمة سأحاول ان أتناول مجتمع ما بعد الثورة من الناحيتين الاجتماعية والفكرية لنرى التغييرات التى أحدثها الإنجليز فى المجتمع الهندى.

الإنجليز والمسلمون بعد فشل حرب التحرير عام ١٨٥٧م

كان الإنجليز يعرفون جيداً أن عليهم - قبل أن يثبتوا أقدامهم فى الهند - محاربة المسلمين وكسر شوكتهم لأنهم كانوا يمثلون خطراً كبيراً عليهم ولا يستطيعون حكم الهند باطمئنان دون القضاء عليهم وكان لهذا العداء من جانب الإنجليز للمسلمين جذور قديمة قبل الثورة ولكنه ازداد حدة بعدها(١)، يقول ديوك أف ولنجتن بعد حرب غزنه وكابل عام ١٨٤٢م «لقد ثبت جيداً أن المسلمين الذين عاشوا عيلة علينا يبغضوننا من قلوبهم على عكس الهندوس الذين أظهروا فرحهم بانتصارنا». وفى سنة ١٨٤٣م، اعترف حاكم الهند اللورد النبرا بذلك حيث قال إننا «لا نستطيع أن نتغاضى عن هذه الحقيقة وهى أن المسلمين هم أعداؤنا الأصليون لذلك فخطتنا هى التقرب من الهندوس». لذلك بدأ الإنجليز فى الاستعداد للتقرب من الهندوس والهندوس تهيأوا للإخلاص والوفاء لهم وزاد عداء الحكومة للمسلمين وكراهيتهم لهم وأصبح المسلمون عاجزين(٢) أمامهم واستمرت خطة عداء المسلمين منذ ذلك الوقت حتى عام ١٨٧٠م، ولكن هذا العداء تضاعف بعد أحداث ١٨٥٧م بعد أن جعل الإنجليز مسئولية الثورة كاملة على المسلمين دون غيرهم من الطوائف الأخرى الذين شاركوهم هذه الثورة وبدأوا فى تنفيذ سلسلة من الإجراءات الانتقامية ضدهم وأصبح المسلمون مرفوضين من قبل البلاط الإنجليزى، وحدث تغيير هائل فى الهيكل الاجتماعى للهند نتيجة نهب الإنجليز لكنوزها وثرواتها حتى واجهت الهند المجاعة والإفلاس، وفى أثناء اندلاع الثورة قدر الإنجليز اهمية الولايات والحكومات المحلية وخطرها عليهم فقام اللورد كيننج بضم الكثير من هذه الولايات بعد الثورة إلى الحكومة الإنجليزية كما ساعدوا على تكوين طبقة من الإقطاعيين والعُمد وترعرعت هذه الطبقة فى ظل الإنجليز الذين كانوا يهدفون من ذلك أن تظل هذه الطبقة على ولائها لهم وبالتالى تصبح عقبه كئودا فى سبيل حرية الهند لأنهم سيفقدون امتيازاتهم فى ظل هذه الحرية(٣)، وسيطر الإنجليز على اقتصاد الهند فى تلك الفترة وأصبحت سوقا محتكرة لتجارتهم وكانت مزارع الشاى والصمغ

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٢٦.

(٢) معين احسن جذبى. حالى كاسياسى شعور صـ ٣٠.

(٣) معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور صـ ٢٢.

الهندى والبن والنيلة تُمول من الرأسماليين البريطانيين، وشجع الإنجليز بعد الثورة إقامة الأوربيين وسهل اللورد كيننج حصولهم على الأرض بإصدار قانون سماه «قانون الأرض البور» وبموجب هذا القانون أعطيت للأوروبيين مساحات واسعة من الأرض فى تلال الهند لتمكينهم من الإقامة فى جو أكثر ملاءمة لهم وأدى ذلك إلى تكوين مستعمرات زراعية فى آسام وبهار ونيلجرسى وجاء بعض أصحاب زراعة النيلة من الأوربيين من جزائر الهند الغربية واستغلوا المزارعين أسوأ استغلال وأذلوهم واستعبدوهم وكانت الحكومة تتغاضى عن ذلك لأن هذا الاستغلال الفظيع كان لصالح رأس المال البريطانى(١).

وكان المجتمع الهندى ينقسم إلى طبقتين قبل الاحتلال الإنجليزى، الأولى تضم أهل العلم وأهل الدين وأهل المال والاقطاعيين والثانية تضم الحرفيين والصنّاع وعندما جاء الإنجليز حصلوا هذا النظام واتبعوا سياسة تفريق الجماعات المختلفة حتى تضعف نفوذها واتبعت فى ذلك خطتها الشهيرة «فرق تسد» كما يقول السير جان مينرد: إن الحكومة الإنجليزية لا تستطيع أن تقوم وتستقر إذا لم يوجد تفرقة ظاهرة بين المسلمين والهندوس»(٢).

وبعد فشل الثورة تلاشت السلطة السياسية الباقية للمسلمين وانعكس هذا التحول السياسى على تدهور الأوضاع الاقتصادية والحضارية لهم ووقع المسلمون فى شرك الاحساس بالدونية والضآلة وانتشر فيهم الفقر والمرض والجهل ولم يعد هناك أى عمل يمارسونه ولم يبق هناك تصور واضح ومحدد لمستقبلهم بعد أن فترت هممهم ونضبت ملكات الفهم ومواهب التفكير لديهم وتراجعت قيمهم الأخلاقية والحضارية الموروثة أمام الأفكار والنظريات الغربية وأصبحت سحب اليأس والقنوط مخيمة على كل مكان وأصبح شبح الموت يحوم على أى شخص يخالف الإنجليز ولو مخالفة بسيطة(٣)، وحكمت بريطانيا الهند بقوة السيف وزادت وظائف الضباط الإنجليز ولكنها كانت فى الغالب أعمالاً مكتبية وبدأ الهندوس فى العمل فى المكاتب الحكومية عند الإنجليز بعد أن أتقنوا اللغة الإنجليزية وتضاعفت أعداد التجار الإنجليز ونشط المبشرون ويقول

---

(١) على أدهم: الهند والغرب. صـ٨٥، ٨٦.

(٢) معين احسن جذبى: المرجع السابق: صـ٢٨.

(*) اللورد كيننج حاكم الهند فى سنة ١٨٥٦ - ١٨٦٢.

(٣) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعة صـ٣٠٢.

گارسان دی تاسی » لم تسمح حكومة الشركة لفترة من الزمن بمجيء المبشرين المسيحيين إلى الهند فقد كان في تصورهم أن الهندوسي لن يتخلى عن دينه وأن التعرض له والسخرية منه ليس فى صالحها لكن الحكومة الإنجليزية غيرت هذه الخطة وأعطت الحرية التامة لهؤلاء المبشرين، وكانت الحكومة تحافظ على حقوق الهنود الذين تحولوا بدينهم إلى المسيحية ولم تسمح لأحد بالتعرض لهم(١).

قام الدكتور وليم هنتر W. W. Hinter عام ١٨٧١م بتصوير المجتمع الهندى على أكمل وجه فى كتابة "Our indian Mosulmans" أى مسلمو هندنا والذى يعد من الكتب الموثوق بها فى هذا الصدد ويعد الكتاب الوحيد الذى صور بدقة أحوال المسلمين بعد فشل الثورة بعد أن كانت مجهولة لدينا وقد كتب هنتر هذا الكتاب بإيعاز من اللورد ميو Lord Mio وكان اللورد ميو مهتم اهتمام خاص بإدخال التعليم الإنجليزى ونشره بين المسلمين وأراد أن يعرف ما هى الأسباب التى تجعل المسلمين يكرهون الإنجليز وما السبيل إلى ارضائهم فكان هذا الكتاب الذى يقع فى أربعة أبواب قام فيه هنتر ببحث الأوضاع الاقتصادية للمسلمين فى الهند وذكر شكاوى المسلمين العديدة من الحكومة الإنجليزية يقول: « إن المسلمين يتهموننا دائمًا بأننا أغلقنا أمامهم جميع أبواب الحياة الكريمة، ويتهموننا بأننا حاولنا نشر التعليم الإنجليزى وهو غير مفيد للمسلمين وسببًا من أسباب ذلهم وخضوعهم، وأننا قمنا بعزل القضاة المسلمين وحكمنا على آلاف الأسر بالفقر على أن أكبر ذنوبنا فى نظرهم هو أننا استعملنا أوقاف المسلمين فى أشياء غير لائقة بها، وعلاوة على هذه التهم التى نعرفها بسهولة هناك العديد من التهم والشكاوى التى أساسها عاطفى بحت والتى ربما لا ترد على عقول الإنجليز»(٢).

ثم يقول هنتر مصورًا حالة الثراء والعظمة والتى كان المسلمين يعيشون فيها قبل مجيء الإنجليز ثم ما آل إليهم من ذل ومهانة بعد استيلاء الإنجليز على الهند وزوال سلطة المسلمين: - « إذا أراد أحد الساسة فى مجلس العموم أن يتولد لديه الشعور بالهيبة والرهبة فيكفيه أن يحكى بصدق أوضاع مسلمى البنغال الذين كانوا يعيشون فى قصور فخمة ويركبون العربات التى يجرها الخيول وعندهم الخدم لكن الآن انقلب الحال وصاروا

---

(١) گارسان دی تاسی. مقالات گارسان دی تاسی. حصة دوم (الترجمة الأردية) ص ١٨٥

(٢) هنتر: همارسے هندوستانی مسلمان. ترجمة صادق حسين. لاهور. ١٩٦٢م، ص ٢١٩، ٢٢٠

يعيشون في منازل متهدمة ولهم دخل متواضع وازداد وقوعهم فى مستنقع الاستدانة يوما بعد يوم حتى قام دائنوهم يرفعون دعاوى عليهم واستولوا على منازلهم وأراضيهم وكانت نهاية للأسر المسلمة العريقة»(١). وقد صور حالى الوضع الاجتماعى للمسلمين بعد الثورة فى مقدمة مسدسه «مسدس حالى» وقد أطلق حالى على الثورة اسم «عتاب ذو الجلال»، يقول: «أصبحت حالة القوم متردية للغاية وصار العزيز ذليلا ومرغت كرامة الشرفاء فى التراب وكانت نهاية للعلم، فلم يبق من العلم سوى اسمه ومن الدين سوى رسمه وتفشت المجاعات وعشش الفقر على كل منزل وفسدت الأخلاق وخيمّت سُحب التعصب السوداء والكثيفة على المسلمين وتقيدوا باغلال العُرف وبقيود التقاليد وعم الجهل وتسلطت البدع علي رقاب العباد وأصبح الأمراء المسلمون غافلين عما يدور حولهم من مؤامرات، غير مكترثين بها، والعلماء الذين يُعّول عليهم فى إصلاح المجتمع كانوا يجهلون ضروريات العصر ومقتضياته»(٢).

ثم يقول هنتر: «فى الحقيقة عندما وقعت هذه البلد (الهند) فى قبضتنا كان المسلمون على رأس جميع القوميات الأخرى، وكانوا علية القوم ولم يكن تفوقهم هذا ناتجا عن شجاعتهم وقوة جأشهم فحسب بل كانت لديهم ملكة المهارة السياسية والإدارية وعلى الرغم من ذلك أغلقت الحكومة أمامهم جميع الوظائف الحكومية والمناصب الرسمية وغير الرسمية وذكر هنتر بعد ذلك أسباب العداوة بين الإنجليز والمسلمين فقال: إن الحكومة الإنجليزية منعت عنهم الوظائف الهامة مثل الجيش والبوليس والقضاء والمكاتب الحكومية وكانت هذه الإدارات مصدر رزق المسلمين ولكن الإنجليز قضوا على هذا المصدر بالإضافة إلى استيلاء الحكومة على الحرف غير الحكومية الاخرى مثل الطب والمحاماة وكانتا حكرًا على المسلمين دون غيرهم وبدأ الإنجليز في نشر الطب الغربى تدريجيا(٣).

ثم يقول هنتر: «لقد سلبت جميع الوظائف العليا والدنيا من المسلمين بالتدريج وأعطيت للقوميات الأخرى وبالأخص للهندوس، ووصل اضطهاد المسلمين لدرجة أن الإنجليز كانوا يعلنون عن وظائف المسلمين فى المجلات الحكومية فى مكان منفصل علانية وعندما تنفذ هذه الوظائف فى أيام محدودة من الإعلان فإن الحاكم الإنجليزى يقول إننا

(١) المرجع السابق. ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) حالى: مسدس حالى. المقدمة ص ٦.

(٣) هنتر: المرجع السابق ص: ٢٢٥ - ٢٢٦.

لن نعطى هذه الوظائف لاحد قط سوى الهندوس، وقد عقد هنتر مقارنة بالأرقام بين المسلمين والسيخ والهندوس بالنسبة لتولى الوظائف والمناصب الحكومية ويتضح من هذه المقارنة مدى الظلم الذى الحقه الإنجليز بالمسلمين حتى جاء حين من الدهر لم يكن نصيب المسلمين من هذه الوظائف سوى بعض الحراس والسعاه(١) والخدم(٢).

وفى النهاية اضطرت الحكومة الإنجليزية إلى تغيير خطتها عام ١٨٧١م مع المسلمين بعد أن كشف هنتر لها أسباب هذا العداء وبدأت مرحلة من التعاون والتفاهم بين الإنجليز والمسلمين وهدأت نغمة الجهاد بعد أن استصدر الإنجليز عدة فتاوى موقع عليها من علماء مكة بالذات لمكانتهم(*) فى نظر المسلمين فى الهند للقضاء على فكرة الجهاد ولإبطال فتوى شاه عبد العزيز الشهيرة والتى أفتاها عام ١٨٠٣م، ونادى فيها بوجوب الجهاد ضد الإنجليز، وصدرت فتوى من بعض علماء الهند فى سنة ١٨٧٠م تنادى بالتعاون مع الإنجليز، وبدأت الحكومة الإنجليزية فى التعاون مع العلماء الذين يعتبرون الجهاد غير جائز شرعا مثل مولوى عبد اللطيف خان فى كلكتا والذى تعاون مع الإنجليز وكان فى طليعة المدافعين عن التعليم الإنجليز وأيضاً هناك أحد مريدى السيد أحمد الشهيد فى البنغال هو مولوى كرامت على جونبورى الذى أفتى بأن جهاد الإنجليز غير جائز، على أن أهم الشخصيات التى تعاونت مع الإنجليز وبدأ صفحة جديدة من العمل القومى للمسلمين كان السير سيد أحمد خان.

وفى الصفحات القادمة سأتحدث عن حركته المعروفة على گڑھ من الجانب السياسى والاجتماعى وسأرجىء الحديث عن جوانبها الثقافية والتعليمية للجزء الخاص بالحياة الفكرية.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٠.

(٢) الشيخ محمد إكرام. موج كوثر. صـ ٧٥ - ٧٦. وعبد القيوم. حالى كى ارد ونثر نگارى. صـ ٢٧. ومحمد اكرام سانبوى. حالى وأكبر كاخصوصى مطالعه صـ ٣.

(*) شاه عبد العزيز: شاة عبد العزيز الدهلوى هو ابن شاه ولى الله الدهلوى المحدث والمصلح السياسى والدينى ولد سنة ١٧٤٦م، وتلقى تعليمه الأولى على يد أبوه فى مسجد دهلى الجامع فتعلم العلوم الدينية كالفقه والحديث وحفظ القرآن الكريم وفي سنة ١٧٦٢م توفى أبوه شاه ولى الله فخلفه على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولى الله على عهده وكان هدف شاه عبد العزيز مثل أبيه أن يقيم الحكومة الإسلامية وقد ظل يجاهد لتحقيق هذا الهدف سبعين عاما إلا ان الإنجليز أعلنوا رفضهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فاصدر فتوى فحواها أن جميع المنطقة الواقعة تحت حكم الإنجليز والممتدة من دهلى إلى كلكتا هى دار حرب وليست دار إسلام، ومن أشهر كتبه كتاب: «فتح العزيز» وتوفى عام ١٨٢٤م. (معين احسن جذبى، حالى كاسياسى شعور ص ٤١، ٤٢

الحركة الثانية: حركة على گرطه

بعد أن انتهت فعالية «حركة المجاهدين» عسكريا عام ١٨٧٢م بعد سلسلة الحروب المستمرة التى خاضتها ضد الإنجليز ومعارضة حكومتهم فى الهند، ظهرت حركة جديدة تدعو المسلمين للتعاون مع الإنجليز وعرفت هذه الحركة باسم «حركة على گرطه» وراد هذه الحركة السير سيد أحمد خان.

وقد رأى السير سيد سلطة الإنجليز المتزايدة فتيقن منذ البداية أن سلطة حكومة بهادر شاه المحدودة داخل أسوار القلعة فى طريقها إلى الزوال وأن الإنجليز هم الذين يحكمون الهند فعليا وسوف تستمر دولتهم ولم تغب عنه هذه الحقيقة حتى فى أحلك الظروف فى أثناء اندلاع ثورة ١٨٥٧م عندما تزلزلت دعائم الحكومة الإنجليزية نفسها في الهند وعلى حد قول حالى فإن الجانب العقلى كان يتغلب علي طبيعته وتفكيره[١].

وعمل السير سيد[٢] موظفا لدى الإنجليز وكان يرى أيام الثورة أن المسلمين ليس لهم أى قوة يستطيعون بها مواجهة الإنجليزو وبعد الثورة حدثت تغيرات سياسية وحضارية هائلة لم يكن لها مثيل من قبل فى تاريخ المسلمين فى الهند فقد أصبحوامحكومين وبدأوا يواجهون مرحلة الدفاع للبقاء فلم تكن ثورة ١٨٥٧م مجرد ثورة قام بها العسكر بل كانت بركانا اجتماعيا متفجرا غيّر الخريطة الاجتماعية لشبه القارة الهندية.

وبدأت المنافسة بين الطوائف المختلفة داخل الهند وبدأوا يتقربون للإنجليز وخاصة

---

(١) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٥٣.

(٢) ولد السير سيد أحمد خان فى دهلى عام ١٨٨٧م، وكان أبوه ميرتقى من مريدى شاه غلام على صاحب الطريقة النقشبندية وكان المسلمون فى ذلك الوقت يعيشون حياة بائسة يخيم الياس على جنباتها ومع ذلك كانت دهلى حيث تربى السير سيد تغص بمشاهير العلوم والفنون بالرغم من تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية والأخلاقية فيها، وتلقى السير سيد تعليمه الأولى طبقًا للتقاليد القديمة فقرأ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحشر مجالس الوعظ التى كان السيد أحمد الشهيد يلقيها فى المسجد الجامع وقد أحدثت وقائع ثورة ١٨٥٧م انقلابا فى حياته فقام بدراسة أوضاع المسلمين وقارن بين تقدم الإنجليز وتاخر المسلمين. وقد منحته الحكومة «الإنجليزية لقب» **SIR** وتوفى عام ١٨٩٨م.

(حالى: حيات جاويد ص ٢٢، ٢٣).

– محمد اكرام: موج كوثر ص ٧٨ – ٧٩.

– عبد القيم: حالى كى ارد ونثر نكارى ص ٢٣ – ٢٤.

الهندوس والسيخ وبدأ المسلمون يفكرون فى الحفاظ على دينهم ولغتهم وحضارتهم ولم تكن لديهم أى خطة لذلك[1]، وقرر السير سيد الهجرة إلى مصر حيث قال «لم أكن أتصور فى ذلك الوقت أن يأتى على قومى يوم يستطيعون أن ينالوا فيه عزتهم وتتحسن أحوالهم». ونستطيع أن نقدر حالة المسلمين المتردية من قول السير سيد هذا، ولكن السير سيد غير رأيه فى الهجرة وقرر أنه «ليس من الشهامة والرجولة أن أترك قومى فى هذا الوضع الصعب والتمس لنفسى العافية والسلامة، لا، يجب أن أبقى لأشاركهم فى هذه المصيبة وأعقد همتى وعزمى لإبعاد هذه المصائب عنهم[2]، لذلك قام السير سيد بمحاولة مد جسور التعاون مع الإنجليز ولينهى العداء الذى يعتمل فى قلوب الإنجليز تجاه المسلمين، وكان سبيله إلى ذلك تقديم تفسير جديد لنظرية الجهاد المسيطرة على تفكير الحكومة الإنجليزية يرضى بها ميولهم وتكون بمثابة بداية عهد جديد من العلاقات بين المسلمين والإنجليز فقال: إن الجهاد غير مباح إلا فى حالة القهر الصراح أو الحيلولة بين المسلمين وممارسة شعائر دينهم مما يضر بأسس بعض أركان الإسلام، ولما كان البريطانيون يكفلون الحرية الدينية فليس هناك من الشروط ما يبرر الجهاد ضدهم أما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كانت الهند دار حرب أم دار إسلام فيرى أنه يمكن وصفها بالوصفين كليهما وإن كان من الأوفق أن تسمى بدار الأمان[3]. ثم قام السير سيد ومولانا جراغ على بتمييع نظرية الجهاد حتى يقنعوا الإنجليز أن الإسلام دين سلمى أساسا وأن الهنود المسلمين يمكن أن يكونوا رعايا مخلصين للامبراطورية البريطانية وعلى ذلك فإن الطبقات الوسطى والعليا من المسلمين التى كانت تعتمد فى كسب قوتها إلى حد كبير على الوظائف الحكومية روادتها الآمال فى تحسين علاقاتها بالإنجليز[4]. وكتب السير سيد بعد ذلك رسالة «أسباب بغاوت هند» أى أسباب الثورة الهندية كشف فيها أسباب الثورة الحقيقية وبرأ المسلمين من تهمة اشعالها ثم كتب رسالة أخرى رد فيها على كتاب هنتر «مسلمو هندنا» وكان هنتر قد ذكر فى كتابه هذا أن المسلمين لن

---

(١) عبد القيوم، المرجع السابق، صـ ٢٧.

(٢) محمد اكرام. موج كوثر: صـ ٧٧.

(٣) رود لف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث صـ ٧٠.

(٤) رود لف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث صـ ٧٢.

يكونوا رعية صالحة خاصة للإنجليز ما داموا متمسكين بالقرآن[١]. وقد رد السير سيد تدهور أحوال المسلمين إلى سببين، الأول: نقص التعليم لديهم والثانى: عدم الاتحاد والامتزاج بالإنجليز الذى سلطهم الله عليهم وتفاقم الكراهية والبغضاء بينهما لذلك أكد السير سيد على المصالحة مع الإنجليز والتعليم والتربية من أجل صالح المسلمين، وكان يعرف جيداً أن أى حكومة لا يمكن أن تستمد سلطتها بقوة السيف بل من الضرورى أن تنشأ عاطفة الألفة بين الحاكم والمحكوم التى هى فى نظره أساس الحكم ويترتب على ذلك حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية وقد قضى السير سيد طيلة عمره يعمل بهذه النظرية ويحاول التقرب من الإنجليزحتى يظفر المسلمون بالوظائف والمناصب العالية والتى يمكنهم عن طريقها الحصول على حقوقهم السياسية[٢]، وقام السير سيد فى سبيل هذه المهمة بتشبيه الهند فى إحدى خطبه «بالزوجة التى يريد أن يزوجها بالأمة الإنجليزية وطبقًا لتصوره فأنه «من أجل صالح الهند يجب استمرار الحكومة الإنجليزية[٣]، أو يدوم هذا الزواج السياسى. ونلاحظ أن فكرة السيد سيد هذه كانت مطابقة لفكرة رائجة فى العالم الإسلامى آنذاك.

وقام السير سيد بالعمل الوطنى من أجل جميع طوائف الهند فأقام مدرسة «غازى پور» «المجتمع العلمى» واشترك فيهما الهندوس جنبا إلى جنب مع المسلمين، ولكن أثناء إقامته فى بنارس وقعت حادثة جعلته يغير من وجهة[٤] نظره «حيث قام الهندوس بحركة مطالبين فيها بايقاف التعامل باللغة الأردية والخط الفارسى فى جميع المحاكم والإدارات الحكومية والاستعانة بدلا من ذلك بلغة البهاشا[*]، والخط الديوناگرى وقد

---

(١) حالى: حيات جاويد ص ١٧٤ - ١٨٣.

(٢) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٥٣ - ٥٥.

(٣) حالى: حيات جاويد جـ ٢، ص ٢٩٢.

(٤) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٨.

(*) لغة البهاشا: لغة البهاشا أو «برج بهاشا» هى إحدى اللغات الهندية القديمة التى كان يتحدث بها الآريون الذين كانوا يتحدثون آنذاك بلغات متباينة أشهرها لغة التاميل والتليگو وأوريا، وعندما أرادوا أن يحافظوا على لغتهم خوفا من الضياع وسط هذا الكم الهائل من اللغات الهندية، قاموا بوضع أسس وقواعد صارمة للغتهم هذه وأطلقوا عليها اسم «اللغة السنسكريتية» أى اللغة الفصيحة ودونوها بالأبجدية التى لا تزال موجودة حتى الآن - والمعروفة بـ ديوناگرى، وقد تطورت لغة البهاشا عن لغة الشورسينى وأصبحت أكثر نضجا وانتشارا فتحدث الناس بها من لاهور حتى الله آباد والسند ومالوه.
(١ے حميد: ارد ونثر كى داستان جـ ١. ص ٢ - ٣). =

علم بذلك السير سيد وتألم وقال: إن هذه أول مرة أتأكد فيها أن الهندوس والمسلمين يسيرون فى طريقين مختلفين ومن الصعب التقاؤهما »[1]. وكانت هذه الحادثة عام ١٨٦٨ م فتغيرت أفكار السير سيد وخططه واعترف أنه « من المستحيل أن يحكم الهند أحد من المسلمين أو الهندوس ويستطيع أن يقيم العدل » وأن الأفضل فى نظره أن يأتى « قوم آخرون ليحكمونا »[2]، وبناءً على هذه الدلائل قرر أنه « من الضرورى أن تبقى الحكومة الإنجليزية تحكم الهند للأبد » وقدم عدة نصائح للحكومة الإنجليزية واقترح على الحكومة » أن يكون لكل من المسلمين والهندوس جيش منفصل عن الآخر حتى إذا ثار فريق منهما ردعه الفريق الآخر »[3]، وبذلك تضمن الحكومة الإنجليزية حكمها للأبد.

ونجح السير سيد فى خطته واقتنع الإنجليز بأن المسلمين قد ظلموا بغير وجه حق فانفرجت سياستهم تجاههم وجنحت إلى اللين وفُتحت لهم أبواب الوظائف والمناصب المختلفة.

وفى سنة ١٨٦٩م سافر السير سيد إلى إنجلترا مع ولديه سيد محمود وسيد حامد لإلحاقهما فى الجامعة هناك بناء على نصيحة صديقه كرنل گريهم وظل فى لندن أكثر من عام اطلع فيه على الحضارة الغربية وسنحت له الفرصة لمشاهدة التقدم العلمى والحياة الاجتماعية هناك وجمع مواد كتابه « خطبات أحمدية » للرد على كتاب « حياة محمد » للسير وليم ميور[4] إلى جانب إطلاعه على الجامعات الإنجليزية ثم عاد فى ٢ أكتوبر ١٨٧٠م وعنده الرغبة الكاملة فى نشر التعليم الإنجليزى بين المسلمين ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتضح معالم حركة على گڑھ وخاصة عندما أصدر جريدة « تهذيب الأخلاق فى ٢٤ ديسمبر ١٨٧٠م من أجل نشر أفكاره التعليمية والدينية ومحاربة أمراض المسلمين الاجتماعية وقد تناول فيها عدة موضوعات تهم المسلمين وقال فى أول عدد.

إن الهدف من صدور هذه المجلة وهو ترغيب مسلمى الهند فى الإقبال على الحضارة

= وتعتبر لغة « برج بهاشا » المنبع الذى خرجت منه اللغة الأردية، ففى الوقت الذى كانت فيه اللغة الأردية لا تزال فى مهدها كانت لغة « برج بهاشا » قد وصلت إلى الكمال.

(محمد حسين آزاد: آب حيات. ص ٩).

(١) حالى: حيات جاويد. ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) السير سيد. مجموعة پـــائے لكجر صـ ١٦٨ – ٢٥٩.

(٣) السير سيد: أسباب بغاوت هند.

(٤) حالى: حيات جاويد صـ ٨٢ – ٨٣.

الكاملة التى تعنى بجميع نواحى الحياة واستخدم لذلك اللفظ الإنجليزى Civiliaation حتى لا تنظر إليهم الامم المتحضرة بعين الازدراء ويطلق عليهم لقب متحضرين، وتناول فى مجلته الموضوعات التى تحث على تقليد الغرب وحضارتهم فى العادات والتقاليد والتعليم والتربية وطريقة البحث وتناول الطعام وفى الملبس، وبدأ يتحدث فيها عن موضوعات تمس جميع جوانب الحياة، وقد تعرض السير سيد للموضوعات الدينية فى مجلته مثل تفسيره للقرآن الكريم والإنجيل ومحاولة تأويل آيات القرآن وأوامر الشريعة طبقًا لآراء الفلاسفة الغربين الباطلة فانكر الوحى والمعجزات ووجود الجن ونظام تعدد الزوجات والرق فى الإسلام وغيرها من الآراء التى كانت سببا فى المعارضة الشديدة لها من قِبل العلماء ورجال الدين المسلمين الذين أصدروا الفتاوى بتكفيره واتهموه بانه أصبح مسيحيًا وانه من الدهريين. ويقول حالى عن هذه الجريدة أنها «لم يكن لها تاثير واضح على دهلى ولكناو ونواحيهما حيث الثقافة الإسلامية المتاصلة فى المسلمين من القديم، ولانها تعرضت لبعض الافكار الدينية التى لم يستسيغها العوام بالطبع فانتشر المعارضون لها فى أنحاء الهند بمجرد إصدار عددين منها وأطلق عليه المسلمون لقب[1] دهرى»(*)، ويقول معين الدين عقيل:

لقد لاقت أفكار السير سيد الدينية معارضة شديدة فى أوساط المسلمين لأنها اتجهت وجهة جديدة خاصة عندما حاول أن يفسر القرآن بطريقة جديدة غير مألوفة لديهم وهذا

---

(١) حالى: حيات جاويد ص ٨٥ - ٨٦.

(*) الدهرية: كلمة عربية ماخوذة من الآية ٢٣ من صورة الجاثية التى تقول بلسان الكفار «وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» وتطلق الدهرية على أولئك الذين انكروا الاعتقاد فى الله وانكروا خلق العالم والعناية الآلهية، ولم يسلموا بما جاءت به الأديان الحقة الشرائع السماوية والبعث والعقاب وقالوا بقدم الدهروان المادة لا تفنى وان كل ما حدث فى العالم إنما يرد إلى فعل القوانين الطبيعية اى إلى حركة الافلاك، وقد ذكر الشهرستانى فى فقرة من فقرات كتابه إنهم ينكرون المعقولات ولا يعترفون إلا بالمحسوسات. ونجد تعريفا للدهرية يقول إنهم يسلمون بوجود الله ولكنهم يفسرون أصل العالم باجتماع الجواهر الفرد على غير هدى فى دوراتها فى الفضاء. ونقرب كثيرا من معنى كلمة الدهرية إذا ترجمناها بكلمة Naturalists اى الماديين او بكلمة Materiali-sts اى الطبيعيين. ويفرق الغزالى فى كتابه «المنقذ من الضلال» بين الدهرية والطبيعيين الذين ينكرون تجوهر النفس ومن ثم خلودها مع تسليمهم بوجود إله خالق مهيمن، ولجمال الدين الافغانى رسالة فى الرد على الدهرية (دائرة المعارف الإسلامية: المجلد التاسع ص ٣٣٧ - ٣٣٩).
وقد نشأ مذهب الطبيعة فى أوربا وروج له انصار دارون صاحب نظرية «النشوء والتطور».

أمر طبيعى فالسير سيد لم يكن مفكرا دينيا ولم تكن حركته دينية بل كانت حركة سياسية وحضارية»[1].

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها السير سيد من المسلمين وخاصة علماء الدين إلا أنه واصل جهوده الإصلاحية فى مجال التعليم وأسس كلية على گرھ العصرية لتدريس العلوم الغربية. وسأتحدث عنها فى الجزء الخاص بالحالة الفكرية فى عصر حالى.

(١) معين الدين عقيل. تحريكـ آزادى مين ارد وكاحصه ص ٢٨٧ - ٢٩١.

المعارضون لحركة على گرْطه

عارض كثير من المسلمين حركة على گرْطه ورائدها السير سيد بعد أن اتهموه بالكفر والخروج على جماعة المسلمين لأنه نادى بأفكار معارضة للعقيدة الإسلامية وكان على رأس هؤلاء المعارضين لحركة على گرْطه مولوى إمداد على ومولوى على بخش وكان هذان السيدان على خلاف فيما بينهما من ناحية العقيدة الدينية ولكنهما اشتركا فى معارضتهما لحركة على گرْطه ويقول حالى: «إن المعارضة التى ظهرت فى أنحاء الهند ضد حركة على گرْطه كان مصدرها هذين السيدين»(١)، وقد استمرت هذه المعارضة ردحًا من الوقت وكان السبب الرئيسى فى معارضة مولوى إمداد على ومولوى على بخش يرجع إلى شكوكهما فى أفكار السير سيد الدينية، لأنه حاول تفسير الأمور الدينية تفسيراً طبقًا لضروريات العصر وأنكر تقاليد المسلمين الموروثة لذلك أصبح المسلمون معارضين لشخصية السير سيد بعد أن عارضوا مهمته الإصلاحية ولم يرحب الناس باجتهاده لاعتقادهم أنه سوف يؤثر بأفكاره الإلحادية عليهم(٢)، وقامت عدة مجلات معارضة لمجلة «تهذيب الأخلاق» للرد على السير سيد وأشهر هذه المجلات مجلتا «نور الأنوار» و «نور الآفاق».

ويقول العلامة وحيد الدين خان لم ينتبه أحد من الزعماء المسلمين إلى الفكر الإيجابى الذى عبر عنه حالى فى بيت شعر له يقول: «در مع الدهر كيف دار(*)، وقد سلك هذا الاتجاه السير سيد وهو من الشخصيات سيئة السمعة، فكان يقول إن الحكومة الإنجليزية قد سدت علينا أبواب العمل السياسى ولكن أبواب التعمير والبناء الأخرى مفتوحة أمامنا ولذلك دعا إلى الإقبال على العلوم الغربية، لكن ماذا كان هدفه من وراء تعلم علوم الغرب؟ لقد كشف عن ذلك رفيقه الحميم الطاف حسين حالى فى بيت شعر آخر يقول «تعالى، يا حالى لنقلد الغرب، الآن» لقد كان هدف السير سيد من هذا التقليد هو أن يمكن المسلمين من الحصول على أعلى المناصب فى ظل الحكومة

---

(١) حالى: حيات جاويد صـ ٤٠٢.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٣١.

(*) جُس رُخ زمانه پهرے اسى رخ پهر جاو.

الاستعمارية القائمة وكانت الحضارة التى نادى بها كما سماها أحد تلاميذه مهدى أفادى - بكل حق بأنها « الثقافة الأنجلو إسلامية » فهى ثقافة ذات قشور إسلامية مظهرية وطبيعة إنجليزية، قامت على التقليد(١).

وقد اختلفت الآراء بصدد تصنيف حركة السير سيد، فإلى أى الحركات تنتمى وتحت أى الحركات تندرج ففى حين يعتبرها البعض حركة دينية، كما قال حالى إن الدين كان المحرك الأساسى لأفكار السير سيد الإصلاحية، نعم قد ينطبق هذا الرأى على المراحل الأولى من تفكير السير سيد لأن نجاح أى حركة فى ذلك الوقت كان مرهونًا بجعل الدين هدفًا أساسيًا من أهداف هذه الحركة أو تلك، إلا أن السير سيد انسلخ عن آرائه الدينية التى جعلها حالى المحرك الأساسى لحركته.

ويعتبرها البعض الآخر حركة اجتماعية، على حين يؤكد فريق ثالث أنها حركة تعليمية، لكن الدكتور معين أحسن جذبى يعتبرها حركة سياسية نشأت فى ظل أوضاع المسلمين الاجتماعية ولها جوانبها الدينية والاجتماعية والتعليمية التى ينخدع بها المرء.

علماء الدين الذين عارضوا حركة على گرڑھ:

عارض رجال الدين حركة على گرڑھ التى نادت بضرورة تعليم المسلمين العلوم الغربية الحديثة واتهموه بالكفر والذندقة وموالاة الإنجليز وكان على رأس هؤلاء العلماء السلفيين: -

حاجى امداد الله ومولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد الدين احمد كنگوهى والشيخ حسين مدنى والمفتى عزيز الرحمن الذى أفتى بكفر السير سيد(٢)، وكان من بين المفكرين الذين عارضوا السير سيد احمد خان وحركة على گرڑھ كل من شبلى النعمانى مؤسس «ندوة العماء» فى لكناؤ ومولوى امداد على ومولوى على بخش وقاموا بإصدار مجلتا «نور الانوار» و «نور الآفاق» وقد تشكك هؤلاء جميعًا فى افكار السير سيد الدينية لانه حاول تفسير الامور الدينية تفسيرا عصريًا أنكر فيه تقاليد المسلمين الموروثة(٣).

---

(١) وحيد الدين خان، المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل صـ ٥٢، ٥٣، صـ ٢٣، ٢٤.

(٢) محمد إكرام: موج كوثر ص ٤٣.

(٣) حالى: حيات جاويد ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

٢ - الحالة الفكرية فى عصر حالى

اهتم المسلمين منذ فتحهم للهند اهتمامًا كبيرًا بالناحية الفكرية(*)، ونشر التعليم والثقافة الإسلامية فى أرجاء الهند المختلفة، وعندما دخل المغوب الهند اهتم ملوكهم اهتمامًا خاصًا بالناحية الثقافية بما فيها التعليم وكان لكل من الامبراطور بابر وهمايون حظ وفير من الذوق السليم وكان بابر أديبًا ترك لنا مذكراته فى كتاب « توزك بابرى » وكان همايون من العلماء فاهتم بالفلك والحساب والجغرافيا واهتم أباطرة المغول كاسلافهم الأفغان والترك بالعلوم والفنون حتى بلغت الحياة الثقافية ذروتها فى عهد أكبر وأدرجت بعض المواد الخاصة مثل المنطق وعلم الحساب والجبر والفلك والإدارة العامة ضمن المنهج الدراسى وتميز التعليم فى عهده بالطابع العلمانى(١).

وبعد انتهاء نفوذ حكومة المغول فى دهلى، كان فى روهيلكند ونواحيها من مملكة أَوَدَه خمسة آلاف من العلماء يدرسون فى المدرس المختلفة ويدفع لهم حافظ رحمت خان مرتباتهم، ويقول تيلر: لا يختلف اثنان على أن الهند كانت مركزا علميًا كبيرًا يتفجر منه نور العلم وكانت الأمم الاوربية القديمة المتحضرة ترتوى من ذلك المنهل العذب وتتحلى بما فيه من علم وأدب وصناعة.

وبعد مجىء الإنجليز للهند واحتلالها حاولوا نشر نظام تعليمهم ولغتهم وكان الهدف من ذلك تخريج عقول فارغة من الثقافة الإسلامية يدينون لهم ويستفيدوا منهم فى الوظائف المختلفة التى تخدم مصالحهم الاستعمارية، فقاموا بالقضاء على التعليم الدينى واستولوا على الأوقاف الإسلامية التى وقفها كبار المسلمين للإنفاق منها على التعليم

(*) انشأ المسلمون منذ دخولهم الهند المدارس والكتاتيب واقاموا حلقات العلم والوعظ فى المساجد والزوايا لتعليم العلوم الإسلامية وكان السلاطين والأمراء وأهل البر يوقفون المال الوفير لهذا الغرض، فقد انشأ السلطان محمود الغزنوى مدرسة فى غزنة واخرى فى لاهور وجاء بعده محمد الغورى الذى انشأ عدة مدارس فى اجمير، ثم جاء السلطان التمش وانشأ أول مدرسة فى دهلى سماها « المدرسة المعزية » وفى عهد محمد تغلق اقيمت عدة مدارس فى دهلى، يقول القلقشندى فى كتابه « صبح الا عشى » الذى الفه فى عهد محمد تغلق عند وصف دهلى « وفيها الف مدرسة منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية وبها نحو سبعين بيمارستانا وتسمى دور الشفاء ».

(القلقشندى: صبح الاعشى جـ ٥. طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣. ص ٦٩).

(١) محمد اكرام: موج كوثر. إدارات ثقافت إسلامية. لاهور ط ١٩، ١٩٧٥م، ص ١٧ - ١٨.

الدينى وأحلوا محله التعليم الإنجليزى المدنى الذى لا يخدم إلا أهدافهم[١].

وتنفيذاً لهذه الخطة قامت محاولات عديدة لنقل التعليم الغربى بكل حسناته وعيوبه إلى الهند بقدر الإمكان وقام راجاجى پور بتأسيس ٢٨٤ مدرسة فى ولايته وقام اللورد ميو وعقد اجتماعا لأمراء اجمير واطلعهم فيه على رغبته فى إقامة كلية لتعليم الأطفال وقام الإنجليز بفتح مدارس للبنات فى بومباى[٢].

وكان الإنجليز يعتقدون فى البداية أن نشر التعليم الجديد ضرورى من أجل إحكام سيطرة الحكومة البريطانية لذلك سن البرلمان فى عام ١٨١٣ م قانوناً يدعو إلى تعليم الهنود العلوم الجديدة، فلم يكن فى ذلك الوقت أى مدارس نظامية حكومية سوى مدارس المبشرين[٣]، وفى سنة ١٨١٧ تأسست الكلية الهندوسية فى البنغال واهتمت بالتعليم الإنجليزى وكما يقول عبد الله يوسف: فإن اللغات المعترف بها ويتم بها التدريس هى الإنجليز والبنغالية والفارسية ولكن الاهتمام كان منصبًا أكثر على اللغة الإنجليزية وبدأ الطلبة يتقدمون بسرعة فى التعليم الإنجليزى وعندما رفض أصحاب الاتجاه القديم التعليم الإنجليزى ثار رام موهن رأى وأعلن أن تعليم اللغة السنسكريتية بلا فائدة ودافع عن التعليم الجديد، وانتشر التعليم فى البنغال أكثر بسبب التواجد الإنجليزى فيها[٤].

وفى سنة ١٨٢٥ أقيمت «دهلى كالج» كلية دهلى وبدأت فى نشر العلوم الغربية واهتمت أكثر بالعلوم المتقدمة وقل اهتمامها بالأدب على عكس الكلية الهندوسية «هندو كالج» وكلية فورت وليم التى أنشئت عام ١٧٩٩م، فقام طلبة «دهلى كالج» وأساتذتها بكتابة كتب عديدة فى مختلف العلوم والفنون وترجموا العديد من الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة الأردية وكان لهذه الكلية دور كبير فى نشر العلوم الجديدة[٥]، وكانت هذه الكلية تمثل صحوة فى شمال الهند وقد ركزت على جمع عناصر الشرق والغرب معا تحت سقف واحد وقام أساتذتها وطلابها بكتابة مؤلفات

---

(١) طفيل احمد: روشن مستقبل، دهلى. ١٩٤٥م ص ٩ - ١١.

(٢) گارسان دى تا سى: مقالات گارسان دى تاسى. جلد أول. انجمن ترقى ارد وباكستان الطبعة الثانية. ١٩٦٩م، ص ٤٩.

(٣) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٢.

(٤) عبد الله يوسف على: انگريزى عهد ميں هندوستان كے تمدن كى تاريخ ص ١٥٣.

(٥) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٢.

عديدة فى العلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة والادب والنقد والمعاجم كما ضمت داراً للترجمة مما جعل أهل الأردية يطلقون عليها اسم « نشأة ثانية » أى حركة البعث ومن أساتذة هذه الكلية هـ. د. تيلر وبطرس شبرنجر ووزير على وأمير على ورام چندر ومملوك على أستاذ اللغة العربية ومولوى أمام بخشى صهبائى أستاذ الفارسية ومولوى نذير احمد[1]، وضمت الكلية فيما بعد چندر رام كشن وپيارے لال ومولانا شهامت على والدكتور مكندلال ومحمد حسين آزاد ومولوى ذكاء الملك والذين تربوا فى كنف هذه الكلية وفى سنة ١٨٣٥م، قام الحاكم البريطانى وليم بينتنج بناء على اقتراح اللورد ميكالى بفرض التعليم الجديد وقال فى الاقتراح « إن الهدف الأصلى من التعليم الجديد هو نشر العلوم الإنجليزية لان العلوم الشرقية عقيمة وبلا فائدة فضلا عن أن التعليم الإنجليزى يخدم مصالح الحكومة » وقام مسلمو كلكتا بالاحتجاج على هذا القرار وأعدوا مذكرة يتهمون فيها الحكومة بمحاولة عرقلة التعليم الشرقى والعلوم الإسلامية خاصة وإغلاق مدارسها وتوجيه اهتمامهم تجاه التعليم الإنجليزى، والهدف من ذلك هو تحويل المسلمين إلى الديانة المسيحية فى حين اعتبر الهندوس هذا القرار مفيدا لهم، وظل المسلمون على حالتهم من الجمود حتى كانت ثورة ١٨٥٧ م[2]، وبعد الثورة أُغلقت كلية دهلى وألغى الإنجليز اللغة الفارسية لغة المسلمين كلغة رسمية لانها فى نظرهم لغة الحكومة الإسلامية ورمز للامبراطور المغولى ولما كان من الصعب إحلال اللغة الإنجليزية محلها فورا لهذا اقروا اللغة الأردية بديلاً للفارسية بصورة مؤقتة وقام الإنجليز كعادتهم بتشجيع اللغة الهندية لتقف نداً للغة الأردية واشاعة الفرقة بين أهل البلاد، ومن ناحية أخرى بدأوا فى نشر اللغة الإنجليزية تدريجيًا حتى احتلت الثقافة الإنجليزية مكانة الثقافة الفارسية ومن هنا بدأ الصراع بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية وفرض هذا الصراع أسلحة معينة تتمثل فى اللغة بمفاهيمها الجديدة ودلالتها الحديثة ومصطلحاتها الوليدة ورغم أن كلية دهلى بدأت الإعداد لأسلحة هذا الصراع الفكرى إلا ان الاعداد الفعلى[3] كان متمثلا فى الجانب الثقافى والفكرى من حركة على گڑھ.

ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الأفكار القديمة والجديدة من خلال أنصارهما

---

(١) عبد القيوم: المرجع السابق: ص ٢١.

(٢) عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٧.

(٣) عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ١٠.

وبدأت نظريات الغرب تتسلل إلى المجتمع الهندي عن طريق دعاة التجديد من أمثال السير سيد وحركة على گڑھ وحاول الغب من فيض الغرب ونقل علومهم، ودعا إلى تعلم اللغة الإنجليزية لمسايرة الوضع الجديد والتكيف مع الظروف الراهنة ويرى أن ذلك أنجح طريقة لنهضة المسلمين وعدم تأخرهم عن باقى القوميات الهندية وخاصة الهندوس، وحتى لا يتأخروا عن ركب الحضارة الحديثة. وقد أحس المسلمين بالخطر المشترك تجاه الإنجليز والهنود نتيجة تاثير التعليم الجديد وازدادت شجاعتهم فى مقابلة الأحداث عن طريق تعاونهم مع الإنجليز وكان منهج هذه الحركة فى التعامل مع الإنجليز يؤكد – فى الظاهر – أنهم لا يعادون الإنجليز وكان أسلوب تفكيرهم فى هذه الحقبة ليس شاذًا أو غير طبيعى لان المسلمين واصلوا حربهم للتحرير لقرنين ونصف ولاقوا الفشل المتواصل وتدهورت أحوالهم السياسية والاقتصادية لذا يرى أصحاب هذه الحركة أن تعاملهم مع الإنجليز كان ضرورة واجبة[1]، وظهر اتجاه سلفى محافظ نادى بالرجوع إلى تعاليم الإسلام والعلوم الدينية حتى لا ينصهر المسلمون فى خضم هذه النظريات الغربية. وقرروا علانية إحياء عاطفة الإسلام بكافة المحاولات الممكنة وبدأوا حركتهم الواسعة من أجل ايجاد الصلة بين حضارة المسلمين ونظرية حياتهم وتكونت «حركة ديوبند» لتنفيذ هذه الإصلاحات وبدأوا فى إنشاء المدارس والكتاتيب فى أنحاء الهند بالجهود الذاتية وكانت مدرسة ديوبند هي قلعتهم الايدلوجية وزعيم هذه الحركة مولانا محمد قاسم نانوتوى وبدأ أنصار حركة ديوبند عن طريق إداراتها المنتشرة فى أرجاء الهند بتوجيه اهتمامهم بدراسة تاريخهم وحضارتهم ومُثلهم العظيمة حتى يبنوا مستقبلهم على ضوئها.

وظهرت حركة توفيقية ثالثة مزجت بين القديم والحديث فى محاولة لايجاد التوفيق بين حركتى على گڑھ وديوبند وقد قامت ندوة العلماء بهذا الاتجاه التوفيقى وعلى راسها العلامة شبلى النعمانى الذى قال عند تأسيسها «إن نهضة الشعوب الأخرى هى أن تتقدم إلى الامام أما نهضتنا فهى أن نعود إلى الوراء حتى ننضم إلى عصر النبوة».

وقد قررت ندوة العلماء تحصيل النظريات الجديدة بجانب العلوم القديمة بالقدر الذى لا يضر المسلمين ويبعدهم عن دينهم ومن الضرورى التوفيق بين العلوم القديمة والعلوم

---

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادی میں ارد وکاحصه ص ٢٨٦.

الحديثة أى بين التعليم الديني والدنيوى[١].

ويرى شبلى النعمانى مؤسس ندوة العلماء أن مهمة ندوة العلماء هى تخريج العلماء الذين يستعليعون أن يبلغوا الكمال في أى فن من الفنون[٢].

وقد انعكس هذا الصراع الفكرى على الأدب والشعر، وكان بداية لخروج الادب عن جموده، وتطور النثر الأردى وتنوع أساليبه وكانت اللغة الفارسية هى اللغة الادبية وقد بدأت تنحسر شيئًا فشيء ولا يوجد أدب فى اللغة الاردية جدير بالذكر سوى دواوين شعراء الغزل وعدة كتب نثرية ولم يكن للنثر الأردى المقدرة والصلاحية على تقديم وعرض المسائل العلمية، والشعر الأردى ملئ بالعيوب ولا يستطيع أن يفيد المجتمع، فكان ينبغى إعداد لغة لتحل محل الفارسية وينشأ أدب جديد يصور لهم عظمة الماضى وانحطاط الحاضر ويرتب أصول جديدة لنقد الشعر، وأن يروج نثر جديد لبيان الاحداث والوقائع اليومية بلغة سهلة سلسة لا من أجل عرض قوة الاسلوب بلغة صعبة، وقد قام بهذه المهمة أدباء وشعراء كبار مثل شبلى النعمانى ونذير احمد والسير سيد ومحمد حسين آزاد والطاف حسين حالى وكان للأخيرين دور بارز فى حركة الشعر الجديد ونجحت اللغة الأردية فى ذلك العصر فى إثبات ذاتها كلغة قادره على تناول قضايا الأدب المتشعبة.

---

(١) شبلى النعمانى: مقالات شبلى، مجلس ترقى ادب، لاهور، ١٩٦٥. جـ٣ ص ١٣٨ – ١٤٠.

(٢) شبلى النعمانى: باقيات شبلى – مجلس ترقى ادب، لاهور، ١٩٦٦، ص ١٠١.

١ - حركة ديوبند ١٨٦٦م والاتجاه السلفى القديم

بعد فشل ثورة ١٨٥٧ لم تخمد عواطف العلماء المجاهدين المستمدة من الحركة السياسية والفكرية لشاه ولى الله وأسرته من بعده وقد كان لجهود شاه عبد العزيز وجماعة المجاهدين فى ثورة التحرير دور بارز ومنهم حاجى إمداد الله ومولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد كنگوهى وغيرهم وبعد فشل الثورة انقسم هؤلاء العلماء إلى فريقين: الفريق الأول آثر الهجرة إلى الحجاز برفقة حاجى إمداد الله والفريق الثانى قام بافتتاح مدرسة إسلامية فى ديوبند عام ١٨٦٦م على غرار مدرسة شاه عبد العزيز فى دهلى والتى اغلقت فى أحداث الثورة وبدأوا عن طريق هذه المدرسة فى نشر أفكارهم الدينية والتعليمية وكان هذا الفريق بزعامة مولانا محمد قاسم نانوتوى(*)(١).

وافتتحت هذه المدرسة فى مسجد صغير بقرية ديوبند إحدى قرى محافظة سهارنبور فى عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧ على يد الحاج محمد عابد أحد اتقياء المدينة ثم استلمها مولانا محمد قاسم نانوتوى الذى كرس جهوده لتصبح هذه المدرسة مركزا دينيا ومرجعا روحيا للمسلمين فى جميع الهند وكان من بين علمائها محمود الحسن الديوبندى والمفتى عزيز الرحمن والشيخ حسين أحمد مدنى(٢).

وقد قام هؤلاء العلماء بإنشاء المدارس والمعاهد المختلفة على غرار مدرسة ديوبند لكى يحافظوا على ثقافتهم الإسلامية وعلى علومهم الدينية فى وجه الفكر الغربى حتى يحافظوا على كيانهم من الإنحلال والذوبان بفعل الأفكار الغربية الملحدة وقرروا الجهاد فى ميدان العلم ونشر العلوم الإسلامية وقد قامت هذه المدارس على الجهود الذاتية من

(*) ولد فى قرية «نانوتا» فى سهارنپور عام ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢م ودرس فى مدارس دهلى الدينية واشترك فى الثورة وعمره ٢٥ سنة وكان قائداً عامًا للجيش الذى اعده العلماء وانتصر فى بعض المواقع والقى السلاح بعد سقوط دهلى حتى لا يبطش به الإنجليز واختفى ليظهر ويؤسس هذه المدرسة وتوفى عام ١٢٩٧ هـ/ ١٨٧٩م ودفن فى ديوبند وله مؤلفات كثيرة. (تاريخ الإسلام فى الهند ص ٣٧).

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى ميں اردو كاحصه. ص ٣٢٠ - ٣٢١.
وعبيد الله سند هى: شاه ولى الله اورانکے سياسى تحریک. ص ١٠٥.

(٢) عبد الحليم الندوى: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند. ص ١.

المسلمين حتى لا تقع تحت تأثير أى سلطان أو حاكم حتى تستمر فى أداء واجبها بصمود خاصة وان الحكومة الإنجليزية كانت تحارب هذه المدارس عن طريق الاستيلاء على أوقافها فى حين أنها كانت تساعد المبشرين بقوة وتكثر من فتح المدارس الحديثة. وكانت مدرسة ديوبند أول معهد تعليمى يكونه رد فعل على محور التبشير والتغريب ومكافحة التيار الغربى ويخرّجون منها دعاة الإسلام والوعّاظ وعلماء الدين(١).

وقد بدأت الدراسة فى مدرسة ديوبند فى مسجد صغير لازال قائمًا للآن يسمى «مسجد تشى» بطالب واحد هو «محمود الحسن» وأستاذ واحد هو «ملاقارى محمود» فى المحرم سنة ١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٧م وتحت إشراف العارف بالله مولانا رشيد أحمد(*) الكنگوهى(٢).

وقد قام بالتدريس فى هذه المدرسة محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد كنگوهى ومولانا ذو الفقار على ومولوى فضل الرحمن وجعل مولانا نانوتوى لهذه المدرسة نُظم أساسية ومنهج عمل وقرر المقررات الدراسية والمناهج لسبع سنوات وكانت القاعدة الأساسية لمن جاء بعده فى إدخال التطورات عليها، وبجهود مولانا نانوتوى أقيمت فروع عديدة لمدرسة ديوبند وعلى غرارها فى مراد آباد وسهارنبور وكان مولانا مظهر نانوتوى مديرًا لمدرسة مظهر العلوم التى أقيمت فى سهارنبور وتعددت هذه الفروع حتى وصلت الأربعين وكان من المبادئ الأساسية التى قامت عليها مدرسة ديوبند هو الاستفادة من حزب شاه ولى الله وفيض علمه وتقوم المدرسة بإعداد العلماء بحيث يكون لديهم الرغبة والاستعداد التام للعمل فى المساجد والمدارس، وبعد وفاة مولانا محمد قاسم نانوتوى تولى رشيد أحمد كنگوهى مهمة الإشراف على مدرسة ديوبند والذى بوفاته عام ١٣٢٣ هـ انتهت المرحلة الأولى فى تاريخ هذه المدرسة والذى امتد أربعين سنة

---

(١) محمد على ضناوى: كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث. ص ١٠٦ - ١٠٧.

* ولد فى قرية كنگوه «فى سهارنبور عام ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م ودرس فى مدارس دهلى الدينية واخذ الطريقة الصوفية عن مولانا إمداد الله ثم اشترك فى الثورة وسجن ستة أشهر ثم خرج ليشارك فى تاسيس هذه المدرسة وتوفى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ودفن فى كنگوه وله عده مؤلفات. (تاريخ الإسلام فى الهند - ص ٣٨). وقد اشترك محمد قاسم نانوتوى ورشيد أحمد كنگوهى فى فصائل الثورة وكان لهم نصيب بارز فيها ولا يوجد اى تفصيلات عن ذلك حتى اليوم لان معرفة هذه التفصيلات صعبة للغاية (غلام رسول مهر: اٹهاره سو ستاون کے مجاهد ص ٢٥٠).

(٢) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند. ص ٣٨. ومحمد إكرام: موج كوثر. ص ٢٠٦.

حافظت فيها على مركزها الفكرى ونشر الحركة العلمية التى تجاوزت حدود الهند إلى أفغانستان وتركستان والحجاز حتى وصلت إلى القوقاز، ومن الطلبة الذين تعلموا فى هذه المدرسة وكانت لهم شهرة عظيمة مولانا محمود الحسن، مولانا حسين أحمد مدنى، مولانا ثناء الله أمر تسرى، مولانا أشرف على تهانوى ومولانا عبد الحق حقانى، مولانا سيد أنور شاه كشميرى، مولانا عبيد الله سندهى وغيرهم(١).

ثم تولى مهمة الإشراف على المرحلة الثانية من تاريخ هذه المدرسة مولانا محمود الحسن وكانت المرحلة الأولى بالنسبة للعمل السياسى وكان محمود الحسن أول طالب فى مدرسة ديوبند والتلميذ العزيز لدى مولانا محمد قاسم وقد تولى التدريس فى عام ١٩٠٥ بعد أن أنهى دراسته وورث عن أستاذه عاطفة حب الوطن وقد تيسر له ذلك بصورة عملية، وكون تلاميذه جماعة «جمعية الأنصار» وكان مديرها مولانا عبيد الله سندهى وكان أول جلسة لها فى ١٥ أبريل ١٩١١م وقد أدى قيام هذه الجمعية إلى زيادة الصراع بين على گرطـ هـ وديوبند، وقد اشترك فى هذه الجلسة صاحبزاده آفتاب أحمد خان واتفق مع كلية على گرطـ هـ على أن الطلبة الذين يدرسون الإنجليزية يجب أن يتعلموا العلوم الدينية فى ديوبند وطلبه ديوبند يتعلمون العلوم الغربية فى كلية على گرطـ هـ وبعد ذلك استمر دور ديوبند وعلمائها بارزا فى الهند وخارجها حيث اشترك مولانا محمود الحسن وأيد الحركات التحررية فى العالم الإسلامى مثل الجزيرة العربية وتركيا ومصر للتخلص من الاستعمار البريطانى حتى قبض عليه وظل معتقلاً مع بعض زملائه فى مالطا حتى عام ١٩٢٠م. وفى المرحلة الثالثة لحركة ديوبند انضمت إلى حركة التحرير وساهمت عمليا فى صياغة نظرية باكستان والرابطة الإسلامية وكان من أبرز علمائها فى هذه المرحلة مولانا أشرف على تهانوى(٢).

وقامت مدرسة ديوبند بتعليم الطب والهندسة والتاريخ إلى جانب العلوم الدينية والعربى والفارسى وقد قام الطلبة الذين تخرجوا من هذه المدرسة بنشر الثقافة الإسلامية فى ربوع الهند ونشر المبادئ الإسلامية الصحيحة وحاربوا(٣) البدع.

---

(١) معين الدين عقيل. تحريک آزادى ميں اردو كا حصه. ص ٣٢٠ - ٣٢١.
- عبيد الله سندهى: شاه ولى الله اوران كے سياسى تحريک. ص ١٥١.
- محمد إكرام. موج كوثر. ص ٢٠٧.
(٢) معين الدين عقيل: المرجع السابق. ص ٣٢١ - ٣٢٩.
(٣) محمد إكرام: موج كوثر. ص ٢٠٨.

٢ - كلية على گرڑھ والاتجاه العقلى الحديث

كان نشر التعليم الجديد من أهم المسائل فى راى السير سيد فبالتعليم الجديد يستطيع المسلمون ان يشاركوا فى اعمال الحكومة ويكونوا مؤهلين للوظائف والمناصب الحكومية ويثرى هذا التعليم عقولهم فيصبحون متفتحى الفكر ونموذجا يحتذى به للأجيال القادمة، وعندما ينشب أى صراع اقتصادى أو حضارى بين اقوام الهند المختلفة يستطيعون ان يظفروا بنصيب وافر من المكاسب الحضارية فتعلو مكانتهم ويتقدمون فى مختلف مجالات الحياة الاخرى بدلاً من أن يقتصروا على وظائف الخدمة للاقوام الاخرى[1].

وبناءً على هذا الراى ونتيجة رؤيته لأوضاع المسلمين المتردية عاد وقبل اقتراح اللورد ميكالى - الذى رفضه من قبل - لتعليم المسلمين العلوم الغربية الجديدة والتى قبلها الهندوس واقبلوا عليها وتقدموا فيها بمراحل عن المسلمين وعندما سافر السير سيد إلى إنجلترا عام ١٨٦٩م وزار الجامعات والمعاهد الإنجليزية واطلع على التقدم العلمى والحضارى هناك نشأت عنده الرغبة الشديدة وازداد حماسة لإدخال التعليم الجديد فى مدارس المسلمين، وعندما عاد من إنجلترا سنة ١٨٧٠م بدأفى تنفيذ خططه التعليمية فأسس جمعية راغبى تقدم مسلمى الهند « كميٹى خواستگاران ترقى تعليم مسلمان هند » من أجل وضع الخطط التعليمية للمسلمين وقد قررت هذه اللجنة أن تفتح إحدى الكليات ليحصل المسلمون فيها التعليم العالى لذا تكونت اللجنة المالية للكلية الإسلامية « محمدٹن كالج فنڈ كميٹى » وقابلت الحكومة الإنجليزية هذا الاقتراح بالقبول وساعدتهم على إنشاء هذه الكلية وتبرع اللورد نارتهبروك حاكم الهند بعشرة آلاف روبية لهذه الكلية وفى فبراير ١٨٧٣ أسسوا مدرسة العلوم بعلى گرڑھ وساهم فى إنشائها بجهد كبير كل من سيد محمود وسميع الله خان الذى تولى إدارة هذه المدرسة التى قامت بدور بارز فى تعليم المسلمين العلوم الجديدة، وكان السير سيد فى بنارس فى ذلك الوقت وقام السير وليم ميور بافتتاحها فى ٢٤ مايو ١٨٧٥، والذى يوافق ذكرى الاحتفال بيوم الملكة فيكتوريا وجاء فى ذلك اليوم السير سيد من بنارس وظل

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى. صـ ٤١.

مرتبطا بعلى گرط هـ حتى وفاته عام ١٨٩٨م، وبعد تطوير هذه المدرسة قام اللود لتن بافتتاح كلية على گرط هـ فى يناير ١٨٧٧م، وتطورت الكلية يوما بعد يوم وأحضر السير سيد لها أساتذة أوربيين للتدريس بها مثل البروفسير T. W. Arnold أستاذ الفلسفة ومدرس اللغة الإنجليزية البروفسير والى والذى اشتهر فيما بعد بالسير والنزراى وهو من أشهر نقاذ الأدب الإنجليزى والسير تيودور ماريس ومستر أرجيبيلد وغيرهم من الأساتذة الذين ساهموا فى تقدم هذه الكلية(١). وكانت هذه الكلية مركزا لأفكار السير سيد وخططه الإصلاحية وارتبطت بنشر العلوم الجديدة وقد ساند كثير من المتنورين فى ازدهار ونشر حركة التعليم الجديد مثل محسن الملك الذى قال فى إحدى خطبه «إن لم ناخذ بتطبيق بعض الأعمال الإصلاحية فاننا سنظل نسير إلى الوراء، فقد أصبحت شهرة جهلنا ممتدة من الهند حتى بريطانيا وصرنا مضربًا للأمثال بكراهية التعليم»(٢)، وألطاف حسين حالى ووقار الملك وسميع الله ومولوى نذير أحمد ومولوى جراغ على وذكاء الملك ونواب عماد الملك وعبد الحليم شرر وغيرهم فى المرحلة الأولى، ونواب صدريا رجنگ ودكتور ضياء الدين وحبيب الله خان ومولوى عبد الحق وغيرهم فى المرحلة الثانية وخواجه غلام السيدين ورشيد أحمد صديقى ودكتور عابد حسين ودكتور ذاكر حسين وغيرهم فى المرحلة الثالثة وقد ساهم هؤلاء بأفكارهم وجهودهم فى ازدهار هذه الكلية(٣). وفى سنة ١٨٨٦م أسس السير سيد جمعية مؤتمر التعليم الإسلامى «محمدطن ايجو كيشنل» والذى تغير اسمه فيما بعد إلى «محمدط ن ايجو كيشنل كانگريس» وهو عبارة عن إدارة مركزية مؤثرة هدفها البحث فى كيفية نشر التعليم الجديد بين المسلمين، وقد أثبت هذا المؤتمر أنه أكثر فائدة فى عدة جوانب من كلية على گرط هـ فى إحداث يقظة المسلمين وقد نجح هذا المؤتمر وتعلم المسلمون عن طريقه العلوم الجديدة والنظريات الحديثة وظهرت لديهم ميول ونزعات سياسية جديدة، وقد وضح السير سيد فى هذا المؤتمر حالة المسلمين الحاضرة وقارن فيه بين التعليم القديم والجديد وأكد على ضرورة التكتل من أجل القضايا القومية والدينية وكان هذا المؤتمر يعقد كل عام مرة فى مدينة من مدن الهند ويجتمع فيه وجهاء المسلمين لطرح مشاكلهم وتقديم الحلول المناسبة لها، واهتم بإنشاء الكليات الجديدة على غرار كلية على گرط هـ ويرجع إليه

---

(١) محمد اكرام: موج كوثر. صـ ٨٨، حالى: حيات جاويد صـ ٨٨ – ٨٩.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر مگارى. صـ ٣٠.

(٣) معين الدين عقيل: تحريگ ازادى مين اردوكا حصه. صـ ٢٩١.

الفضل فى إقبال المسلمين على التعليم الجديد بعد أن قاطعوا الكليات التى أنشأها الإنجليز[١].

وقام السير سيد فى سبيل نشر التعليم الغربى وخططه التعليمية بإصدار جريدة سكان الهند «باشندگان هند» وأقام «المجتمع العلمى» لترجمة العلوم الغربية إلى اللغة الأردية، وكان السير سيد يريد أن يقيم جامعة تكون مشعل هداية للمسلمين وتدرس فيها العلوم الغربية والإسلامية فأقام الكلية الشرقية الانجلو إسلامية «محمدڻ ن اينگلواورينٹل كالج» وقد قامت هذه الكلية بدور بارز فى مساندة القومية الإسلامية الهندية وقد تهيأ المسلمون فى هذه الفترة إلى الجهد المنظم ونشأت العديد من الإدارات التعليمية فى مختلف مدن الهند تحت تأثير حركة السير سيد[٢] ومنها الكلية الشرقية بلاهور «أورينتل كالج لاهور» من أجل نشر أهداف جمعية البنجاب «انجمن پنجاب» العلمية وكان من أهدافها إحياء بعض العلوم الشرقية القديمة ونشر العلوم المفيدة بين سكان الهند عن طريق اللغات المحلية والتباحث فى المشكلات الادبية والاجتماعية وكان الدكتور لايتنر مرشد هذه الجمعية فأراد أن يقيم جامعة تمتزج فيها العلوم القديمة والجديدة وتسمو بالجوانب الخلقية والعقلية للهنود فبدأ بإنشاء مدرسة العلوم الشرقية عام ١٨٦٥م والتى أصبحت الكلية الشرقية فى لاهور عام ١٨٧٢، وقامت هذه الكلية بتنفيذ أهداف جمعية البنجاب.

ومن هذه الإدارات التى نشأت بتأثير من حركة على گڑھ التعليمية جمعية حماية الإسلام «أنجمن حمايت إسلام» بلاهور وأسسها قاضى حميد الدين ومولوى غلام الله قصورى عام ١٨٨٤م، وكان هدف هذه الجمعية تعليم الأولاد والبنات العلوم الدينية بالإضافة إلى العلوم العامة ونشر الإسلام والدفاع عنه عن طريق الندوات والمطبوعات التى كانت تصدر عن هذه الجمعية، ومن أجل نشر أهدافها أصدرت فى البداية مجلة «انجمن حمايت إسلام» وقامت بتصنيف عدة كتب دراسية وكانت الجمعية تقيم كل عام مؤتمرا تدعو فيه علماء المسلمين لبحث الموضوعات الدينية ويلقى فيها الشعراء قصائدهم القومية والدينية وسرعان ما قامت فروع عديدة لها فى مختلف مدن الهند عن طريق اهتمام هذه الجمعية بإقامة المدارس والكليات المختلفة[٣]. وقد نظم حالى قصيدة

---

(١) معين الدين عقيل: تحريگ آزادى مين اردوكا حصة. صـ ٧٧٤.

(٢) معين الدين عقيل: المرجع السابق. صـ ٧٥٣.

(٣) معين الدين عقيل: المرجع السابق. صـ ٧٥٧.

للتنويه بأهداف وأعمال جمعية حماية الإسلام فى لاهور وذلك فى إبريل ١٩٠٤م، فى الجلسة السنوية للجمعية فى لاهور وقد اشترك فى هذه الجلسة محمد إقبال وألقى قصيدة وقد أعجب بها حالى[١]. وكانت هذه الجمعية تؤيد حركة على گرڑھ فى مجال السياسة والتعليم وتخالفها فى آرائها الدينية ولذلك أقبل عليها الكثير من العلماء والمفكرين وانضموا إلى عضويتها.

وبعد وفاة السير سيد فى ٢٧ مارس ١٨٩٨م تولى إدارة كلية گرڑھ مولوى محسن الملك ونواب مهدى على خان وتطورت هذه الكلية حتى تحولت إلى جامعة عريقة يأتى إليها طلاب العلم من مختلف أنحاء شبه القارة الهندية وخارجها.

أثر حركة على گرڑھ على الأدب الأردى

أ - أولاً: النثر:

أحدثت حركة على گرڑھ انقلاباً عظيماً فى الادب الاردى والقت هذه الحركة بظلالها على فنون الادب الاردى المختلفة، وكان النثر عرضة لهذه التأثيرات لان لغته أكثر قربا من رجل الشارع من ناحية واكثر سهولة وبساطة من لغة الشعر التى تحتاج جهداً مضاعفاً من الشاعر وقد يضطر إلى استعمال الكلمات الصعبة والبعيدة عن ذهن العامة من أجل المحافظة على صناعة شعره والخروج به بصورة ترضى المتلقى بالإضافة إلى أن لغة النثر ملائمة لصياغة الافكار الإصلاحية، وهذا مادعا السير سيد إلى إصدار جريدة «تهذيب الاخلاق» ونشر افكاره بلغة سهلة سلسة قريبة من تفكير الرجل العادى.

وكان السير سيد يكره التكلف فى النثر الاردى ولا يعتبر أن الجناس والسجع واللعب بالالفاظ من محاسن النثر، وقد كانت الزينة اللفظية من أهم سمات النثر قبل حركة على گرڑھ بغض النظر عن تقديم الفكرة كما يتضح ذلك فى عبارات «فسانة عجائب» المليئة بالتصنع والتكلف والسجع، ومؤلفات صهبائى تعتبر نموذجا لهذا العصر وشاهداً لما وصل إليه تدهور النثر الاردى وبعده عن السلاسة والوضوح، وحتى الطبعة الاولى من كتاب «آثار الصناديد» للسير سيد مليئة بالتكلف[٢] الذى كان لغة النثر فى عصره ولكن السير سيد تدارك ذلك وأعاد كتابته بلغة سهلة تتناسب مع ما يدعو إليه من تخليص النثر من هذه الطلاسم والعيوب، حتى راجت بفعل حركته طريقة جديدة فى

---

(١) حالى، كليات نظم حالى جـ ٢ - صـ ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٥٨.

الكتابة تؤدى المعنى للقارىء فى سهولة ويسر وقد ساعده فى حركته هذه كل من شبلى النعمانى وحالى فقضوا على النثر المسجع والمقفى وأصبح النثر يتميز بالسلاسة والوضوح والبساطة ويتضح ذلك فى مؤلفات حالى النثرية مثل « حيات جاويد » و « يا دگار غالب » و « حيات سعدى » وغيرها وسنتعرض لها فى الصفحات القادمة.

وبفضل حركة على گڑھ الأدبية استحدثت بعض الفنون الأدبية فى النثر الأردى ولم يكن لها وجود من قبل مثل المقال وقد ازدهر هذا الفن بفعل مجلة « تهذيب الأخلاق » والمجلات المعارضة لها، وتطورت القصة الأردية بفعل قصص نذير أحمد الذى يعتبر رائداً فى هذا المجال كما تطورت الرواية أيضاً والمسرحية النثرية، وازدهر فن التراجم والسيرة الذاتية وكان من قبل عبارة عن المدائح وذكر مناقب صاحب السيرة الذاتية ويعتبر ألطاف حسين حالى من رواد هذا الفن هو شبلى النعمانى الذى برع فى كتابة التاريخ(*)، كما ظهرت قواعد جديدة للنقد الأدبى وكتب الطاف حسين حالى أول كتاب محدد فى نقد الشعر وهو « مقدمة شعر وشاعرى » كما ازدهرت اللغة الأردية فى ذلك العصر وبدأت تنتشر فى أنحاد الهند واحتلت مكانة اللغة الفارسية ثقافيا وأدبيا وعلميًا وبدأ تأثير اللغة الإنجليزية على النثر الأردى فى استعمال مفرداتها يكثر فى كتابات أدباء هذا العصر وعلى رأسهم السيد سيد ورفاقه وكانت بداية كتابه الموضوعات العلمية فى النثر الأردى. ويقول الشيخ محمد إكرام: يوجد فى الهند الآن كُتّاب عظام فى النثر الأردى يملكون أسلوبًا خاصًا ويتميزون به، ولا يوجد أحد منهم لم يتأثر من قريب أو بعيد بأسلوب السير سيد، ويدعى البعض منهم أنه اخترع طريقة جديدة فى الكتابة تختلف عن باقى الكتاب ولكنه مع ذلك يبقى متأثراً بأسلوب السير سيد »(1).

ب - ثانيًا: الشعر:

امتد تأثير حركة على گڑھ إلى الشعر أيضًا وكان الشعر يتميز فى هذه الحقبة بالغموض والإغراق فى الخيال والمبالغة واقتصر الغزل أشهر فنون الشعر الأردى على الغزل الحسى وابتعد الشعر عن الواقع وتقيد بالصنعة اللفظية على حساب الفكرة وتبارى الشعراء فى تعقيد الشعر بقضايا فلسفية عقيمة وتخير الأوزان الصعبة والرديف النادر

(*) ترك لنا شبلى النعمانى العديد من الكتب التاريخية مثل: سيرت النبى، سيرت النعمان سوانح مولانا روم، الفاروق، المامون، الغزالى.

(1) محمد إكرام: موج كوثر. ص ١٤١.

وكان غاية الشاعر الأردى المنشودة زخرفة أشعاره بكلمات فارسية ونظم الشعر تقليداً لشعراء إيران الكبار، ولم يتطرق الشعر إلى موضوعات تتعلق بالمجتمع والحياة العامة فضلا عن تصويره المناظر الطبيعية التى يطلق فيها الشاعر العنان لخياله فيقوده إلى مكنونها.

وهنا ثار السير أحمد خان وأعلن أن تطور الشعر لا يكون باستعمال الافكار الغامضة والإغراق فى المبالغة وقد وقف السير سيد على حقيقة الادب وخاصة الشعر وكان يعرف ما هو الدور الذى يستطيع أن يؤديه هذا الساحر بالنسبة لإصلاح المجتمع لذلك أراد أن يخرج الأدب من نطاق الخواص ويصطبغ بالطابع الشعبى لذلك طلب من حالى لسانه الشعرى أنه «من المفيد لو وضحت بالشعر حالة الضعف الراهنة للمسلمين»[1] فقام حالى بنظم المسدس وصور فيه أحوال المسلمين فى الماضى والحاضر وكان أول من نظم الشعر فى مهمة إصلاحية وترجم أفكار السير سيد شعراً وكتب حالى فى مقدمة المسدسى عن حالة الشعر فى عصره فيقول: إن أهل الذوق فى بلدنا لا يفضلون هذا النوع من النظم الجاف البسيط لان فيه ترجمة للوقائع التاريخية وبعض الآيات والاحاديث ويصور حالة القوم الراهنة تصويراً صحيحًا ليس فيه دقة الخيال ولا تنوع الاسلوب ولإعادة المبالغة والتكلف.. ولم أنظم هذا الشعر من أجل التلذذ والاستحسان لكن من أجل أن يثير فى الناس نار الحمية والغيرة»[2]، ويبدو من عبارة حالى الاخيرة مهمة الشعر الجديدة فهى من أجل الإصلاح وخدمة المجتمع وليست للتسلية والاستحسان والتفكه والتفنن فى استعمال اللغة الشعرية وبهذا يتضح فهم حالى للمهمة التى أوكلت إليه وبداية لتأثر الشعر الاردى بالنظريات الغربية الجديدة فى الشعر وخاصة «نظرية الفن للمجتمع» التى قامت على أنقاض «نظرية الفن للفن» وبهذا يكون حالى قد أحدث تغيراً هامًا فى الشعر الاردى من ناحية المضمون تأثرا بفيض حركة على گرطه التعليمية. وكان السير سيد قد اطلع على الشعر الإنجليزى وتأثر بأعمال استيل وايديسن وبأفكار ملتن وشيكسبير فأراد أن يرى الشعر الاردى وقد أصبح أداة لإصلاح المجتمع والحياة الاخلاقية والاجتماعية ويرى أن ذلك لن يتحقق إلا بالصدق والإخلاص وساهمت آراء السير سيد فى تطوير فن الشعر وحدد طريقة تطور الادب من حيث صدق العواصف والطبيعية فى النظم والموضوعات المؤثرة البسيطة والاسلوب القريب من

---

(١) حالى، ترجمة حالى (كليات نثر حالى. جـ ١) صـ ٣٤٠.

(٢) حالى: مسدس حالى. صـ ٥.

الحقيقة والواقعية[1] – وهذه شروط الشعر الجيد كما حددها ملتن – وتأثر بها السير سيد فأوحى بها إلى حالى الذى أقام عليها نظريته فى نقد الشعر كما سنرى عند تحليلنا لكتاب «مقدمة شعر وشاعرى» وكانت هذه المقترحات قريبة من ذهن حالى لذلك تأثر بسرعة فائقة بأفكار السير سيد وأنس بها وحاول التجديد فى الشعر وكانت البداية فى لاهور حين «حقق محمد حسين آزاد رغبته القديمة عام ١٨٧٤ بإقامة ندوات شعرية جديدة من نوعها بالنسبة للهند بإيعاز من كرنيل هالرايد مدير عام التعليم بالبنجاب وفيها يختار الشعراء أى موضوع ينظمون حوله الشعر بدلا من تحديد مصرع من بيت يلتزم الشاعر قافيته ووزنه فى شعره[2] » ثم يقول حالى: وقد نظمت فى هذه الندوات أربعة مثنويات الأولى فى موسم المطر «برسات» والثانية فى الأمل «اميد» والثالثة فى العدل «أنصاف» والقصيدة الرابعة فى حب الوطن «حب وطن»، وهذه القصائد فى غاية الرقة والجمال والجاذبية وخاصة قصيدة حب الوطن التى لا مثيل لها ولم ينظم أحد شعراً مؤثراً فى هذا الموضوع ومليئًا بالإخلاص قبل حالى[3].

وبالفعل بدأت أول مشاعرة «ندوة شعرية» عن موسم المطر (بركهاتُ) فى ٨ مايو ١٨٧٤ واشترك فيها مع حالى تسعة شعراء هم أنور حسين هما، أشرف بيگ أشرف، الهى بخش رفيق، محمد حسين آزاد، محمد مقرب على، ولى دهلوى، قادر بخش، عطاء الله، علاء الدين محمد[4]. وقد لاقت هذه الأشعار معارضة من الناس فى البداية ولكن فى خلال أربع عشرة سنة أصبحت مؤثرة بحيث يسمع صداها فى مدن الهند المشهورة[5]. وقد استمرت هذه الندوات أحد عشر شهراً وكانت تعقد مرة كل شهر فى مقر الجمعية «انجمن پنجاب» وكان الهدف من هذه الندوات توسيع مجال الشعر الأسيوى الذى كان أسيراً للمبالغة والكذب والعشق بقدر الإمكان ويقيموا أساسه على الحقائق والاحداث الحقيقية[6]. وتعتبر هذه الندوات الشعرية بداية الشعر الأردى الجديد من حيث الموضوعات والأساليب والدعوة إلى الواقعية وتجنب المبالغة والتكلف

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٥٣.

(٢) حالى: ترجمة حالى صـ ٣٤٠.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ ٤٠.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ ٣٤.

(٥) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كا خصوصى مطالعة صـ ٦.

(٦) حالى: مقدمة مجموعة نظم حالى. ضمن كليات نظم حالى جـ ١، صـ ٥١.

والتصنع مع الالتزام بالبساطة والواقعية[1]. وبدأت نهضة شعرية امتد أثرها فى معظم مدن الهند، وقد قامت حركة معارضة للشعر الجديد وعارضت هذه الحركة التحرر فى الفكر واللغة والشعر ويمثل هذا الاتجاه المحافظ مجلة «أود هـ بنج» التى أصدرها منشى سجاد حسين فى لكناؤ عام ١٨٧٧م[2]، وانضم إلى هذا الاتجاه الشعراء التقليديون وأصبحت حركة قومية تسمى «حركة أود هـ بنج» وكانت مجلة «أود هـ بنج» تدافع عن التقاليد الإسلامية وتدعو إلى الثقافة الإسلامية على العكس من مجلة «تهذيب الأخلاق» التى كانت تروّج للحضارة الغربية، وقد انتقدت مجلة «أود هـ بنج» الخروج على موضوعات الشعر القديم وانتقدت أشعار حالى وآزاد بأسلوب لاذع وساخر وكان الشاعر الساخر أكبر اله آبادى على رأس المعارضين للشعر الجديد ونظم شعراً كثيراً فى نقد قادة حركة على گرڑھ وعلى رأسهم السير سيد وقد ساعدت هذه الانتقادات على ظهور بيئة أدبية ملائمة لازدهار الشعر الأردى وبدأ الشعراء يهتموا بالموضوعات الحيوية التى تفيد الحياة اليومية وهموم المجتمع وبدأ الغزل الأردى فى الاهتمام بموضوعات جديدة فلم يعد شاعر الغزل ينظم الشعر فى محاسن المرأة فحسب بل أخذ ينظم الغزل فى موضوعات عديدة فى السياسية والمنطق والفلسفة والاجتماع وتنوعت الموضوعات بتنوع التجارب الإنسانية وأصبحت أكثر رحابة من ذى قبل وأصبح الشاعر على صلة بقومه وأخذ يتفاعل معهم وبالتالى استخدم غزله كأداة إصلاحية بعد أن كان فى غزله بعيداً عن هذه الحياة وكان حالى هو اللسان الشعرى لحركة على گرڑھ وأبرز الشعراء فى حركة التجديد ويتضح ذلك عندما نقارن بين غزليات حالى القديمة والجديدة فنرى فرقًا واضحا من حين الشكل والمضمون وفى الباب الثانى إن شاء الله سأتناول اقتراحات حالى لإصلاح فنون الشعر الأردى وخاصة الغزل فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى».

---

(١) عبادت بريلوى: جديد شاعرى صـ ١٢ - ١٤.

(٢) غلام حسين ذو الفقار اردو وشاعرى كاسياسى اورسماجى پس منظر صـ ١٠٧.

٣ - ندوة العلماء والاتجاه التوفيقى

استمر الصراع قائمًا بين دار العلوم ديوبند التى اهتمت بالعلوم الدينية القديمة فى مقرراتها، وبين كلية على گڑھ التى راعت تطبيق المناهج الغربية فى التعليم وقامت بتدريس العلوم الحديثة وبذلك قامت كل مؤسسة منهما على أهداف خاصة بها وانتهجت كل منهما طريقًا مختلفًا عن الآخر بحيث أصبح من الصعب أن تؤتى كل من هاتين المؤسستين ثمراتهما الإصلاحية نتيجة هذا الصراع وأصبح من العسير على كل مؤسسة منهما أن تقوم بمهمة إصلاحية بمفردها وكان من الضرورى أن يمتزج القديم بالجديد وتحقق ذلك بقيام « ندوة العلماء » التى حاولت ايجاد نوع من التوافق بين النظام التعليمى القديم والجديد فقامت بتدريس العلوم الغربية الحديثة بجانب العلوم العربية والدينية القديمة.

وكانت ندوة العلماء إحدى المحاولات لتضييق الهوة بينهما وراعت الفرق بين الإطار الفكرى لكل من الاتجاهين وقد وردت فكرة إنشاء هذا المعهد فى ذهن شبلى النعمانى والشيخ محمد على المونگيرى وبعض العلماء الآخرين حيث يدرس فيه العلوم الغربية طبقًا لضروريات العصر وسرعته المتغيرة إلى جانب العلوم الدينية القديمة وبذلك تكون الندوة مرحلة توفيقية بين اتجاه « ديوبند » السلفى واتجاه « على گڑھ » العصرى، وتكوّن مجلس « ندوة العلماء » عام ١٨٩٢م وتشكلت « دار العلماء » عام ١٨٩٤م ووقّع عدد كبير من العلماء على وثيقة مجلس الندوة ومنهم محمد لطف الله وشاه محمد حسين ومولانا أشرف على تهانوى ومولانا محمد على مونگيرى ومولانا محمود الحسن الديوبندى[١] ووجه هؤلاء العلماء اهتمامهم إلى الحياة الاجتماعية ورتب شبلى النعمانى وعبد الحق حقانى قواعد الندوة ولوائحها وكان هدفها ازدهار المدارس الحربية ورواجها ونشر الإسلام وحل النزاع المتبادل فى الأفكار المختلفة بين العلماء، وإصلاح المقررات الدراسية وتطوير علوم الدين وإنشاء دار للإفتاء[٢]، وقد أدرجت فى البداية تحت اسم « دار العلوم بلكناؤ » ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م ثم فروعها من المدارس، وقد اهتمت

---

(١) معين الدين عقيل: تحريكـ آزادى ميں ارد وكاحصة صـ ٣١٥.

(٢) رام بابوسكسينه: تاريخ أدب اردو صـ ٤٦٩.

دار العلوم بالمقررات الدراسية ويستطيع الدارس أن يكملها فى ثمان سنوات وتضم اللغة الإنجليزية والرياضة والجغرافيا بالإضافة إلى العلوم الدينية وأخذت المقررات تتغير وتتبدل بعد ذلك وقد انتخب العلامة شبلى النعمانى مديراً لها فقام بمنع تدريس اللغة الإنجليزية فى السنة الثالثة وفى سنة ١٩٠٨م أعطته الحكومة الإقليمية خمسمائة روبية مساعدة فأعاد تدريس اللغة الإنجليزية حتى الصف العاشر وشمل المقرر فى ذلك العام اللغة السنسكريتية والهندية[١] . وقد قام برسكات هيوم حاكم الممالك المتحدة بوضع حجر الأساس لدار العلوم فى ٢٨ نوفمبر ١٩٠٨م وقام حالى بنظم قصيدة[٢] بهذه المناسبة نزولاً على رغبة شبلى ولكنه لم يلقها بنفسه بسبب مرضه وقد أيد حالى الندوة فى هذه القصيدة ونوه بأهدافها وكان حالى من أنصار التعليم الدينى مع الاستفادة بالتعليم الإنجليزى بقدر الحاجة فقط . وقد مرت المراحل الأولى للندوة بسلام ولكنه سرعان ما ظهرت بوادر الخلافات بين شبلى مدير الندوة وباقى الأعضاء الآخرين، فقدم استقالته من إدارة الندوة فى يوليو ١٩١٣، وقام بتأسيس « جمعية إصلاح الندوة » مع حكيم أجمل خان وأبو الكلام آزاد[٣]، ولم تنل الندوة الشهرة والعظمة التى كانت لها أيام شبلى وقد كانت تجربة الندوة هامة بالنسبة للمسلمين فى شبه القارة الهندية وكان لها دور بارز فى نشر الثقافة الإسلامية وتخريج علماء ومؤلفين كانوا ملتقى للثقافتين وبرزخًا بين الطائفتين وقد غيرت ندوة العلماء المناهج القديمة التى لا تتوافق مع حاجات المجتمع الإسلامى الجديد، واهتمت باللغة العربية والفارسية وعلوم الحديث والتفسير وقدمت كتبًا كثيرة فى مجال التاريخ والحضارة الإسلامية وقامت بترجمة صحيحة للقرآن الكريم وأصدرت مجلة « الندوة » وأشرف عليها شبلى النعمانى ومولوى حبيب الرحمن شيرانى وقامت بنشر موضوعات قيمة دعمّت أهداف الندوة وأسس شبلى دار المصنفين فى أ عظم گرﮌ هـ سنة ١٩١٣م فقامت بخدمات جليلة فى مجال التاليف والنشر وقام شبلى بتصنيف « سيرة » النبى[٤] فى مجلد وبتاليف شعر العجم فى خمسة مجلدات .

وقد استمرت ندوة العلماء فى أداء واجبها حتى اليوم برغم المعارضة التى لاقتها

---

(١) معين الدين عقيل :المرجع السابق صـ ٣١٦ .

(٢) حالى : كليات نظم حالى جـ ٢ صـ ٣١٦ وجواهرات حالى، صـ ٩٤ .

(٣) محمد إكرام : موج كوثر صـ ١٨٩ .

(٤) رام بابوسكسينه : تاريخ أدب أردو صـ ٤٧٢ – ٤٧٣ . محمد إكرام : موج كوثر صـ ١٨٩ – ٢٥٥ ومعين الدين عقيل . تحريک آزادى مين اردو كاحصة صـ ٣١٧ .

فى بداية إنشائها من السير انطونى ميكدونيل الذى قوض دعائم الأردية فى إقليم بهار وكان حاكمًا للولايات المتحدة ومن أشد المعارضين للندوة من جهة ومن السيد أحمد رضا خان بريلوى الذى قام بكتابة عدة رسائل حماسية معارضة للندوة وأقام جماعة معارضة لها فى كلكتا سماها « جدوة »(١)، ولكن رغم هذه المعارضة استطاعت الندوة أن تقوم بدورها فى التوفيق بين التيار الدينى فى ديوبند والتيار العلمانى فى على گرهـ ونشأ نوع من التعاون بين التيارين ونجحت فى التقريب فى وجهة نظر الطرفين وقد رحب السير سيد ومحسن الملك ووقار الملك بالندوة.

•

(١) رام بابوسكسينه. المرجع السابق صـ ٤٧٠. انظر أيضًا: عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند، صـ ٣٤، ٣٥.

الفصل الثاني

حياتـــه وثقافتـــه

١ - حياته ومؤلفاته

٢ - ثقافته وشخصيته

١ - حياة ألطاف حسين حالى

ولد حالى سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م فى حى الأنصار بپانى پت وهى مدينة تبعد ٥٣ ميلاً عن دهلى من ناحية الشمال، وهو الطاف حسين بن ايزد بخش، بن خواجة بو على بخش، بن خواجه محمد بخش، بن خواجة غلام محمد، بن خواجة عبد السحبان، بن خواجة عبد الكريم، بن خواجه مسلم بن خواجة زين الدين أحمد، بن خواجة عبد الكافى، بن خواجة ضياء الدين، بن خواجة أبو راشد، بن خواجة أبو حامد، بن خواجة أبو تراب، ابن خواجة نصير، بن محمود بن قاضى خواجة ملك على، وينتسب حالى إلى أسرة الأنصار الذين جاءوا إلى پانى پت من سبعمائة عام واستقروا بها وذلك فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى وكان غياث الدين بلبن على عرش دهلى، أما « حالى » فهو تخلصه الشعرى وقد اشتهر حتى أصبح جزءاً من اسمه[١].

وأمه هى « سيدانى » من أسرة السادات المعروفة باسم « شهد ابور » وتلتقى سلسلة نسبها بالصحابى الجليل ابى أيوب الأنصارى. وكان أجداده علماء دين عظام. فكان ميرك على شاه حاكم هراه لدونما سبب ترك ابنه ملك[٢] على الحكم والثروة ورحل إلى الهند التى اشتهر حاكمها غياث الدين بلبن (٦٦٤ - ٦٨٦ هـ) بأنه يُكرم أُسر الأشراف القديمة حتى وفد عليه كثير من أسر الأشراف وأهل العلم من إيران وتركستان، وقد

---

(١) افتخار صديقى : كليات نظم حالى : جـ١ ص ٢.
- إسماعيل پانى پتى : تذكرة حالى ص ١٨.
- حالى : ترجمة حالى ص ٣٣٠ (ضمن كليات نثر حالى جـ١) تاليف محمد إسماعيل پانى پتى، ونقل عن حالى كل المترجمين له، انظر: محمد إسماعيل پانى پتى : تذكرة حالى : ص ١٣، وصالحة عابد حسين يادگار حالى ص ٢٥. وقد كتبها فى ديوانه بعنوان « ترجمة حالى » وفى مقالات حالى : جـ١، ص ٢٦١ وافتخار صديقى « كليات نظم حالى جـ١ ص ١ بعنوان بيان حالى. وكان حالى قد كتبها عام ١٩٠١ بناءاً على طلب احد المؤلفين الإنجليز فارسلها له واحتفظ بصوره منها وظل يختصرها ويعيد صياغتها حتى كانت على هذه الصورة المعروفة ونشرها محمد إسماعيل پانى پتى عام ١٩٣٩م (كليات نثر حالى : ط ١، ص ٣٢٨).

(٢) خواجة ملك على : من كبار أسرة الأنصار وكان اول من جاء منهم إلى پانى پتت مع ابنائه خواجة محمد مسعود وخواجة محمد نصير الدين سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م، وتوفى عام ٧١٨ هـ (كليات نظم حالى. جـ١. ص ٢).

حملت هذه الشهرة خواجة ملك على للسفر إلى الهند حيث كان غياث الدين يريد عدة أشخاص ليسند إليهم مهام تحصل الأموال والضرائب من پانى پت فجاء ملك على واستقر فى حى الانصار المشهور حتى الآن فى پانى پت وأصبحت وطنا لأجداد حالى منذ ذلك الوقت ونال أولاد خواجة ملك على امتيازات كثيرة منذ بداية عهد الدولة المغولية حتى حكام أوده واغدق عليهم سلاطين المسلمين الأموال والهبات، ويقول حالى «كان آبائى واجدادى بقدر ما أعلم لم يتولوا أى وظيفة فى دهلى ولكناو، وكان أبى أول من اختار وظيفة فى مكتب التصاريح والرخص لدى الحاكم الإنجليزى»[1].

وكان حالى أصغر أخوته، وكان أكبرهم خواجة امداد حسين وأخته الكبرى أمه الحسين والصغرى وجيهة النساء وقد أصيبت أمه[2] بخلل فى عقلها بعد ولادته ومات أبوه ايزد بخش وهو فى الأربعين من عمره عام ١٨٤٥م، وذاق حالى مرارة اليتم وهو فى التاسعة من عمره وانفصل عن أحضان وحنان والديه منذ طفولته وقام أخوه الاكبر خواجة امداد حسين بتربيته ويقول حالى «عندما وصلت إلى سن الرشد لم أجد من يرعانى سوى أخى وأختاى»[3]، وطبقًا لعادة أهل عصره بدأ حالى فى حفظ القرآن الكريم وهو فى الرابعة واشتهر بتجويده للقرآن على يد الشيخ ممتاز حسين[*] وحفظ

---

(١) حالى. ترجمة حالى. ص ٣٣٢.

(٢) شجرة نسب حالى من ناحية الأم هى: الطاف حسين حالى بن أمة الرسول (زوجة خواجة ايزد بخش) بنت سيد محمد شفيع بن سيد محمد أمين، بن سيد عبد الرحمن، بن سيد عبد الرحيم، بن سيد أبو القاسم، بن سيد على، بن سيد منجهو، بن سيد محمد سيد أمجد، بن سيد نعمت الله، بن سيد اخوند ابن سيد حسام الدين، ابن سيد شمس الدين، ابن سيد معظم، ابن سيد مرتضى، ابن سيد نور الدين، ابن سيد مغيث، ابن سيد محمد، ابن سيد موسى مكحول، ابن سيد أبو جعفر، ابن حضرة سيد إسماعيل شهيد، ابن حضرة سيد أحمد، ابن حضرة إمام أبو القاسم إسماعيل شهيد شهد اپورى، بن حضرة سيد محمد ناطق، ابن حضرة إسماعيل ناطق، ابن حضرة إمام جعفر الصادق بن حضرة إمام أبو جعفر محمد باقر، بن حضرة الإمام على زين العابدين بن حضرة سيدنا الإمام الحسين، ابن حضرة السيدة فاطمة الزهراء بنت حضرة محمد ﷺ.

(حالى: ترجمة حالى: ص ٣٣٢ - ٣٣٣) و (حالى: كليات نظم حالى جـ ٢ ص ٣).

(٣) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٣.

(*) كان من اشهر القراء الموجودين فى محلة الأنصار، وجاء اسمه «ممتاز حسين» أيضًا فى كتاب شجاعت على سنديلوى - «حالى بحيثيت شاعر» ص ١٥، ولكن محمد إسماعيل پانى پتى فى «تذكرة حالى» ص ٤٤ - ٤٥، وافتخار صديقى كليات نظم حالى جـ ١ ص ٤ يذكران أن اسمه ممتاز على.

القرآن فى فترة وجيزة وكان يملك ذاكرة قوية حتى مدحه العلماء والقراء الكبار[1].

وكان حالى متشوقا للتعليم منذ صغره، ولكنه لم تسنح له الفرصة فى تحصيل العلم بصورة منظمة، فبعد حفظ القرآن تعلم اللغة الفارسية على يد سيد جعفر على الذى كان أديبًا فتأثر حالى بصحبته ليس فى الأدب واللغة الفارسية فحسب بل بدأت تتفتق قريحته بنظم الشعر، «وبدأ يتشوق لتعلم اللغة العربية وما هى إلا أيام قليلة حتى جاء الشيخ إبراهيم حسين الأنصارى من لكهنو بعد أن نال اجازة فى الامامة فقرأ عليه كتب فى النحو والصرف العربى »وبعض الكتب العربية، وأراد أن يكمل تعليمه وكان عمره فى ذلك الوقت سبعة عشرة سنة فأرادت أسرته أن تزوجه حتى يتحمل المسئولية مع أخيه الأكبر امداد حسين ولم تكن عنده الرغبة فى الزواج لأنه يعلم أن الزواج سيحول بينه وبين رغبته فى اتمام تعليمه ولكن حالى أزعن لرغبة أخيه فقد كان بمثابة أبيه فاضطر إلى الزواج حتى لا يعصى لأخيه أمرًا وتزوج سنة ١٨٥٢م من إسلام النساء بنت خاله سيد مير باقر على، وزوجته من أسرة كريمة من السادات، ولكن لم تفتر عنده الرغبة فى طلب العلم، وكانت زوجته ثرية فاغتنم حالى هذه الفرصة فلم تكن زوجته عبئًا عليه، وقرر الذهاب إلى دهلى لإكمال تعليمه وكانت دهلى مركزًا للعلوم والآداب فى ذلك الوقت «ولم يكن هناك وسيلة للسفر من پانى پت إلى دهلى فى ذلك الوقت سوى عربات تجرها الخيول أو الثيران، وخرج حالى متخفيا من زوجته وأهله وسافر إلى دهلى ماشيًا على قدميه بدون أن يأخذ أى متاع معه وفى أثناء سفره قطع بعض المسافات فى أحد هذه العربات، ووصل دهلى بعد مشقة وهو خالى الوفاض والتحق بمدرسة حسين بخش بالقرب من مسجد دهلى الجامع وكان يدرس بها الواعظ المشهور مولوى نوازش[2] على وبدأ فى تحصيل العلم بعناء فقد كان يسكن فى هذه المدرسة ولم يكن يجد ما يفترشه أحيانًا ويظل الليالى جائعًا[3]، وقد استفاد حالى من حلقات الدرس

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) نوازش على: هو واعظ مشهور ومدرس فاضل كان يقيم فى قرية هابرطى مركز كيتهل فى إقليم كرنال وقد قرأ عليه السير سيد أحمد خان وكان يدرس فى مدرسة حسين بخش، ويقول خواجة سجاد حسين الابن الأكبر لحالى: «فى زمن إقامة ابى فى دهلى كان يضع لبنتة أو لبنتين كوسادة تحت راسه وكانت تمر عليه أيام عديدة فى فقر مضجع وربما لم يكن يستطيع الحصول على الطعام وبسبب هذه المحنة تدهورت صحة الوالد فى شبابه وظل دائمًا مريضًا».

(كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٦٠٥) و (تذكرة حالى: ص ٤٠).

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى، ص ٢٧، ٢٨.

التى يلقيها ميان سيد نذير حسين[١] ومولوى أمير أحمد[٢] ومولوى فيض الحسن[٣].
وكان التعليم الإنجليزى قد بدأ ينتشر قليلا فى الهند فى ذاك الوقت فقد كانت كلية دهلى « دهلى كالج » القديمة فى أزهى عصورها غير أن حالى كان يتجاهل هذا التعليم تماماً ويقول حالى : « إن المجتمع الذى نشأت فيه كان يعتبر العلم منحصراً فقط فى اللغة العربية والفارسية وفى البداية لم أسمع فى مكان ما ذكر للتعليم الإنجليزى وبصفة خاصة فى پانى پت ولم يكن عند الناس فى ذلك الوقت أدنى فكرة عنه سوى القدر اليسير منه بسبب خدمه الحاكم الإنجليزى ولم أحصل من هذا التعليم أى قدر »[٤]، فقد كانت أهل بلدته پانى پت يعتبرون التعليم الإنجليزى بدعة وذنباً لا يغفر ويطلقون على المدارس الإنجليزية اسم « المجهلة » أى مكان الجهل و « عندما وصلت إلى دهلى كنت أقيم فى هذه المدرسة ليلاً ونهاراً وكان الناس هناك يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا فى هذه الكلية جهلة ولم أفكر فى التعليم الإنجليزى وبقيت فى دهلى عام ونصف وفى تلك الفترة لم أذهب لرؤية هذه الكلية ولم التق بالذين تلقوا تعليمهم فيها فى ذلك الوقت أمثال مولوى ذكاء الله ومولوى نذير احمد ومولوى محمد حسين آزاد وغيرهم »[٥]، ولم تكن لدى حالى الرغبة فى التعليم الإنجليزى ولكنه بعد ذلك قرأ بعض الكتب الإنجليزية المترجمة للأردية.

وفى أثناء إقامة حالى فى دهلى كتب رسالة صغيرة مختصرة باللغة العربية وكان عمره ثمانية عشر عامًا وكان هذا أول مؤلف له، والمؤلف دائمًا يحب أول عمل له

---

(١) شمس العلماء ميان سيد نذير حسين الدهلوى : كان عالم حديث مشهور بين معاصريه وكان من خيرة تلاميذ شاه عبد العزيز وشاه عبد الغنى ودرس حالى عليه الحديث وتوفى ١٣٢٠ هـ (كليات نظم حالى : جـ ١، ص ٦، تذكرة حالى : ٤١ – ٤٢).

(٢) مولوى أمير أحمد السهسوانى : من أشهر العلماء والمؤلفين فى هذا العصر وله أكثر من ٢٢٠ مؤلف بالعربية والفارسية والأردية ويعتبر من الذين خدموا السنة خدمة جليلة وقد قرأ عليه حالى عدة قصائد من ديوان المتنبى وتوفى عام ١٣٠٦ هـ « انظر : عبد الحى الحسنى : نزهة الخواطر ٨/ ٧٢ والزركلى : الأعلام ٥/ ٢٤٠).

(٣) مولوى فيض الحسن السهانبورى : كان عالم مشهور فى عصره وله ديوان شعر بالعربية وعين أستاذا للغة العربية فى الكلية الشرقية بلا هور وكان يدرس فى دهلى فى ذلك الوقت وقرأ عليه حالى بعض الكتب. (عبد الحى الحسنى، نزهة الخواطر ٨/ ٢٩٦).

(٤) حالى : ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(٥) حالى : ترجمة حالى. ص ٣٣٥.

ويقدره فهو بمثابة حجر الأساس لحياته الادبية، وفى هذا الوقت بالذات ينبغى أن يتلقى التشجيع ولكن حدث العكس فالكتاب الأول الذى كتبه حالى بمشقة واتقان ذهب مع الريح.

ويذكر خواجة غلام الثقلين هذه الرسالة فى إحدى موضوعاته فيقول: «قبل الثورة بسنتين أو ثلاث كان حالى يتعلم فى دهلى وفى ذلك الوقت ألف رسالة باللغة العربية يؤيد فيها مولوى صديق حسن خان بهادر فى أحد القضايا المنطقية، وقد أبدى أستاذه، سخطه الشديد عليها بعد أن قرأها وقام بتخريقها وقد تألم حالى وحزن عليها، وقال الأستاذ وكان عالما حنفيا مشهوراً ويدرس فى مدرسة حسين بخش: مع أن الرسالة قد كتبت فى غاية الدقة والاتقان لكن بما أنها كانت فى تأييد أحد الوهابيين فقد مزقتها»(١). وتعد هذه الرسالة التى كتبها حالى دليلا على مدى تمكن حالى من اللغة العربية فى هذه السن فلم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره وقام حالى فى أثناء إقامته بدهلى «بقراءة شرح مسلم وملا حسن والميبذى» على يد أستاذه نوازش على وفى ذلك الوقت بدأت العلوم والفنون والشعر فى الرواج والازدهار فى دهلى واشترك حالى فى معظم الندوات الشعرية وتفتحت قريحته الشعرية ومن حسن حظه أنه تقابل بمرزا أسد الله غالب ولم تكن أشعار غالب مشهورة فى ذلك الوقت عند العامة ولكن خاصة الناس كانوا يقدرونها جيداً وكان حالى من المعجبين بأشعاره الفارسية والاردية ويبين له المعانى الشعرية الصعبة وفى ذلك الوقت بدأ حالى فى نظم بعض الغزليات الأردية والفارسية على غرار طريقة الغزل القديمة عند شعراء عصره وكان يعرضها على مرزا غالب لإصلاحها(*) وقد كان ناقداً صارما(٢) ويقول حالى «فى أثناء إقامتى بدهلى كنت كثيراً ما اختلف إلى مرزا أسد الله غالب لأسأله عن معانى أشعار ديوانه الفارسى والأردى والتى لم أكن أفهمها، وكنت أقرأ عليه بعض القصائد الفارسية من ديوانى، وكان من عادته منع أكثر المترددين عليه من التفكير فى نظم الشعر ولكننى كلما عرضت عليه غزلياتى الفارسية أو الأردية كان يقول لى: مع أننى لا أنصح أحداً بنظم الشعر إلا أننى

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٩.

(*) هذه عادة متوارثة فى شعراء الأردية، فكل شاعر يتخذ له أستاذ أو اكثر ليعرض عليه شعره فى بداية نظم الشعر وكان غالب أستاذ حالى.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٩، ٣٠.

أعتقد بالنسبة لك إذا لم تنتظم الشعر فإنك سوف تظلم نفسك كثيراً »[١]، ولم ينظم حالى فى ذلك الوقت أكثر من « غزلية أو اثنين » فلم تسنح له الفرصة لقرض الشعر بسبب انشغاله فى إكمال تعليمه، ولكن بسبب تشجيع غالب له بدأ فى التدريب تدريجيًا على قرض الشعر وتخلص فى ذلك الوقت بـ « خسته »[٢].

واستمر حالى فى حضور هذه الندوات الشعرية التى كانت تعقد فى دهلى، حتى وصل خبر وجوده فى دهلى إلى أهله فى پانى پت وجاء أخوه الاكبر إلى دهلى مع بعض أصدقائه وأجبروه على العودة إلى المنزل، ورجع إلى پانى پت مرغما عام ١٨٥٥م، وترك التعليم ومكث فى منزله بپانى پت عام ونصف قضاها فى القراءة وولد له طفلا فى ذلك الوقت وكان أصدقاؤه وأقرباؤه يصرون باستمرار على خروجه للبحث عن عمل حتى اضطر أن يترك القراءة مجبراً وخرج من بيته عام ١٨٥٦م يبحث عن عمل وفى نهاية الأمر وجد « وظيفة فى إقليم حصار براتب ضئيل فى ديوان مدير الإقليم « وكانت الفوضى والاضطرابات تسود الهند فى تلك الفترة فقد أخذت سيطرة الحكومة الإنجليزية تزداد تدريجيًا على الهند من ناحية ومن ناحية أخرى بدأت الرغبة فى الثورة تعتمل فى صدور الناس ضد الحكومة الإنجليزية »[٣].

وفى سنة ١٨٥٧م نشبت نيران الثورة « وحدث اضطرابات وحوادث مؤلمة فى إقليم حصار وتوقفت الأعمال الحكومية ورجع حالى إلى پانى پت وأمضى بها قرابة أربعة أعوام فى حالة بطالة »[٤]، ويذكر سجاد حسين الابن الأصغر لحالى مالاقاه أبوه من مصاعب فى أثناء سفره من حصار إلى پانى پت فيقول « لقد سلب قطاع الطرق من أبى كل شىء حتى الحصان الذى يركبه ولم يبق معه سوى نسخة صغيرة من القرآن الكريم، وعندما

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٧.

(٢) صالحة عابد حسين، يادگار حالى. ص ٣٠، ويرفض الدكتور افتخار صديقى هذا الرأى ويقول: لم يتخلص حالى بـ « خسته » ويتعجب من ذكر الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى لهذا التخلص فى كتابه « جواهرات حالى ص ٨٩ » دون أن يشك فى نسبه إلى حالى وقد تبعه فى هذا الخطأ كتاب التذاكر وبعض الكتب التى كتبت عن حالى مثل: شجاعت على سنديلوى « حالى بحيثيت شاعر، ص ٢٥ وغلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ١١ بالإضافة إلى صالحة عابد حسين.

(٣) صالحة عابد حسين، يادگار حالى ص ٣١.

(٤) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٦.

وصل إلى پانى پت اشتكى من مرض الاسهال بسبب عناء السفر ومشقة السير على الاقدام وعدم توافر الطعام المناسب وظل يعانى منه لأكثر من سنة حتى برأ من علته عندما سقاه طبيب پانى پت المشهور حكيم خورشيد وصفة طبية، وكانت صحة أبى قوية فى الشباب ودأب على ممارسة الرياضة البدنية ولكن المعاناة التى تكبدها فى السفر قد أثرت على صحته تأثيرا سيئًا فأصيب بأمراض الرئة والصدر والمعدة بالرغم من حذره الشديد ». ومع أن پانى پت كانت بعيدة عن اضطرابات الثورة إلا أن أهلها كانوا يشعرون بالخطر لان مدينتهم كانت قريبة من دهلى التى نشبت فيها الثورة وقد فر إليها آلاف الاسر المنكوبة وقد برهن سكان پانى پت فى هذا الوقت على المواساة الإنسانية الصادقة وفتحوا لهم أبواب قلوبهم[١] ومنازلهم وقام الطاف حسين حالى بمساعدة هؤلاء المنكوبين بقدر الإمكان وآوى بعضهم فى منزله، وقد ظلت الهند على هذه الحالة من الاضطرابات والخراب لسنوات بعد أن خمدت نار الثورة واغلقت المدارس والكليات فى دهلى واستاصل الحاكم الإنجليزى كثير من الاسر العريقة فى دهلى وأبادهم فى ثورة انتقام ولم يوجد فى دهلى حى دون نصب المشانق فيه. وفى ذلك الوقت بقى حالى فى پانى پت قرابة أربع سنوات متحرراً من قيد الوظيفة وقد اغتنم حالى هذه الفرصة وركز اهتمامه على تكميل تعليمه وكتب بنفسه عن حالة التعليم فقال « كنت أقرأ فى ذلك الوقت على علماء پانى پت مثل مولوى عبد الرحمن[٢]، ومولوى محب الله[٣]، ومولوى قلندر على خان[٤] بعض الكتب بدون ترتيب أو نظام فأحيانًا فى المنطق والفلسفة وأحيانًا اخرى فى الحديث والتفسير وعندما لم يتواجد أحد من هؤلاء العلماء فى پانى پت كنت اقرأ بنفس الكتب التى لم اقرأها من قبل وبصفة خاصة كتب علم الادب التى كنت كثيراً ما انظر إليها بمساعدة المعاجم والشروح وأحيانًا كنت اكتب نثراً

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٣٢.

(٢) مولوى عبد الرحمن: من علماء پانى پت الكبار وهو من تلاميذ شاه عبد الغنى، وله بعض المؤلفات فى المسائل الدينية وتوفى عام ١٣١٤ هـ/ ١٨٩٦م، وقد كتب حالى ترجمته فى رسالة مستقلة بعنوان «تذكرة رحمانية سنة ١٨٩٦م.

(كليات نثر حالى: جـ ١ ص ٣٣٦، وعبد الحى الحسنى، نزهة الخواطر ٨/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٣) مولوى محب الله: من أشهر مشايخ وعلماء پت پت وتوفى عام ١٨٦٧م (كليات نثر حالى ١٠/ ٣٦٦).

(٤) مولوى قلندر على زبيرى: كان بارعا فى الآداب والعلوم النقلية والعقلية.

وأنظم بعض الأشعار بالعربية بدون إصلاح أو نصيحة غير أننى لم أكن لأطمئن لها فقد كان منتهى تحصيلى فى الفارسية والعربية بالقدر الذى ذكرته فيما مضى »[١]، وتقول صالحة عابد حسين أن الطاف حسين اختار تخلصه المشهور « حالى » فى ذلك الوقت فى الغالب.

وفى خلال المدة التى قضاها حالى فى پانى پت ولد ابن حالى الاكبر أخلاق حسين ووهبه لأخيه امداد حسين الذى لم يكن له أولاد وعندما كان حالى يذكره فإنه يقول « ابن أخى » وولدت ابنته عنايت فاطمة أيضاً فى ذلك الوقت ثم ولد أصغر أبنائه سجاد حسين فى عام ١٣٧٨ هـ، وبذلك تضاعفت مسئوليات حالى الأسرية بسبب قلة موارد الأسرة وكان عبء الأسرة بالكامل على راتب أخيه امداد حسين فترك حالى التعليم بسبب التفكير فى المعاش وسافر إلى دهلى مرة ثانية للبحث عن الرزق وكانت دهلى قد خُربت بفعل الثورة ولم يبق شيء من مجدها القديم، ولكنها كانت تتمتع بشهرة خاصة في الشعر والفن وجاء حالى إلى دهلى فنضج ذوقه الشعرى وصقلت قريحته بسبب تردده على المحافل الأدبية والندوات الشعرية »[٢].

وفى دهلى تقابل حالى مع « نواب مصطفى خان رئيس منطقة جهانگير آباد وكان شاعراً من الطبقة الأولي وتخلصه فى الأردية « شيفته »[٣]، وفى الفارسية « حسرتى » فتعارفنا[٤]، وتصاحبنا وبقيت عنده ثمانى سنوات وكان شيفته شاعراً مجيداً فى الفارسية والأردية ومتذوقًا جيداً للشعر وفي البداية كان شيفته يعرض أشعاره الفارسية والأردية على مؤمن خان[٥]، وبعد وفاته كان يتشاور مع مرزا غالب وبذهابى عنده

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٦.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٣٤.

(٣) شيفته: هو مصطفى خان أديب بارع ولد فى دهلى سنة ١٨٠٦م، وكان عالما فى العربية والفارسية وله عدة مؤلفات وتتلمذ فى الشعر على يد مؤمن وتذكرته فى الشعر الاردى « گلشن بے خار » من اشهر كتبه وتوفى عام ١٨٦٩م (كليات نثر حالى: ١/ ٣٣٧).

(٤) كانت بداية هذا التعارف بين حالى وشيفته عام ١٨٦٣م فقد وجد نواب مصطفى خان فى الشاب حالى الكفاءة والجدارة واختاره لصحبته ودعاه إلى جهانگير آباد للتدريس لاولاده. (كليات نظم حالى: ١/ ٩) و (تذكرة حالى ص ٥٥).

(٥) حكيم مؤمن خان مؤمن: كشميرى الاصل وكان من اسرة تعمل فى مهنة الطب وسكن فى دهلى =

بدأت أتشوق للشعر والنثر القديم وكنت مهمومًا فأصبحت نضرًا مسرورًا ومال طبعى لنظم الشعر بصحبته ونظمت معظم الغزليات الفارسية والأردية عند شيفته وكنت أرسل أشعارى إلى ميرزا غالب[1]، وأنا عنده فى جهانگير، وفى الحقيقة أننى لم استفد كثيرًا من نصائح مرزا غالب بالقدر الذى استفدته من مصاحبة نواب مصطفى خان شيفته فقد كان يكره المبالغة فى الشعر ويعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة مع الالتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية والعبارات والأفكار العامية وذلك ما كان ينفر منه غالب أيضًا »[2].

وقد تعلق شيفته بحالى كثيرًا وشهد له بالطول فى الشعر وكان يصحبه معه كثيرًا إلى دهلى.

حالى وميرزا غالب: وفى الأيام التى كان فيها غالب صديقًا وأستاذًا لحالى توثقت عُرى الصداقة بينهما وكان حالى فى مرحلة الشباب ويتغلب عليه الاتجاه الدينى فقد كان متمسكا بالعقائد الدينية منذ صغره، وفى هذه الفترة كانت تتوارد على ذهنه أفكار الأساتذة وكان يحب غالب ويقدره ولكنه كان قلقا مضطربًا فى التفكير فى نهايته وخاصة عندما رأى أستاذه رغم شيخوخته فإنه يواظب حتى الآن على شرب الخمر وأحيانًا ينسى الصلاة فتألم حالى لذلك وكتب له يقول: بالقدر الذى تزداد فيه علاقتى ومحبتى لك، فإننى أتأسف دائمًا على حالتك لأننا لن نستطيع أن نلتقى بعد الموت « ويوضح هذا القول مدى تعلق حالى بأستاذه لدرجة أنه يفكر فى استمرار هذه العلاقة أيضًا بعد الموت وذلك فى جنة الفردوس ولكن غالب بمداومته على الشراب يقطع هذا الأمل فى استمرار هذه العلاقة.

وقد كتب حالى لغالب خطابا طويلا يؤكد له فيه على ضرورة إقامة الصلاة والالتزام: « حافظ على الصلوات الخمس كما تستطيع واقفا أو جالسا أو بالإشارة وإن لم تستطيع

= وكان من أشهر شعراء عصره ولد سنة ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٧ م، وتوفى عام ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٢ (كليات نثر حالى: ١ / ٣٣٨).

(١) ميرزا أسد الله غالب: أعظم شعراء الأردية على الإطلاق ويعد أمير شعرائها ويتغلب الجانب الفلسفى على شعره ولد فى ١٢١٢ هـ / بمدينةآگرا وينتمى إلى أسرة عريقة، وتولى غالب مهمة إصلاح أشعار بهادر شاه ظفرآخر ملوك المغول عام ١٨٥٤ حتى ١٨٥٧، وله ديوان شعر بالأردية وأشعار فارسية رائعة وكتب كتابًا فى تاريخ «آل تيمور» هو «مهر نيمروز».

(٢) حالى: ترجمة حالى: ٣٣٨.

الوضوء فتيمم صعيداً طيبا لكن لا تترك الصلاة». وقد وصلت لغالب الكثير من الخطابات فى ذلك الوقت تتهمه بالكفر وعدم الإيمان ومعرفة الله وكان بعض هذه الخطابات يصل إلى حد السباب ولم يحفل غالب بهذه الخطابات وكان يعتبر أصحابها جهلاء لكنه صُدم وتأثر كثيراً بخطاب حالى وأبدى حزنه وألمه وفى اليوم التالى أرسل له قصيدة[١] غزل يشتكى فيها من هذه النصيحة، فأرسل حالى قصيدة[٢] يُبدى فيها أسفه وندمه على ذلك ويعتذر فيها لأستاذه غالب الذى قبل الاعتذار بدوره لأن شكواه من حالى كان أساسها الحب والتقدير كما وضّح[٣] فى خطابه، وقد ظل حالى آسفا على هذا الخطأ البسيط فى حق أستاذه طوال عمره وقد وضح ذلك فى كتابه «يادگار غالب»[٤] الذى اعترض فيه كذلك على عقائد عصره.

اطلاع حالى على الثقافة الغربية: وفى سنة ١٨٦٩ م توفى مصطفى خان شيفته وبدأ حالي يفكر فى كسب الرزق مرة ثانية ويقول حالى: بعد وفاة شيفته وجدت وظيفة فى المكتبة الحكومية فى البنجاب وكان عملى فيها هو تصحيح العبارات الأردية فى الكتب الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية وبقيت فى هذا العمل فى لاهور قرابة أربع سنوات وبدأت تنشأ بينى وبين الأدب الإنجليزى علاقة وبالتدريج بدأ يقل عندى التقدير للأدب الفارسى بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة عامة»[٥]، وكانت لهذه الوظيفة الجديدة دخل كبير فى تغيير اتجاه حياة حالى وتفكيره فقد ظل يمارس هذا العمل قرابة أربع سنوات سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع على كتب كثيرة فى الأدب الإنجليزى واللغة والنقد ووقف على كثير من موضوعاته ومعانيه وبهذه القدرة العجيبة أكمل نقص عدم القدرة على تعلم اللغة الإنجليزية، وبدأت تتفتق المواهب والافكار الكامنة فى أعماقه بشكل واضح والتى لم تهيئ لها البيئة الادبية الفرصة لظهورها من قبل، فقد كان حالى يشعر بعيوب الشعر الأردى والفارسى ولكن هذا الشعور تضاعف بدراسته للأدب والشعر الإنجليزى وخاصة عندما قارن بين الشعر الأردى والشعر الإنجليزى. واتضح له عيوب الشعر فى الآداب الشرقية بصفة عامة، ويعترف حالى بأن قراءته لكتب الأدب

---

(١) مطلعها: توای که شیفته وحسرتی لقب داری.. همی بلطف توخودرا امید دارکنم.

(٢) مطلعها: توای که عذر فرستاده به سوٌے وهی.. سزد که جان گرامی برآن نثارکنم.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. ص ٣٦، ٣٧.

(٤) حالى: يادگار غالب صـ ٢١٩.

(٥) حالى: ترجمة حالى: صـ ٣٣٩.

والنقد الإنجليزى قد فتحت عينيه على حقائق كثيرة وقضايا فى الأدب والحياة وعرف أن الادب وسيلة لخدمة المجتمع ومن هنا ازدادت ميوله تجاه دراسة الأدب العربى وتضاعف هذا التأثر تدريجيًا فكان يستخدم فى نثرة ألفاظ إنجليزية بدون تكلف واستعمل هذه الألفاظ أيضًا فى شعره فى أماكن متفرقة(١).

الندوات الشعرية فى لاهور وبداية التجديد فى الشعر الأردى: عندما كان حالى فى لاهور، كان مولوى محمد حسين آزاد يفكر منذ فترة فى تجديد الشعر الأردى وإصلاحه وفى سنة ١٨٧٤ م «حقق محمد(٢) حسين آزاد رغبته القديمة حينما أقام ندوات شعرية جديدة من نوعها بالنسبة للهند بإيعاز من كرنيل هالرايد مدير عام التعليم فى إقليم البنجاب وفى هذه الندوات يختار الشعراء أى موضوع ينظمون الشعر حوله ويظهرون فيه أفكارهم بدلا من تحديد مصرع معين من بيت شعر يلتزم الشاعر قافيته ووزنه وقد نظمتُ فى هذه الندوات أربع مثنويات الأولى فى موسم المطر «برسات»(٣)، والثانية فى الأمل «اميد» والثالثة فى العدل «انصاف» والرابعة فى حب الوطن «حب وطن»(٤).

وكان حالى ينتظر هذه المناسبة فقد سئم النظم فى شعر الغزل وتركه لموضوعات أخرى جديدة، لهذا رحب حالى بهذه الندوات الشعرية الجديدة بحرارة ونظم أربع قصائد فى قالب «المثنوى» فى الندوات الأربعة التى حضرها وهذه القصائد فى غاية الرقة والجمال والعذوبة والجاذبية وخاصة قصيدة «حب وطن» التى لا مثيل لها فلم ينظم أحد شعراً فى هذا الموضوع ملىء بالحماسة والاخلاص قبل حالى. وظل حالى فى البنجاب لفترة قصيرة نائبًا لمدير تحرير مجلة «اتاليق پنجاب» الشهرية التابعة لمديرية التعليم بإقليم

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. صـ ٣٩.

(٢) شمس العلماء محمد حسين آزاد الدهلوى: ابن الشيخ محمد باقر وتلميذ الشاعر إبراهيم ذوق وكان استاذا فى الكلية الحكومية فى لاهور وصاحب اسلوب متميز فى الادب الاردى ومن أشهر مؤلفاته «آب حيات» و «دربار اكبرى» و و «سخندان پارسى» وفى مجموعة مقالات باسم «نيرنگ خيال، توفى عام ١٩١٠ فى لاهور بعد ان ظل مصاب بالجنون لمدة ٢١ سنة وقال حالى فى موته: «كان نهاية الأدب الأردى» هوا خاتمه اردو كے ادب كا» (كليات نثر حالى: ١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٣) هذه القصيدة الاولى التى نظمها حالى فى الندوة الشعرية الاولى فى لاهور ولها اسم آخر هو «بركهارُت» اى موسم المطر.

(كليات نظم حالى: جـ١ ص ١٣٦).

(٤) حالى: ترجمة حالى، ص ٣٤٠.

البنجاب[1].

وفى أثناء إقامة حالى فى لاهور كتب عدة كتب نثرية كان أولها فى عام ١٨٦٧م، وهو «ترياق مسموم» وهو رد على كتاب مواطن هندى تحول إلى المسيحية كما ترجم أحد الكتب فى الجيولوجيا عن اللغة العربية والكتاب الثالث هو «مجالس النساء»[2]، وبين فى هذا الكتاب بأسلوب ممتع وطريقة جذابة أفضل الطرق لتربية الأطفال وتعليم النساء بأسلوب قصصى شيق ولقى هذا الكتاب شهرة عظيمة فى ذلك الوقت وظل لفترة ضمن مقررات مدارس البنات فى البنجاب وقد أعطاه كرنل هالرايد مسئول التعليم فى البنجاب جائزة قدرها أربعمائة روبية فقد فقد كان هالرايد يقدر المؤلفات العلمية والأدبية، وظل حالى فى لاهور أربعة أعوام تقريبًا ولكن لم يأنس بها قلبه فقد كان يحب دهلى التى أصبحت بمثابة وطنه الثانى وأحبها أكثر من وطنه الأول پانى پت[3]، وظل طوال هذه الفترة متشوقا لأصحابه وللصداقات العلمية والأدبية فى دهلى ولم يلائمه مناخ لاهور وأخذت صحته فى التدهور فاضطر إلى الذهاب إلى دهلى في أواخر عام ١٨٧٤ وأوائل ١٨٧٥.

لقاء حالى بالسير سيد أحمد خان: جاء حالى إلى دهلى وعمل مدرسًا فى المدرسة الانجلو عربية وظل عدة سنوات يدرس للطلبة فى إخلاص ومقدرة ولكن الاستقرار لم يكن من نصيبه فى دهلى أيضًا، فقد ولى عهد الشباب وانقضت أيامه وفتر عنده حماس الشعر العاطفى وسئم قصة البلبل والوردة وترك التفكير فى الحياة الشخصية وبدأ يهتم بمشاكل وآلام قومه فقد كان الوضع السيء الذى تمر به الهند له تأثيره القوى على قلب حالى الحساس لذلك رأى فائدة شعر الغزل فى ذلك الوضع الراهن، ورأى أن جميع ثروته الشعرية والتى جمعها طيلة عشرين عامًا عبث وبلا فائدة، فامتلأ قلبه بالحماس وتلاطمت العواطف المختلفة فى صدره من أجل إصلاح الشعر والأدب الأردى وإصلاح قومه ولكنه لم يهتد بعد للطريق الصحيح ولم تتراءى له معالمه ولم يعرف فى اى اتجاه يسير، وطرأت عليه حاله من اليأس والجمود وقد صور حالى هذه المشاعر التى مر بها فى

---

(١) كليات نظم حالى: ١/ ١١ وتذكرة حالى ص ٤٠.

(٢) كانت هذه الكتب من أوائل مؤلفاته النثرية وسوف أتحدث عنها بالتفصيل عندما أتناول مؤلفاته النثرية والشعرية.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. صـ ٤٠ – ٤١.

هذه الفترة فى مقدمة المسدس ويتضح لنا بعد قراءة هذه المقدمة[1] مدى الحيرة والقنوط التى مر بها حالى فى ذلك الوقت وهذا الصراع العقلى الذى سيطر على نوازعه الداخلية حتى تاه فى صحراء الحيرة واليأس وكان نهاية الصراع العقلى بين حالى ونفسه عندما التقى بالسير سيد أحمد خان والذى أنقذ حالى من هذا الصراع كما أنقذ سفينة المسلمين الغارقة، وقد تأثر حالى كثيراً بلقاء السير سيد وشخصيته القومية وهدفه السامى وأصبح حالى مع السير سيد أحمد قلبًا وقالبًا وأوقف كل أعماله وكل نفس من سنوات عمره لهذا الهدف وبدأ فى مهمة إصلاح قومه وايقاظهم من نوم الغفلة ودلهم على السير فى طريق التقدم وهذب من ذوقهم الفاسد وأخلاقهم الهابطة[2]. ويقول حالى: «فى البداية نظمت قصيدة بنفس الأسلوب الذى كان سائداً فى حركة لاهور (الندوات الشعرية)، ثم شجعنى السير سيد أحمد خان وقال لى إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة ضعف المسلمين الراهنة لذلك نظمت أولا مسدس «مد وجذر إسلام» وأشعار أخرى طبعت ونشرت عدة مرات»[3].

وقد نظم حالى مسدسه المشهور هذا بإشارة من السير سيد نشره عام ١٨٧٩م، ومنذ ذلك الوقت بدأ حالى فى الدخول فى دائرة السير سيد ونفوذه وصار من معالم حركة على گرهـ وأعضاءها البارزين والمقربين للسير سيد.

وظل حالى مقيمًا فى دهلى هذه المرة اثنتا عشرة سنة تقريبًا وفى هذه الفترة قام حالى بأعمال التأليف والكتابة فألف حياة سعدى «حيات سعدى» وبعد عام ١٨٧٥، كان يُنشر لحالى التعليقات والتعقيبات فى موضوعات متعددة فى مختلف المجلات وفى سنة ١٨٨٢م نشر له بالفارسية تحقيق وتصحيح كتاب «ناصر خسرو» سفر نامه حكيم خسرو» مع مقدمة وبحث فى السيّر والتراجم وقد لاقى هذا الكتاب إقبالاً شديداً من القُراء ويوجد مقدمة باللغة الفارسية مفصلة على هذا الكتاب فى «ضميمه أردو وكليات نظم حالى»[4]، التى جمع فيها حالى الشعر والنثر الفارسى والعربى، ويتضح من هذه المقدمة أن كتاب «سفر نامه حكيم خسرو» كان موجوداً فى مكتبة نواب ضياء الدين أحمد حاكم لوهارو وقد جد فى طلبه السيد «شيفر» أحد العلماء الفرنسيين

---

(١) حالى: مسدس حالى. المقدمة صـ ٣، ٤، ٥.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. حالى صـ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥.

(٣) حالى: ترجمة حالى صـ ٣٤٠.

(٤) نشرت فى أغسطس ١٩١٤.

لترجمته إلى اللغة الفرنسية وقد رأى حالى هذا الكتاب هناك وأعاد طبعه ونشره بعد تعديله وإصلاحه وقد اشتهرت رواية خاطئة فيما يتعلق بحياة ناصر خسرو وأعماله فقام حالى بجمع وقائع حياة خسرو الصحيحة بعد جهد وعناء ونشر هذا الكتاب، ويعتبر هذا الكتاب من أهم جهود حالى العلمية(١). وسوف ندرس هذا الموضوع بالتفصيل.

وفى سنة ١٨٨٦ م جاء إلى دهلى خواجة إمداد حسين للعلاج من مرضه وأقام عند حالى وظل يعالج لمدة خمسة أوستة أشهر وبذل حالى فى علاجه كل ما يستطيع ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل نتيجة تفاقم المرضى ومات خواجة امداد حسين الأخ الأكبر لحالى والذى قام بتربيته فكان فى منزلة أبيه وقد تألم حالى كثيراً لوفاة أخيه فقد كان يحبه ويقدره وقام برثائه فى عدة أبيات مؤثرة يظهر فيها ألمه وحزنه على فراقة ويبدو منها كيفية انسياب المشاعر الفياضة من قلب حالى بدون تحكم. وفى سنة ١٨٨٧م جاء نواب آسمان جاه رئيس حكومة حيدر آباد لزيارة على گرطه وعرّف السير سيد حالى عليه وكان آسمان جاه واقفا على شاعرية حالى وعلمه، وقد وجد حالى فى نواب آسمان جاه مثالاً للشخصية الوطنية ومثالاً للطيبة وحسن السلوك وقد تأثر به حالى وعندما انتهت زيارة آسمان جاه لعلى گرطه اصطحب حالى معه إلى حيدر آباد وأسند إليه وظيفة الإشراف على الكتب العلمية والأدبية التى يتم تأليفها من قبل حكومة حيدر آباد وتقاضى حالى راتبًا قدره خمس وسبعون روبية شهريًا وكان هذا الراتب فى ذلك الوقت يكفى حياة فرد فى معيشة متوسطة، وقد اضطر حالى أن يعمل مكرهًا فى هذه الوظيفة حتى يستطيع أن يكفل أسرته خاصة بعد وفاة أخيه الأكبر امداد حسين وقد قنع حالى بهذه الوظيفة بعد أن استقال من وظيفة دهلى وانكب حالى فى تادية خدماته العلمية والأدبية فى هدوء وسكينة(٢). ويقول حالى عن وظيفته الجديدة فى حيدر اباد «فى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) عندما كنت مدرسا فى المدرسة الانجلو عربية بدهلى وذهبت فى هذه السنة إلى على گرطه وكان الأمير سر آسمان جاه حاكم نظام (حيدر آباد) يقيم فى قصر السير سيد أحمد خان فى على گرطه وأثناء مروره على شمله (بلده السير سيد) لزيارة الكلية الإسلامية فى على گرطه قرر الأمير العظيم لى وظيفة من أجل

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٩، ٥٠، ٥١.

مساعدة المؤلفين بخمسة وسبعين روبية فى الشهر[1]، ويقول الأستاذ غلام مصطفى خان : وفى يناير ١٨٨٧م عين حالى مدرسًا للطلبة فى دار الإقامة (المدينة الجامعية) فى «ايجيسن كالج» بلاهور ولكنه لم يأنس لذلك ولم يقض فى هذه الوظيفة الجديدة سوى ثمانية أشهر حيث عاد إلى مكانه فى المدرسة الانجلو عربية بدهلى فى يونيو ١٨٨٧ م[2].

بعد ذلك عاد حالى إلى پانى پت وكان مكانه القديم فى حى الأنصار ولكنه لم يرغب هذه المرة الإقامة فيه لأنه يقع فى وسط المدينة ولن تسنح له الفرصة للعمل فى هدوء بسبب كثرة المترددين عليه لذلك تشاور مع ابنه الصغير خواجة سجاد حسين وكان موظفا فى إدارة التعليم بالپنجاب واتفق معه على بناء منزل له فى حى السادات لأنه بعيد نسبيًا عن وسط المدينة وموطن أخواله وأصهاره، وفى سنة ١٨٩٦م تم بناء المنزل وكان يتكون من طابقين الطابق الأسفل لزوجته وأولاده ولطعامه والطابق الثانى (العلوى) كان لإقامة حالى مع صديقيه ملازم نانون خان وعطاء الله ولمقابلة زائريه وأصدقائه، وأقام حالى فى منزله الجديد وكان أمله أن يجد فرصة يكمل فيها بهدوء أعماله العلمية والادبية، ولكن الهدوء والسكينة لم يكونا من نصيبه بسبب كثرة الاعمال والواجبات وعلاوة على المشاكل الأسرية كان حالى يسافر كثيرا إلى مختلف مدن الهند من أجل جمع التبرعات لإنشاء كلية على گڑھ كما شارك فى العديد من المؤتمرات التعليمية والندوات العلمية والادبية المقامة فى على گڑھ من أجل هذا الهدف[3]. ويقول حالى : «وفى سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م عندما ذهبت إلى حيدر آباد برفقة السير سيد احمد خان وباقى أعضاء لجنة أوقاف كلية على گڑھ، وزاد راتبى إلى مائة روبية من العملة المتداولة بعد إضافة خمس وعشرين روبية فى الشهر إلى راتبى وحتى الآن التقى بالحاكم شهريا، ومنذ ذلك الوقت انقطعت صلتى بالمدرسة الانجلو عربية بدهلى»[4]، وفى هذه الفترة كتب حالى «مقدمة شعر وشاعرى» و «حيات جاويد» «ويادگار غالب» وفى أغسطس من عام ١٩٠٠ م، ماتت زوجته بمرض الكوليرا فجأة وكانت زوجته وفية

---

(١) حالى : ترجمة حالى ص ٣٤٣.

(٢) غلام مصطفى خان : حالى كاذهنى ارتقا صـ ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) صالحة عابد حسين : يادگار حالى، صـ ٥٢، ٥٣.

(٤) حالى : ترجمة حالى ص ٣٤٤ وبهذه الفقرة تنتهى سيرة حالى الذاتية كما كتبها هو بنفسه.

وكريمة ولم يقع بينهما وبين حالى خلاف فى حياتهما التى دامت نصف قرن تقريبا، وقد وفرت الجو المناسب لحالى من أجل إنجاز أعماله الأدبية وكان حالى يذكر زوجته فى معظم خطاباته ومن قراءة هذه الخطابات يتضح لنا مدى تقدير حالى لزوجته.

وقبل وفاة زوجته بمدة قصيرة لا تتجاوز العامين توفى صديقه ومرشده العزيز السير سيد أحمد خان الذى كان يحبه ويقدره وكانت وفاته صدمة كبيرة لحالى غير أن حالى لم ييأس من حياته لموت هذا الصديق وواصل أعماله بإيمان راسخ وانتهى عام ١٩٠١ م من تأليف وترتيب كتاب « حيات جاويد » فى ألف صفحة تقريباً وبين فيه أعمال السير سيد الخالدة وكان بداية لشهرة حالى فى هذا النوع الأدبى المعروف بأدب التراجم أو السيرة الغيرية.

وكان حالى بطبيعته يحب الوحدة والعزلة وينفر من الشهرة والظهور والتفاخر وكانت لخدماته العلمية والأدبية هذا القدر من الأهمية بحيث مدحها الجميع واعترفوا بفضله[١]. وفى سنة ١٩١٤ م منحته الحكومة لقب « شمس العلماء » تقديرا لخدماته الجليلة دون أن يسعى لهذا اللقب الذى كان موقوفا على العلماء والأفاضل والعظماء من الناس وأحتفل فى جميع الدوائر العلمية والأدبية بهذه المناسبة وانهالت خطابات التهنئة على حالى من جميع أطراف الهند وأكنافها وكان على رأس هذه الخطابات خطاب العلامة شبلى النعمانى الذى يقول فى إحدى جمله « أنا لا أهنئك أنت على هذا اللقب ولكن أهنىء لقب شمس العلماء فقد نال هذا اللقب الشرف والعزة بك »[٢]، ويتضح من هذا الخطاب مدى احترام شبلى النعمانى لحالى على الرغم من أنه كان أكثر من اعترض على حالى ونقد كتاب « حيات جاويد » نقداً شديداًوقرر أنه مدح مبرهن ومدلل للسير سيد.

وبدلا من إحساسه بالسعادة والسرور بعد أن حصل على هذا اللقب ارتبك حالى وأحس بالقلق لأن الشخص الذى يمنح لقباً من قبل الحكومة فى ذلك العصر كان يحضر فى كل الحفلات الرسمية في كل بلاط ويستقبل بحفاوة من الحكام والأمراء ويمشى مرفوع الرأس بين الناس وهذه الصفات كان حالى ينفر منها وقد كتب لابنه سجاد حسين

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٥٤، ٥٩، ٦٠.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى جـ ١، ص ١٧.

فى هذا الصدد: «بالرغم من أننى نلت هذا التقدير من قبل الحكومة وأضع ذلك فى عين الاعتبار غير أننى اعتبره نقمة، فانت تعلم أننى كنت دائماً بمعزل عن هذه المناسبات ولم ألتق قط بأى حاكم أو ضابط بيد أنه من الآن عندما يأتى أى حاكم إقليم فى پانى پت أو يتغير نائب حاكم المديرية، لا مفر من أن أذهب إليه»(١).

وفى سنة ١٩٠٥ م دعى حالى لحضور الاحتفال بمرور أربعين سنة على حكم نظام حيدر اباد وذهب حالى إلى حيدر آباد بالرغم من مرضه وشيخوخته وظل هناك ستة أشهر حتى ٧ يونية ١٩٠٦م(٢) وقد التقى هناك بكثير من أهل حيدر آباد وعندما عاد حالى من هناك قدم كلمة شكر لأهل حيدر آباد أظهر فيها حبه العميق لهم وهذه الكلمة مطبوعة على الحرير وفيها قدم شكره لأهالى حيدر آباد على حسن كرمهم وتبرعاتهم للدولة وذكر لهم أن عليهم ألا يعملوا من أجل منفعتهم الشخصية بل يجب أن يعملوا لصالح رفاهية المجتمع وذكر لهم أن جميع مؤلفاته تغص بالمعانى السامية فى حب الوطن ورفاهية الجميع من «مجالس النساء» وحتى «حيات جاويد» ومن «مسدس مد وجزر» إلى «چب كى داد»(٣) ونظم حالى أثناء إقامته فى الدكن نظمه المشهور «چب كى داد» والتى ألقاها فى إحدى الحفلات تحت رعاية المهراجا سركشن برشاد(٤). وقد تعلق حالى بأهل حيدر آباد حتى بعد عودته وفى سنة ١٩٠٨ تعرضت حيدر آباد لسيل طاغى حطم آلا ف المنازل وعندما سمع حالى هذا الخبر ظل مضطرباً وأرسل العديد من الخطابات باسم صديقه الشاب عبد الحق (مولوى عبد الحق) ليستفسر عن سلامة كل واحد منهم وتاثر تاثرا شديداً بالمنكوبين فى حيدر آباد.

عاد حالى إلى پانى پت بلدته ولم يكن بها حتى ذلك الوقت مدارس انجليزية على الطريقة الحديثة فى التعليم وليس بها أى مكتبة يستطيع أهل العلم والأدب أن يطلعوا على كتبها أو يستعيروا منها ما يحتاجوه من كتب وقد احس حالى بهذا النقص فقام فى سنة ١٩٠٥م بجمع التبرعات المالية من أهل مدينة پانى پت وكان يريد أن يبنى مدرسة

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦١، ٦٢.
(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٢، ٦٣.
(٣) صالحة عابد حسين. يادگاد حالى ص٦٢، ٦٣.
(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص٢١٣.

ولهذا أقام بها مكتبة فى وسط پانى پت وجمع فيها كتبًا كثيرة من أصدقائه وتقول صالحة عابد حسين إن هذه المكتبة كانت قائمة حتى عام ١٩٤٧ والآن الله أعلم هل ما زالت موجودة أم خربتها يد الزمان وصروف الدهر وعلى الرغم من عدم تحقيق رغبة حالى فى إقامة المدرسة فى ذلك الوقت إلا أن حالى أقام مدرسة للبنين بعد عدة سنوات بجهود خواجه سجاد حسين وتطورت هذه المدرسة حتى أصبحت مدرسة عليا واشتهرت باسم مدرسة حالى الإسلامية العليا وقد خُربت هذه المدرسة بسبب التعصب فى حوادث عام ١٩٤٧[١].

بعد ذلك أخذت عينا حالى فى الضعف ولكن كثرة العمل لم تهيئ له الفرصة للاهتمام بعلاجهما فقد أصيبت إحدى عينيه بالمياه الزرقاء ومنع بسببها من القراءة والكتابة وصمم سبط حالى خواجه غلام السبطين وحفيدته مشتاق فاطمة زوجة غلام الثقلين على أن يأتى حالى إلى لكناو لإجراء عملية فى عينه ولكن حالى رفض هذا العرض فلم يكن يريد أن يثقل عليهم بالضيافة والتمريض وانقضت أيام كثيرة فى أثناء ذلك الوقت بدأت عينه الأخرى فى الضعف وذهب لإجراء عملية فى عينه فى مستشفى راجندر وكان حالى مثقلا بالديون فى تلك الفترة ونشر له كتاب «حيات جاويد» وازدات ديونه بسبب هذه العملية، وبدأ حالى فى القراءة المعتادة غير أن عينه لم تصبح سليمة تماما وبعد فترة قصيرة أصيبت عينه الأخرى بالمياه الزرقاء وفى مايو ١٩١١م ذهب حالى إلى لكناو لاجراء عملية فى عينه الأخرى[٢].

وفى سبتمبر ١٩٠٧م اختير رئيسا للدورة السنوية للمؤتمر التعليمى لعموم مسلمى الهند الذى عقد فى كراچى وتعجب حالى بسبب هذا الاختيار وكتب إلى ابنه خواجه سجاد حسين يقول له بتواضع «لقد اقترحت اللجنة المحلية فى كراچى واللجنة المركزية فى على گرطه تنصيبى رئيسا على سبيل الخطأ لدورة كراچى وكثيراً ما كنت أرفض ذلك ولكنى مضطراً ألا أرفض هذه المرة» وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٧م سافر حالى وهو فى الثالثة والسبعين من عمره إلى كراچى وكان بصحبته خواجة غلام الثقلين وخواجه غلام السبطين ونواب وقار الملك والعقيد سيد حسن وآخرين ووصلوا كراچى يوم ٢٣ ديسمبر

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٦٤، ٦٥.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٦٧، ٦٨، ٦٩.

والقى حالى خطبة الافتتاح وحث حالى فيها قومه على تحصيل العلوم والفنون المختلفة وأخبرهم أيضا بأهمية الحركة الوطنية ويقول حالى فى هذه الخطبة: «إن تعليم الجامعة الحالى ليس كافيا لتقدم المسلمين بل منَ الضرورى أيضا أن تأخذ بناحية كل فروع المعرفة وأن نتقدم فى هذا السباق إلى الأمام وأنا من جانبى أشارك فيه بكل طاقتى وإلا فسوف نتخلى إلى الأبد وفى زمن قريب جداً ليس فقط عن عزتنا وكرامتنا بل كذلك عن بقائنا ووجودنا» ثم قال بعد ذلك يجب الاهتمام بالحرفة والصناعة كذلك وكان حالى على حق وتفكيره سديداً لأن أكثر قومه من المسلمين لم يعتنوا بالصناعة والحرفة ولم يحتضنوا الحركة الوطنية بشكل كامل وكانت النتيجة هى عجز الدولة وتخلفها فى المجال الاقتصادى.

وبدأ حالى فى ذلك الوقت بكتابة «آل نامه» وهو نموذج فكاهى ساخر وللأسف لم يستطع أن يتمه، وينقد فيه تعصب كل فرقة ومذهب ويعترض على صفات حب الذات والحماقة والجهل وغيرها بطريقة ساخرة لا مثيل لها ويتضح منها بشكل كامل دقة نظر حالى وقوة عقليته فى هذا العمر المتأخر. وكانت رغبة حالى القوية أن تتهيأ له الراحة والهدوء فى آخرأيامه حتى يستطيع أن ينجز أعماله المتبقية فى ذهنه فكان يريد ترتيب أشعاره العربية والفارسية وكتابة كتاب فى التذكير والتأنيث فى اللغة الأردية وكتابة قصة أو مسرحية قيمة باللغة الأردية علاوة على ترجمة قصة أو مسرحية شهيرة عن اللغات الأجنبية الأخرى تستخدم كنموذج فى اللغة الأردية، ويقول مولوى عبد الخالق؛ إن حالى كان يرغب فى كتابة مسرحية أو قصة وكان يتراكم فى ذهنه أعمال قيمة كثيرة لكن المرض والشيخوخة والمشاكل المنزلية حالت دون إنجاز هذه الأعمال.

وفى سنة ١٩١١م دعاه مولوى عبد الحق بإصرار شديد إلى اورنگ آباد حيث الطقس الرائع والبيئة المناسبة له لكى يستطيع ان ينجز أعماله ولكنه اعتذر له عن تلبية الدعوة لمرضه وشيخوخته وفى طريقه للبحث عن الهدوء ذهب حالى ليقيم عند صديقه لياقت حسين فى فريد آباد ومكث عنده من أكتوبر حتى ديسمبر سنة ١٩١٢م وهناك رتب أشعاره الفارسية والعربية والتى طبعت بعد وفاته، وأرسل حالى خطابا لصديقه تصدق حسين فى ١٧ مايو ١٩١٣ من فريد آباد أى قبل وفاته بعام ونصف و يبدو منه أنه لا يأمل أن يبقى حيا أكثر من ذلك فقد سئم الحياة وكان يريد أن ينجز أعماله المتبقية

بسرعة على الرغم من مرضه وشيخوخته.

وفى فريد آباد أيضا لم يجد حالى الفرصة للعمل بإطمئنان بسبب تردد الناس عليه للاستمتاع بلقائه ليلاً ونهاراً وضاعت معظم أوقاته وتدهورت صحته وأصيب بعدة أمراض مثل الزكام والربو والانفلونزا والبواسير وقد لازمته هذه الامراض باقى عمره، وفى آخرعمره ضعف بصره ووهنت أسنانه وأثّرت على أعصابه وقد اشتكى حالى فى خطاباته أكثر من مرة من مرضه غير أن هذه الشكوى تأتى عرضا وبأسلوب مختصر جداً وكتب حالى ذات مرة لابنه خواجه سجاد حسين بعد أن سمع بخبر مرضه «إن هذه الأمراض تزداد بسبب غفلتى وعدم اهتمامى فأحيانا لا أخذ العلاج بانتظام وبدأت الدورة الدموية فى الاضطراب. ولا اهتم كثيراً بالغذاء لكن يجب أن تأخذ منى النصيحة فجميع محاسن الدنيا والدين متوفرة للأصحاء أما المريض فيستوى عنده الوجود والعدم» وينصح حالى ابنه بالمحافظة على صحته فيقول له: «تناول الطعام سريع الهضم والغذاء الخفيف وكل قليلا ثلاثة أوأربع مرات يوميا واشرب الماء المصفى وداوم على المشى ميلين أو ثلاثة أميال فى وقت معتدل».

وعلى الرغم من الأمراض الكثيرة التى كان حالى يعانى منها إلا أنه كان يتبع أساليب الحيطة والحذر والنظام فى حياته وظل رغم ذلك العف المستمر فى إنجاز أعماله وخدماته العلمية والأدبية طيلة سنوات عمره الثمانين تقريبا وحتى قبل وفاته بعدة أشهر كان يسافر ليحل المشاكل الأسرية بين الناس ويصوم ويحافظ على جميع حقوق الله، وقبل وفاته بشهور قليلة تأثرت أعصابه وفقد القدرة على الكلام إلا أنه كان يفهم الكلام الذى يدورحوله وترتسم على وجهه ابتسامة خفيفة ويبدو فى عينيه الإدراك والفهم لكن لا يستطيع الرد، وفى ٣١ ديسمبر ١٩١٤م فاضت روحه الطاهرة وودع هذا العالم الفانى بعد أن وضع الأساس للشعر الأردى الحديث ونال منزلة الإمامة فى النقد الأدبى وحكى قصة تقدم المسلمين وتأخرهم فى مسدسه.

قبرحالى: ودفن حالى فى قبر جميل من حجر المرمر على شاطئ حوض فى السور الخارجى لصحن زاوية أبو على قلندر صاحب بيانى پت[١].

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٧ - ٧٤.

ويقول الشيخ محمد إسماعيل پانی پتی: يجب أن أصحح خطأ هنا فقد كتبت صالحة عابد حسين فى كتابها «يادگار حالى» نام حالى بسلام فى قبر جميل من حجر المرمر، ونقل عنها الدكتور شجاعت سنديلوى فى كتابه «حالى بحيثيت شاعر» مع أنه فى الحقيقة مدفون على إحدى المصطبات بجواره قبور أخرى وليس من حجر المرمر ومثبت عليه نصب من الحديد وهذا القبر ليس عليه أى لوحة أوعلامة والعلماء من الناس فقط هم الذين يعرفون أن هذا هو قبر حالى[1].

(١) محمد اسماعيل پانی پتی: كليات نثر حالى. الجزء الأول ص ٣٤٥.

مؤلفات ألطاف حسين حالى

أولاً: مؤلفاته النثرية:

كانت هناك بعض النماذج النثرية فى الأدب الأردى قبل حركة على گرﻄﻬ وتتميز هذه النماذج بالبساطة والصفاء فى الأسلوب مثل مؤلفات كليه وليم فورت وكليه دهلى وخطابات مرزا غالب ومقالات مجلة «محب هند» وتراجم شمس الأمرا، لكن بعد ثورة ١٨٥٧م أخذ النثر الأردى طابعاً جديداً تحت تأثير العلوم والفنون الغربية الجديدة وحركة على گرﻄﻬ. ويقول افادى: إذا لم يكن قد كتب أى تاريخ للادب الأردى فإن القرن التاسع عشر يعتبر مهداً جديداً وبداية لحركة البعث فى الأدب الأردى، ففى هذا العهد وصل النثر الأردى إلى درجة الجودة بجهود السير سيد أحمد خان والطاف حسين حالى ومحمد حسين آزاد ونذير أحمد وشبلى النعمانى، وتطور النثر الأردى بإسهامات هؤلاء العناصر الخمسة واجتازت اللغة الأردية مراحل التطور بفضل مؤلفاتهم. وكان لحالى منزلة هامة بين هؤلاء الأدباء بسبب مؤلفاته النثرية التى تتميز بالبساطة والصفاء وعلى درجة عالية من الجودة الفنية من الناحية الأدبية وهذه المؤلفات تعتبر حلقة أساسية فى دراسة التطور الفكرى فى مؤلفات حالى النثرية فى الفترة الأولى من حياته، غير أن هذه المؤلفات الأولية لم تحدث أى تغيير من ناحية الموضوع لأنها تتناول الأمور الدينية والمسائل الأخلاقية(١).

ويعتبر حالى من كتاب النثر المرموقين فى الأدب الأردى وقد ساهمت مؤلفاته النثرية فى تطور النثر الأردى ولا تقل مكانة فى النثر عنها فى الشعر وتميزت كتاباته النثرية فى المرحلة المتأخرة بالخيال الشعرى لكونه شاعراً. **وقد ترك حالى مؤلفات كثيرة فى النثر فى موضوعات مختلفة ويمكن تقسيمها من ناحية الموضوعات إلى خمسة أقسام:**

١ - **مؤلفات دينية**: وهى معظم ما ألفه فى المرحلة الأولى من حياته (١٨٥٥-١٨٧٢م) وتتميز بالطابع الدينى والدفاع عن الإسلام فى وجه المبشرين المسيحيين وإثبات النبوة والوحى ومناقب الرسول الكريم وهى: (١) رسالة فى تأييد الأمير صديق حسن خان. (٢) مولود شريف. (٣) ترياق مسموم (٤) تاريخ محمدى

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى. ص٦٠.

«منصفانه راے- (٥) شواهد الإلهام[١] .

٢ - **مؤلفات فى الأدب واللغة**: وهى (١) أصول فارسى (٢) مجالس النساء .

٣ - **مؤلفات فى التراجم والتاريخ**: وهى (١) حيات سعدى . (٢) حيات جاويد (٣) يادگار غالب . (٤) تذكرة رحمانية . (٥) حالات حكيم ناصر خسرو .

٤ - **كتاب فى علم طبقات الأرض**: وهو مبادىء علم الجيولوجيا .

٥ - **كتاب فى نقد الشعر**: وهو «مقدمة شعر وشاعرى» .

وإلى جانب هذه المؤلفات كتب حالى العديد من المقالات فى المجلات المختلفة والجرائد وكانت تنشر له من وقت لآخر وهى فى موضوعات متعددة، وكان ينقد فيها الكتب الدينية والتاريخية والمجلات التى كانت فى عصره وقد قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بجمع هذه المقالات إلى جانب المحاضرات والخطب التى ألقاها حالى فى مناسبات مختلفة ورتبها حسب الموضوعات فى جزئين بإسم «كليات نثر حالى»[٢] ونشرها فى لاهور عام ١٨٦٧ . كما قام مولوى سيد وحيد الدين سليم پانى پتى بنشر مجموعة من مقالات حالى سنة ١٩٠٢م باسم «مضامين حالى» ولكن هذه المجموعة غير كاملة. وقامت بعد ذلك جمعية تطوير اللغة الأردية «انجمن ترقى اردو «بترتيب ونشر جميع مقالات وتعليقات حالى فى جزئين باسم «مقالات حالى»[٣] .

وفى سنة ١٩٢٤م قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بجميع مجموعة ضخمة من رسائل حالى وقام بترتيبها فى كتاب بإسم «مكاتيب حالى»[٤]. وفى سنة ١٩٢٥م قام خواجه سجاد حسين الابن الأصغر لحالى بنشر رسائل حالى فى كتاب باسم «مكتوبات حالى» وذلك فى «مطبعة حالى» بپانى پت[٥] .

وبالإضافة إلى ذلك هناك بعض الكتب الأخرى التى لم يستطيع حالى أن يكملها فى حياته وهى :

١ - رسالة فى التذكير والتأنيث فى اللغة وقواعدها[٦] .

---

(١) هذه الكتب متوفرة لدينا الآن وقد اعتمدت فى وصفها على ما جاء فى كتب تواريخ الأدب الأردى .

(٢) طبعة مجلس ترقى ادب . لاهور .

(٣) افتخار صديقى . كليات نظم حالى . ١٥/١ .

(٤) معين الدين عقيل : تحريك آزادى مين اردوكا حصه صـ٧٩٣ .

(٥) صالحة عابد حسين : يادگار حالى . صـ٣١٣ .

(٦) محمد إسماعيل پانى پتى : كليات نثر حالى : ٤٣٧/١ .

٢ - **آل نامه**: وهى نموذج فكاهى ساخر، يضيف فيه حالى الف ولام التعريف على بعض الكلمات العربية والفارسية لتعطى معنى جديداً يعترض فيه حالى على تعصب الأديان والفرق والجهل والحماقة وغيرها من الصفات. **وفيما يلى نماذج منها**:

المذهب: اعلان جنگ: اعلان الحرب

الدين: تقليد آبا واجداد: تقاليد الآباء والأجداد

العلم: قسم ازجهل مركب: نوع من الجهل المركب

الامتحان: آزمائش لياقت ممتحنان: امتحان لصلاحية الممتحنين.

اليونيورستى: كارخانه كلرک سازى: مصنع لصناعة «الكتبه الحكوميين».

المسلمانان هند: چون مارگزيده ازريسمان ترسند گان: مثلهم كمثل من تلدغه الحيه يخاف من الحبل.

العلى گڑھ پارٹى: شهيد وفا: شهيد الوفاء.

العلى گڑھ كالج: پرورش گاه طفلان بدست مائندران: مكان لتربية الأطفال على يد المربيين.

الانجمن هاى إسلامية: سبزه برشگال: خضرة أيام المطر.

الاتفاق درمسلمانان: چون اجتماع در نقيضين: مثلهم كمثل الجمع بين النقيضين.

الرئيس: آن كه ازرياست – خبر باشد: الذى لا يعرف شيئًا عن أمور الرئاسة.

الأمير: آن كه تهى دست وقرض دار باشد: هو خالى الوفاض ومديناً.

المولوى: آن كه مسلمانان را ازدائرۀ اسلام خارج مى كرده باشد: من يطرد المسلمين من دائرة الإسلام.

الواعظ: آن كه درتفريق بين مسلمانان خطا نه كند: الذى لا يخطىء فى التفريق بين المسلمين.

الشكار: بنهانه آدم كشى: عذر قتل الإنسان.

الكميشن: وجه موجه برائى فيصله يک طرفه: الشئ المنحاز لطرف واحد(١).

(١) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: جـ١. ٤٩٥-٤٩٦.

– النيشنل كانگريس: درحق تعليم هند چون بغاوت ١٨٥٧م در حق أسلحة أهل هند: مثله في حق التعليم الهندى كمثل ثورة ١٨٥٧م فى حق أسلحة الهنود.

وتقول صالحة عابد حسين «كان حالى يرغب فى كتابة قصة أو مسرحية قيمة باللغة الأردية أو يقوم بترجمة قصة أو مسرحية شهيرة من اللغات الأجنبية إلى اللغة الأردية تستخدم كنموذج لهذين الفنين فى الأدب الأردى، ويقول مولوى عبد الحق: من المعروف أن حالى كان يرغب فى كتابة مسرحية وكان يجول بخاطره أعمال كثيرة قيمة ولكن الشيخوخة والمرض والمشاكل الأسرية لم تمنحه أى فرصة لانجاز هذه الأعمال[١].

وكتب حالى معظم مؤلفاته باللغة الأردية ما عدا أول رسالة الفها فى تأييد نواب صديق حسن خان فقد كانت باللغة العربية وقد مزقها استاذه نوازش على لخلاف مذهبى بينهما وبذلك ضاع أول مؤلف لحالى نتيجة للتعصب الدينى ويبدو من هذه الرسالة مدى قدرة حالى على التأليف باللغة العربية وهو فى هذه المرحلة المبكرة من عمره فلم يكن قد تعدى الثامنة عشر عامًا، كما قام حالى بترجمة احد الكتب من العربية إلى الأردية وهو «مبادىءعلم الجيولوجيا» تأليف سير تشارلز ليل، وكتب بالفارسية تحقيق كتاب «سفر نامه حكيم ناصر خسرو». وبالإضافة إلى ذلك ترك حالى مجموعة من المقالات فى النثر بالعربية والفارسية وقام حالى بترتيبها وجمعها قبل وفاته، وطبعت بعد وفاته بعدة أشهر فى أغسطس ١٩١٤ مع اشعاره الفارسية والعربية باسم «ضميه اردوكليات نظم»[٢].

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. ص٩٩.

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: ١/٣٤٣.

١ – مؤلفات حالى الأولية

١ – مولود شريف:

أى المولود الشريف وهو سيدنا محمد ﷺ وهو أول كتاب نثرى لحالى كتبه فيما بين الأعوام ١٨٦٤م و ١٨٧٠م وطبع هذا الكتاب لأول مرة باهتمام خواجه سجاد حسين ابن حالى وكتب مقدمة له ونشر فى «مطبعة حالى» بپانى پت، ويبدأ هذا الكتاب بالحمد والثناء للخالق عز وجل وذكر نعمه الكثيره وشكره عليها والاعتراف بالعجز البشرى أمام قوة الله وعظمته وذكر صفات الله، ثم يذكر حالى بعد ذلك صفات الرسول ومناقبه بإسلوب سلس يعدد فيه صفات الرسول مثل الكرم والأسوه الحسنه والحب والعفو عند المقدره والفقر والشفاعة ويتحدث عن ولادة الرسول والمعجزات التى أتى بها يوم ميلاده مثل تصدع ايوان كسرى وخمود نار المجوس وغور المياه فى بحيرة ساوه بايران ثم يتناول – معجزات النبوة، واسلوب حالى فى هذا الكتاب شبيه بالكتب الرائجه فى عصره آنذاك والتى تناولت هذا الموضوع مثل كتاب «مولود أكبر» وقد كرر حالى فى هذا الكتاب ما جاء فى كتب السيرة النبوية(١)، وفى نهاية الكتاب مناجاة نثرية غاية فى القوة والعذوبة وهى أفضل من المناجاة الشعرية(٢) وهذه المناجاه موجودة فى مقالات حالى(٣) ويحتوى هذا الكتاب على ٩٨ صفحة ولغته تقليدية قديمة ويستعمل حالى فيه كلمات فارسية وعربية كثيرة بطريقة تمثيلية يتغلب عليها الجانب العاطفى والعقيدى وقد رجع حالى فى هذا الكتاب إلى الانجيل والتوراه(٤).

٢ – ترياق مسموم:

«الدواء السام» وهو ثانى مؤلفات حالى النثرية وقد كتبه عام ١٨٦٧م رداً على كتاب القس المرتد عماد الدين(٥) «هدايت المسلمين» والمعروف أيضاً باسم «تحقيق

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى صـ٦١، ٦٢.

(٢) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ١٥.

(٣) حالى: مقالات حالى: جلداول صـ١–٣.

(٤) عبد القيوم: المرجع السابق صـ٦٣.

(٥) كان عماد الدين من سكان پانى پت ولد عام ١٨٢٠م وارتد إلى المسيحية عام ١٨٦٦م وكان المبشرون =

الإيمان »[١].

ويتناول حالى فى كتابه تهم عماد الدين الموجهة للإسلام ويرد عليها بأسلوب هادىء وبطريقة استدلالية[٢] وقد ذكر صاحب تذكرة حالى أن رد حالى كان ينشر فى مجلة « خير المواعظ » الشهرية فى ذلك الوقت فى دهلى على أجزاء ولم ينشر على هيئة كتاب منفصل[٣] وقد كتب حالى هذا الكتاب أثناء اقامته فى جهانگير آباد[٤] – ولهذا الكتاب أهمية كبرى من الناحية الدينية لا تقل عن الناحية الأدبية ويبدو فيه أسلوب حالى البسيط السلمى كما يساعدنا على تتبع التطور الفكرى عند حالى[٥] ويتضح منه وقوف حالى على أهم احداث عصره وفطنته فى الرد على القس عماد الدين[٦].

٣ – مبادىء علم البيولوجيا (علم طبقات الأرض) :

ومؤلف هاذ الكتاب سيرتشارلز ليل Sir Charles Lyell وكتبه عام ١٨٣٠م باللغة الفرنسية[٧].

يقول حالى : وبعد ذلك قمت فى لاهور بترجمة كتاب من اللغة العربية إلى الأردية فى علم طبقات الأرض وقد ترجمه أحد المصريين الأفاضل من الفرنسية إلى العربية وقد

= المسيحيون قد انتشروا بكثرة فى الهند بعد الثورة ونشروا الفتنة بين المسلمين معتمدين على سلطة الانجليز السياسية وكانوا يلقون العون والمساعدة من الحكومة الانجليزية وقد قاموا بتسميم الجو الدينى وحاولوا نشر المسيحية بمختلف الطرق وقد وقع كثير من المسلمين فى شراكهم نتيجة وعودهم بالمطامع الدنيوية كالوظائف الحكومية والأموال وكان عماد الدين من الذين تحولوا إلى المسيحية طمعًا فى المال والوظيفة عند الانجليز وتبعه أخوه خير الدين وأبوهما سراج الدين وأصبحوا مبشرين بالدين المسيحى لكن سراج الدين وابنه خير الدين عادا واعتنقا الإسلام مرة أخرى فى حين استمر عماد الدين ينفث سمومه ضد الإسلام والمسلمين وظل يكتب الكتب المختلفة فى مهاجمة الإسلام ونبيه بإتهامهم بتهم كاذبة وقد قام علماء الدين بالرد عليه وعلى افتراءاته ومنهم چراغ على ومولانا قاسم نانوتوى ومحمد على مونگيرى وقد كتب حالى هذا الكتاب « ترياق مسموم » للرد عليه.

(١) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤١.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص٦١، ٦٢.

(٣) محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى ص١١٩.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص١٧.

(٥) محمد اكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعة ص٧٢.

(٦) رام بابو سكسينة: تاريخ ادب اردو ص٤٥٤.

(٧) ماثيو آرنولد: مقالات فى النقد: رجمة على جمال الدين عزت. الدار المصرية للتاليف والترجمة. ط١. ١٩٦٦. ص٥.

أعطيته لجامعة البنجاب بدون أى تعويض مالى لحق الترجمة وقد طبعته جامعة البنجاب ونشرته فى عهد الدكتور لايتزو كان الكتاب الاصلى قد كتب منذ ثمان وخمسين سنة(١) مضت، أى فى بداية ظهور علم الجيولوجيا وكنت غريبًا على هذا العلم ولهذا لم يخل الاصل والترجمة من الاخطاء(٢) ويتكون هذا الكتاب من ١٣٨ صفحة وقد كتب على غلاف الكتاب الخارجى «مبادىء علم الجيولوجيا وهو فى بيان طبقات الأرض ترجمة مولوى الطاف حسين حالى پانى پتى مدرس أول اللغات الشرقية فى المدرسة الانجلو عربية بدهلى وهو ترجمة لكتاب عربى مترجم عن الفرنسية وقد طبع عام ١٨٨٣م فى مطبعة جامعة البنجاب(٣) ويقول غلام مصطفى خان إن ترجمة هذا الكتاب تمت عام ١٨٧٢ أثناء إقامته فى لاهور(٤). ويذكر حامد حسن قادرى أن اسم هذا الكتاب «طبقات الأرض» وقد تمت هذه الترجمة عن اللغة العربية وطبعت عام ١٨٦٨م(٥) ويقول محمد إسماعيل پانى پتى إن هذه الترجمة تمت فى الغالب عام ١٩٦٨م(٦). ويعترض الدكتور عبد القيوم على هذا لان حالى ترجم هذا الكتاب أثناء وجوده فى لاهور وجاء حالى إلى لاهور بعد وفاة شيفته عام ١٨٦٩م وظل حالى بلاهور أربعة أعوام وترجم هذا الكتاب عام ١٨٧٢ وبذلك يتفق فى رأيه مع غلام مصطفى خان. ويتكون هذا الكتاب من مقدمتين ويبدأ فى تعريف علم الجيولجيا وذكر مراحل تطوره ثم يبحث فى تاريخ الأرض ويتساءل هل الدنيا أبدية أم أزلية ويثبت بالأدلة أن وجود الإنسان على الأرض ليس منذ زمان بعيد وكل الكائنات على سطح الأرض ليست أزلية ثم يذكر آراء العلماء المختلفة فيما يتعلق بعمر الأرض.

وفى الباب الأول يتحدث المؤلف عن حرارة الأرض وفى الثانى عن الطوفان وكيفية حدوثه وأسبابه وفى الباب الثالث يتحدث عن النظريات الجيولوجية المختلفة وتعريف لطبقات الأرض فى كل الأزمنة الجيولوجية ومميزات كل طبقة ومعادن الأرض المفيدة وكيفية استخراجها واستغلالها ويبدو أسماء المدن والجبال الفرنسية فى هذه الترجمة

---

(١) حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو ص٥٨٦.

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى صـ١٢٠.

(٣) محمد إكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوص مطالعه صـ٧٢.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ٢٩.

(٥) حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو صـ٥٨٦.

(٦) محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى صـ١٢٠.

ويتضح منها ان المؤلف الأصلى الفرنسى كان يضرب الأمثلة على بلده فرنسا، وعلى الرغم من عدم معرفة حالى لهذا العلم إلا ان عباراته واضحة بحيث يستطيع عامة الناس أن يفهموها بسهولة علاوة على المتخصصين فى هذا العلم(١).

٤ - أصول فارسى:

وهذا الكتاب فى «قواعد اللغة الفارسية» وكتبه حالى سنة ١٨٦٨م(٢) ولكنه لم يطبع كما أن حالى لم ينته من كتابته كاملاً وكان هذا الكتاب موجوداً فى منزل حالى قبل اضطرابات عام ١٩٤٧م ولكنه فقد وقد عثر الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى على مسودة بخط حالى لمقدمة هذا الكتاب ونشرها فى مجلة «نقوش» عدد اكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥٣م **ويحتوى هذا الكتاب على خمسة أقسام هى:**

١ - **القسم الأول فى علم الصرف**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم الصرف، والباب الأول فى بيان الحروف، والباب الثانى فى بيان المصدر والمشتق، والباب الثالث فى بيان الجامد، والخاتمة اسئلة عن علم الصرف.

٢ - **القسم الثانى فى علم النحو**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم النحو والباب الأول فى بيان الأسماء، والثانى فى بيان الأفعال، والباب الثالث فى بيان الحروف، والباب الرابع فى بيان المركب الناقص، والباب الخامس فى بيان المركب التام، والخاتمة اسئلة فى علم النحو(٣).

٣ - **القسم الثالث فى علم المعانى**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم المعانى، والباب الأول فى إسناد الخبر، والباب الثانى فى بيان المسند والباب الرابع فى بيان متعلقات الفعل والباب الخامس فى بيان القصر والباب السادس فى بيان الإنشاء

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٧٠، ٧١، وصالحه عابد حسين: يادگار حالى صـ٤٠ ورام بابوسكسينه: تاريخ ادب اردو صـ٤٥٤.

(٢) يؤكد الشيخ إسماعيل پانى پتى على ان هذا الكتاب الفه حالى عام ١٨٦٨م، ولكن الدكتور غلام مصطفى خان يذكر فى كتابه «حالى كاذهنى ارتقا صـ٣٢ ان سنة تاليف هذا الكتاب ١٨٧٢م. فى حين ان حامد حسن قادرى يذكر فى كتابه «داستان تاريخ اردو: ص٥٨٦ ان سنة تاليف هذا الكتاب كان عام ١٩٦٨م دون ان يذكر الأدلة على ذلك.

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٧٢، ٧٣.

- محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٧٣.

والباب السابع فى بيان الوصل والفصل، والباب الثامن فى بيان الإيجاز والإطناب والمساواة والخاتمة اسئلة فى علم المعانى.

٤ - **القسم الرابع فى علم البيان**: ويتكون من مقدمة مصطلحات علم البيان والباب الأول فى بيان التشبيه، والباب الثانى فى بيان الاستعارة، والباب الثالث فى بيان المجاز المرسل، والباب الرابع فى بيان الكتابة والخاتمة اسئلة فى علم البيان.

٥ - **القسم الخامس فى علم البديع**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم البديع والباب الأول فى بيان المحسنات البديعية والباب الثانى فى بيان الصنعة اللفظية، والخاتمة اسئلة فى علم البديع[١].

ولو أن هذا الكتاب قد تم لاصبح مفيداً جداً لطلبة اللغة الفارسية، وقد كتب هذا الكتاب بخط واضح ويقع فى ٢٥٩ صفحة وقام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بكتابة حواشيه وتوضيح بعض النقط الغامضة[٢].

٥ - پادرى عماد الدين كى «تاريخ محمدى» برمنصفانه رائى:

(الرأى الصائب على كتاب «تاريخ محمدى») نشر فى سنة ١٨٦٨م كتاب حالى «ترياق مسموم» رداً على كتاب القس عماد الدين المعروف بـ«تحقيق الإيمان» وفى سنة ١٨٧٢م قام هذا القس بكتابة كتاب عن حياة الرسول ﷺ ونشر باسم «تاريخ محمدى» فقام حالى بكتابة هذا الكتاب رداً على كتاب «تاريخ محمدى»[٣] ويقول الشيخ إسماعيل پانى پتى فى مقدمة هذا الكتاب: فى سنة ١٨٧١م» قام القس عماد الدين بتأليف كتاب آخر عن حياة الرسول باسم «تاريخ محمدى» ونشر هذا الكتاب المشهود فى ٣١٢ صفحة ويتهم فيه الرسول باتهامات كاذبة وافتراءات دنيئة وحاول تشويه الحقائق التاريخية، وعندما قرأه حالى تالم كثيراً وقام بالرد عليه بأسلوب منطقى هادىء ومدعم بالأدلة[٤]، وهذا الكتاب يحتوى على خمسين صفحة وغير مقسم إلى أبواب أو عناوين وكتب حالى فى مقدمته بحثًا فى شروط كتابة السيرة الذاتية والقواعد التى

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٧٥، ٧٦.
- محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٧٣.
(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: ١/ ٤٤٠-٤٤٩.
(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثر نگارى صـ٧٧.
(٤) الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى صـ١٣٠. وافتخار صديقى: كليات نظم حالى جـ١.

تحكمها ونبه على أهمية الحيطة فى التأليف لأن القس عماد الدين قد استغل الكتابة استغلال وقح واختار هذه الطريقة الشنيعة المذمومة فى التأليف بعد أن وقع صيداً للحقد والكراهية واختلق الأساطير الكاذبة من وحيه وأقام عليها سيلاً من الافتراضات والافتراءات بخصوص الإسلام ونبيه وقد أثبت حالى خطأها وأكد بقوة على إثبات الأدلة والمراجع التى كتبت بعدل عن حياة الرسول ﷺ[1].

وأسلوب الكتاب استدلالى مدعم بالأدلة القاطعة والبراهين العقلية بطريقة منطقية[2].

٦ - شواهد الإلهام:

ويثبت حالى فى هذه الرسالة بالدلائل العقلية ضرورة الوحى وأهميته، وقد كتب حالى هذه الرسالة عام ١٨٧٢م وتقع فى ٢٢ صفحة وكتبت هذه الرسالة بأسلوب استدلالى واضح يذكر فيه حالى الأمثلة حسب أهميتها فى إثبات فكرته كما يفعل الأستاذ مع تلاميذه من أجل توصيل الفكرة إلى عقولهم وبمساعدة هذه الأمثلة يخرج حالى بنتائج منطقية، ويوضح حالى أفكاره بطريقة مؤثرة يغلب عليها جانب العقيدة الدينية ويظهر قدرته على الكتابة باللغة العربية فى ثنايا هذه الرسالة[3].

وعلى الرغم من أن موضوع هذه الرسالة دينى إلا أن حالى لم ينحز لعواطفه وتحرى فيها جانب الصدق والحقيقة[4]. وكان أسلوب حالى قبل أن يصل إلى لاهور بصفة عامة يميل إلى الطابع الدينى ولم يظهر فيه أى أثر للميول والنزعات الجديدة أو التذوق الأدبى، ولكن بعد وصوله إلى لاهور سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع على هذه المؤثرات الجديدة فى مجال الأدب والتأليف وتوسعت مداركه عندما عمل فى مكتبة البنجاب الحكومية وجمعية البنجاب وتفجرت مواهبه خاصة بعد حركة السيرسيد[5].

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثر نگارى صـ٧٩.

(٢) محمد إكرام سانبوى. حالى وأكبر كاخصوص مطالعه صـ٧٤. يذكر غلام مصطفى خان فى كتابه «حالى كا ذهنى ارتقا» صـ٣٢ أن سنة تأليف هذا الكتاب عام ١٨٧٢م.

(٣) عبد القيوم: المرجع السابق صـ٨٠، ٨١.

(٤) محمد إكرام سانبوى: المرجع السابق صـ٧٤.

(٥) عبد القيوم: المرجع السابق صـ٨٢.

٧ - مجالس النساء:

يقول حالى: «كتبت فى لاهور كتابًا لتعليم النساء فى أسلوب قصصى يُعرف بمجالس النساء وبسببه أهدانى اللورد بروك[1] أربعمائة روبيه وقد ظل هذا الكتاب مقرراً لفترة فى مدارس البنات فى اودهـ والبنجاب»[2] وألف حالى هذا الكتاب عام ١٨٧٤م وهو فى جزئين وطبع الجزء الأول منه فى نفس السنة فى المطبعة المحمدية بلاهور ولكن هذه النسخة مفقودة الآن ويوجد طبعة «مطبعة حالى» بپانى پت[3]. ويشتمل هذا الكتاب على تسعة أبواب أو مجالس يتناول فيها حالى الأمور الاجتماعية المختلفة والهامة للنساء ويذكر أهمية العلم وأفضل الطرق لتعليم الأطفال بسهولة، وأوهام النساء وعاداتهم البالية وقدم عدة نصائح تتعلق بأمور الحياة المختلفة، مثل طريقة نذير أحمد فى كتابه «مرآه العروس» ١٨٦٩م الذى ألفه لتربية النساء[4]. وكتاب مجالس النساء ذات أهمية خاصة بالنسبة لمؤلفات حالى الأولية فى النثر الأردى لأنه يساعدنا على فهم أفكار حالى فيما يتعلق بالمرأة وكيفية إصلاح أوضاعها فى المجتمع الهندى ويعتبر هذا الكتاب الأول فى سلسلة مهمته الإصلاحية، وحاول حالى فى هذا الكتاب إصلاح حياة المرأة الاجتماعية بأسلوب قصصى سهل وانتقد حالى فيه جهل النساء وتمسكهن بالعادات القديمة وكتب هذا الكتاب على لسان نساء دهلى وبلغة الأسر العريقة، ويوجد فيه كثير من الجمل والعبارات والألفاظ والأمثلة التى كانت نساء الأسر العريقة والأشراف فى دهلى يستخدمنها فى حياتهن اليومية[5] وقد كتب فى الأردية عدة كتب فى هذا الموضوع قبل كتاب «مجالس النساء» «مثل قصة» مرآه العروس» و«بنات النعش» لنذير أحمد وقد نالت هذه القصص شهرة عظيمة، كما ظهرت عدة كتب أخرى فى تربية النساء منها «مفيد الخلائق» لـ«عنايت حسين الدهلوى عام ١٨٦٩ و«انشا مفيد النسا» لمولوى عبد الله الذى اهتم فيه بتعليم النساء ومثله كتاب «مفيد النساء» لمولوى عبد الحامد وكتبه عام ١٨٧٢م وكان هدفه أيضاً إصلاح حياة النساء الاجتماعية وانتقد فيه جهلهن وتمسكهن بالبدع والتقاليد البالية وضيق نظرهن واعتمادهن على التعاويذ

---

(١) اللورد بروك: حاكم الهند فى سنة ١٨٧٢م حتى سنة ١٨٧٦م.

(٢) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤١.

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٨٢.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ٤٢.

(٥) رام بابوسكسينه: تاريخ ادب اردو صـ٤٥٤ وصالحه عابد حسين: يادگار حالى صـ٤٠، ٤١.

والطرق القديمة فى مداواة المرضى بدلاً من العلاج المفيد مما يؤدى إلى تفشى المرض، والشخصيات الرئيسية فى « مجالس النساء » هن نساء دهلى ويجرى الحوار على لسان عجوز وابنتها شاه جى بأسلوب قصصى ممتع تعترض فيه الفتاة على تمسك أمها بالتقاليد القديمة البالية وحاول حالى تخليص النساء اللاتى مازلن على تمسكهن التعاويذ والشعوذة والأوهام والخرافات فى حياتهن اليومية، وتبدأ القصة بكيفية تعليم الأطفال وأصول تربيتهم وأى الطرق المثالية لتحقيق ذلك وحذر من التدليل الزائد فى معاملة الطفل والقى بالمسئولية كاملة على عاتق الأم فى تربية أبنائها ولذلك يجب تعليم النساء حتى يعلمن أبناءهن خاصة فى المرحلة الأولى من حياتهم، حيث يكونون أكثر قبولاً ومثولاً للتوجيه والتربية(١)، وعلى الرغم من أن كتاب « مجالس النساء » لا يعتبر قصة بالمعنى الفنى مثل قصص نذير أحمد « مرأة العروس » و« بنات النعش » إلا أنه يعتبر مرحلة من مراحل تطور القصة الأردية وكان حالى ينوى كتابة قصة بالمفهوم الفنى ولكنه توفى قبل أن يحقق ذلك ولكن حالى نجح إلى أبعد الحدود فى تصوير المجتمع الإسلامى على لسان نساء دهلى واستطاع بذلك أن يحفظ لنا الكثير من الالفاظ والعبارات المستخدمة فى ذلك الوقت، كما نجح أيضًا فى أهدافه الإصلاحية وحرر حالى النساء من الوهم وأثبت مقدرة فائقة فى معرفة لغة النساء والأمثال التى يستخدمونها فى حياتهن اليومية وتناول أحاديثهن بلغة سهلة غير متكلفة حتى قال الشيخ إسماعيل پانى پتى « يبدو من هذا الكتاب أنه من تأليف أحد النساء ».

٨ - سفر نامه حكيم ناصر خسرو :

« رحلة ناصر خسرو » ترجم حالى هذا الكتاب عام ١٨٨٢م وهو باللغة الفارسية مع مقدمة طويلة وبحث فى فن التراجم والسيرة الذاتية وكتبه حالى بإتقان شديد وبذل فيه جهداً عظيمًا واستفاد فى تأليف هذا الكتاب من كتب التذاكر المشهورة. فى ذلك الوقت والتى تتناول هذا الموضوع، واطلع على كثير منها مثل: « تاريخ گزيده » تأليف حمد الله المستوفى وقد الفه عام ٧٣٠ هـ، و« مجمع الفصحاء » لرضا قليخان هدايت »، و« روضة الصفا » تأليف ميرخواند و« حبيب السير » تأليف غياث الدين المعروف بخواند مير والفه عام ٩٢٩ هـ و« تذكرة الشعراء » لدولتشاه السمرقندى والفها عام ٩٨٢ هـ

---

(١) عبد القيوم: المرجع السابق: ص٨٣، ٨٤.

- محمد إكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٤.

و« آتش كده » تأليف لطفى على بيك آذربيكدلى والفها عام ١١٧٤ هـ، و« مفتاح التواريخ » لتومس وليم بيل و« تقويم التواريخ » لحاجى خليفة، علاوة على استفادته مما كتبه المستشرق الفرنسى شارلز شيفر[١] ويتضح من مقدمة الكتاب أن رحلة ناصر خسرو هذه كانت موجودة فى مكتبة نواب ضياء الدين أحمد حاكم لهارو، وقد جد فى طالبها المستشرق الفرنسى شيفر لترجمتها إلى اللغة الفرنسية وقد رأى حالى هذا الكتاب فى الغالب عند نواب ضياء الدين أحمد وقام بتحقيقه واعادة طبعة وكانت قد اشتهرت روايات خاطئة فى ذلك الوقت عن حياة ناصر خسرو ومؤلفاته فقام حالى بجمع أحداث حياته ووقائعها الصحيحة من كتب التاريخ المختلفة ونشر هذا الكتاب الذى يعد من أهم جهود حالى العلمية[٢].

وتقع مقدمة حالى لرحلة ناصر خسرو فى ٣٢ صفحة، ويعتبر ناصر خسرو من كبار الأدباء والرحالة فى القرن الخامس الهجرى وتوفى عام ٤٨١ هـ وتعتبر رحلته من أهم كتب الرحلات فى عصره وقد وصف ناصر خسرو البلاد التى زارها مثل مصر والحجاز والشام وفلسطين فى سبع سنوات بأسلوب بسيط سلس ويعتبر تحقيق حالى لهذه الرحلة ذات أهمية تاريخية كبرى نظراً لضياع معظم الكتب التى اعتمد عليها حالى فى ذلك الوقت، كما فقدت أيضاً النسخة الأصلية من هذه الرحلة وقد قام حالى بنشر هذه الرحلة مع تحقيق لها فى مطبعة خير خواه دهلى عام ١٨٨٣م، وقد قام مولوى عبد الرازق كانبورى بترجمة هذه الرحلة إلى اللغة الأردية مع حواشى قيمة ومقدمة فى فن كتابة التراجم ونشرتها جمعية تطوير اللغة الأردية « انجمن ترقى اردو » عام ١٩٤١م[٣]. كما قام محمد صديق طاهر شادانى بترجمة سفر نامه إلى اللغة الأردية ونشرها « مجلس ترقى ادب » عام ١٩٧٣م.

وفى مقدمة هذا الكتاب يقول حالى: مؤلف سفر نامه هو حكيم أبو المعين ناصر بن خسرو العلوى من شعراء خراسان القدماء، اشتهر بالعلم والحكمة. ولم تتناول أقلام المؤرخين أحداث حياته بدقة لذا حدث هناك تداخل بين الأحداث الصحيحة والكاذبة، ولعل السبب فى عدم الاهتمام بسيرته لمدة طويلة أو تناولها بدون اهتمام، يرجع إلى أن العصر الذى عاش فيه كان الخلاف المذهبى بين السنة والشيعة على أشده وكانوا يعتبرون

(١) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص٨٨.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص٤٨.

(٣) غلام مصطفى خان: المرجع السابق ص٨٩.

ناصر خسرو من ائمة المذهب الإسماعيلى وكانوا يطلقون على الإسماعيلية لقب الملاحدة أو الباطنية(١).

وعندما بدأت افكاره واشعاره تنتشر فى كل مكان بدأ المؤرخون فى البحث عن مؤلفاته وسيرته الذاتية ويفرقون بين الصالح والطالح منها ومع ذلك يبقى هناك صعوبة فى معرفة احداث حياته بصورة صحيحة. وفى العصر الحديث كتب المستشرق الفرنسى شارلز شيفر كتابًا باللغة الفرنسية عن قصة حياته ولكننا لا نستطيع الاعتماد عليه لأننا لا نعرف اللغة الفرنسية(٢).

ومن أكبر الخلافات فى حياة ناصر خسرو هو تحديد سنة مولده، فمثلاً يذكر حمد الله المستوفى القزوينى فى تذكرته « تاريخ گزيده » أن سنة ولادته ٣٨٥ هـ، بينما يذكر مؤلف « دبستان المذاهب » أنه ولد عام ٣٥٩ هـ فى حين أن صاحب « حبيب السير » يرى أنه ولد عام ٣٥٨ هـ لكننا لا نقبل هذه الأقوال الثلاثة ونرجح عليها رأى رضا قلى خان الذى أورده فى تذكرته « مجمع الفصحاء » الذى يقول أنه فى ٣٩٤ هـ وقد وافق شارلز شيفر على الرأى الأخير واستند فى ذلك على بيت شعر لخسرو يقول فيه « لقد ولدتنى أمى، بعد انقضاء ٣٩٤ عامًا من الهجرة »(٣) وبالنسبة لموطن ناصر خسرو يذكر كتاب التذاكر أنه من اصفهان إلا أن هذا الرأى ليس له وزن فالثابت أن آباءه وأجداده لم تكن لهم أى صلة بمناطق اصفهان والعراق العجمى وفارس وأن اجداده حتى على بن موسى الرضا وهو الجد الثامن له كانوا يسكنون خراسان وكانت بلخ عاصمة لخرسان لزمن طويل ويمكن أن نعرف موطنه من هذا البيت الشعرى:

يا نسيم الصبا إذا مررت على ديار بلخ   عرّج على دارى واخبرنى باحواله(٤)

وقد حفظ ناصر خسرو القرآن الكريم فى طفولته وتعلم العلوم الأولى ودرس علوم عصره حتى صار من أشهر علماء خراسان والتحق بخدمة السلاجقة وكان مقربًا من

---

(١) حالى: سفرنامه حكيم ناصر خسرو. مجلس ترقى ادب. لاهور ١٩٧٣م ص١.

(٢) حالى: سفر نامه حكيم ناصر خسرو ص٢-٣.

(٣) بگزشت زهجرت پس سيصد ونود وچهار   بنهاد مرا مادر بر مركز اغبر

(٤) اے باد عصر گرگزرى بردبار بلخ   بگزر بخانه من وآنجا بجوى حال

چفریک وعمل كاتبًا عنده وفى سنة ٤٣٧ هـ أراد أن يسافر إلى الحجاز فترك هذه الوظيفة وبدأ رحلته من خراسان إلى العراق العجمى وآذربيجان ووصل ارمينية ومنها للشام وفلسطين والعراق ووصل إلى مكة ومنها إلى مصر، حيث قضى بها ثلاث سنوات ومن مصر زار الحجاز مرتين وكان يعود إليها مرة أخرى، ويقول كتاب «روضة الصفا» و«حبيب السير» و«دبستان المذاهب» أنه مكث بمصر سبع سنوات ولكن ناصر خسرو يكذب ذلك فى «سفر نامه»، وفى نهاية رحلته عام ٤٤١ هـ عاد من مصر فزار الحجاز واليمن والحساء والبصرة وخليج فارسى ومنه إلى بلاد فارس وخراسان حتى وصل إلى بلخ عام ٤٤٤ هـ[١].

وهناك اختلاف أيضًا حول سبب قيام ناصر خسرو برحلته، فنعرف من كتابه «سياحتنامه» أنه مر بالعراق العربى مرتين لكنه لم يوضح هل كان ذلك من أجل زيارة العتبات المقدسة والكاظمية والنجف وكربلاء وكان الشيعة يزورونها للتبرك، ويذكر حالى أن صاحب «روضة الصفا» و«حبيب السير» قد ذكرا أن ناصر خسرو سمع بسيرة الإسماعيلية الطيبة فذهب إلى مصر ولكنه لم يذكر ذلك فى سياحتنامه[٢].

وقد أكد حالى على علاقة ناصر خسرو وبصفة خاصة المستنصر بالله الفاطمى وله قصيدة يفهم منها أنه كان يتوق لرؤيته وانه سافر لهذا الغرض علاوة على أن ناصر خسر وكان متبرمًا من علماء عصره ولم يكن يتوقع منهم أن ينصفوه ويحترموا علمه ولذا لاذ بالمستنصر وبث إليه همومه، ولم يكن الهدف من سفر ناصر خسر والحصول على المال والجاه وقد مدح ناصر خسرو والمستنصر بالله فى قصيدة ووصفه بالصدق والعدل وانه إمام واجب الطاعة[٣].

وبعد عودة ناصر خسرو إلى خراسان رماه الناس بالكفر واتهموه بالإلحاد والزندقة وتعقبوه فهرب إلى كوهستان فى بدخشان، وهناك رواية تقول انه بعد ان عاد إلى وطنه ذهب إلى بغداد وجيلان للبحث فى المذاهب مع العلماء وتشرف بصحبة الشيخ أبو الحسن الخرقانى وبايعه وقضى حينًا من الدهر فى خدمته، إلا أن حالى يرفض هذه الرواية لانه ليس هناك ما يثبت ذلك. وهناك اختلاف شديد حول تحديد مذهب ناصر خسرو، فيقرر رضا قلى خان فى «مجمع الفصحاء» أن مذهبه الصحيح هو الاثنى عشرية إلا ان

(١) حالى: المرجع السابق ص٥-٧.

(٢) حالى: سفرنامه حكيم ناصر خسرو ص٩.

(٣) حالى: المرجع السابق ص١٠-١٢.

حالى يرفض هذا الرأى وأنه محض خيال وأن شارلز شيفر نقل عدة أبيات لناصر خسرو فى ترجمته الفرنسية توضح انكاره لحشر الجسد وقد علق المحقق الطوسى عليها بقوله أن ناصر خسرو لا يعتبر فى عداد المؤمنين الصادقين. واختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاة ناصر خسرو فيرى دولتشاه السمرقندى أنه توفى عام ٤٣١ هـ، غير أن سياحتنامه تكذب ذلك لأنه فى هذا التاريخ لم يكن قرر السفر، ويقول تومس وليم بيل فى «مفتاح التواريخ» أن سنة وفاته ٤٤١ هـ ولكن هذه الرواية خاطئة كسابقتها لأن هذا يعنى أن عمره فى ذلك الوقت ٤٧ سنة مع أن له قصيدة كتبها وهو فى الثانية والستين من عمره[١].

ويقول صاحب «حبيب السير» أن عمر ناصر خسرو مائة عام طبقًا لرأى صاحب «تاريخ گزيده» وكذلك يذكر صاحب «مجمع الفصحاء» أنه عاش مائة وأربعين عامًا ومات عام ٥٣٤ هـ وأنه التقى بالشيخ الرئيس أبو على سينا وأبو نصر الفارابى، ويرفض حالى هذه الآراء ويقول ان أصدق هذه الاقوال قول حاجى خليفة فى «تقويم التواريخ» حيث ذكر أن وفاته كانت عام ٤٨١ هـ وعمره ٨٧ عامًا، ومن شعره «روشنائى نامه» ونثره «كنز الحقائق». ويرى حالى ان من مؤلفاته علاوة على هذا كتاب «الندامة فى زاد القيامة» باللغة العربية ويذكر شيفر فى كتابه عن حياة ناصر خسرو أنه فى هذا الكتاب يظهر ندمه وخطأه، وله أيضًا «سلم السموات» و«سعادت نامه» و«مستولى» فى الفقه، و«زاد المسافرين» فى المعقولات و«قانون اعظم» و«دستور أعظم» وتفسير القرآن علاوة على «سفر نامه»[٢].

٩ - تذكرة رحمانية : (حياة الشيخ عبد الرحمن پانى پتى)

ألف حالى هذا الكتاب عام ١٨٩٦م وتحدث فيه عن حياة استاذه الشيخ عبد الرحمن پانى پتى وعن علمه وفضله وقد تلقى حالى علوم الحديث على يديه وكان شيخًا عالمًا راسخ العقيدة وتأثر حالى به، وبعد وفاته عام ١٨٩٦م حزن حالى عليه حزنًا شديدًا ويقول حالى عن الشيخ عبد الرحمن أنه لم يخش لومه لائم فى أمور دينه ودخل معترك الحياة فكان يقوم بوعظ المسلمين فى كل مكان وظل على هذه الطريقة حتى مات ولم يكن يفضل حياة الخلوه.

---

(١) حالى: المرجع السابق ص١٣-١٩.

(٢) حالى: المرجع السابق ص٢٢-٢٤.

خصائص أسلوب حالى

كان حالى شاعراً مجيداً تصل شاعريته إلى حد الكمال فى الوضوح والبساطة والصدق فى الأسلوب واللغة لذلك استطاع أن ينجح ككاتب نثر بارع بقدر شهرته فى نظم الشعر، وترك لنا حالى ثروة أدبية ثمينة فى مجال النثر والشعر، ولا تقل مكانته فى كتابة النثر الأردى عن نظيرها فى نظم الشعر.

ويعرف المثقفون حالى فى الأدب الأردى الحديث بأنه كتب «مقدمة شعر وشاعرى» ومهد الطريق لظهور الشعر الجديد وألف فى التراجم «حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات جاويد» غير أن هذا اللون من الإبداع الأدبى ظهر لنا بعد مقابلة حالى للسير سيد وفى مرحلة نضوج أسلوب حالى النثرى الذى ظهر جليًا بعد ذلك بتاثير من حركة على گڑھ، لكن قبل هذه المقابلة مع السير سيد كان اهتمام حالى ينحصر فى مجال الإصلاح الأخلاقى والمناظرات الدينية ويسير فى ذلك على نهج القدماء وأساليبهم. ولا يعتبر حالى فى هذه الفترة الزمنية منفصلاً عن الحياة الفكرية فى عصره، حيث كانت موضوعات النثر محدودة للغاية فى كتابة الكتب الدينية والقصص وكانت مؤلفات هذا العصر مليئة بالمبالغة علاوة على النزعة الدينية المسيطرة على أسلوب كتابتها وكان كتاب النثر يهتمون بالمحسنات البديعية والصنعة اللفظية باستثناء بعض هذه المؤلفات غير أن أسلوب حالى كان خاليًا من هذه العيوب وتتغلب عليه النزعة الإصلاحية والدينية وكانت المؤلفات فى ذلك العصر تهتم بالجانب العقيدى والعاطفة الدينية إلا أن ذلك كان يقل فى مؤلفات حالى فى تلك الفترة ولم يكن أسلوب معقداً يحول دون توصيل الفكرة بسهولة إلى المتلقى، ومع ذلك كان من الطبيعى أن يتاثر حالى بعصره وأسلوب النثر فى هذا العصر(١)، ولم تكن هناك أى محاولات جديرة بالاهتمام فى هذا الوقت لبيان النظريات العلمية فى النثر الأردى، وعندما تكون هناك حاجة ماسة إلى كتابة الأفكار العلمية فإنهم يختارون اللغة الفارسية لأداء هذه المهمة وكانت لغة متقدمة بالمقارنة باللغة الأردية، وعلى الرغم من أن مؤلفات حالى كتبت بعد ثورة ١٨٥٧م لكن الطريق لم يكن قد ظهرت معالمه بعد أمام حالى حتى التقى بالسير سيد وبدأت مؤلفاته

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ٩٧، ٩٨.

(٢) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٥.

تتجه وجهة أخرى ومثل أمامه ميدان الموضوعات العلمية الرحبة بعد أن كان نثره يدور في دائرة ضيقة من الموضوعات من قبل، وعندما أصدر السير سيد مجلة « تهذيب الاخلاق » لنشر أهدافه الإصلاحية ازدهر النثر الأردى وصار مؤهلا لاداء الأفكار العلمية والموضوعات الأدبية على السواء وحلت اللغة الأردية محل اللغة الفارسية(١).

ويقول حسن قادرى: كان حالى عنصراً هاماً من عناصر الأدب الأردى الخمسة(٢) والذى بدونه لا يكتمل مزاج الأدب الأردى الصحيح ففى غضون فترة لا تتجاوز أربعين عاماً أسس حالى ورفاقه الأدب الأردى وبدون هذه الجهود لا تستطيع أى لغة تتطور أو يوجد نماذج أولية لهذه اللغة فأبدع السير سيد سيد فى مجال المقالات الأدبية وآزاد فى مجال التاريخ والتذاكر ونذير أحمد فى مجال القصة ولم يكن أحد كتب فى التراجم والسيرة فكان حالى أول كاتب للسيرة الذاتية كما ألف كتاب الأردية الأول فى نقد الشعر وكان لشبلى أعمال عظيمة فى السيرة النبوية والنقد وكانت « حيات سعدى » أول كتاب فى السيرة قائماً على أساس علمى(٣).

وقد اختار حالى موضوعين خاصين به فى مجال كتابة النثر وهما النقد الأدبى وكتابة التراجم ووضح فيهما وجهة نظر المؤرخ والناقد، وهناك عدة أسباب لشهرة أسلوب حالى وهى: ١ - **يستخدم حالى فى أسلوبه ذخيرةً هائلة من الألفاظ الهندية**: كان لنجاح أسلوب حالى وشهرته عامل هام وهو استخدامه ذخيرة هائلة من الألفاظ الهندية وكان حالى عالمًا برقة وجمال الالفاظ الهندية حتى استعملها بدقة فى نثرة ويقول: مولوى عبد الحق: لقد أدخل حالى كثيراً من الألفاظ والمفردات الهندية فى الأدب الأردى والتى كانت بعيدة عن أنظارنا والتى نستعملها حتى اليوم ولا يوجد أديب أو شاعر أردى فضلاً عن الأدباء والشعراء الهنود إلا واستعملها فى مؤلفاته، وكان حالى يستخدم الألفاظ الصحيحة فى موضعها والتى تبث الروح فى الكلام فتنهض الألفاظ لتتحدث بنفسها ويستمر خفقان قلب الكاتب وهذا هو ذروة الكمال بالنسبة للأدب وبعض من خدمات حالى « ويمتاز أسلوب حالى كذلك بوجود آلاف من الألفاظ المتروكة والتى لا تستعمل ويعتبرها الأديب والشاعر بوجه عام ألفاظًا سوقية وعامية غير جديرة بالاهتمام،

---

(١) صالحة عابد حسين. يادگار حالى صـ١٧٠، ٢٧١.

(٢) العناصر الخمسة هم: السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) وشبلى (ت ١٩١٤م) ونذير احمد (ت ١٩١٢م) ومحمد حسين آزاد (ت ١٩١٠م) وحالى (ت ١٩١٤م).

(٣) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه، صـ٧٠، ٧١.

غير أن حالى استعمل هذه الكلمات فى موضعها واظهرها بطريقة جميلة وسليمة مثل ترصيع الفصوص فى الخاتم، وعن طريق حالى أخذت هذه الألفاظ مكانتها فى الأدب الأردى، وأراد حالى أن يضاعف من خزينة الكلمات المستخدمة فى اللغة الأردية وهو يعلم أن اللغة الأردية تحوى آلاف الألفاظ من اللغات الأخرى والتى صارت بعد امتزاجها بها جزء لا يتجزأ من كيانها مثلما تستخدم ألفاظ اللغات المحلية الأخرى ببساطة فى اللغة الأردية.

٢ – **يستخدم حالى فى أسلوبه كثيراً من المفردات الإنجليزية**: استخدم حالى فى أسلوب كتابته كثيراً من الألفاظ الانجليزية[١] التى كانت شائعة فى عصره ويستخدمها من يعرف الانجليزية أو من لا يعرفها فى حياته اليومية وقد دخلت هذه الألفاظ فى الأدب الأردى بتأثير من التعليم الانجليزى الذى فرضه الانجليز على سكان الهند ونجد هذه الكلمات أكثر استخداماً فى أوساط المثقفين وعلى رأسهم السير سيد ووفاقه وانصار حركة على گرطه، واستخدم حالى فى نثره هذه الكلمات على الرغم من عدم معرفته باللغة الانجليزية كما ذكر ذلك فى ترجمته الذاتية[٢] وادى جهل حالى باللغة الانجليزية إلى استخدام مفرداتها فى غير موضعها وبطريقة خاطئة كما حاول أن يطبق قواعد اللغة الأردية على هذه الألفاظ مثل «اسكالرشب» يجمعها حالى على «اسكالرشبون» واستخدم حالى هذه الألفاظ بكثرة فى نثره كما يستخدمها السيرسيد فى مقالاته فى مجلة «تهذيب الأخلاق» ومن هذه الألفاظ: پولتيكل، آرگن، هسترى، فيكلتى، كالج اسطيت، بريسنسط، ايدطرس، ديپوطيشن، سلف هلب، واستعمل حالى الألفاظ غير المستعملة فى اللغة الانجليزية مثل فوندطيشن، انسوطيوشن طدپارتمنت[٣] وغيرها من الألفاظ التى لم تكن مفهومة فى ذلك الوقت ولكن حالى استخدمها ليظهر قدرته الثقافية العالية على الرغم من وجود مترادفات كثيرة لهذه الكلمات فى اللغة الأردية، كما نلاحظ أن هذه المفردات الانجليزية كانت تستعمل فى مجال التعليم والثقافة أو الوظائف الحكومية والقاب الحكام الانجليز، أو فى مجال الأدب وتوضح هذه الألفاظ مدى تأثر اللغة الأردية فى ذلك الوقت بألفاظ اللغة الانجليزية وخاصة الألفاظ الحضارية منها، على أننا كما سنرى فى كتاب حالى «مقدمة شعر وشاعرى» أنه يستخدم كثيراً

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ٢٧٦، ٢٧٧.
(٢) حالى: ترجمة حالى: صـ٣٣.
(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٢٩٤، ٢٩٥.

من الألفاظ الانجليزية فى الشعر والنقد مثل بؤيترى ونيچرى ونيچرل وغيرها من الألفاظ التى سنتعرض لها عند دراستنا لهذا الكتاب فى الباب الثالث. واستعمال حالى لهذه الألفاظ الانجليزية الكثيرة فى أسلوبه يختلف عن استعماله لألفاظ اللغة الهندية ومفرداتها لأن هناك توافقًا فطريًا بين الاردية والهندية فهما أختان تربيتا فى حضن أم واحدة وإذا كان الكاتب واقفًا بهما عارفًا لهما يستطيع بطريقة جيدة أن يستخدم ألفاظ أحدهما فى الآخرى بدون أن يظهر أى خلل فى سياق العبارة، ولكن حالى كان يجهل من البداية اللغة الانجليزية التى تعتبر لغة أجنبية على الهند وليس لها صلة قرابة بالأردية مثل الهندية، وفى خلال المائة عام الماضية ومنذ فشل الثورة بدأت تدخل مئات الألفاظ والمفردات الانجليزية فى اللغة الأردية، إلا أن حالى استعمل هذه الألفاظ فى نثره بطريقة خاطئة وغير مناسبة أو ضرورية فى بعض الأحيان. وتقول صالحة عابد حسين[1]: «ربما كان تفكير حالى هو الاستفادة من ألفاظ اللغة الإنجليزية بقدر الإمكان مثلما تستعمل مئات المفردات الهندية وآلاف المفردات الفارسية والتركية والعربية فى اللغة الأردية، فكان تفكير حالى صائبًا إلى حد ما فقد استفادت اللغة الاردية فى كثير من المواضع بهذه المفردات خاصة اسماء الأشياء الأجنبية ومتعلقاتها والتى دخلت إلى الهند مصاحبة للحكومة الانجليزية، ولا تستطيع الاردية أن تأخذ من اللغة الانجليزية أكثر من ذلك».

٣ - المميزات العامة فى أسلوب حالى والتى اتفق عليها النقاد ومؤرخو الأدب الأردى:-

يمتاز اسلوب نثر حالى بالقوة والاستدلال ويمتزج فيه السلاسة بالاعتدال والتوازن بلغة سلسة لا تضل المخيلة الطريق بقراءتها ولا تتعثر ملكات التفكير أمام عباراتها فلم يكن هدف حالى اللعب بالألفاظ ليصنع بمساعدتها طلسما يستهوى العقل ويسحر اللب ويأثره، بل كان أسلوب حالى يدعو القراء للتفكير بقلب يقظ وعين مفتوحة ليروا النتائج التى يعرض لها[2].

ويقول المستشرق: جراهام بيلى Graham Bailey الذى قضى جزءًا كبيرًا من عمره فى دراسة اللغة الاردية – فى كتابه «تاريخ الأدب الأردى -Ahistary of Urduletera ture" عن «أسلوب حالى أنه عار من الزينة، وممل إلى حد ما إلا أنه مستقيم ورصين كما

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٧٧.

(٢) صالحة عابد حسين: المرجع السابق صـ٢٧٣.

يتجلى هذا من كتابته فى موضوعات علمية، وهو جيد حقًا فى الاحايين، إلا أن خروجه عن الصيغ لا تعجب القارىء»[١].

ويقول الشيخ چاند الذى درس نثر حالى بعمق وكتب فيه كتابًا جامعًا: إن نثر حالى قوى جاد وموزون ويقدم ما فى ضميره بأسلوب مؤثر بحيث لا يجد القارئ والمتلقى صعوبة فى فهم أفكاره ويستطيع أن يصاحبه فى خياله الملحق بلا نصب ولم يقع حالى فريسة للثرثرة والتصنع فى غير محله بل أن أفكاره تابعة لألفاظه ومن هنا نرى أن **أسلوب حالى لم يكن أدبيًا انشائيًا فحسب بل كان علميًا** ونقديًا[٢].

ويقول مهدى أفادى الناقد المعروف: إذا استطاع أحد أن يمسك القلم بعد السيرسيد أحمد خان فهو حالى «ويعترف الدكتور عابد حسين بجمال أسلوب حالى فيقول: لا يقل نثر حالى فى طابعه عن شعره فنجد فيه العظمة والبساطة والنضج وأسلوبه بسيط وبالرغم من هذا لم يتخل حالى فى أسلوبه عن الوقار والعفة بجانب القوة العلمية». ويقول آل أحمد سرور: كان حالى صاحب أسلوب متميز ويتميز بالحيوية عن باقى رفاقه وأصدقائه» والحقيقة إن أسلوب حالى كان حيًا وراسخًا ومثل هذا الأسلوب تكون الحياة الخالدة من نصيبه[٣].

ويقول الدكتور عبد القيوم: يتميز أسلوب حالى بالصفاء والقوة والبساطة فى استخدام التشبيهات والأمثلة العربية والأعجمية وقرب ألفاظ اللغة من أفهام العوام وقرب المعنى من النفس بدون أى صعوبة واختراع التعبيرات وتوليد التراكيب الجديدة فى نثره ومؤلفاته خالية من إثبات الذات والأنانية ويظهر فيها تواضعه الشديد»[٤].

ويقول كليم الدين أحمد: أحد نقاد الأدب الأردى «يتميز نثر حالى وأسلوبه بالصفاء والتنوع والجاذبية والدقة فى تناول الموضوعات النقدية «ويقول الدكتور سيد شاه على بصدد أسلوب حالى: إن أسلوب حالى يتميز بالحيوية والصفاء والنضارة كما يبدو فى كتاب (حيات جاويد و«يادگار غالب» ويبدو فيه متأثرًا بطريقة السير سيد الوعظية والإصلاحية، وعلى الرغم من وجود بعض الكلمات الانجليزية فى أسلوبه إلا أنه

(١) جراهام بيلى: الأدب الإسلامى فى شبة القارة الهندية الباكستانية. ترجمة حسين مجيب المصرى ص١٥٤.

(٢) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٦٧، ٦٩.

(٣) صالحة عابد حسين. يادگار حالى صـ٢٧٥.

(٤) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى صـ٢٩١.

متأثر باللغة العربية وأسلوبها البسيط السلمى ولا أحد يستطيع أن ينكر أن أسلوب نثر حالى يتميز بالقوة والبساطة والعذوبة والوضوح وقام حالى بتطوير النثر الأردى الحديث الذى وضع أساسه السير سيد وقدم خدمات جليلة للغة الأردية »(١).

ويعتقد البعض أن أسلوب حالى مقلد لأسلوب كتابة السير سيد لكن هذا الاعتقاد خاطىء لأن حالى صاحب أسلوب متميز عن الكتاب الآخرين ويحاول الدكتور سيد عبد الله إثبات هذا الخطأ فيقول: «هناك أمر شائع أن أسلوب حالى هو تقليد لأسلوب السير سيد أحمد خان» ولكننا لا نستطيع أن نسلم بهذا الرأى، نعم أسلوب حالى يتشابه مع أسلوب كتابة السير سيد من بعض الوجوه ولكن أسلوب حالى يبقى مع ذلك متميزاً بعدة خصائص غير موجودة على الإطلاق فى أسلوب السير سيد، وهذه الخصائص تؤكد عدم صدق هذا الرأى وبمقارنة حالى برفقاء السير سيد الآخرين يتضح أن أسلوبهم يختلط فى كثير من الوجوه ويتشابه مع أسلوب **السير سيد فى حين يبقى هناك فرق كبير بين أسلوب** حالى والسير سيد فنجد ثلاثة خصائص فى أسلوب حالى موجودة فى أسلوب السير سيد مثل البساطة وعدم التكلف والاعتماد على المنطق وهذه الخصائص الثلاثة نجدها فى أساليب رفاق السير سيد، ولكن أسلوب حالى يبقى متميزاً عن أسلوب السير سيد، فأسلوب السير سيد بسيط وباهت وجاف أما أسلوب حالى على الرغم من بساطته إلا أنه يتميز بالرقة والصفاء كما يقل فى اسلوب حالى استخدام المنطق والغموض فى حين يتضح ذلك فى اسلوب السير سيد، ويستخدم حالى فى اسلوبه البراهين العقلية والأدلة ويتميز اسلوبه بالشاعرية المحلقة ولا يلتزم الحيطة فى تنقيح الفاظه، فى حين أن اسلوب السير سيد يتميز بالبداوة والخشونة والتنقيح اللفظى وبناء على هذه الاختلافات فى اسلوب كل من حالى والسير سيد يتضح مدى خطأ الرأى السابق فى أن اسلوب حالى يعتبر مقلداً لاسلوب السير سيد ويبدو من هذا أن حالى صاحب اسلوب خاص به لا يشاركه فيه أحد من أعضاء حركة على گرهـ» وعبارات حالى غاية فى السلاسة والبساطة والقوة والمتانة ولكنها ليست مثل تنوع عبارات آزاد ولارقه أسلوب نذير احمد، ويعد حالى من أعظم كتاب النثر الاردى واسلوب حالى يقرب المعنى إلى نفس القارىء وهو خال من المحسنات البديعية والصنعة اللفظية ولا يستخدمها فى غير موضعها وكان يتجنب السرد وتنميق العبارات ويتحاشى المحسنات الظاهرة ولهذا السبب فعباراته بسيطة وواضحة ويمتاز أسلوبه بالقوة والفصاحة، وعباراته

---

(١) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٦٨.

بالثراء ويعتبر حالى مؤسسًا للنثر الاردى الحديث، وقد احيا حالى أسلوب ميرزا غالب والسير سيد وتعتبر مؤلفاته من أفضل النماذج للأجيال القادمه[١].

حالى وفن كتابة التراجم:

هناك عدة تعريفات لفن كتابة التراجم منها ان التراجم «تاريخ مدون لحياة الأشخاص» و«فن ترجمة الحياة لشخص ما» و«الجنس الادبى لقص ترجمان الأشخاص»[٢].

و«فن التراجم أحد فروع التاريخ، ويحدد دريدن Dryden هذا الفن بأنه «التاريخ الذاتى لحياة الأشخاص». وقد أصبح فن التراجم كشكل أدبى أكثر شعبية منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر وكان نادراً قبل هذا التاريخ، وفى الغالب فإن أى شكل من أشكال المادة المستعملة فى هذا الفن مناسبة لكاتب تراجم الاشخاص مثل: الموضوعات التى يكتبها أصحابها أنفسهم وبصفة خاصة اليوميات والخطابات والأرشيف الخاص به وذاكرة الكاتب والمعاصرين له علاوة على الصور والرسومات، ويمكن ان نجد جذور فن كتابة التراجم فى سير الملوك والابطال وقصص الوصايا القديمة فى بلاد اليونان وسير ملاحم الأبطال والحكماء فى اسكندنافيا كما أن تعاليم رجال الدين تعتبر أحد فروع هذا الفن»[٣] وقد نال فن كتابة التراجم منزلة عظيمة فى آداب اللغات الكبرى فى العصر الحديث وقد تطور هذا الفن وزاد تأثيره باستخدام الاسلوب العلمى فى كتابته ومن الأمثلة على ذلك كتاب جونسن «حياة الشعراء الانجليز» ١٧٧٩م وكتاب باسويل «حياة صومائيل جونسن» ١٧٩١م.

ويقول الدكتور عبد القيوم: التراجم الآن ليست فقط هى ميلاد الإنسان والأسرة والتعليم وأمور الحياة المختلفة حتى الوفاة بل هى بيان للحالة النفسية والاجتماعية والأخلاقية والعادات والتقاليد الظاهرة والباطنة للأفراد حتى تصبح قصة لإقبال الحياة عليه وإدبارها، وهى تصوير دقيق للتطور الفكرى والميول والنزعات والمحاسن والعيوب حتى يتكون لدينا تصور واضح عن هؤلاء الأشخاص وقد انتهت الآن فكرة الإنسان الكامل مثال الشرف والشهامة وأصبح الإنسان نموذجًا للعناصر البشرية المختلفة من الخير

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو صـ٤٥٦.

(٢) مجدى وهبه: معجم مصطلحات الادب. بيروت ١٩٧٤ صـ٦٢.

(3) J.A. Cuddon, Adictionary of literary terms. New York 1976. P. 79-81.

والشر وهو مخطيء ومعصوم من الخطأ فى وقت واحد، ولم تعد التراجم كمًا هائلاً من الاحداث بل أصبحت أحد الإبداعات الممتعة وتقدم فى قالب قصص روائى وتمتلىء بملامح الحياة وصورها المختلفة»(١).

وعلى الرغم من أن كتاب حالى «حيات سعدى» يعد أول ترجمة قائمة على أساس علمى فى الأدب الأردى إلا أن هناك كثيراً من النماذج فى العربية والفارسية والأردية قبلها نجد فيها النماذج الأولى لفن التراجم، وقد اختار حالى طريقة جديدة فى كتابة السيرة الذاتية والتى لم يخترها أحد قط من قبله فى الأدب الأردى واشتهرت هذه الطريقة حتى أصبحت نموذجًا يحتذى فى كتابة التراجم فى الأدب الأردى ويسير على منهجه كتاب التراجم، فلم يكتف حالى ببيان أحداث حياة البطل فقط، وذكر مناقبه بل يتناول بالنقد والتعليق جميع جوانب حياته الكاملة وسيرته وأخلاقه ويبين علاقته بعصره(٢).

ويقول الدكتور غلام مصطفى خان: لقد أوصل حالى فن كتابة التراجم إلى القمة، ولم يضف أحد آخر فى الأدب الأردى أى إضافات جديدة على الطريقة التى تركها حالى»(٣) **وسنتحدث فى الصفحات القادمة عن مؤلفات حالى فى فن التراجم.**

١ - حيات سعدى:

هو أول كتاب فى التراجم ألفه حالى عن حياة الشاعر العظيم سعدى الشيرازى وقد نشر عام ١٨٨٦م ولكن هناك اختلافًا شديداً فى تحديد سنة تأليفه لأن حالى لم يذكر ذلك فى ترجمته، يقول: «كتبت فى دهلى كتابًا فى حياة ومؤلفات الشاعر سعدى الشيرازى وطبع باسم «حيات سعدى» ونشر قبل ذلك فى عشر طبعات(٤)» ولذلك تعددت الآراء فى سنة تأليفه فيقول حامد حسن قادرى إن سنة تأليف هذا الكتاب هى ١٨٨٢م فى موضع من كتابه «داستان تاريخ اردو» ولكنه يعود ويذكر أن تأليف حالى لهذا الكتاب كان عام ١٨٨٤م(٥) فى موضع آخر، كما يذكر الشيخ محمد إسماعيل

(١) عبد القيوم: حالى اردونثرنگارى صـ١٠٤، ١٠٥.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٧٨.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ١٨٢.

(٤) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤٢.

(٥) حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو. صـ٥٨٦، صـ٥٩٠.

پانی پتی أن حالی كتب هذا الكتاب غالبًا فی سنة ١٨٨٤م(١)، ويحدد الدكتور غلام مصطفی خان سنة ١٨٨٦م لتأليف كتاب « حيات سعدی » ويعتمد فی هذا التحديد علی قول شبلی النعمانی الذی تضمن خطابًا لمولوی سميع الله(٢). وكتب حالی بحثًا مفصلاً فی مقدمة « حيات سعدی » عن تطور فن التراجم والإطار العام الذی يدور فيه هذا الفن وأهدافه فيقول: لقد اهتم المؤرخون الأوربيون بتطوير هذا الفن (التراجم) بصفة خاصة منذ القرن السابع عشر واصطبغ هذا الفن بالطابع الفلسفی مثل التاريخ، وقد اهتمت التراجم فی العصر الحديث بالدقة العلمية وكتابتها والاعتماد علی المعلومات الصحيحة والاستنتاجات المنطقية من سير أحداثها ودراسة مؤلفات أبطالها وإظهار محاسن هذه المؤلفات وعيوبها وبهذه الطريقة كتبت المجلدات الضخمة فی حياة الكثير من الأشخاص والمشاهير »(٣).

ويقول حالی: كتبت أولاً سيرة الشيخ سعدی ولم يكن هناك أديب فی الهند أكثر شهرة منه وفی رأی الخاص أنه لم يصل إلی مرتبته شاعر آخر من شعراء الفارسية(٤) » ويتضح من هذا الرأی أن حالی كان يفضل سعدی عن باقی شعراء إيران لأن حالی رأی فيه نفسه حيث كان سعدی مهتمًا بالجانب الأخلاقی والإصلاحی فی شعره ونثره، لذلك كان هدف حالی تقديم سيرة سعدی حتی ينهض المسلمون من تأخرهم بتعاليم هذا المصلح العظيم، ويقول حالی إن الهدف من « السيرة هی أن تكون بمثابة السوط الذی يوقظ القوم من نوم الغفلة والتراخی وعندما يری القوم سيرة أسلافهم العظماء ويلمسون فضلهم فإن دماء الغيرة تجری فی عروقهم فينهضوا ليستعيدوا مجدهم المفقود مرة أخری وترسخ هذه الفكرة فی أذهانهم »(٥) وقد نجح حالی فی اختيار شخصية سعدی لأول نموذج للترجمة العلمية الجديدة فی الأدب الأردی حيث كانت شهرة سعدی ذائعة الصيت فی الهند لقرون وكان كتاباه « گلستان وبوستان » مشهورين فی جميع أنحاء الهند ولا يوجد مثقف فی الهند لم يسمع عن سعدی أو لم يقف علی قصصه وحكاياته ولم يثن عليها وللحياة سعدی حكايات جديدة تداولتها الألسنة وكانت

---

(١) شيخ محمد إسماعيل پانی پتی: تذكرة حالی صـ١١١، ١١٢.

(٢) غلام مصطفی خان: حالی كا ذهنی ارتقا صـ١٠٣.

(٣) حالی: حيات سعدی صـ٦.

(٤) حالی: حيات سعدی صـ٧.

(٥) حالی: حيات سعدی صـ٨.

أشعاره مضربًا للأمثال وبالرغم من هذا لم تكن حياة سعدى الشخصية معروفة بشكل عام وانتشرت الأخبار المنحولة عن حياته فقام حالى بكتابة سيرته الصحيحة وعرف أهل الهند بها وكان حالى يكن حبا عميقًا لشخصية سعدى ولأشعاره وخاصة الإصلاحية والأخلاقية وتأثر حالى بها وهناك دلائل كثيرة على تأثره بشعر سعدى ولذا أطلق الناس عليه لقب «سعدى الهند»[1] وقسم حالى كتاب «حيات سعدى» إلى قسمين، القسم الأول يتعلق بحياة الشيخ سعديالشيرازى المتوفى (٦٩١ هـ) ويذكر حالى فى هذا القسم وقائع طفولة سعدى وشبابه بأسلوب غاية فى القوة والمتعة وألقى الضوء على مختلف أدوار حياته[2]. ويذكر حالى وصفًا دقيقًا لشيراز وفارس وأسفار سعدى العديدة وعودته مرة أخرى إلى إيران ووفاته فى بلدته شيراز وقد استفاد حالى من كتب التذاكر والمؤلفات التى تناولت حياة سعدى مثل نفحات الأنس، جواهر الأسرار، تاريخ جهان گشا، تاريخ وصاف، مجالس المؤمنين، تذكرة سودا، تذكرة قاسم، بالإضافة إلى مقدمة كليات سعدى[3]. ويذكر حالى البيئة التى عاش فيها سعدى وأثرها فى حياته وتفكيره فيقول: لا شك أن للموقع الطبيعى للمدينة واعتدال مناخها وجمال مبانيها وأسلوب تفكير سكانها له أثره الواضح على حياة الأفراد ولهذا السبب تميز شعراء شيراز وعلماؤها بصفاء الطبع وقد مدح سعدى فى مقدمة كتابه «بوستان» جميع أهل شيراز[4]. وفى القسم الثانى تناول حالى مؤلفات سعدى ومميزات أدبه وبحث فى خصائص شعره وقارن بينه وبين شعراء إيران الآخرين ووازن بين أشعارهما وأثبت تفوق أشعاره لجمالها وحسن صناعتها وذكر آراء النقاد المختلفة فى شعره وشبه أشعاره بأشعار شيكسبير ويفضل حالى القول بعد ذلك فى فنون شعره وخاصة الغزل والقصيدة ويقارن بين طريقة غزل سعدى وطريقة القدماء ويحدد مواطن الجدة فى غزلياته[5]. ويذكر حالى الترجمات المختلفة لكتابيه «بوستان وگلستان» إلى اللغات الأخرى مثل ترجمة كلارك للبوستان إلى اللغة الانجليزية عام ١٨٧٩م وترجمة چندداس مهاجن لـ«گلستان» عام ١٨٨٨م[6]. وقد نال هذان الكتابان أهمية خاصة فى نظام تعليم المسلمين فى الهند وإيران فترجم كتابه

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٨٠.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص١٠١.

(٤) حالى: حيات سعدى ص١٣.

(٥) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگادى» ص١٢٤، ١٢٥.

(٦) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص١٠٢.

« بوستان » إلى اللغة الأردية شعراً وقام بهذه الترجمة المعروفة بـ« بند نامه(*) » الاديب مظهر على خان، وقام مشير على أفسوس بترجمة « الگلستان » إلى الأردية باسم « باغ اردو » وقد نشرت هذه الترجمة كلية فورت وليم عام ١٨٠٢ [١].

وقد أرسى حالى حجر الأساس لكتابة التراجم فى الأدب الأردى الحديث والقائمة على أساس علمى وقد قلده الكتاب الذين جاءوا من بعده وحتى الآن فإن نماذجه فى هذا الفن تعتبر أمثلة يحتذى بها ولم تضاف حتى الآن فى الأدب الأردى أى قواعد جديدة لهذا الفن[٢]. ويقول رام بابوسكسينه: بهذا الكتاب (حياة سعدى) وجد حالى مكانة فى طليعة كتاب النثر الأردى ويبدو منه جيداً أسلوبه المميز ومقدرته الفائقة فى كتابة المتراجم »[٣].

٢ - يادگار غالب:

« سيرة ميرزا أسد الله غالب » وهو ثانى كتاب لحالى فى التراجم، وكان حالى يريد ان يؤلف كتاباً فى حياة أستاذه غالب أثناء إقامته فى دهلى وعمله فى المدرسة الانجلو عربية وقام فى ذلك الوقت بجمع مواد كتابه ولكنه لم يستطع أن يرتبها بسبب كثرة مشاغله وأنهماكه فى إعداد كتاب « حيات جاويد » الذى كان حالى يأمل فى نشره قبل وفاة السير سيد لكن بالرغم من ذلك تمكن حالى من « كتابة كتاب عن حياة ميرزا غالب ويتضمن أيضاً بحثاً فى خصائص شعر غالب ومختارات من شعره ونثره الفارسى والأردى ونشر باسم « يادگار غالب »[٤] فى عام ١٨٩٧م[٥] بمطبعة نامى بريس كانبور

(*) بند نامه « أو » بند عطاء وهو كتاب صغير فى النصائح والمواعظ ترجم إلى التركية والعربية وشرح مراراً ».
(عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م ص: ٦٥).

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثر نگارى صـ١٢٥ .

(٢) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوص مطالعه صـ٧٩، ٨٠ .

(٣) رام بابوسكسينه تاريخ ادب اردو صـ٤٥٤ .

(٤) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤٢ .

(٥) انظر إسماعيل پانى پتى فى « تذكرة حالى » صـ١١٤، وعبد القيوم: « حالى كى ارد ونثر نگارى صـ١٤٥ وحامد حسن قادرى « داستان تاريخ اردو » صـ٥٨٦، وخليل الرحمن داودى « مقدمته على كتاب يادگار غالب » صـ٤٣، وغلام مصطفى خان « حالى كا ذهنى ارتقا » صـ١٦٣ ولكنه ذكر فى صفحة ١٦٠ سنة الطبع هى ١٨٩٨م فى مطبعة نامى بريس كانبور فى ٤٣٨ صفحة وذكر رام بابو سكسينه فى كتابه « تاريخ أدب اردو » أن سنه الطبع هى ١٨٩٦م صـ٤٥٣ .

ويقول حالى فى مقدمته «بالرغم من انهماكى فى انجاز عمل هام جداً (كتاب حيات جاويد) إلا أن اصرار الأصدقاء أجبرنى على تأخير هذا العمل الهام لعدة أيام، واستطعت فى فترة وجيزة ترتيب مذكرات حياة غالب التى جمعتها بصعوبة شديدة، فلم يعد الوقت مناسبًا لترك هذا العمل أكثر من هذا»[1] «ويقول الاستاذ خليل عبد الرحمن داودى إن «يادگار غالب» يعد رد فعل لكتاب محمد حسين آزاد «آب حيات» والذى قام فيه آزاد بشرح مفصل ومبسط لحياة أستاذه إبراهيم ذوق وحاول فيه إثبات تفوق شعره على جميع شعراء الأردية وقارن بينه وبين ميرزا غالب لإثبات أستاذية ذوق فى الشعر الفارسى مثل غالب ولكنه انحاز بشكل واضح فى كتابه «آب حيات»[2] إلى جانب أستاذه ذوق عندما كتب عنه فى ٦٥ صفحة بينما كتب عن غالب فى ٣٦ صفحة فقط ونشر آزاد كتابه «آب حيات» عام ١٨٨٠م وعندما قرأه حالى اضطرب وقرر أن يكتب كتابًا ضخمًا فى سيرة أستاذه غالب وفى شرح أشعاره فكان كتابه «يادگار غالب»[3].

وبقول حالى فى مقدمته «على الرغم من أنه لم يبد لميرزا غالب أى عمل عظيم فى حياته سوى شعره ونشره إلا أن له آخر هامًا وهو تسجيل الوقائع التاريخية فى آخر أيام الدولة المغولية (فى عهد بهادر شاه ظفر فقد كان غالب أستاذًا لبهادر شاه ظفر وكان يقوم بمهمة إصلاح شعره خلفًا لاستاذه إبراهيم ذوق، وقد دون غالب وقائع عصره فى كتاب «مهرنيم روز» أى شمس الظهيرة) وفى اعتقادى -والكلام ما زال لحالى- أن الشعر والنثر الفارسى قد ماتا بموت غالب الذى قدم خدمات جليلة أيضًا للنثر والشعر الأردى ولم تكن أشعار أسمى من فهم أهل عصره بل كان ينظم أشعاره طبقًا لما تمليه عليه قريحته»[4] ثم يقول حالى إن الهدف الأصلى من تأليف «يادگار غالب» هو: إظهار ملكة شاعريته العجيبة للناس والتى أودعها الله فى فطره غالب وقريحته والتى أحيانًا تبدو فى شكل الشعر والنثر او الفكاهة والسخرية وأحيانًا تبدو فى صورة المغازلة ومعاقرة الخمر وأحيانًا أخرى تظهر فى أسلوب التصوف وحب أهل البيت وأى شىء خارج عن هذه الأسباب الأربعة يعتبر خارجًا عن موضوع هذا الكتاب»[5]. ويقول

(١) حالى: يادگار غالب صـ٤.

(٢) محمد حسين آزاد: آب حيات صـ٣٩٥.

(٣) خليل الرحمن داودى: مقدمته على يادگار غالب ص٣٤.

(٤) حالى: يادگار غالب صـ٤٢٣.

(٥) حالى: يادگار غالب صـ٩، ١٠.

حالى «على الرغم من أن حياة غالب لا تخلو من الفوائد التى يجب أن نخرج بها من دراسة أحد التراجم لكن إذا تغاضينا عن هذه الفوائد فإن الحيوية والنضارة فى بيان حياته تفيد فى كثير مجتمعنا الكئيب والمضمحل»(١) وكان حالى ينسى فى أى من أعماله مهمة الأدب الإصلاحية التى كانت دائماً فى مقدمة أعمال حالى. ويادگار غالب كما يقول حالى فى مقدمته ينقسم إلى قسمين يتناول حالى فى القسم الأول وقائع حياة ميرزا غالب وعاداته وتقاليده وأخلاقه وأفكاره مع ذكر نماذج من شعره فى المناسبات المختلفة وخاصة الأشعار التى تتعلق بوقائع حياته المختلفة وذكر طرائفه ونوادره والذى تبدو منها قوة مخيلته بوضح، وفى القسم الثانى يتناول خصائص شعر غالب ونثره الفارسى والأردى ويقيم دراسة منفصلة لكل فنونه وموضوعاته المختلفة ثم يقيم فى النهاية موازنة بين شعره وشعر شعراء إيران الكبار وفى نهاية هذا القسم بحث مختصر عن حياة غالب وأسلوب نثره وشعره والذى يعتبر خلاصة للكتاب»(٢).

وكان غالب أستاذاً لحالى وتأثر كثيراً بحياته وشخصيته وجمال شعره ورأى حالى ذوق عصره المنحط فاختار غالب وقارن بينه وبين شعارير عصره وعرف الناس بخصائص شعره ومنزلته الصحيحة وبهذا يهذب من ذوقهم الشعرى وكان العامة لا تستطيع أن تفهم أشعاره بسهولة باستثناء الخاصة لذلك قام حالى بشرح معان من مختارات شعر غالب ووضح معانيه الصعبة والمعقدة بشاعريته فضاعف من جمال أشعاره، وصور حالى شخصية غالب الجذابة والممتعة بحيث يتأثر بها كل من يقرأها وتنشأ فى قلبه روح الحب والتقدير له تلقائياً وكأنه فى بلاط ملك الشعراء وينعم بصحبته، وفى الجزء الثانى من كتابه يشرح حالى بالتفصيل دقائق شعر غالب ومذهبه الشعرى ومحسناته البديعية ودقة لغته وجدة أخيلته وكشف أسرار شعر غالب وتغييره للذوق الشعرى فى الهند(٣).

ويقول مولانا عبد الحق: لقد صور حالى بدقة وجمال ملامح حياة ميرزا غالب فى يقظته ونومه وحديثه وطعامه وضحكه وسفره وفكاهته بحيث يبدو وكأننا نجلس فى صحبته ونستمتع بعذب حديثه وبمحاسن شعره وقد عرضه حالى بطريقة جذابةبحيث تظهر معانيها الخفية للعوام والخواص، ويفضل هذا الكتاب قامت دراسات عديدة عن شخصية غالب وشعره فكتبت فيه مئات المقالات وعشرات المجلات وظهرت شروح

---

(١) حالى: يادگار غالب ص٩، ١٠.

(٢) حالى: يادگار غالب ص٩.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٨٣، ٢٨٤.

مختلفة لأشعاره وطبع ديوانه الاردى عشرات الطبعات وما زال وقد كتب حالى هذا الكتاب بعد أن انتهى من ترتيب ديوانه ومقدمة شعر وشاعرى والانتهاء من إعداد كتاب « حيات جاويد » وقد أكمل حالى فى كتاب « يادگار غالب » دراسته عن الشعر ونقده وشروط جيده من رديئه والتى كان قد بدأها فى نهاية كتابه « حيات سعدى » وذكرها بالتفصيل فى مقدمة شعر وشاعرى التى طبعها مع ديوانه كمقدمة له(١).

ويقول بعض النقاد والمعترضين إن حالى يرفع ممدوحه إلى عنان السماء ولكن هذا الرأى هو عكس الحقيقة لأنه يبدو من أسلوب حالى الاعتدال والعدل إلى حد كبير فعندما يشير إلى محاسن الممدوح لا ينسى أن يبين مساوئه، صحيح أن حالى لم يعرض ورقة اتهام للمساوىء البشرية وقام ببيان العلاقة التى كانت تربطه بغالب والمراسلات التى استمرت بينهما واعترف حالى فى كتابه « يادگار غالب » بسوء أدبه فى رده على أستاذه وعدم احترامه لكنه فى نفس الوقت عرض مساوىء غالب مثل تعصبه وعدم تمسكه بأحكام الدين فى الظاهر وشرح حالى مقولة « أنه كان تقيًا فى الباطن وعربيداً فى الظاهر » وأظهر حالى الجانب الشيق والفكاهى فى حياة غالب وأنعم عليه بلقب « حيوان ظريف » بدلاً من حيوان ناطق(٢).

ويقول الناقد آل أحمد سرور تعليقًا على كتاب « يادگار غالب » : لقد ظلت معرفة شعر غالب فى عصره محدودة بالخاصة لكن كان لكتاب حالى « يادگار غالب » الفضل فى تصوير عظمه غالب وتوصيلها لأفهام العوام وكان ما يمتاز به نقده هو الاعتدال فهو ليس عبد الرحمن بجنورى الذى يرفع غالب فى السماء أو لطيف(*) الذى يهبط به إلى الأرض ويتهمه بعدم التوافق وقد أشاد بذكر غالب جميع النقاد حتى أن الشيخ إكرام صاحب كتاب موج كوثر قرر أن أكثر نقد عادل لغالب يوجد فى كتاب حالى « يادگار غالب »(٣). ويشيد المؤرخ رام بابو سكسينة فى كتابه « تاريخ ادب اردو » بكتاب يادگار غالب فيقول : إنه أشهر مؤلفات حالى ولم يكتب فى هذا الموضوع أى كتاب أفضل منه، ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه حالى كان تلميذاً لميرزا غالب لذلك؛ فقد رأى بعينه

---

(١) غلام مصطفى خان : حالى كا ذهنى ارتقا صـ١٦٣.

(٢) صالحة عابد حسين : يادگار حالى صـ٢٨٧، ٢٨٨.

(*) هو عبد الرحمن بجنورى الذى اعتبر « ديوان غالب » كتاب مقدس مثل القيدا عند الهندوس * الدكتور عبد اللطيف (عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ٢٠٠).

(٣) صالحة عابد حسين : يادگار حالى صـ٢٨٤.

أكثر هذه الأحداث ويفهم معانى أشعاره الصعبة ويبين المناسبات التى ألقيت فيها هذه الأشعار مما يضاعف من جمال شعره وبهذا الكتاب أدى حالى حق التلمذة لأستاذه غالب كما يجب، مثلما فعل آزاد فعندما رتب ديوان أستاذه إبراهيم ذوق أصبح ذوق شاعر خالد الذكر، وكلاهما يعتبر من أقرب التلاميذ لأستاذه وأنجبهم ويعتبر كتاب « يادگار غالب » من الكتب النقدية الممتازة(1). وقبل حالى كانت هناك عدة كتب ألقت الضوء على أهمية شعر غالب مثل: « آب حيات » محمد حسين آزاد و« گلشن بے خار » لنواب شيفته » و« آثار الصناديد » للسرسيد أحمد خان ولكن هذه التذاكر تناولت غالب بصفة سطحية ولم تفض فى معانى شعره وفلسفته(2).

٣ - حيات جاويد:

« الحياة الخالدة » وهو سيرة السير سيد أحمد خان، وثالث كتاب لحالي فى سلسة كتب التراجم وآخر كتاب له فى هذا الفن. وهو ترجمة صادقة لسيرة أحد عظماء القرن التاسع عشر وبحث دقيق لوقائع حياته المختلفة وذكر لعيوبه ومحاسنه وهو ليس سيرة أحد المصلحين فحسب بل قصة التغيرات الحضارية والسياسية والتعليمية فى شبه القارة الهندية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر(3).

ويقع هذا الكتاب فى ألف صفحة تقريبًا وهو نتيجة جهد حالى لسبع سنوات متواصلة وقد نشر فى سنة ١٩٠١ « وقد ظهرت فكرة كتابه سيرة السير سيد عندى فى ذلك الوقت عندما وضع السير سيد حجر الأساس لأعظم أعماله وهى مدرسة العلوم بعلي گڑھ والتى تطورت سريعًا جداً على الرغم من المعارضين لها وواكب هذه المدرسة أيضًا مقالات السيرسيد الممتعة فى مجلته « تهذيب الأخلاق » والتى لم يكن لها مثيل فى النثر الأردى من قبل، وعلى الرغم من أن السير سيد قضى معظم حياته فى أعمال للصالح العام لكن كان مثله كهلال أول ليلة الذى لا يراه أحد ولكن سرعان ما أصبحت « مدرسة العلوم » ومجلة « تهذيب الأخلاق » بجهوده منارتين تضيئان للجميع كالبدر وعلى الرغم من انتشار المعارضة فى الهند لأعمال السيرسيد إلا أن هناك جماعة من الناس تنظر بعين التقدير لأعمال السير سيد الإصلاحية وفى اعتقادى أن أهميتها ستزيد

(١) رام يابوسكسينه: تاريخ ادب ارد و صـ٤٥٥.
(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى صـ١٩٣.
ومحمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٨٠، ٨١.
(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٢٠١.

يومًا بعد يوم »[١] ثم يقول حالى إنه من العجيب أن مثل هذه السيرة الجديرة بالفخر التى كان تدوينها واجبًا قوميًا على المسلمين جاءت أول فكرة لكتابتها من أحد الإنجليز وهو كرنل جراهام بكتابة « سيرة السير سيد » ونشره قبل وفاته بثلاثة عشرة سنة وبذلك ضاعت المبادرة من أيدى المسلمين فى هذا الموضوع الهام ويجب أن نشكره من قلوبنا فعلى الرغم من كونه أجنبيًا إلا عظم قائدنًا وكان أول من كتب سيرته، ولكن سيرة هذا الشخص العجيب لا تستطيع أن تحتمل وتؤدى فى كتيب مثل هذا ولذلك أشار كرتل جراهام فى أحد الصحف الإنجليزية بقوله : إننى لا أستطيع أن أدعى أن هذا الكتاب هو ترجمة كاملة لحياة السير سيد » وبذلك تهيأت الظروف لحالى لكتابة هذه السيرة لأنه كان يرى أن سيرة كرنل جراهام : "Life and Works of sir syed Ahmed" غير كاملة وهذا بشهادة جريهم نفسه[٢]. ويقول حالى « لقد كان هذا الأمل يراودنا من قبل (كتابة سيره السير سيد) والآن عمت الهند ضجة عارمة بعد وفاة السير سيد وبدأ الاهتمام يتزايد بتقدير أعماله والبحث والتحقيق فى وقائع حياته، وسيحاول العديد من الناس أن يكتبوا سيرته وستتغنى الهند بسيرة هذا البطل لقرون عديدة »[٣] وبالفعل كما قال حالى فقد قام منشىء سراج الدين أحمد بمحاولة كتابة سيرة السير سيد وبدأ بالفعل فى جمع المعلومات المختلفة عنها ولكنه لم يكملها وبذلك مهد كل من كرنل جريهم ومنشىء سراج الدين أحمد الطريق أمام حالى لكتابة السيرة الكاملة للسير سيد وأعماله ويقول حالى : « لقد تحمست لهذا العمل لأن سيرة السير سيد تعتبر مفيدة لقومه فهمت على ترك جميع الأعمال لا تفرغ لهذا العمل القومى ولذلك أقمت فى على گرڑھ لعدة شهور عام ١٨٩٤م لهذا الغرض حيث جميع الأسباب مهيئة لكتابه سيرة السير سيد وقد قمت بالإطلاع على مسودات منشى سراج الدين أحمد واستفدت منها »[٤] وقد اعتمد حالى فى تأليف هذا الكتاب على المعلومات الشخصية فقد نال شرف صداقة السير سيد قرابة خمسة وعشرين عامًا وكان من المقربين له واستطاع فى هذه السنوات الطويلة أن يطلع بدقة وعن قرب على أخلاق السير سيد وطريقة تفكيره، كما اعتمد على رسائله وعلى السيرة الفريدية بالإضافة إلى المعلومات التى جمعها منشىء سراج الدين واستفاد أيضًا بكتاب كرنل جراهام[٥] ويقول حالى : على الرغم من أن حياة السير سيد تعتبر

---

(١) حالى : حيات جاويد المقدمة صـ١٤، ١٥ .

(٢، ٣) حالى : حيات جاويد المقدمه صـ١٤ .

(٤) حالى : حيات جاويد المقدمة صـ١٥، ١٦ .

(٥) محمد اكرام سانبوى : حالى واكبر كاخصوص مطالعه صـ٨٨ .

عملاً سهلاً وميسراً فى الظاهر لان جميع أعماله كانت تطبع وتنشر منذ كان في السابعة والخمسين من عمره وإلى آخرحياته وقبل ذلك كانت وقائع حياته معروفة من المصادر المؤثوقة إلا ان كتابة سيرة حياته تعتبر عملا شاقًا لان حياته مليئة بالاحداث والوقائع الهامة التى لا استطيع اختصارها كما لا أستطيع تفصيل كل واقعة»(١) ومع أن حالى كتب في التراجم كتابين قبل «حيات جاويد» وهما «حيات سعدى» و«يادگار غالب» إلا أنه اختار منهجا جديداً في هذا الكتاب حيث يقول: كنت أظهر في الكتابين اللذين قد كتبتهما من قبل بقدر الإمكان الجانب الحسن فيهما وفي إشعارهما ولم أتعرض لعللهما في مكان ما، ولكن مثل هذه السيرة الذاتية المطلية بالذهب والفضة ليس لها وزن أو اعتبار، لكن في حالة الكتابة عن هذه الشخصية (السير سيد) لا أستطيع أن أكتب حياة مثل هذا الشخص سراً وهو الذى قاوم الجهل والتعصب قرابة أربعين سنة واستأصل التقليد ووبخ كبار علماء التفسير واختلف مع الائمة والمجتهدين وأظهر علل المجتمع لذا فهو من ناحية الدين مؤمن في نظر طائفة من الناس وكافر في نظر الاخرى ومن ناحية السياسة يعتبر قائد العصر عند جماعة وعند اخرى ليبرالى يؤمن بالتحرر»(٢) وقد واجه حالى مشاكل عديدة وصعوبات جمة في ترتيب كتابه «حيات جاويد» فكان مرضه يقلقه بالإضافة إلى مشاكله الاسرية وقد أقام بمفرده في على گرطھ وظل ينجز هذا العمل رغم شيخوخته حوالى سبعة سنوات وكتب في أحد خطاباته يقول: لم تفتر همتى طيلة سبع سنوات ولم أهتم بأى عمل آخر سوى هذا العمل «وفي الحقيقة لا يوجد كتاب في السيرة (التراجم) في الاردية مثل هذا الكتاب الذى تم نتيجة جهد حالى الجهيد وبحثه المتواصل(٣).

ويقول حالى: إن هذا الكتاب مقسم إلى قسمين، أتناول في القسم الاول حياة السير سيد وأعماله منذ ميلاده حتي وفاته طبقا للترتيب الزمنى، والقسم الثانى بحث في حياته وأعماله مع الاهتمام بالدور البارز من حياته والذي يبدأ من وقت اندلاع الثورة واعتمدت في ذلك على كتابه «خطبات أحمدية» ومجلتى «تهذيب الاخلاق» و«مجلة معهد على گرطھ» ورسائل السير سيد وبعض الاخبار أخذتها من أصدقائه أو

(١) حالى: حيات جاويد: المقدمة ص ١٦.

(٢) حالى: حيات جاويد. المقدمة ص ١٧، ١٨.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص ١٦٩.

من التقارير الحكومية والجرائد الإنجليزية ومن المصادر الموثوق بها»[١].

وقد قام حالى بتمجيد أعمال السير سيد ولكنه أشار إشارة عابرة إلى عيوبه وتناول أعماله الشهيرة بالبحث مثل «خطبات أحمدية» و«أسباب بغاوت هند» إلى جانب تفسيره للقرآن والإنجيل والتوراة وقد اقتبس من كتبه وعلق عليها ونقدها بل ووازن بينها وبين الكتب الاخرى المشابهة لها كما ذكر آراء المشاهير فيه وفى أعماله الإصلاحية ومؤلفاته[٢].

وكان حالى يحب فى سيرة السير سيد هدفه السامى وخدماته الجليلة للوطن ويعتبر أن ما أداه السير سيد فى حق المسلمين طيلة حياته عملاً مجيداً وكان يريد أن يبين للناس بوضوح وصدق، خدمات السير سيد فضائله ليتعلموا منه العبرة ويتأسوا به فى خدمة مجتمعهم ولم يكن هدفه سرد مناقب السير سيد، وقد أدى حالى فى هذا الكتاب واجب الناقد والمؤرخ على أحسن وجه وعرض أعمال السير سيد من وجهة النظر الفلسفية[٣].

وقد اعترض شبلى النعمانى على كتاب «حيات جاويد» عندما قرأه، وقال أنه مدح مبرهن ومرآة للكذب والنفاق فقد كان شبلى من المعارضين للسير سيد لذلك هاجم السير سيد وحالى هجومًا شديداً، فيقول «إن حالى يبالغ فى مدح بطل هذه السيرة الذاتية (أى سيرة السير سيد أحمد خان) وهذا نابع من تعاطفه التام معه فلم يلتزم الموضوعية فى عرض سيرة حياته وأعماله ولم يتعد هذا الكتاب عن كونه تضخيم لصورة البطل والاعمال التى قام بها وطريقة تعامله من الاحداث العديدة التى مر بها فى تاريخ كفاحة الطويل، وقد قام حالى بإبراز الجوانب الطيبة فى سيرة حياته وتحاشى الحديث عن عيوبه وعن الأعمال التى لاقت معارضة شديدة من فئات عديدة ومن الاتجاهات المختلفة لمسلمى الهند»[٤].

وقد علل غلام مصطفى خان[٥] نقد شبلى النعمانى لكتاب حالى «حيات جاويد» وللسير سيد بانه كان يصغرهما وقد بدأت أعماله العلمية متأخرة بالمقارنة بحالى والسير

---

(١) حالى: حيات جاويد المقدمة صـ١٨، ١٩.

(٢) حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٨٩.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٩١-٢٩٢.

(٤) شبلى النعمانى: باقيات شبلى جـ٢ صـ٧٧ (مجلس ترقى ادب، لاهور، ١٩٦٦).

(٥) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ١٧٠-١٧١.

سيد لذلك انتقدهما انتقاداً شديداً. ونلاحظ هنا أن غلام مصطفى خان قد تهرب من الأسباب الحقيقية لنقد شلي بهذا السبب الساذج، في حين رفضت صالحة عابد حسين أن يكون كتاب «حيات جاويد» مدحًا مبرهًا بسبب لا يقل سذاجة عن السبب الذي ذكره غلام مصطفى خان فتقول: إن من الطبيعي أن يقلل الإنسان من عيوب صديقه وصاحبه قليلاً ويبرز محاسنه كثيراً ولهذا كان جانب المدح للسير سيد في كتاب «حيات جاويد» ضخمًا وكبيراً وليس هذا موضع تعجب[1]. ويتفق رام بابوسكسينه مع شبلي في رأيه فيقول: يوجد في كتاب «حيات جاويد» مبالغة في مدح البطل «السير سيد» ولهذا فإن اعتراض شبلي ونقده لهذا الكتاب يعتبر في موضعه تمامًا لان حالي يوضح في هذا الكتاب أحد الجوانب الشخصية للسير سيد فقط وهو الجانب الحسن ويتغاضى عن عيوبه ولا يعيرها أي اهتمام، ولكنه يعود ويثنى على الكتاب فيقول: إن هذا الكتاب هو أعظم كتب حالي على الإطلاق وعن طريق نال الشهره وهو أحد الكتب المفصلة والجامعة وفيه يوضح مختلف مراحل حياة السير سيد الطويلة وقد حصل هذا الكتاب في اللغة الاردية على نفس مكانة كتاب باسويل Boswell الشهير «حياة الدكتور جونس»[*] في اللغة الإنجليزية وقد عرض حالي في هذا الكتاب مختلف جوانب شخصية السير سيد المختلفة كقائد ورائد ومرشد ومدير وكاتب ووضح في هذا الكتاب أيضًا وقائع حياة أكثر رفاق السير سيد[2] ويقول آل أحمد سرور: لم يقدم حالي في كتابه «حيات جاويد» السير سيد فقط بل قدم التاريخ الفكري للمجتمع كله وقد أبدى حالي مهارة فائقة في جمع وترتيب مواد الكتاب وكان يرى أن روح الإصلاح الديني هي المحرك والحافز لجميع أعمال السير سيد ولذلك اهتم بخدمات السير سيد

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالي ص٢٩٢.

(*) قام توماس باسويل (١٧٤٠-١٧٩٥) Tomes Boswell عام ١٩٧١م بكتابة سيرة حياة صومائيل جونسون "SAMUELJOHNSON" ١٧٠٧-١٧٨٤م في كتاب يحتوى على خمسمائة صفحة من القطع الكبير تحدث فيه عن حياة جونسن ومؤلفاته والقى الضوء على جميع جوانب حياته المتشعبة وقد نشر هذا الكتاب في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢ باسم life of Samuel Johnson اى حياة صومائيل جونسون وكان جونسون شاعرًا انجليزيًا وناقداً وكاتبًا للمقال ومصلحًا ومؤلفاته لغويًا ومن اهم كتبه الشعرية «لندن» ١٧٣٨ «وغرور التطلعات الإنسانية» عام ١٧٤٩م وقد ظل شعره حتى منتصف القرن الثامن عشر تقليداً للسخرية الادبية.

- Tomes Boswell, life of Samuel Johnson, U.S.A. 1952 P.Vi, Vx.

- English Larouse. Paris: 1968. P. 620.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو، ص ٤٥٥.

لدينية، فالتأييد والمناصرة شيء ضروري فى كتابة السيرة الذاتية وبدونها لا يستطيع كاتب التراجم أن يفهم حالة البطل النفسية بطريقة جيدة وهذا العامل متوافر عند حالى ولهذا يقال أن كتابه هو كتاب «المناقب» أو «المدح المدلل والمبرهن» والتصوير من جانب واحد، مع أن هذا هو حجر الزاوية فى «كتابة التراجم». ولغة «حيات جاويد» وأسلوب كتابته سلسه للغاية وغير معقدة وتتسلسل فى سهولة ويسر، وبلاغة حالى وفصاحته فى كتاب حيات جاويد «تنساب كالد موع الغزيرة وكل لفظ بمثابة الفص المرصع الذى لا تستطيع نزعه من مكانه» وعلى الرغم من هذه المميزات التى نال بسببها كتاب «حيات جاويد» شهرة فائقة إلا أنها لم تكن بنفس شهرة كتب حالى الأخرى وسبب ذلك أن الناشرين وبائعى الكتب فى الهند لم يهتموا به من أول يوم صدوره لأن اهتمامهم كان منصبًا على جمع المال من الكتب الأكثر مبيعًا، من أجل ذلك لم ينشر الكتاب بالقدر الذى كان حالى يتوقعه علاوة على أن ضخامة الكتاب كانت سببًا فى عدم شهرته والناس فى العصر الحديث تفضل الكتب المختصرة البسيطة(*)، كما كان انتشار سوء الفهم حول شخصية السير سيد سببًا هامًا فى تجاهل هذا الكتاب(١) وبذلك يبقى لحالى مؤلف واحد هو «مقدمة شعر وشاعرى وسوف اتناوله بالتفصيل فى الباب الثانى.

(*) قام سليم اختر بتلخيص كتاب «حيات جاويد» فى مائتى صفحة من القطع الصغير ونشره عام ١٩٧٩م فى لاهور وقد اعتمدت على هذه النسخة.

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى: ص٢٩٣-٢٩٤.

ثانياً : شعر حالى

ترك حالى ثروة شعرية ضخمة تنوعت فيها موضوعات الشعر، فنظم فى الموضوعات الأخلاقية والدينية والتعليمية والاجتماعية والقومية وفى الدفاع عن المرأة وشعر الأطفال وشعر المناسبات وفى المدح وشعر الطبيعة إلى جانب موضوعات الغزل، وتعددت الأجناس الأدبية والفنون الشعرية المختلفة بتنوع هذه الموضوعات وقد نظم حالى شعره فى معظم فنون الشعر الإردى مثل فن الغزل، القصيدة، والقطعة، والمثنوى، والرباعى، وتركيب بند، وترجيع بند والمخمس والمسدس، والرثاء ودوبيت وغيرها. وقد قام حالى بالتجديد فى موضوعات الشعر الأردى واحدث تغييرات هائلة فى الشكل والمضون ومن ثم يعتبر رائد للشعر الجديد، وتأثر حالى بأستاذه ميرزا غالب كما استفاد كثيراً من مصطفى خان شيفته لانه « يكره المبالغة فى الشعر وكان يعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة مع الالتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية الدنيئة والعبارات العاميةوهذا ما كان ينفر منه غالب » وقد ظل حالى ينظم أشعاره وخاصة وشعر الغزل على الطريقة القديمة حتى التقى بالسير سيد أحمد خان عام ١٨٧١م فحدث تغير هائل فى شعر حالى وبدأ ينظم الشعر الهادف أن وجهه السير سيد إلى ذلك بقوله: « إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة ضعف المسلمين وتأخرهم فى الوقت الحالى »[(١)] لذلك نظم حالى مسدس « مد وجزر إسلام » ولم يكن « أحد قد نظم شعراً من أجل إيقاظ المسلمين وتنبيههم »[(٢)] وبذلك خرج حالى عن نطاق الشعر التقليدى القديم وجعل شعره أداة لإصلاح قومه وكان من أنصار نظرية « الفن للمجتمع » التى كانت على النقيض من نظرية « الفن للفن »[(*)] التى تهتم بجماليات الشعر وعناصر

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٢) حالى: مسدس حالى ص ٤.

(*) ظهرت « الفنية » (أو الفن للفن) كرد فعل للرومانتيكية وكان رائدها الشاعر الوصاف تيوفيل جوتيه صاحب الديوان المعاوف باسم « مينات وزهريات » ويرى انصار هذا المذهب ان الشعر فن جميل ولذلك يجب أن يكون غاية فى ذاته فلا يستخدم كوسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة. بل يعمل لخلق صور وأخيلة وإحساسات جميلة فى ذاتها وهذا هو ما يقصدون إليه من عبارة « الفن للفن ».
أما « نظرية الفن للجميع » « فهى على النقيض من « نظرية الفن للفن » حيث يرى أنصار هذا المذهب انه يجب توظيف الفن لخدمة المجتمع والبيئة والنهوض بالإنسان، كما انهم لا ينكرن تماماً القيم الجمالية للفن (محمد مندور: فى الأدب والنقد ص ١٤٠ دار نهضة مصر - ١٩٧٨م).

المتعة والتشويق فيه واستخدامه كنوع من التسلية والتفكة دون النظر إلى الفائدة المرجوة منه. وقد وضح حالى ذلك فى مقدمة مسدسه حين قال: أهل الذوق فى بلدنا لا يفضلون هذا النوع الجاف والبسيط من الشعر لان فيه ترجمة لبعض الاحداث والآيات والوقائع التاريخية ويصور حالة القوم الراهنة تصويراً صادقًا ليس فيه دقة الخيال ولا تنوع البيان ولاعادة المبالغة والتكلف، المهم انه شعر لا تانس به آذانهم وليس فيه شيء عجيب، لكننى لم أنظم هذا الشعر (المسدس» من أجل التلذذ والاستحسان لكن من أجل أن يثير فى الأصدقاء وأهل الوطن نار الحمية والغيرة[١]. وهكذا اتضح ميدان نظم الشعر أمام حالى وظل متمسكًا برأيه هذا حتى نهاية حياته. وفى عام ١٨٧٤م انظم حالى إلى الندوات الشعرية الجديدة التى أقيمت فى لاهور تحت إشراف «انجمن بنجاب» جمعية البنجاب وبإيعاز من كرنيل هالرايد مدير التعليم فى البنجاب وأشرف على تنظيمها محمد حسين آزاد وبدأت أول ندوة فى ٨ مايو ١٨٧٤ واشترك فيها حالى وقد استمرت هذه الندوات الشعرية تعقد مرة كل شهر لمدة أحد عشر شهراً واشترك حالى فى أربع ندوات منهاو ونظم أربع قصائد فى قالب «المثنوى» وهى بالترتيب الأولى موسم المطر (بركهارت) أو (برسات) والثانية الأمل «اميد» والثالثة هى العدل «إنصاف» والرابعة فى حب الوطن «حب وطن» وتعتبر هذه الندوات نقطة تحول فى شعر حالى وبداية لاتجاه جديد فى نظم الشعر اشتهر به حالى وكان رائدا فى هذا المجال ومن أبرز رواد الحركة الشعرية الجديدة التى نشأت فى لاهور بتأثير من الأدب الإنجليزى وهى الفترة التى اطلع حالى فيها على الكتب الإنجليزية المترجمة فى الشعر والأدب والنقد، وقد تميزت الندوات الشعرية التى عقدت فى لاهور عن الندوات القديمة باختيار موضوع معين ينظمون الشعر حوله ويظهر كل شاعر براعته فى نظم الشعر فى هذا الموضوع بدلاً من تحديد مصرع من بيت شعر يلتزم به الشعراء وينظمون على قافيته ووزنه.

وقد نظم حالى قصائد كثيرة باللغة الفارسية وبعض القصائد باللغة العربية. وقد زاعت شهرة شعر حالى فترجم مسدسه إلى عدة لغات عالمية ومحلية، كما قام أحد الإنجليز ويدعى G.E. Ward(*) بترجمة بعض من قصائده ورباعياته إلى اللغة الإنجليزية كما ذكر ذلك رام بابو سكسينه[٢].

---

(١) حالى: مسدس حالى ص ٥.

(*) G. Eward, the Quartrains of Hali. P. 200 - 220 - Oxford, 1904.

(٢) رام بابو سكسينة: تاريخ ادب أردو. ص ٣٦٤.

وفيما يلى سأقوم بدراسة إحصائية لأشعار حالى المختلفة والتى قام بنظمها فى الفترة ما بين عامى ١٨٦٣ و ١٨١٤م وبعدها سأتناول أهم الفنون الشعرية التى نظم فيها حالى أشعاره.

* * *

قام حالى فى حياته بنشر مجموعتين فقط من أشعاره بالإضافة إلى المسدس «مسدس «مد وجزر إسلام» الذى نشر عام ١٨٧٩م، وهاتان المجموعتان هما:

١ - مجموعة نظم حالى ونشرها سنة ١٨٩٠م وتضم هذه المجموعة ١٤ قصيدة.

٢ - ديوان حالى: ونشره سنة ١٨٩٣م مع مقدمة شعر وشاعرى فى مطبعة الأنصارى بدهلى وتضم هذه الطبعة ٣٠ غزلية قديمة وتمتاز هذه الطبعة عن الطبعات التى جاءت بعدها بأنها تفصل بين الغزليات القديمة وتميزها بعلامة «ق» عن الغزليات الجديدة ورتبت الغزليات القديمة والجديدة طبقًا للرديف، وهذا الفصل بين الغزليات والجديدة يجعلنا نفهم بسهولة التطور الفنى والعقلى لحالى من خلال هذه الغزليات، وقد وقع بعض الباحثين فى خطأ حصر الغزليات القديمة ففى حين يذكر الدكتور شجاعت سنديلوى[١] أن الغزليات القديمة عددها ١٧ غزلية يذكر سعيد مرتضى حسين[٢] أن عددها ٢٠ أو ٢١ غزلية.

ويحتوى ديوان حالى على: ٦٧ قطعة، و١١٦ غزلية (٣٠ قديمة، ٨٦ جديدة)، ١٠٧ رباعيات (٧ قديمة و١٠٠ جديدة)، ٥ قطعات فى المدح والشكر، واثنين فى النعت واثنين فى المدح واثنين فى تركيب بند وقصيدتين غير كاملتين، وفى نهاية الديوان أشعار متفرقة ومجموعة من القطع التاريخية.

وقبل أن ينشر حالى هاتين المجموعتين قام بنشر ثلاث قصائد شهيرة منفردة وهى «مناجات بيوه» أى دعاء أرملة عام (١٨٨٤م)، ومثنوى «حقوق أولاد» حقوق الأولاد عام (١٨٨٨م) «وشكوة هند» شكوى الهند عام (١٨٨٨م) وطبع حالى كذلك عدة قصائد منفصلة ومتفرقة وهى «تحفة الأخوان» و«فلسفة ترقى» و«چپ كى داد» وغيرها[٣].

---

(١) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيت شاعر، ط١، لكهنو ١٩٦٠م ص ٨٩.

(٢) سيد مرتضى حسين: مقدمة مثنويات حالى، ص ٣.

(٣) افتخار صديقى: ص ٢٣ - ٢٧.

٣ – وفكر حالى فى أواخر حياته فى جميع شتات أشعاره المتفرقة والمتناثرة، وبدأ بالفعل فى ترتيب وتدوين « كليات نظم حالى » بالرغم من مرضه ومشاكله العائلية، وكان أو مجموعة رتبها هى مجموعة نظمه ونثره الفارسية والعربية تحت اسم « ضميمه اردو كليات نظم حالى » والتى نشرت فى اغسطس ١٩١٤ أى بعد وفاته بخمس أشهر فقط[١].

٤ – ظلت « قطعات حالى »، و« رباعيات حالى » تنشر على انفراد بعد وفاة حالى.

٥ – وفى سنة ١٩٢٢ قام الشيخ إسماعيل پانى پتى بنشر مجموعة باسم « جواهرات حالى » وتضم هذه المجموعة بعض القصائد التى لم تنشر لحالى من قبل.

٦ – وفى سنة ١٩٢٤م أخذ الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى على عاتقه مهمة جمع وترتيب كليات نظم حالى فى جزءين الأول والثانى ولكنه لم يتمكن من إكمال المجلد الثالث والرابع، ولم توفق أى جمعية أو إدارة فى نشر كليات نظم حالى على الرغم من أن حالى يعتبر من المؤسسين للأدب الأردى.

٧ – وفى سنة ١٩٣٥م قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بنشر مجموعة كاملة من رباعيات حالى، الفارسية والأردية.

٨ – قام الدكتور شجاعت على سنديلوى بترتيب ونشر مثنويات حالى عام ١٩٦٠ عن مكتبة « انوار بكدٹپو » وقام الشيخ مبارك على بترتيب مجموعة من مثنويات حالى أيضًا وطبعها فى لاهور عام ١٩٦٦م وكتب سيد مرتضى حسين مقدمة مفصلة طبعت معها، وفى سنة ١٩٦٠م كان قد نشر فى دهلى عن المكتبة الحديثة « كليات حالى » وكتب مقدمتها الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى وهى غير كاملة[٢].

وقد جمعت جميع قصائد حالى ورتبت على الطريقة القديمة أى من حيث فنون الشعر وقد سار على هذه القواعد والأصول الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى.

وفى سنة ١٩٦٨م نشرت الطبعة الأولى من « كليات نظم حالى » فى مجلدين وقام بترتيبها وجمعها الدكتور افتخار أحمد صديقى وقام بجمع أعمال حالى الشعرية فى هذين المجلدين ورتب القصائد طبقًا للموضوعات لكنه مع هذا اهتم بالعامل الزمنى فى

---

(١) محمد إسماعيل پانى پتى: مقدمة كتاب نظم حالى، ط. ص ٤.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٢٤ – ٢٥، ٣٢، ٣٥.

ترتيبه بقدر الإمكان.

شعر حالى الفارسى والعربى:

نظم حالى شعراً باللغة الفارسية والعربية إلى جانب أشعاره بالأردية ويقول حالى في ترجمته «يوجد لى مؤلفات نثرية وشعرية كثيرة باللغة الفارسية وقليل باللغة العربية»(١) وقام حالى بجمع هذه الأشعار باسم «ضميمه أرد وكليات نظم حالى» وقد نشرت فى أغسطس عام ١٩١٤م.

وقد بدأ حالى فى نظم الغزل الفارسى بشكل مستقل فى سنة ١٨٦٣م وله أشعار فارسية كثيرة تتكون من ١٩ غزلية و٢٠ رباعية و٤ قصائد و٧ مراثى و٦ قطعات و١٥ قطعة تاريخية وقد نظم حالى معظم غزلياته أثناء إقامته فى جهانگير آباد بصحبة مصطفى خان شيفته وتتميز لغة هذه الغزليات بالسلاسة والصفاء وتتوفر فيها جميع عناصر الغزل ويتفوق بها على غزليات عصره ويبدو فيها الإخلاص والبساطة بدلاً من المبالغة والتقليد ويتألق فى بعض غزليات حالى الخيال المحلق الرقيق وجمال الاسلوب الموجود فى غزليات غالب ونظيرى(٢) وتبدو براعة حالى ومقدرته أيضاً فى نظم المقطوعة الفارسية وقصة «بيت بحثى»(٣) والمراسلات الشعرية بين حالى وغالب خير شاهد على أسلوبه القوى وسمو عقله وذوقه، وقصائده الفارسية التى بدأها بقصيدة(٤) فى مدح نواب كلب على خان رئيس مصطفى آباد (رام پور) يبدو فيها الإخلاص والصدق بجانب العناصر الفنية للقصيدة وكان حالى قد نظم قصيدة فى مدحه قبلها بثلاث سنوات(٥) وهى نموذج للطراز الجديد فى القصيدة المدحية وكان حالى قد نظم هذه القصيدة باهتمام خاص وألقاها عام ١٨٧٧م فى البلاط القيصرى بمناسبة اجتماع رؤساء المدن فى دهلى. وقد قال حالى فى تعليقه على هذه القصيدة «لما تعرفت على نواب كلب على خان الذى كانت له المبادرة والسبق قبل الجميع فى مساندة السير سيد وكان لديه أمل كبير فى المشاركة فى اجتماع البلاط القيصرى لهذا فقد قررت أن أمدحه

(١) حالى: ترجمة حالى. ص ٣٤٣.

(٢) افتخار صديقى: مقدمة كليات نظم حالى جـ ١، ص ٧١.

(٣) ارجع إلى «يادگار حالى» صالحة عابد حسين، و«يادگار غالب» لحالى.

(٤) حالى: كليات نظم حالى: جـ ٢ من ص ٣٨١ حتى ٣٨٨.

(٥) حالى: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٦٥.

بهذه القصيدة»[1].

ويبدأ حالى هذه القصيدة بوصف صفات هذا الحاكم اليقظ وقد مدح حالى نواب كلب على خان بأوصافه الحقيقية البعيدة عن المبالغة وذكر علمه ورعايته للفن، والقصيدة بجزالة ألفاظها وجمال أسلوبها تعد من روائع الشعر الفارسى القديم وبالإضافة إلى قوة المعنى وجدة الخيال يقوم حالى بترصيع قصيدته مثل قا آنى[2] ونظم حالى قصيدة أخرى فى تهنئة نواب آسمان جاه بهادر بعيد الفطر وثالثة لتهنئته بعيد الأضحى المبارك وآخر قصيدة لحالى بالفارسية هى فى مدح حبيب الله خان والى دولة خداداد فى أفغانستان بمناسبة حضوره إلى مدرسة العلوم بعلى گرطهـ ونظمها حالى عام ١٩٥٧م[3].

وعلاوة على هذه القصائد التى نظمها حالى فى المدح والتهنئة فإن له سبع مراثى باللغة الفارسية خمسة منهم فى قالب القطعة وهى:

١ - **الأولى**: فى رثاء نواب محمد على خان رشكى الذى كان رئيسا لجهانگير آباد خلفاً للنواب مصطفى خان شيفته[4].

٢ - **الثانية**: فى تاريخ وفاة السيد محمود على أخى السير سيد أحمد خان[5].

٣ - **الثالثة**: فى وفاة وزير الدولة سيد محمد حسن خان وزير ولاية پتيالة[6].

٤ - **الرابعة**: فى وفاة مشير الدولة سيد محمد حسين خان[7].

٥ - **الخامسة**: فى وفاة مولوى چراغ على الذى كان من رفاق السير سيد ومن المؤيدين لحركته[8].

ونظم حالى المرثية السادسة فى قالب «ترجيع بند» وهى فى رثاء نواب مختار الملك

---

(١) حالى: المرجع السابق: ص ٣٨١.

(٢) افتخار صديقى: مقدمة كليات نظم حالى. جـ ١. ص ٧٣.

(٣) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢ ص ٣٩٣.

(٤) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٤.

(٥) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٥.

(٦) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٦.

(٧) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٨.

(٨) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤١٠.

سرسالار جنگ ميرتراب على خان ونظمها حالى سنة ١٨٨٣م[١].

والمرثية السابعة والأخيرة كانت فى رثاء السير سيد أحمد خان وهى فى تركيب بند ونظمها حالى سنة ١٨٩٨م[٢] وطبعت ونشرت فى دهلى فى مطبعة مجتبائى فى شهر مايو ١٨٩٨م بعد موت السير سيد بفترة قصيرة ويقول حالى فى ترجمته: كان آخر شعر لى بالفارسية قصيدة فى قالب « تركيب بند » نظمتها فى عام ١٨٩٨م فى رثاء السير سيد أحمد خان. وآخر شعر لى بالأردية نظمته[٣] فى تأبين الملكة فيكتوريا (ملكة بريطانيا) ونشر فى مجلة على گرڈھ گزت »[٤] ونظم حالى أشعاراً باللغة العربية أيضًا فى أثناء إقامته عند مصطفى خان شيفته فى جهانگير آباد وهى قليلة نسبيًا فى مقابل أشعاره الفارسية، وكانت قصيدة حالى « البائية » فى مدح شاه عبد الغنى هى أولى قصائده باللغة العربية ونظمها فى عام ١٨٦٧م وأرسلها إلى شاه عبد الغنى (المتوفى ١٢٩٥هـ) فى المدينة المنورة وتتكون هذه القصيدة من ٤٨ بيتًا ومطلعها:

هوى الحور بلوى كل حبر ونادب   وفتنة قسيس وزلة راهب

وهزم لمنصور وفتح لخاذل   وعز لمغلوب وذل لغالب[٥]

وقد أظهر حالى مهارة فائقة فى هذه الأشعار العربية ونستطيع أن نقول بلا مبالغة إنه لو كان لحالى أشعار عربية بشكل مستقل فإنه يكون شاعراً مجيداً فى هذه اللغة، وهذه القصيدة يهب منها نسيم الصحراء العربية وبدأها حالى بطريقة جذابة ولكن الأشعار التى نظمها فيما بعد فى لاهور قليلة العدد بسبب مرضه وليس بها الترصيع الذى هو بمثابة روح القصيدة ومع ذلك فإن أشعاره العربية تسير على نفس طريقة العرب وخصوصيات القصيدة العربية[٦].

وكان قد أرسل هذه القصيدة إلى شاه عبد الغنى فى المدينة المنورة فأرسل لحالى خطابًا يشكره ويقول فيه:

---

(١) حالى: المرجع السابق: جـ٢ ص ٣٩٥.

(٢) حالى: المرجع السابق: جـ٢ ص ٣٩٧.

(٣) حالى: كليات نظم حالى: جـ١. ص ٣٤٩.

(٤) حالى: ترجمة حالى: ص ٣٤٣.

(٥) حالى: كليات نظم حالى. جـ١ من ص ٤٣٠ – ٤٣٣.

(٦) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا: ص ٢٨، ٢٩.

«واستحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة»، وقد كتب حالى عدة قطع شعرية فى المناسبات العامة والحفلات وتشتمل أشعار حالى العربية على ٦ قصائد وثلاث مقطوعات[1].

* وقد نظم حالى قصيدة باللغة العربية يمدح بها منشى محمد كرم الله خان بمناسبة زواجه فيقول:

- بنفسى ما به جاء البشير	وما افدى به شيء يسير
- فبشرنى وقد ألقيت سمعى	بسورٍ لا يكافئه سرور
- فقمت إذًا وكيف يقوم مثلى	نحيفًا ليس يبعثه النشور
- شكيًا لا يصاحبه أنيس	غريبًا لا يزار ولا يزور
- نسيت ولم أكُ انسى همومى	فما هذا النشاط وذا السرور
- أرى الأرجاء قد ملئت بهاءً	وفى القمرين فوق النور نور
- فيا للربع من ربع بهيج	به صحب وإخوان حضور
- كأن الناس حول العُرس كانوا	نجومًا بينها قمر منير[3]

* ونظم حالى قصيدة أخرى باللغة العربية يصف فيها حزنه على فراق اصدقائه فى لاهور بعد أن استقر فى دهلى فيقول:

- هل من يبلغ عن محصور لاهور	عن مبتلى فيه بعد الكور بالحور
- إلى ديار بها سلمى وأهلها	إن لم يكن فى زمان البين من خير
- هل فيكم من يواسى حائداً أسفًا	بما مضى من دوام القرب والزور
- ولم يذل حدثان الدهر يزعجنى	يومًا بنجد وبما كنت فى غور

(١) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢ من ص ٤٣٠ إلى ٤٤٢.
(٢) حالى: كليات نظم حالى جـ ٢. ص ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠.
(٣) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢. ص ٤٣٠.

– لكننى راسخ فى حبكم قدمى فلن أحول عن طور إلى طور

– إنى أحب وأهوى أن ألاقيكم إن لم يكن نحوكم مسعاى أو سيرى

– أرجو من الله بعد العسر ميسرة أما على مهلة ما أو على فور[١]

– كما قام حالى بترجمة جزء من قصيدة باسم « واقعة هجرت » أى هجرت الرسول إلى الأردية شعراً وهى قصيدة الإمام على بن أبى طالب ومطلعها:

– وقيت بنفسى خير من وطىء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر[٢]

وترجم حالى هذه القصيدة عام ١٨٨٦م، وترجم أيضاً أبياتاً من قصائد إنجليزية إلى اللغة الأردية شعراً. ووضعها فى آخر ديوانه تحت عنوان أشعار متفرقة، وترجم عدة أبيات أخرى من الإنجليزية « ناقدرى » فى عام ١٩١٣م، وقام حالى فى عام ١٨٧٨م بترجمة الجزء الأول من قصيدة « زمزمهٔ قيصرى »[٣] للشاعر الإنجليزى آستوك[*] ونظم حالى هذه القصيدة فى قالب « تركيب بند » وهى من ثلاثة أجزاء وألقاها فى البلاط القيصرى بمناسبة مجىء الملكة فيكتوريا إلى الهند وقد قام حالى بترجمة الجزء الأول إلى الأردية واعتذر عن ترجمة الجزءين الثانى والثالث إلى الفارسية بسبب مرضه.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣١.

(٢) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢. ص ٣٢٨ – ٣٣٠.

(٣) حالى: المرجع السابق: جـ ٢، ص ٢٩٥.

(*) الشاعر الإنجليزى آستوك (١٨٣٥ – ١٩٠٠) أحد الشعراء الإنجليز غير المشهورين وكان يعيش فى الهند وعمل موظفاً لدى الحكومة الإنجليزية فى الهند وله ديواناً يحتوى على قصائد إنجليزية وأردية، وقد نظم قصيدة « زمزمه قيصرى » عام ١٨٧٥م للترحيب بالملكة فيكتوريا بمناسبة زيارتها للهند وذلك بامر من نائب الحاكم العام للهند السير كرنل. (غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ٨٩).

موضوعات شعر حالى

يعتبر حالى من رواد الشعر الأردى الحديث الذين قاموا بإصلاحات عديدة فى الشعر الأردى فى الشكل والمضمون وترك ثروة شعرية كبيرة تنوعت فيها فنون الشعر المختلفة من غزل ومثنوى وقصيدة مرثية ورباعى ومقطوعة ومسدس وكان أول شاعر يعبر فى شعره عن هموم شعبه وقضايا وطنه فنظم فى الشعر الهادف وتلاحم مع قومه لذلك ركز حالى اهتماماته فى الشعر بالموضوعات الدينية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية ودافع عن المرأة ونظم شعراً للأطفال وفى المناسبات الوطنية اهتم بشعر الطبيعة والشعر القومى.

١ - الغزل:

الغزل فى الشعر الأردى مصطلح خاص يختلف عن الغزل فى الشعر الفارسى. «فالغزل فى الشعر الأردى نوع من النظم يشتمل على مجموعة من الابيات المتحدة فى الوزن والرديف ويتفق شطرا البيت الأول منه فى نفس الرديف ثم يتفق هذا الرديف مع رديف الشطر الثانى من بقية الأبيات وتتغير القافية فى كل بيت عن البيت الآخر وتشتمل كل غزلية على موضوعات عديدة وكل بيت يحمل معنى منفرداً. ويذكر الشاعر تخلصه فى البيت الأخير»[١] «والغزل كما هو معروف لا يبين موضوعاً خاصاً بطريقة مسلسلة إلا نادراً بل يؤدى الأفكار المتفرقة فى أبيات منفصلة، ومع أن أصل الغزل كما يبدو من كلمة «غزل» كان خاصاً بموضوعات الحب فقط إلا أن هذا لم يستمر طويلاً، فهناك كثير من شعراء إيران وبعض شعراء الهند الذين قد مزجوا الغزل بموضوعات المواعظ والأخلاق والتصوف إلى جانب موضوعات الحب»[٢]. ويتفق شبلى النعمانى مع حالى فى توضيح مصطلح الغزل فيقول: «الغزل الفارسى لا يتناول أى أمر من أمور الحب والعشق بطريقة مسلسلة بل كل بيت منفصل عن الآخر ويحمل فكرة واحدة قائمة بذاتها ومختلفة عن الفكرة الأخرى التى فى البيت الذى يليه»[٣].

وكان أول فن شعرى نظم فيه حالى هو فن الغزل الذى يعد الفن الشعرى الأول فى

---

(١) قادر بخش دهلوى: گلستان سخن، جـ ١، ص ١٧٣.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٠٠.

(٣) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٥. ص ٧٤ - ٧٥.

الشعر الأردى وتقام شاعرية أى شاعر أردى بمدى نبوغه فى هذا الفن ويرجع ذلك إلى صعوبة النظم فى هذا الفن الذى يتميز بتقاليد فنية صارمة يتوارثها الشعراء ويتمتع هذا الفن بشهرة فائقة لدى العوام فضلاً عن الخواص وقد نظم حالى شعر الغزل فى بداية حياته وحتى وفاته عام ١٩١٤م وإن كان إنتاجه فى هذا الفن أغزر فى مرحلة الشباب.

وتنقسم غزليات حالى إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى:

– وتضم هذه المرحلة غزليات حالى القديمة التى نظمها من سنة ١٨٦٣م حتى سنة ١٨٧٤م ونحن لا نستطيع أن نحدد هذه المرحلة ونهايتها بشكل قاطع ففى سنة ١٨٦٣م بعد أن دخل حالى فى دائرة تأثره بنواب مصطفى خان شيفته بدأ فى نظم شعر الغزل بطريقة مستقلة.

وهذه الغزلية نموذج لغزليات حالى القديمة:

– لقد زاد قلق القلب واضطرابه   فمواساتك أصبحت لى بلاء
– ساضطر إلى كشف جراح قلبى   ولو اخطأت سهمه (هدفه)
– فأى أمنية هذه التى لها نهاية   الوعد لا يصير وعداً إذ وفىّ
– لقد بدأت الأنفاس تتوقف ببطء حتى فنيت * وتضاعف المرض وتزايد حتى صار دواءاً
– وأنا لا أستطيع أن آتى وقت وداعه   فعناقه وبكاؤه أصبح آفة لى[1]

---

(١) قلق اوردل مي سوا هوگيا   دلا ساتمهارا بلا هوگيا
دكهانا پڑے گا مجهے زخم دل   اگر تيراس كا خطا هوگيا
وه اميد كيا جس كى هوانتها   وه وعده نهين جو وفا هوگيا
هوار كتے ركتے دم آخر فنا   مرضى بڑهتے برهتے دوا هوگيا
نهين بهولتا اس كى رخصت كا وقت   وه روروكے ملنا بلا هوگيا
سمان كل كاره رهے اتا هے ياد   ابهى كيا تها اوركيا سے كيا هوگيا
سمجهتے تهے جس غم كو جانگزا   وه غم رفته رفته غذا هوگيا
نه دے ميرى اميد مجهه كوجواب   دهے وه خفا، گر خفا هوگيا
ٹپكتا هے اشعار حالى سے حال   كهين سادة دل مبتلا هوگيا

– لقد ظلت تتوارد ذكرى مشهد الامس كيف كانت الأمور وكيف تغيرت فى حين؟!

– فالحزن والغم الذى كنا نعتبر مضنيا للروح اصبح الآن غذائى بالتدريج

– أيها الأمل لا تخذلنى، ليبقى (الحبيب) غاضبًا لو هو غاضب منى

– إن حال حالى يظهر فى أشعاره، ولربما ابتلى (بالحب) ساذج القلب[1]

المرحلة الثانية:

فى سنة ١٨٧٢م جاء حالى إلى لاهور وهناك عمل فى مخزن كتب إقليم البنجاب وكان يقوم بإصلاح الترجمات الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية، وسنحت له الفرصة آنذاك للاستفادة من الادب الإنجليزى والاطلاع على علوم الغرب عن طريق هذه التراجم، وتعرّف أيضًا على الحركة الإصلاحية لجمعية البنجاب «انجمن پنجاب» كما اثرّت عليه فى هذه المرحلة افكار السير سيد عن طريق المقالات التى كان يكتبها فى مجلتى «تهذيب الاخلاق» و«مجلة معهد على گرڈھ» يقول حالى: «فى أثناء إقامتى بلاهور بدأت تقل عندى بالتدريج قيمة الآداب الشرقية وتأثيرها وبصفة خاصة الادب الفارسى وبدأت تنشأ بينى وبين الادب الإنجليزى علاقة من نوع ما»[2] وظهرت لدى حالى فى هذه الفترة الرغبة الشديدة فى إصلاح الادب الإردى ووضعه على طريق الإصلاح الصحيح، وفى سنة ١٨٧٤م نشر عبد الغفار نساخ تذكرة «سخن شعراء» وقام باختيار أربع عشر غزلية من خمس وعشرين غزلية كان حالى قد أرسلها له بناء على طلبه ولرغبته فى نشرها فى تذكرته «سخن شعراء» وتعد جميع هذه الغزليات من الغزليات القديمة ولهذا السبب فغالبا ما يتحدد عام ١٨٧٤م آخر حد فاصل لغزلياته القديمة وبداية ظهور النزعة الجديدة فى غزلياته والذى يعد تأثير البيئة والتسلسل المنطقى من أهم سماتها ونستطيع على كل حال ان نقول بكل ثقة ان اسلوب حالى وطريقة نظمه للغزل قد تغيرت أثناء إقامته بلاهور أى حتى أواخر عام ١٨٧٤م وقد استمرت هذه المرحلة منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٨٩٣م وهى السنة التى طبع فيها ديوانه «ديوان حالى».

وهاتان الغزليتان يعتبران من نماذج غزلياته فى هذه المرحلة:

---

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/٦٣.

(٢) حالى: ترجمة حالى: ص ٣٣٩.

(١) – ألم القلب لا شأن له بالدواء وما هى علاقة الذهب بالكيمياء؟
– الحديث عن ماء الحياة شىء جميل لكن لا صلة له بالخضر وبماء الحياة
– الملوكية هى ترويض النفس وهذا أمر لا شأن له بظل جناح الهما
– إن الذى يفعله الواعظ سيتحمل نتيجته فما شأنك أنت بذنوبى
– والذين يعبدون الحور والغلمان أيها الزاهد، لا علاقة لهم بالله
– المطلوب من الإنسان المروءة فما علاقةَ الزهد والتقوى بهذا الأمر
– وإذا كان الرند ملوث الطرف فما لنا والبحث عنه
– وإذا كان صوفى المدينة صافيًا فليكن هكذا فلا صلة لنا به
– يا حالى، إن الذين يحبون رائحة الخمر حبًا جمًا، لا يهتمون بثُمالة الخمر أو بصفاءها[١]

(٢) – أيها الواعظ أنك تصطدم مع كل واحد * ولهذا فأنت تُعرف بناصح القوم

(*) يقصد الشاعر «بالملوكية» الحكم، وقد كان فى عصره يظنون أنه إذا وقع ظل طائر الهما على إنسان فإنه يصير ملكًا.

١ – درد دل کودوا سے کیا مطلب کیمیا کوطلا سے کیا مطلب
چشمہء زندگی ہے ذکر جمیل خضر وآب بقاسے کیا مطلب
پادشاہی ہے نفس کی تسخیر ظلِّ بالِ ہما سے کیا مطلب
جوکرین گے بھرین گے خود واعظ تم کومیری خطا سے کیا مطلب
جن معبود حور وغلمان ہین ان کوزاہد خداسے کیا مطلب
کام ہے مردمی سے إنسان کی زہد یا اتقاسے کیا مطلب
ہے اگر رنددامن آلودہ ہم کوچون وچراکیا مطلب
صوفی شہر باصفا ہے اگر ہو، ہماری بلا سے، کیا مطلب
نکہت سے پہ غش ہیں جو حالی ان کودرد وصفا سے کیا مطلب[١]

* * *

٢ – یہ مین واعظ، سب پہ منہ آتے ہین آپ ناصح قوم اس پہ کہلاتے ہیں آپ
بس بہت طعن وملامت کرچکے کیون زبان رندون کی کھلواتے ہیں آپ =

---

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/١٠٣ – ١٠٤.

- فلتكف عن المزيد من اللوم والتجريح ولا تدع الرنود يتـــحـــدثون عنك
- يوجـد فى الأبريق نفس اللذة التى تشـعـر بهـا حين الصـعـود على المنبـر
- فيا أيها الواعظ أن الخجل حرام على الذين يخـجلون من ذنوبهم بأنفـسـهم
- لماذا تـكّـفـــــر كـل واحــــــد؟ هلا أمعنت النظر فى ذلك الأمر قليلاً
- إنك أيهـــا الواعـظ تعّـــمـــر النار وتتـــرك الجنـة خـــاويه من النـاس
- يا حالى بسبب مداعبتك للواعظ جعلتهم يرمون فراشك خارج الجنة[1]

المرحلة الثالثة:

وهى آخر مرحلة فى نظم حالى لشعر الغزل ونظم فيها سبع (٧) غزليات فقط وبدأت من سنة ١٨٩٣م حتى سنة وفاته ١٩١٤م وبذلك يصل عدد الغزليات القديمة إلى (٣٠) غزلية والغزليات الجديدة (٩٣) غزلية فيكون مجموع غزليات حالى القديمة والجديدة (١٢٣) غزلية، وقد أحصى الدكتور شجاعت على سنديلوى غزليات حالى بـ (١١٥) غزلية، (٩٩) جديدة و(١٧) قديمة[1].

وفيما يتعلق بغزليات حالى القديمة فى هذه المرحلة يوجد أمامنا شعر حالى العربى والفارسى والذى بقراءته يتضح أن هناك علاقة وثيقة بين حالى والشعر العربى على عكس الميول والنزعات التى كانت تدور فى عصره وكان طبعه يميل إلى البساطة والحقيقة والبعد عن المبالغة والكذب، كما أن الشعر الفارسى شاهد على المراحل العديدة التى مر بها فن الغزل عند حالى وكان حالى عالمًا بمعالم مراحل تطوره وطبعه أكثر ميلاً لسعدى فى الأدب الفارسى ومير فى الأدب الأردى كما أنه استفاد كثيراً من أستاذه غالب الذى

= هے صـــــراحی مین وہی لـذتکی جـــو چرھ کے منبـــرپر مـــزایاتے هیـــں آپ
واعظو هے ان کــــوشــــرمــــانا گناہ جــوگنه سـے ایے شـرمـاتے هیـں آپ
کـرتے هین اک اک کی تکفیـر آپ کـیـون؟ اس پہ بھی کـچھ غـور فـرمـاتے هیـں آپ
کـــرتے هین آباد دوزخ کــــو حـــضــــور خلد کـــو ویران کــــرواتے هیـــں آپ
چھـیـــرط کـــرواعظ کـوحـالی خلد سـے بسـتـراکـیـون اپنا پھنکوا تے هیں آپ(١)

(١) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيت شاعر ص ٨٩.

---

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/ ١٠٤-١٠٥.

يعتبر استاذاً لهذا الفن وتتلمذ حالى عليه وكان صاحب ذوق خاص فى شعر الغزل ويعترف حالى بذلك فى بيت شعر(*) له فيقول:

حالى سخن مين شيفته سے مستفيد غالب كا معتقد، مقلد ميركا(١)

فتعلم حالى من غالب جمال المعنى وقوة الاسلوب وفصاحته وأخذ عن شيفته الميل الفطرى للصدق وتأثر باسلوب مؤمن وتنوع أشعاره عن طريق شيفته وجميع صور التأثر هذه نستطيع أن نراها ونلمسها بوضوح فى غزلياته القديمة، لكن صلة التوافق بين حالى ومير كانت أكثر عمقاً لان الإغراق فى البساطة والإخلاص فى الفن والصنعة عند ميركان عوناً ونبراساً لحالى فى بداية نظمه للغزليات القديمة فتنساب خواطر القلب بدون تكلف أو تصنع وتتميز بالبساطة والوضوح فى الصياغة إلى جانب القدرة على إظهار الالم والحرقة التى تذكرنا بأنين مير واحزانه ولكن حالى لم يكن مثل مير الذى يتلذذ بمفرده بآلامه الداخلية وتعتصره الاحزان ولا كغالب الحائر الهائم فى صحراء الخيال. ولذلك يبدو حالى من خلال غزلياته أكثر تفاعلاً مع الشعور الاجتماعى العام وتنبع حرقته وآلامه من البيئة المحيطة به فيتنامى الشعور والإحساس والإخلاص لديه. وقد قدم حالى احتجاجاً شديداً فى مقدمته «مقدمة شعر وشاعرى» ضد العناصر التقليدية والمتوارثة فى الشعر الأردى لذلك نراه يهجر موضوعات الغزل التقليدية القديمة مثل موضوعات الفلسفة والتصوف والخمريات والعشق مع أن هذه العناصر موجودة بشكل أو بآخر عند أساتذة ذلك العهد مثل غالب وشيفته ومؤمن الذين تأثر حالى بهم فى غزلياته ولكن بعد أن صقل طبعه وصفت قريحته اعترف بعدم وجود أى تناقض بين محاولة الاعتماد على عناصر الغزل القديمة مثل البلبل والوردة فى بعض غزلياته القديمة وبين المضمون الجيد لهذه العناصر. وتأكيداً لذلك استخدم حالى كلمات الهجر والوصال والخمر والكاس والكعبة والدير والمعبد والحديقة والقفص والورده والبلبل والخريف والربيع وغيرها من علامات الغزل التقليدية. ولكن فى المرحلة التالية قام حالى بتأسيس عناصر جديدة للغزل من البداية للنهاية كما يقول:

(*) لقد استفاد حالى كثيراً فى شعره بشيفته .·. وهو تلميذ لغالب ومقلد لمير.

(١) كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٤٠. وبابورام سكسينه: تاريخ أدب ارد و ص ٣٥٧ وكليات نظم حالى: جـ ٢. ص ٣٣٤.

اپنی روداد تھی جوعشق کاکر تے تھے بیان جو غزل لکھتے ہوتی تھی سرا سرحالی[1]

- كانت حكايتي عندما كنت أتحدث عن العشق، فالغزل الذى أنظمه كله كان حكاية حالى.

فعندما خرج حالى من نطاق فرديته الضيقة إلى هموم المجتمع أصبحت حالة العصر هى تفكيره وقصة الوجود هى قصته ومن هذا المنطلق يقول حالى كل ما يحس به فى شعره بشكل كامل دون التقيد بموضوع معين أو بالقافية فى غزلياته الجديدة.

فثقافة الشاعر هى الباعث الأول فى توسيع الدائرة اللامحدودة لموضوعات الشعر ففى البداية (المرحلة الأولى) كانت الدائرة الحقيقية له محدودة بدخائل العشق وحالته النفسية أما الآن وقد أحاط بمشاهدة الحياة العديدة وتجاربها المتكررة ظهر التنوع والرحابة أيضًا فى كيفية العشق ومفاهيمة المختلفة، لذلك نرى حالى يعبر عن الحب والعشق بأفكار جديدة وشعور متدفق فى غزلياته الجديدة وبأسلوب مختلف عن الغزليات القديمة، فاهتم حالى فى غزلياته الجديدة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأفكار الإصلاحية، وبكى على ضعف المسلمين واعترته رغبة جامحة فى الإصلاح، فجعل من جميع الموضوعات مجالاً خصبًا للغزل، وهكذا احتوى الغزل الحياة والكائنات على رحابتها بين دفتيه ومحا الحدود الداخلية والخارجية للتجارب والمشاهد المتعددة. وعلى الرغم من أن حالى قد اختار صورة شعر النصيحة فى بعض الأماكن فى الغزليات الجديدة - عندما تقوى عنده العاطفة القومية - لكن فيما عدا بعض الغزليات المسلسلة فإننا نجد فى كل شعر حالى المعاناة والحرقة، وينفصل أسلوبه وصياغته عن طريقة التخاطب بالنصيحة والموعظة المباشرة[2].

وكان حالى يعرف جيداً المثل والطبيعة الخاصة للغزل لهذا فقد خطا بخطى حثيثة نحو الإصلاح وجعل الغزل صدى لقضايا العصر ومقتضياته الحديثة وأقر الخصائص الفنية الاساسية لطبيعته واكد على هذا الموضوع بقوة فى «مقدمة شعر وشاعرى» وترك حالى أسلوب الغزل القديم الذى انست به الآذان وراق لها كما كان فى السابق. وأضاف إليه بالتدريج اللغة وأساليب الصياغة الجديدة، وظل حالى عشرين سنة - قبل أن ينشر مقدمته يعمل على تحقيق هذه القواعد فى غزلياته الجديدة، وهناك خطأ شائع فيما

(١) حالى: كليات نظم حالى. جـ ١. ص ٤٢.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٤٢ - ٤٤.

يتعلق بفهم محاولات حالى الإصلاحية للغزل الأردى وهى أنه خالف الأساليب المعروفة للغزل، وكان ضد رموز الغزل وعلاماته الخاصة به مع أن حالى كان يعترض على هذه العلامات والرموز التقليدية فقط مثل « دشنه وخنجر » و« ناز وغمزه » ولم يتخل عن باقى الرموز الغزلية.

وكان الغزل قبل حالى يهتم بموضوعات الحب والعشق والوجد وما ينتج من مشاعر الألم والحرقة والحرمان بسبب هجر الحبيب، كذلك كان الغزل يركز على تصوير مفاتن المرأة وإبراز جسدها، أما الغزل عند حالى فهو رحب رحابة الحياة الحديثة واكتسب الغزل معانى سياسية وقومية وصار كل موضوع فى الحياة صالحًا للغزل ولم يقتصر على موضوعات العشق فقط بل تخطاها إلى مجالات الحياة العصرية واستخدم حالى بمهارة جميع العلامات الغزلية القديمة وبث فيها الروح الجديدة وقدم فى غزلياته عشرات الأمثلة التى استعمل فيها الربيع والخريف والبرق وعش الطائر والخمر والكأس والسفينة والطوفان وغريها من علامات الغزل ولكن بمعانى جديدة وأخيلة طريفة.

ونظم حالى (١٩) غزلية جديدة غير مردفة (بلا رديف) واقتصر على القافية فقط وبذلك أزال حالى عقبة الالتزام بالرديف من طريق تطور الغزل والتى كان شعراء مدرسة لكناؤ ودهلى على السواء يعتبرونها عيبًا فى الغزل كما أقام حالى رابطة قوية بين اللفظ والمعنى بعد أن طهر الغزل من مساوئ الصنعة والمحاورات الشعرية والأبنية الشعرية الصعبة، وأحدث الترابط والوحدة الداخلية فى أبيات الغزل[١].

ونظم حالى أيضًا الغزل المسلسل ولكنه ابتعد عن النعت والحمد فى مطلع الغزلية ولم يزد عدد الغزليات المسلسلة عن اثنى عشرة غزلية ومع أن التوافق المعنوى بين أبيات هذه الغزليات متوفر إلا أنها لم تفقد الوحدة فى أبياتها فى نفس الوقت وكانت هذه التجربة الخطيرة التى أقدم حالى عليها تأكيداً على شعوره بالفن والاعتدال والتوازن فى سلسلة إصلاحاته للغزل ونقده والتى لم تستطع الحركات الأدبية المنظمة فى القرن العشرين تقديم نموذج مثلها، فعندما نقرأ غزليات سليم پانى پتى وجوش مليح آبادى وما فيها من توافق ميكانيكى يفتقد إلى روح الغزل فإننا نشعر بأن ذوقنا الشعرى وفكرنا النقدى فى النصف الثانى من القرن الماضى لم يتعد كثيراً مستوى نقد حالى[٢].

---

(١) افتخار صديقى: المرجع السابق ص ٤٥.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٤٦.

وعلى الرغم من أن حالى كان من الشعراء البارزين فى نظم موضوعات الغزل إلا أنه هجرها فى أواخر حياته وبدأ يتجه إلى الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية والقومية والشعر الهادف الذى يفيد المجتمع الهندى فى ذلك الوقت لذلك يعلن حالى بهذا البيت تمرده على شعر الغزل:

اب سنو حالى کے نوح عمر بهر   هوچکا هنگامۂ مدح وغزل(١)

وقوله: هوچکے حالى غزل خوانى کے دن   واگنى بے وقت کى اب گائین کیا(٢)

ويعلل حالى أسباب تركه النظم فى موضوعات الغزل فى مقدمة ديوانه فيقول:

تعتبر علاقة الشعر بالعشق والحب علاقة ضرورية ولازمه فقد نشأ الشعر فى العالم نتيجة الحماسة والعاطفة اللتين تنشأ فى قلب الإنسان بسبب الحب فمادة الشعر قابلة للاشتعال وتحتاج لأى قبس من نار لإشعالها، ولقد ظلت هذه الفكرة التى لا تفضل أى شعر سوى شعر الغزل سائدة لفترة من الزمن، ولم يتبادر إلى ذهنى أى فكرة لاختيار طريق آخر مضاد. ولكن عندما تقدم بى العمر وبدأت حماسة الشباب فى التضاؤل تدريجيًا وتبدلت أمانى الغزل والتشبيب بالانفعال والثورة وبدأت أخجل من الشعر الذى كنت أفخر به من قبل، وانقضى عصر شعر الغزل(٣). ويقول فى بيت شعر له:

اب کہ الفت ہے نہ جا ہت نہ جوانى نہ امنگ   سرهے سودا تهى عشق سے دل هے خالى(٤)

ويتجلى ذوق حالى الشعرى وشعوره الفنى فى الغزل على أكمل وجه عنه فى أى من فنون الشعر الأردى وإذا لم يكن قد نظم غير الغزل فقط فإنه مع ذلك ينال منزلة عظيمة فى تاريخ الشعر الأردى وعلى حد قول الدكتور إعجاز حسين: « يوجد فى غزليات حالى

---

(١) الترجمة: فلتسمع الآن نواح حالى طول العمر، فقد انقضى عهد المدح والغزل (كليات نظم حالى: جـ ١: ١٣٦).

(٢) الترجمة: لقد انتهت أيام إنشاد الغزل يا حالى، فكيف تغنى أنشوده فى غير وقتها (كليات نظم حالى: جـ ١: ص ١٠١).

(٣) حالى: ديوان حالى: القدمة ص ١، ٢.

(٤) الترجمة: الآن ليس هناك رغبةولا شباب ولا حب، فالرأس فارغ من هذا الجنون والقلب خال من العشق (كليات نظم حالى جـ ١ ص ١٧٤. وقد أخذ حالى فكرة هدا البيت من كثير عزة حين سأله الناس ذات مرة: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: لقد ولى الشباب الذى كانت تتدفق منه الأمانى، وماتت عزة التى كان القلب يشتعل بها حبًا ومات ابن أبى ليلى فما أرغب. يريد عبد العزيز بن مروان « (ذهب الشباب فما اعجب، وماتت عزة فما أطرب، ومات ابن أبى ليلى فما أرغب) (العقد الفريد: جـ ٦، ص ١٥٢).

ألم مير وأسلوب بيان غالب وبساطة شيفته وواقعيته جنبًا إلى جنب»[1] على أن شهرة شعر حالى وانتشاره مرتبط أكثر بشعره القومى وبالطريقة الجديدة فى النظم. وفيما يلى نماذج من غزليات حالى الجديدة:

على أن شهرة شعر حالى وانتشاره مرتبط أكثر بشعره القومى وبالطريقة الجديدة فى النظم. وفيما يلى نماذج من غزليات حالى الجديدة:

١ – لتسمعوا وصف العندليب للروضة فى القفص

ولتسألوا المسافر الغريب عن قدر الوطن

– ماذا قالت ريح الصبا للعندليب فى الحديقة؟

فإن ذلك المسكين لم يتوقف لحظة عن البكاء

– لقد مضى الحب والعداوة كلاهما مع الشباب

ولم يعد الآن الكراهية من الرقيب ولا المحبة من الحبيب

---

١ – وصف چمن قفس مين سنو عندليب سے — پوچھو وطن كى قدر مسافر غريب سے

نالون سے ايكدم نهين مسكين كوقرار — كيا كهه گئى چمن مين صبا عندليب سے

لا گ اورلگا وساتھ گئے سب شباب كے — نفرت رقيب سے نه اب الفت حبيب سے

اب دل سے دور ركهو خيال نشاط عمر — آوازے رهاہے يه كوئى قريب سے

شادى ہے اك كى وهى جود وسرے كاغم — دنيا كے بهن مين شادى وغم كچھ عجيب سے

دون برڑهتے درد دل مرون اس مين ياجيون — پاند ڑے سے لون صلاح نه پوچھون طبيب سے

كهتا ہون، ديكهتا هون جسے خوار وبے وقار — هے كوئى خاندان شريف ونجيب سے

طالب مين صدق هے نه عقيدت مريد مين — مين آج كل پيربهى كچھ بد نصيب سے

پرڑهے وه خطبه جس مين كه صدق وصفانه هو — كهه دويه جاكے برسر منبر خطيب سے

فاقے مين تم كود يكهـ كے جاتى هے بهوك بهاگ — پهنجا هے نسخه آب كويه كس طبيب سے

اب جس كے جى مين آئى بهرے شاعرى كادم — ميدان آج كل هے يه خالى نصيب سے

نعم البدل هے داغ كا، حالى، كلام داغ — ذكر حبيب كم نهين وصل حبيب سے[2]

---

(١) إعجاز حسين: نئے ادبى رجحانات، ط ٣. ١٩٤٦م، ص ٣٣.

(٢) حالى: كليات نظم حالى: ١/١٦٨ – ١٦٩.

– يناديهم شخصًا ما عن كثب

أن أبعدوا عن القلب الآن خيال متعة الحياة

– فسعادة أحدكم هي نفسها حزن للآخر

فالحزن والسعادة في هذه الدنيا شيئان عجيبان

– أترك ألم القلب ليزداد سواء أموت به أو أحيا

ولا أسأل البرهمي ولا استشير الطبيب

– وأقول حينما أرى رجلاً في ذل ولا وقار له

إنه ينتمي إلى أسرة ما شريفة نجيبة

– فالصدق ليس في الطالب ولا العقيدة في المريد

وشيوخ الطريقة هم أيضًا سيئو الحظ هذه الأيام

– قل للخطيب القائم على رأس المنبر

أن ألق الخطبة التي لا يكون بها صدق ولا صفاء

– ففي حالة الفاقة حينما أراك يفر الجوع، من أين؟

ومن أي طبيب حصلت على هذه الوصفة؟

– والآن كل الذي يخطر على باله يدعي مرض الشعر

ومن حسن حظهم أن هذا الميدان في هذه الأيام خالٍ (من الشعراء)

– يا حالي، إن شعر داغ هو نعم البدل لداغ

فذكر الحبيب لا يقل متعة عن وصل الحبيب

٢ – لا تكثروا الزيارات (المودة) فيما بينكم

لا سمح الله فربما يسبب هذه الأمر كراهية أكثر

---

٢ – بــــرﮍهاؤنه آبس مين ملت زيادة　　　مبا داكه هو جائے نفرت زيادة

تكلف عــــلامت هے بيگانكی كی　　　نه ڈالو تكلف كی عــــادت زياده

كرود وستـوا پهلے آپ اپنی عـزت　　　حوچا هوكرين لو گ عـزت زياده =

– التكلف دليل على الغربة
فلا تعودوا أنفسكم على التكلف أكثر

– لا تجرحوا نسب أحد منكم
أليس في هذا لؤم أكثر

– وعليكم أن تكسبوا الشرف بالعلم
وبالمرؤة يزداد هذا الشرف أكثر

– ولا تجلسوا في الدنيا لحظة واحدة بدون عمل
إذا أردتم أن يكون هناك رخاء أكثر

– فالعالم لم يمكن تسخيره بعذوبه اللسان
وهذا لا يحتاج إلى مال أكثر

= نکالونہ رخنے نسب مین کسے کے — نہین اس سے کوئے رذالت زیادہ
کرو علم سے اکتساب شرافت — نجابت سے ہے یہ شرافت زیادہ
فراغت سے دنیامین دم بھرنہ بیٹھو — اگر جاعتے ہو فراغت زیادہ
جہان رام ہو تاہے میٹھی زبان سے — نہین لگتی کچھ اس مین دولت زیادہ
مصیبت کا ایک اک سے احوال کہنا — مصیبت سے ہے یہ مصیبت زیادہ
کرو ذکر کم اپنی دادو دھش کا — مباداکہ ثابت ہوخست زیادہ
پھراورون کی تکتے پھرو گے سخاوت — بڑھاؤنہ حدسے سخاوت زیادہ
کہین دوست تم سے نہ ہو جائین بد ظن — جتاؤنہ اپنی محبت زیادہ
جوچا ہو فقیری مین عزت سے رہنا — نہ رکھوا میرون سے ملت زیادہ
وہ افلاس اپنا چھپاتے نہین گویا — جودولت سے کرتے ہین نفرت زیادہ
نہین چھپتے عیب اتنی ثروت سے تیرے — خدادے تجھے خواجہ ثروت زیادہ
ہے الفت بھی وحشت بھی دنیا سے لازم — یہ الفت زیادہ نہ وحشت زیادہ
فرشتے سے بہتر ہے إنسان بننا — مکراس مین پرط تی ہے محنت زیادہ
بکے مفت یان ہم زمانے کی ہاتھون — یہ دیکھا توتھی یہ بھی قیمت زیادہ
ہوئی عمر دنیا کے دھندون مین آخر — نہین بس اب اے عقل مہلت زیادہ
غزل مین وہ رنگت نہین تیری حالی — الاپین نہ بس آب دھریت زیادہ

- والحديث عن المآسى أمام جميع الناس

ليس بمأساة بل هو من المآسى أكثر

- أقلوا من ذكر كرمكم وجودكم

لا سمح الله أن يثبت منه بخلكم أكثر

- لو زاد وجودكم عن الحد

فستنظرون إلى جود الآخرين أكثر

- حتى لا يساء الظن بكم يا أصدقاء

عليكم أن تجودوا بحبكم أكثر

- الذين يرغبون فى إخفاء فقرهم

لديهم النفور من المال أكثر

- إذا أردتم أن تعيشوا بفقركم بشرف

يجب ألا يكون بينكم وبين الأغنياء مودة أكثر

- عيوبك لا يمكن إخفاؤها وراء الثروة

فليعطك الله أيها السيد ثروة أكثر

- إن الألفة والكراهية كليهما ضروريات فى الدنيا

لكن لا يجب أن يكو أحدهما من الثانى أكثر

- فكون الإنسان إنسانًا هذا أفضل من كونه ملكًا

فهذا يحتاج إلى جهد ومشقة أكثر

- لقد وقعنا فى براثن الزمان بدون ثمن

وبعد أن أمعنا النظر وجدنا أن الثمن أكثر

- لقد أنتهى العمر فى مشاغل الدنيا

فيا أيها العقل لم يبق لنا فرصة أكثر

– فيا حالى – لا يوجد لون ولا طعم فى غزلك

فلا تظهر مهارتك فى أداء الألحان[1] والغناء أكثر

٣ – إذا كان الحديث جديراً بالقول فلنتحدث

ولكن كيف يمكن إظهار ما يعانى منه القلب

– إذا كان هناك طمع الدنيا فلنضيع القلب والدين

لو خسرنا هنا كثير فسوف نجد هناك كثيراً بعدما نصل

– ما هذا الأمر فالقلب فى الدير والمقام فى الكعبة

فيجب أن نلتزم بمكان تعلق قلبنا

– ولو هناك ضرر فى الحب أيها الناصحون

فارحلوا عنى فأنا مستاء من الحياة

– فلا تقض على قيمتك الباقة

نحن نؤمن بكلامك فلا داعى للحلف (القسم)

– لقد شبعنا من هذه الدنيا بعد ما طلبنا حقنا

فتعال نكتب لك ورقة إخلاء الطرف عنها

---

(١) حالى : كليات نظم حالى : ١/١٤٨ – ١٤٩ – ١٥٠.

٣ – كهنے كى بات هوتوا سے كهه سنائيے
جودل په بن رها وه كيون كرد كهائيے

دنياكى هو هوس تودل ودين گنوائيے
يان كهوئيے بهت ساتو كچهه جاكے پائيے

يه كياكه دل هے دير مين اور كعبے مين مقام
هورهے بس وهين كے جهان دل لگائيے

گرجان كاضرر هے محبت مين ناصحو
هم جان هى سے بيٹهے هين بيزار، جائيے

اور اعتبار كهوتے هواپنا رها سها
بس آگيا يقين هين قسمين نه كهائيے

بهرپائيے بس زمانے سے جوما نگتے تهے حق
فارغ خطى هم اپنى ابهى لكهه دين، لائيے

مشكل هے پاك هونا اگر دل نهين هى پاك
زمزم مين غسل كيجيے كه گنگا نهائيے

هوتى هجوم غم مين هے كيون زہركى تلاش
حالى بتائين آب كوگر كچهه[*] كهلائيے

(*) حالى : كليات نظم حالى : ١/١٦٨.

- إن لم يكن القلب طاهراً فمن الصعب الطهارة

سواء تغتسل بماء زمزم أو تستحم فى نهر الجانح

- لماذا يبحثون عن السم فى حالة هجوم الألم

فأخبرنا يا حالى - هل نقدم لك قليلاً من السم

٢ - المثنوى:

يقوم فن المثنوى - من الناحية الفنية - على أبيات مستقلة ومصّرعة يشتمل كل بيت منها على مصراعين متفقين فى القافية والروى، مستقلين في ذلك عن غيرهما، ويسمى شعراء العجم هذا الضرب بالمثنوى ويعرف فى العربية بالمزدوج[١].

ويشترط فى المثنوية أن تكون على وزن واحد مهما كثر عدد أبياتهما، وقد اختلف النقاد فى أصل هذا الفن فيقول براون «هذا الضرب فارسى النشأه لم تعرفه الأشعار العربية القديمة وأن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه فى نظم الأشعار المتأخرة التى عرفت باسم المزدوج»[٢] والواقع ان العرب عرفوا المزدوج مع إبان بن عبد الحميد اللاحقى (م ٢٠٠هـ) ونظموا فيه القصص مثل كتاب «كليلة ودمنه» و«الصادح والباغم» والتاريخ: كأرجوزة ابن عبد ربه فى غزوات عبد الرحمن الناصر وكتب العلوم كألفية بن مالك فى النحو[٣] ولكنهم اهملوه بعد ذلك فاهتم به الإيرانيين ونظموا فيه أشعار لا تحصى وأشهرها شاهنامه الفردوسى والمثنوى المعنوى لجلال الدين الرومى وحديقه الحقيقة لسنائى ومنطق الطير لفريد الدين العطار.

وقد انتقل هذا الفن «المثنوى» إلى الشعر الأردى وظلت دائرته محدودة فقط بقصص الحب والعشق مثل «طلسم الفت» للشاعر قلق ومثنوى «گلزارنسيم» ومثنوى «بدر منير» لمير حسن ومثنويات «بهار عشق» و«زهر عشق» و«قريب عشق» لشوق اللكنوى.

ويعد المثنوى انسب صنف شعرى لبيان الوقائع والأحداث المسلسلة والطويلة فى

(١) شمس الدين الرازى: المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٤١١.

(٢) ادوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران (الترجمة العربية) جـ٢ ص ٤٧.

(٣) عبد الوهاب عزام «اوزان الشعر وقوافيه» مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة المجلد الأول. العدد الثانى. ١٩٣٣م.

الموضوعات التاريخية والأخلاقية والدينية والسياسية، وهو من الاصناف المحببة لدى حالى لانه أكثر الأصناف الشعرية فائدة ونفعاً ويقل فيه الالتزام بالقافية عن الأصناف الأخرى مثل الغزل والقصيدة والمسدس وتركيب بند.

وقد ذكر حالى «فى مقدمة شعر وشاعرى» أن الشعر الأردى «لم يكتب فيه أى مثنوى طويل أو قصير فى موضوع التاريخ أو الأخلاق وغيرها من الموضوعات اللهم سوى بضعة مثنويات غرامية قصيرة وهى بعيدة جداً عن ذوق المجتمع ومقتضى هذا العصر، فالقصص التى كانت تذكر فى تلك المثنويات كانت مليئة بالغلو والمبالغة الزائدة عن الحد إلى جانب استحالة حدوثها فى الواقع وأن أحداثها خيالية.

ويرى حالى أن الشرط الأساسى لكتاب المثنوى هو إحداث التناسب فى ترتيب المصارع والأبيات بحيث يستمر التطابق بين كل مصرع وآخر وكل بيت وآخر وألا يحدث أى خلل فى المعنى ولكن لا يحتاج فى الفهم إلى المحذوفات والعبارات المقدره[1].

وقد ظلت دائرة شعر المثنوى الأردى محدودة فقط بقصص الحب والعشق واستخدام شعراء المثنوى هذا الفن فى الوصف، وقد استفاد حالى من رحابة هذا الفن استفادة كاملة فى إظهار أفكاره الجديدة وجعله وسيلة للإصلاح الاجتماعى، حتى صار من الأعمال المجيدة فى الشعر الإردى والتى يمتزج فيها المثل الأخلاقية بالحداثة كما قال السير سيد فى مجلة تهذيب الأخلاق فى ١ محرم ١٢٩٢هـ: «إن مثنويات حالى قد أثرت على قلوبنا وتعد قصيدتاه مثنوى «حب وطن» و«مناظرة رحم وأنصاف» والتى نشرت فى جريدة «پنجابى اخبار» أحد مآثرنا فى الأدب لبساطة ألفاظها وصفاء أسلوبها وقوة خيالها فتدخل قلوبنا دون إرادة منا وهى مستساغه كالماء الزلال فكم هى جميلة فى بساطتها وصفائها وتركيب ألفاظها وفى الطبع واللغة والاسلوب»[2].

وفى مثنوى «مناظرة رحم وإنصاف» أحيا حالى أسلوب المحاورة والأسلوب التمثيلى لبعض شعراء الفرس القدامى ونظم بهذه الطريقة عدة قصائد وكان هذا الأسلوب الجذاب الممتع للتعاليم الأخلاقية جديداً على المثنوى الأردى ويتوفر فى هذه المثنويات الخيال الشعرى بالإضافة إلى الاستدلال المنطقى وفى هذه المثنوية يجعل حالى الناس يحيطون بكل الجوانب الحقيقية والمفصلة لمسائل الحياة المختلفة بدلاً من أن يعرض عليهم هذه

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٥٥.

المسائل بالإغراق فى المبالغة والتحليق فى فضاء الخيال الفسيح، ففى مثنوى «تعصب وإنصاف» تحليل وتفصيل للتعصب وضيق الأفق وقله صواب رأى العلماء وضحالة تفكيرهم ووصف للسلوك والأخلاق القومية. وفى «مناظرة واعظ وشاعر» تحليل نفسى لكل من الواعظ والشاعر يمتزج فيه الصدق بالفكاهة وقل أن نجد مثيله فى اللغة والشعر الاردى وبعض هذه المثنويات تلتقى بسلسلة الأهداف الإصلاحية لحركة على گرطه وخاصة «كلمة حق» و«تعصب وإنصاف» والتى يبد فيها بوضوح شخصية السير سيد وفكره.

وقد أكد حالى فى مثنوياته على الاهتمام بقضايا المجتمع، كما حاول جاهداً إصلاح هذا الفن فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى» واقترح الحلول بعد أن شخص أسباب تدهور هذا الفن وحاول حالى أن يستفيد منه فى عرض أهدافه الإصلاحية المختلفة. ويقول بابورام سكسينه «اشتهرت مثنويات حالى حتى أنها دخلت ضمن المقررات الدراسية فى بعض الجامعات لخلوها من المحسنات البديعية واللفظية والبعد عن التكلف والتصنع والمبالغة ولصفاء عباراتها وتتضمن هذه المثنويات التعاليم الأخلاقية بأسلوب مؤثر جذاب.

ويعد مثنوى «مناجات بيوه» من المثنويات الهامة التى نظمها حالى لمهمة إصلاحية تتعلق بوضع الأرملة فى المجتمع الهندى وخاصة الأرملة الصغيرة التى توفى زوجها فقد كانت تعتبر مصدر شؤم لدى الجميع ولا يقبل أحد الزواج منها لذا دعا حالى إلى نبذ هذه التقاليد السيئة وحض المسلمين على الزواج من الأرملة، وفيما يلى نموذج من هذا المثنوى يمثل مناجاه هذه الأرملة لله تعالى[1]:

– ... يا من أنت الأول والآخر	والحاضر والناظر فى كل مكان وزمان
– أنت فوق كل ذى علم عليم	وأقوى من كل الأقوياء
– يا من أسمى وارفع من كل شى	ارفع من القمر، ومن الشمس، ومن السماء

---

١ – اے سب سے اول اور آخر	جہاں تہاں حاضرا ورناظر
– اے سب داناؤں سے دانا	سارے تواناؤں سے توانا
– اے بالاہر بالاتر سے	چاند سے سورج سے امبرسے =

- أنت المعروف بلا معرفه والمعلوم بدون سؤال
- أنت الفريد وأنت البديع يا من أنت غائب عن العيون ونور للقلب
- أنت نجم لعين العمى وسند للأعرج والمشلول
- أنت مربى الصغار وصديق من فقدوا أحبائهم
- أنت مسّير سفينة العالم ومانح الصبر والسلوان فى الألم والحزن
- ليس قبلك ولا بعدك أحد الجميع منك لا ندلك
- جمالك يتجلى فى البحار والقفار ورائحتك تتضوع فى الأزهار والثمار
- مقامك فى كل قلب أنت القريب ومكانك بعيد
- طريقك صعب وضيق واسمك كالعصا للسالك
- أنت ملجئ للفقراء والمساكين وعون للمتألمين
- وأنت يا الهى ضياء للبيت المظلم وحارس لكل وحيد

٣ - القصيدة:

القصيدة فى الشعر الأردى عبارة عن مجموعة أبيات تصل إلى أكثر من مائة بيت متحدة فى الوزن والرديف ويتحد الرديف فى شطرى البيت الأول ثم يتحد مع بقية

= - اے سمجھے بوجھے بن سوجھے جانے پہچانے بن بوجھے
- سب سے انوکھے سب سے نرالے آنکھ سے اوجھل دل کے اُجالے
- اے اندھون کی آنکھ کے تارے اے لنگڑے لولوں کے سہارے
- ناتیون سے چھوٹون کے نانی ساتھیوں سے بچھڑوں کے ساتھی
- ناؤ جہان کی کھینے والے دکھ میں تسلی دینے والے
- جب، اب، تب، تجھ سانہین کوئی تجھ سے هین سب تجھ سانهین کوئی
- جوت هے تیرا بسیرا باس هے تیری پھول اوربھل مین
- راه تیری دشوار اورسکرٹی توپاس اورگھر دور هے تیرا
- تو هے تهکانا مسکینوں کا نام ترا رهگیر کی لکرٹی
- تو هے اکیلوں کارکھوالا تو هے اندهیرے گھر کا اُجالا

(حالی: كليات نظم حالى: ٢ / ٥ - ٦).

الأبيات فى رديف الشطر الثانى ويسمى البيت الأول مطلع، والقصيدة لا تختلف عن الغزل من ناحية الشكل إلا ان عدد أبيات الغزل لا تزيد عن أحد عشر بيتًا، أما القصيدة فهى لا تقل عن هذا العدد وقد تصل إلى مائة وخمسين بيتًا، أما من ناحية المضمون فموضوعات القصيدة تشتمل على المدح أو النصحية أو الهجاء(١).

ويرى شبلى النعمانى أن جمال القصيدة يكمن فى شروط ثلاثة هى:

١ - حسن المطلع: أى جمال البيت الأول من القصيدة وقوته.

٢ - التخلص: ذكر الممدوح بطريقة إيهامية تبدو وكأنها عفوية غير مقصودة بحيث يفهم القارئ أن الشاعر يقصد فى مدحه شخصًا معينًا.

٣ - خاتمة القصيدة: التى يجب أن تنتهى نهاية قوية وطبيعية(٢).

ونظم حالى قصائد شعرية كثيرة فى قالب «القصيدة» سواء كان فى صورة «قطعة» أو «تركيب بند» أو «مسدس» ونظم حالى أكثر هذه القصائد فى الحفلات الخاصة أو فى التهنئة والشكر والمدح.

ونظم حالى سبع قصائد كاملة وقصيدة واحدة ناقصة وهى فى مدح السير سيد ونظمها عام ١٨٧٧م(٣). وقد جمع الدكتور افتخار صديقى هذه القصائد الثمان فى كليات نظم حالى المجلد الأول(٤).

وكان الشعراء لا يقبلون على هذا الفن فى الشعر الأردى كما لم يكن العامة يفضلونه ولكن عندما ننظر إلى قصائد حالى نراها دليلاً على عظمة شاعريته واجتهاده الفنى وأن الجانب الممتع فى دراسة هذه القصائد هو أنها مليئة بالإخلاص والصدق فكان حالى يميل إلى البساطة ولذلك قلب الموازين والقواعد الموروثة التى تقوم عليها القصيدة رأسًا على عقب وكان حالى الشاعر الوحيد بعد سعدى الشيرازى - فى تاريخ الشعر الفارسى والاردى الذى امتد قرابة ألف عام - الذى كانت قصائده مبنية على الإخلاص والصدق والبساطة فى عرض الأفكار بدلاً من المحسنات اللفظية والمبالغة.

---

(١) قادر بخش قادرى: گلستان سخن. جـ ١. ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم. جـ ٥ ص ١.

(٣) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٢٦٨.

(٤) افتخار صديقى: المرجع السابق، ص ٢٥٥ - ٢٨٢.

وفى الوقت الذى كان بعض أساتذة الشعر فى عصر حالى يمدحون الحكام والأمراء فى مملكتى حيدر آباد ورام پور طبقًا لتقاليد البلاط القديم نجد حالى يجعل موضوع القصيدة فى الخدمات القومية والوطنية التى يقوم بها هؤلاء الحكم دون التقيد بالتقاليد السابقة، فكانت القصيدة التى نظمها حالى عام ١٨٧٤م(١) فى مدح كلب على خان والى رام پور ومدح اعماله القومية الرائدة هى أول قصيدة من الطراز الحديث خالية من جميع أنواع المبالغة فى تصوير الممدوح، وبعد ذلك أخذت قصائده فى التعمق فى الصدق ونظم قصيدة(٢) بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسينى لنظام حيدر آباد وفيها سرد لتفاصيل أعماله الشخصية وأعمال الصالح العام وقد ألقاها فى حضور مولوى عبد الحق وقال حالى فى بدايتها «أنا لا أمدح شخصًا بدون أساس ولا اتكسب بالمدح وأفضّل تصوير الوقائع الحقيقية الصحيحة من بدايتها لنهايتها»(٣). وهذا القول شاهد على مذهب حالى فى نظم القصيدة.

ونخلص من هذا أن قصائد حالى السياسية والمدحية فى المرحلة الأولى من نظمه (فيما عدا القصائد المطلوبة منه فى المناسبات العامة والخاصة) تتسم بالصدق والإخلاص فى كل أبيات القصيدة كما أن العاطفة الفطرية هى المتحكمة فى كلمات القصيدة وكأن هذه العاطفة هى التى أجبرته على الثناء على الممدوح وأعماله بلا تصنع أو تكلف كما هو الحال فى القصيدة التى مدح حالى بها خدمات مولانا ظفر على خان القومية وهو فى السابعة عشرة من عمره.

وقد قدم حالى اقتراحاته لإصلاح هذا الفن الشعرى فى مقدمة شعر وشاعرى(٤)

---

(١) حالى: كليات نظم حالى جـ١ ص ٢٦٥.

(٢) حالى: المرجع السابق. جـ١. ص ٢٧٠.

(٣) حالى: مكتوبات حالى. جـ١. ص ٥٩.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٥٢ – ١٥٣.

ڈھونڈھ ہے خصر مبارك پے كويان آئے هيں هم	چھوڑ كربھٹكا هوا اک كاروان آئے هيں هم
ڈر ہے جو خوش دل هيں وه سن كرنه پژمرده دل	سخت عبرت خيزلے كرداستان آئے هيں هم
هند مين اسلام كا بھولا پھلا تھا جوچمن	لے كے اس كامژده فصل خزان آئے هيں هم
علم جوزنده كيا تھا آب كے اجداد نے	آج ا س در براس كے نوحه خوان آئے هيں هم
قوم كھو بيٹھی هے جو عباسيون كي يادگار	جستجوميں اس كي مشعل لے كے ياں آئے هيں هم
تاكه ہو معلوم سب كو قوم كی كی حالت هے كيا	اس لے ڈالے گلے ميں جھوليان آئے هيں هم
خود غرض تھرائين يا مكار ہم كوياگدا	ذلتين يه كركے سب خاطر نشان آئے هيں هم =

وسوف نتناول هذه الاقتراحات فى الفصل الثالث من الباب الثانى.

وتعد «قصيدة صدائے گدايان قوم» أى «صوت متسولى القوم» التى نظمها حالى سنة ١٨٩٣م من القصائد الرائدة ذات موضوع قومى ونظمها حالى للإشادة بأعمال رئيس ولاية بهاول پور فيقول:

– هكذا جئنا إلى هذا المكان لنقتفى آثار أقدام سيدنا الخضر المبارك، وقد جئنا هنا تاركين ورائنا القافلة تائهه.

– ونخاف ألا يشعر السعداء بالضيق والجمود بعد سماع هذا، لقد جئنا إليكم بقصة شديدة العبرة.

– جئنا إليك بخبر حلول فصل الخريف، فى حديقة الإسلام التى نمت وازدهرت فى الهند.

– جئنا اليوم على بابك لنرثى، العلم الذى أحياه أجدادك.

– لقد فقد القوم مآثر العباسيين، لذى جئنا الآن نبحث عن الشعلة.

– جئنا هنا (فى ملابس الفقراء) وأكياس جمع الخيرات معلقة فى أعناقنا، لكى يعرف الجميع ما آل إليه القوم.

– جئنا هنا ونحن نشعر بهذا الهوان بكافة صورة، سواء يعتبروننا أنانيين أو يحسبوننا من الماكرين أو الشحاذين.

– جئنا هنا وقد مسحنا جميع آثار العز والفخار، فلا فخر واعتزاز لاناس قومهم فى المهانة والمذلة.

– لقد حشرنا هنا كضيوف لم توجه إليهم الدعوة، فبنى هاشم يضرب بهم المثل فى تكريم الضيف.

– جئنا إليك بلسان القوم الجاف فى أفواهنا، فيا من أنت مثل ماء الحياة عليك أن تطفىء ظمئنا.

= فخر سب ہے جاهيں ان كے، قوم هے جن كي ذليل — فخر وعزت كے مٹاكر سب نشاں آئے هيں هم
هے بنى هاشم كى مهمان پرورى ضرب المثل — اس لے ياں بن بلائے مهمان آئے هيں هم
تشنگى اپنى بجهاني هوگى اے آب حيات — لے كے منه ميں قوم كے سوكهى زبان آئے هيں هم

٤ – الرثاء:

ويُقصد بالرثاء فى الشعر الأردى عمومًا، رثاء شهداء كربلاء وخاصة رثاء أهل البيت النبوى الشريف، أما ميدان الرثاء الشخصى ورثاء الشخصيات القومية والوطنية فكان خاليًا قبل حالى.

وعلى الرغم من أن حالى كان معترفًا بالمهارة الفنية لشعراء المراثى، لكنه كان يعتبر موضوعها الشعرى(١) ضيقًا ومحدودًا برثاء واقعة كربلاء فقط. ويقترح حالى لهذا الفن علاجًا للخروج من محدودية موضوعاته فيقول: «الشاعر الذى هو لسان حال القوم يجب عليه عندما يصدم هو أو أسرته أو قومه بموت أحد الأشخاص أن يصور هذه الحالة الشعورية المؤلمة المفجعة عن طريق الشعر(٢) وكانت بداية محاولات حالى الإصلاحية فى الشعر الأردى بعد الندوات الشعرية الجديدة التى كانت تقام فى لاهور، لكن فن الرثاء هو الفن الوحيد الذى قدم حالى نماذج جيدة له قبل هذه الندوات الجديدة ففى سنة ١٨٦٩ نظم حالى نموذجًا للمرثية الجديدة فى الشعر الأردى وتعد من الروائع الأولية للمرثية ونظمها حالى فى رثاء أستاذه المحبب لديه مرزا غالب وتشتمل على عشر فقرات «بند» فى كل فقرة عشرة أبيات وتمتزج فيها العاطفة الداخلية بالصنعة الفنية والموسيقا الحزينة إلى جانب التوازن والإنسجام. ومرثية غالب»(٣) لا تحاكى مثل فنه وشخصيته ويندر وجود رثاء شخصى بهذه الدرجة من الروعة في الشعر الفارسى وكان حالى بحق شاعر الرثاء القومى، ويتوقف نجاح المرثية في الرثاء الشخصى أيضا على الإحساس بالألم والحزن الشخصى إلى جانب الإحساس بالخسارة لفقد هذا الشخص، ولذلك لم تكن مرثية غالب وحكيم محمود خان رثاءً(٤) لشخص فقط، بل رثاء للحضارة المغولية ولثقافة دهلى العظيمة(٥).

وقد قام الدكتور افتخار صديقي في كليات نظم حالى(٦) بجمع سبع مراث لحالى، في حين أن الدكتور شجاعت على سنديلوى فى كتابه «حالى بحيثيث شاعر» يذكر

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، ص ٥٢.
(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٥٤ – ١٥٥.
(٣) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ١، ص٣٢٧.
(٤) المرجع السابق ٣٣٧.
(٥) المرجع السابق ص ٥٢، ٥٣.
(٦) المرجع السابق ص ٣٢٧.

أن(١) عدد المراثى التى نظمها حالى هى خمس فقط ولم يذكر مرثية «نوحه قيصره هند» و«سرسيد كے دورفيق» الذى ذكرهما الشيخ محمد أسماعيل پانى پتى فى كتابه «جواهرات حالى».

وقد تأثر حالى بالمراثى العربية إلى حد كبير فى محاولة إصلاح هذا الفن فى الشعر الأردى.

٥- **القطعة**: «تعتبر القطعة جزء من الغزل أو القصيدة ولا يقل عدد أبياتها عن بيتين وليس لها تحديد معين لعدد أبياتها، ولا من الضرورى أن يكون أول مصرعين متفقين فى القافية، ولابد أن يتقيد بالقافية فى أبياتها»(٢).

«والقطعة كما يبدو من اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب وقد تكون أيضا جزءاً من قصيدة لم يقدر لها أن تكتمل، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضا من الأغراض»(٣).

و«القطعة فى الأدب الأردى عبارة عن مجموعة من الأبيات يتراوح عددها بين ستة وأحد عشر بيتا وقد تصل إلى بيتين وهى أصغر قطعة وقد نشأ هذا الفن فى الشعر الأردى متأثرا بالشعر الفارسى فى الشكل والمضمون، لكن القطعة الأردية لم تنل منزلة مثيلاتها فى الشعر الفارسى - لارتباطها بالمدح والتهنئة والحفلات الخاصة فى حين أن القطعة فى الشعر الفارسى قد اكتسبت معانى سياسية واجتماعية واصلاحية»(٤).

ويوجد فى ديوان حالى ثلاثة أنواع من القطع علاوة على شعر الغزل الذى نظمه حالى فى قالب «قطعة بند» وهذه القطع هى:

أ - جمع حالى (٦٧) قطعة فى أول الديوان تحت عناوين مختلفة.

ب - القطع المتفرقة التى نظمها حالى فى المدح والشكر والتى ادرجت مع القصائد والاشعار الأخرى.

---

(١) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيت شاعر ص ٢٢٧.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص٣٣.

(٣) ادوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ص ٤٧.

(٤) قادر بخش قادرى: گلستان سخن جـ١ ص١٧٧.

جـ - القطع التى نظمها حالى فى التاريخ (القطعات التاريخية) والتى طلبها منه الأشخاص وطبعت فى آخر الديوان تحت عنوان « أشعار متفرقة » وبعض هذه القطع نظمها حالى فى الحفلات الخاصة ولم يرتبها فى الديوان وقد قام الدكتور افتخار صديقى فى كليات نظم حالى بترتيب هذه القطع(١) فى موضوعاتها، قطع فى النقد والسياسة والاخلاق والاجتماع وفى السخرية.

ولم تكن هناك أهمية تذكر لنظم « القطعة » قبل حالى فى الشعر الأردى فقد كانت القطعة تستخدم فى مناسبات التهنئة أو المعذرة أو القطعة التاريخية وأحيانا تستخدم « قطعة بند » فى الغزل. وقد جعل حالى من فن القطعة وسيلة لإظهار اصلاحاته الهامة واعطاها نوعًا من الإستقلالية والمنزلة الخاصة وافسح لها مكان الصدارة فى ديوانه وشملت قطع حالى جميع أغراض الحياة فنظمها فى اصلاح الشعر وفى النقد الأدبى والسياسة والأخلاق وابداء النصيحة لوطنه ولقومه.

٦ - **الرباعية** « فن شعرى يتكون من بيتين (أربعة مصارع) يتشابه المصرع الأول والثانى والرابع فى القافية والروى ويختلف عنها المصرع الثالث، ويجب ان تكون كلماتها وقوافيها ومعانيها محكمة وسلسة وخالية من التكراروالحشو والتأخيروالتقديم، ويستحسن فيها المقابلة والتضاد والجناس(٢).

وقد تحدث شبلى النعمانى فى كتابه « شعر العجم » عن الرباعية ورواد هذا الفن الشعرى وتناول هذا الفن من الناحية التاريخية ولكنه لم يحدد لها مصطلح خاص بها، وتناول عمر الخيام ورباعياته بالتفصيل من الناحية الفلسفية والأخلاقية وذكر أن الخيام قد قام بالتجديد فى أسلوب الرباعية(٣).

وكانت الرباعية فى الشعر الاردى تنظم عموما لاظهار المقدرة على النظم وملء الفراغات فحسب حتى أكسبها شعراء الرثاء وخاصة ميرانيس معايير سامية وكان ذلك الفن عند شعراء الفرس القدامى خاصا بموضوعات المعرفة المختلفة من فلسفة وأخلاق.

وقد أودع حالى الرباعية سره فى آخر أيام حياته بسبب اختصارها لبيان أهدافه

---

(١) افتخار صديقى : كليات نظم حالى جـ١ ، ص١٧٣ - ٢١٥ .

(٢) شمس الدين الرازى : المعجم فى معايير أشعار العجم . ص ٣٨٨ .

(٣) شبلى النعمانى : شعر العجم، جـ١ ، ص ٢٢٥-٢٤٥ .

الإصلاحية ببساطة ويسر وقد بث حالى الروح فى رباعيات الفكاهة والسخرية وقد جعل حالى الرباعيات القديمة والجديدة فى ديوانه كلها على حدة ونشرت سلسلة رباعياته فى آواخر أيامه وبعد نشر الديوان بعد ما قلت عنده الرغبة فى نظم الشعر(١).

وفى سنة ١٩٣٥م نشر الشيخ محمد أسماعيل پانى پتى «رباعيات حالى»، وفى سنة ١٩٦٨م رتب الدكتور افتخار صديقى رباعيات حالى معتمداً على ما ورد منها فى «ديوان حالى» و«رباعيات حالى» وقد احصاها بـ ١٦٠ رباعية وقسمها إلى ثلاث مراحل طبقا للترتيب الزمنى وهى(٢):

أ – الرباعيات التى نظمها حالى من سنة ١٨٦٣ حتى ١٨٧٢م وعددها ٧.

ب – الرباعيات التى نظمها حالى من عام ١٨٧٢ حتى ١٨٩٣ وعددها ١٠١.

جـ – الرباعيات التى نظمها حالى من عام ١٨٩٣م حتى ١٩١٤ وعددها ٥٢.

وذكر الدكتور شجاعت على سنديلوى فى كتابه(٣) حالى بحثيث شاعر «أن عدد رباعيات حالى ١٠٣ رباعية، ١٥٠ منها فى كليات نظم حالى المجلد الأول ترتيب الشيخ إسماعيل پانى پتى والثلاث رباعيات الأخرى قالها حالى فى خدمة النواب محسن الملك.

---

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ١ ، ص٤٩.

(٢) افتخار صديقى: المرجع السابق من ص ٢١٦ حتى ٢٥٢.

(٣) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيث شاعر ص ٢٣٤.

ثقافة حالي

١- الثقافة العربية والفارسية:

تنوعت ثقافة حالي طبقا لتعدد مصادرها المختلفة فقد كان عارفا ببعض لغات الهند المحلية وآدابها إلي جانب لغته الأصلية اللغة الاردية والذي كان أحد أعلام أدبها البارزين، وكان يتقن اللغة الفارسية التي كانت آنذاك لغة خاصة المثقفين فضلا عن كونها لغة الدواوين الحكومية إبان حكم الإمبراطورية المغولية للهند، كما تعلم حالي اللغة العربية منذ صغره وحفظ بها القرآن الكريم وقرأ كتب الفقه والتفسير والنحو والصرف المختلفة علي شيوخ عصره.

وكانت هذه المرحلة من حياة حالي الممتدة منذ ولادته حتى قبيل اندلاع ثورة التحرير عام ١٨٥٧م تتسم بالثقافة الإسلامية الخالصة والتي ألته لنظم الشعر وكتابة المقالات باللغة الأردية والعربية والفارسية وكان من أشد المدافعين عن هذه الثقافة حتي أنه كتب «مقدمة شعر وشاعري» من أجل إقامة علم النقد في الشعر الإسلامي علي أساس أخلاقي ولأول مرة في الأردية وذلك بتأثير الثقافة الإسلامية.

وكان حالي قد بدأ في حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره علي عادة أهل عصره فيقول: «في البداية حفظوني القرآن الكريم.. ثم تشوقت لدراسة اللغة العربية، وما هي إلا أيام قليلة حتي جاء مولوي حاجي إبراهيم حسين الانصاري من لكناؤ بعد أن نال إجازة الإمامة فقرأت عليه النحو والصرف العربي (١) وأتم حالي حفظ القرآن علي يد مولوي ممتاز حسين وكان من علماء پاني پت وواصل حالي اطلاعه علي الثقافة العربية أيضا عندما ذهب إلي دهلي قرابة سنة ونصف وقرأت علي مولوي نوازش علي بعض الكتب في النحو والصرف وبعض الكتب الأولية في المنطق (٢). ودرس حالي في هذه الفترة في مدرسة «حسين بخش» وتمكن من إتقان اللغة العربية حقه أنه كتب أول رسالة له بهاو هي في تأييد نواب صديق حسن خان وعندما عرضها علي أستاذه نوازش علي قام بتمزيقها لأنها مخالفة لمذهبه الحنفي. وقد نقل خواجه غلام الثقلين في إحدي

---

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٤.

(٢) حالي: المرجع السابق. نفس الصفحة.

مقالاته هذا القول الذي اعترف به أستاذ حالي وهو أنه ، علي الرغم من أن الرسالة كانت قد كتبت بعناية فائقة غير أنها كانت في تأييد أحد الوهابيين لهذا خرقتها » (١).

وفي هذا اعتراف بجدة الرسالة التي كتبها حالي باللغة العربية في هذا السن المبكرة فلم يكن قد تجاوز العشرين من عمره بعد، وبعد ذلك ترجم حالي كتابا في علم طبقات الأرض من العربية إلي الأردية وذلك في سنة ١٨٦٨م.

وكان حالي واسع الثقافة غذير المعرفة قرأ علي مشاهير عصره فيقول في ترجمته في أثناء إقامته في پاني پت بعد فشل الثورة «كنت أقرأ في هذه الفترة علي مشاهير پاني پت وعلمائها مثل مولوي عبدالرحمن ومولوي محب الله ومولوي قلندر علي بعض الكتب بدون ترتيب أو نظام فأحيانا في المنطق والفلسفة وأحيانا في الحديث والتفسير وكنت أقرأ بنفسي الكتب التي لم أقرأها من قبل خاصة عندما لا يكون أحد هؤلاء العلماء في پاني پت وبصفة خاصة كتب علم الأدب التي كنت كثيراً ما أنظر إليها بمساعدة المعاجم والشروح وأحيانا كنت أكتب نثراً وأنظم شعراً بالعربية بدون أي إصلاح أو نصيحة. (٢) ويعترف الدكتور غلام مصطفي خان بثقافة حالي فيقول: «قام حالي بأعمال كثيرة أثناء إقامته بلاهور فقد انقضي من عمره خمسة وثلاثون عاما وصاحب النضج العقل هذا نضج عملي وعلمي بصورة جيدة ولم يكن الشعر والنثر العربي والفارسي والأردي مجرد تدريب فقط بل ظهرت استاذيته بمهارة فائقة» (٣).

وقد نظم حالي عدة قصائد باللغة العربية وأول هذه القصائد نظمها حالي عام ١٨٦٧م وهي القصيدة البائية في مدح شاه عبدالغني (المتوفي عام ١٢٩٥هـ) ومطلعا:-

هوي الحور بلوي كل حبر ونادب وفتنة قسيس وزلة راهب

وفي هذ القصيدة التي يمدح فيها شاه عبدالغني يهب منها نسيم الصحراء العربية وقد بدأها بطريقة جذابة لطيفة ولكن حالي انصرف عن النظم باللغة العربية بعد ذلك بسبب مرضه ومع ذلك يوجد في قصائد العربية طريقة الشعراء العرب وخصوصيات

---

(١) حالي: كليات نظم حالي جـ ١. ص ٦.

(٢) حالي : ترجمة حالي. ص ٣٣٦.

(٣) غلام مصطفي خان: حالي كاذهني ارتقا ص ٢٩ - ٣٠.

القصيدة العربية ففيها يظهر باضطراب ديار سلمي وحادثات الدهر وغيرها من الموضوعات التي يتناولها الشاعر العربي في قصيدته. (١) وأرسل حالي قصيدته إلي الشاه عبدالغني في المدينة المنورة فأعجبته و« استحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة » (٢).

وكان حالي ملماً بثقافة عربية واسعة وكان مغرماً بالشعر العربي وأعجب بشعر المراثي خاصة حتي أنه طلب من مولوي حكيم محمد وحيد الدين أن ينظم قصيدة في رثاء مسلمي الهند حتي ينهضوا من حالة التأخر والجمود فنظم قصيدة طويلة في مائة وسبعة عشر بيتاً باللغة العربية وألقاها علي حالي فسعد بها وطلب منه أن يطبعها فوراً فوافق بشرط أن يقوم حالي بترجمة القصيدة إلي اللغة الأردية نثراً ونشرت القصيدة والترجمة الأردية في كتاب واحد في رمضان ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ومطلع هذه القصيدة التي يعارض بها قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الاندلس :-

هل من سـبيل إلي وصل الألي بانوا   بيني وبينهم بيـد وقيعـان

أو للزمـان رجـوع بالوصـال إذا   كانت له كالرحي في الدور أحيان(٣)

وبالإضافة الي هذه الترجمة النثرية للقصيدة العربية التي تدل علي تمكن حالي من اللغة العربية والتي نظم بها شعراً وكتب بها نثراً وترجم منها إلي اللغة الأردية كتاباً في علم طبقات الأرض وترجم الأشعار العربية إلي الأردية مثل ترجمته لعدة أشعار من نظم الإمام علي بن أبي طالب يحكي فيها أحداث الهجرة النبوية من مكة إلي المدينة وأثبت حالي بهذه الأبيات التي ترجمها له في ٣٠ نوفمبر ١٨٨٦م عدم تعصبه ضد المذهب الشيعي ومطلع هذه القصيدة :

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصي   ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسـول الله خـاف أن يمكروا به   فنجاه وفي حفظ الإله وفي ستر.

وكان حالي واسع الثقافة كثير الاصلاع علي الكتب العربية في النقد والأدب والشعر

---

(١) حالي : كليات نظم حالي. جـ ١، ص ٥٠١.

(٢) غلام مصطفي خان: حالي كاذهني ارتقا: ص٢٨ - ٢٩.

(٣) حالي: ضميمة كلام عربي، ضمن كليات نظم حالي. جـ ٢) ص ٣٥٤ - ٣٣٥.

وقد تأثر حالي بهذه الكتب كثيراً في صياغة أول كتب في النقد الأردي يتحدث عن محاسن الشعر ونقده وهو كتاب «مقدمة شعر وشاعري». كما استخدم حالي كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال العربية والأقوال المأثورة في كثير مما يدل علي تشعب ثقافة حالي العربية الإسلامية.

وبالإضافة إلي اللغة العربية كان حالي يتقن اللغة الفارسية التي كانت لغة الثقافة في عصره ولا غني عنها لأي مثقف آنذاك ويقول حالي: «بدأت أقرأ علي سيد جعفر بعض الكتب الفارسية الأولية وكان يقيم پاني پت وله اليد الطولي في الطب والتاريخ وفي الأدب الفارسي وفي صحبته نشأت بيني وبين الأدب الفارسي علاقة من نوع خاص»[١].

وقرأ حالي بعد ذلك كتب الأدب وتذاكر الشعراء الفرس ودواوين حافظ وسعدي وتأثر «ببوستان» و«گلستان» سعدي والذي كتب عنه كتاب «حيات سعدي» بالأردية وقام فيه بشرح أشعاره وبيان مواطن جمالها المختلفة وكتب حالي عدة كتب في النحو والصرف الفارسي فيقول «كتب بعض الكتب في قواعد اللغة الفارسية»[٢] ومن هذه الكتب علي سبيل المثال «أصول فارسى» و«آل نامه» ولكنه لم يكمل الاخير وهو تجربة جديدة في اللغة الأردية كان يضيف «آل» التعريف علي الكلمة الفارسية ليخلق منها معني جديداً علي سبيل السخرية والنقد. وقد تمكن حالي من اللغة الفارسية وأتقن نحوها وصرفها ويبدو ذلك جليا في نظمه لبعض الأشعار الفارسية والمناقشات التي كانت تدور بينه وبين أستاذه غالب علي شرح بعض أشعار ديوانه الفارسي وهذا ليس غريباً علي مثقف وأديب وشاعر مثل حالي فقد كانت اللغة الفارسية هي لغة البلاط المغولي ولغة المثقفين ورجال العلم فضلاً عن كونها لغة الشعر والأدب قبل اتجاه الشعراء الهنود لنظم الشعر بالأردية.

وكتب حالي موضوعات متعددة في النثر الفارسي وكذلك نظم شعراً بالفارسية يقول حالي: «يوجد لي شعر فارسي كثير.. وكان آخر شعر لي بالفارسية قصيدة في قالب «تركيب بند» نظمتها في عام ١٩٨٩م في رثاء سير سيد أحمد خان[٣] وقد اعتنى حالي بما كتبه ونظمه باللغة العربية والفارسية وقام بترتيبه في آخر حياته وطبعت بعد

---

(١) حالي: ترجمة حالي. ص ٣٣٤.

(٢) حالي: كليات نثر حالي. حـ١ ص ٣٤٣.

(٣) حالي: ترجمة حالي. ص ٣٤٣.

وفاته في أغسطس ١٩١٤م باسم «ضميمة» أردو كليات نظم» (١) كما قام بنشر وتصحيح كتاب «سفر نامه حكيم خسرو». وكل هذا يدل على ثقافة حالي العربية الإسلامية الأصيلة ومعرفته للغات والآداب الإسلامية متمثلا في اللغة العربية والفارسية وآدابهما، وعقيدته ورسوله الكريم مثل «ترياق مسموم» وغيرهما من كتب المستشرقين والمبشرين فضلا عن المقالات التي كانت تنشر له من حين لآخر في الجرائد والمجلات المختلفة في جميع أنحاء شبه القارة الهندية في موضوعات إسلامية مختلفة.

٢ - الثقافة الانجليزية:

أخذت الثقافة والحضارة الغربية في التغلغل في شبه القارة الهندية مع بداية عصر الكشوف الجغرافية لسواحل الهند وبدأ الهنود يطلعون ولأول مرة على هذه الثقافة الجديدة والتي لم يتعد تأثيرها عن بعض الحصون والثغور علي شواطئ الهند ولم تتسلل هذه الثقافة إلي مدن وأقاليم شبه القارة الداخلية نظراً لسيطرة الثقافة الإسلامية علي بلاط المغول، ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت الامبراطورية المغولية في الانهيار واحتلت بريطانيا معظم مدن الهند وأقاليمها وبدأت بنشر الثقافة الانجليزية وفتحت المدارس المختلفة لتنفيذ هذا الغرض وكانت مهمة نشر هذه الثقافة موكلة إلي اللورد ميكالي الذي اجتهد كثيراً في نشر الثقافة الغربية بين المسلمين خاصة. وكانت هذه الفترة بداية حضارة جديدة ونهاية حضارة قديمة وازداد الصراع بين القديم والحديث وبين التراث والمعاصرة وأنشأ الانجليز كلية «دهلي كالج» لتدريس العلوم العصرية.

وكان حالي ينفر من تعلم هذه اللغة لأنها كانت لغة المستعمر الذي قضي علي الدولة الإسلامية في الهند ويملك حالي حالي سبب كراهيته للغة الانجليزية وعدم رغبته في تعلمها فيقول: «علي الرغم من أن دهلي كالج القديمة كانت في أوجها إلا أنه في المجتمع الذي نشأت فيه «يقصد بلدته پانى پت» كان يعتبر العلم منحصرا فقط في اللغة العربية والفارسية وفي البداية لم أسمع في مكان ما ذكرا للتعليم الانجليزي وبصفة خاصة في پاني پت وأن الفكرة التي لدي بعض الناس عنه بسبب خدمة الحاكم الانجليزي فقط ولم أحصل أي علم من هذا التعليم الانجليزي فقد كان علماؤنا يطلقون علي

(١) حالي: كليات نثر حالي. ح ١ ص ٣٤٣.
- حالي: كليات نظم حالي. ح ١ ص ١٥.

المدارس الانجليزية اسم «المجهلة» أي مكان الجهل»[1] وقد ظل حالي علي مبدئه هذا من النفور من اللغة الانجليزية ومن الذي يتعلمها طوال فترة إقامته في باني پت وحتي في المرحلة الأولي من إقامته في دهلي بعد رحيله إليها لإكمال تعليمه وقد إختار أيضا المدارس التقليدية فاختار «مدرسة حسين بخش» الواقعة بجوار مسجد دهلي الجامع وكان يقيم فيها أيضا.

ويصف حالي حياته في دهلي فيقول: بعد ما وصلت إلي دهلي وفي المدرسة التي كنت أقيم فيها ليلا ونهاراً، كان الناس هناك يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا في الكلية مجرد جهلة، المهم لم أفكر في التعليم الانجليزي وبقيت في دهلي لمدة عام ونصف وفي هذه الفترة لم أذهب لرؤية هذه الكلية ولم ألتق بالطلبة الذين كانوا يدرسون فيها في ذلك الوقت أمثال مولوي ذكاء الله، مولوي نذير أحمد، ومولوي محمدحسين آزاد وغيرهم[2].

وظل حالي علي هذا الوضع من تجاهله للغة الانجليزية وآدابها حتي توفي مصطفي خان شيفته سنة ١٨٦٩م وكان حالي مقيماً عنده في جهانگير آباد ويقوم بالتدريس لأولاده فترك حالي جهانگير آباد ورحل إلي لاهور ويصف حالي ذلك بقول: «بعد وفاة شيفته وجدت وظيفة في المكتبة الحكومية في البنجاب «لاهور» وكان عملي فيها هو تصحيح العبارات الأردية في الكتب الأردية المترجمة عن اللغة الانجليزية وبقيت في هذا العمل في لاهور قرابة أربع سنوات وبدأت تنشأ بيني وبين الأدب الانجليزي علاقة وبالتدريج بدأ يقل عندي التقدير للأدب الفارسي بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة عامة»[3].

وكان لهذه الوظيفة الجديدة دخل كبير في تغيير اتجاه حياة حالي وتفكيره فقد ا طلع علي الأدب الانجليزي المترجم وظل يمارس هذا العمل نحو أربعة أعوام وبهذه القدرة العجيبة أكمل نقص عدم القدرة علي قراءة اللغة الانجليزية ووقف حالي علي كثير من معاني وموضوعات كتب اللغة والأدب الانجليزي واطلع حالي علي كتب كثيرة في اللغة الانجليزية وآدابها والآن فقط بدأ تظهر عليه كثير من الأفكار والمواهب التي كانت دفينة

---

(١) حالي : ترجمة حالي: ص ٣٣٥.

(٢) حالي: ترجمة حالي : ص ٣٣٥.

(٣) حالي : المرجع السابق : ص ٣٣٩.

في أعماق عقله وتفكيره لم يستطع أن يبرزها بشكل واضح، واتضحت له حقائق كثيرة بدراسة الأدب الانجليزي ويعترف حالي بأن قراءته لكتب ا لأدب والنقد الانجليزي فتحت عينيه علي حقائق كثيرة وقضايا في الأدب والحياة وعرف أن الأدب وسيلة لخدمة الإنسان والمجتمع وليس مجرد متعة وقتية، و عرف بذلك المكانة الصحيحة للأدب وكيفية خدمة المجتمع بطرق عديدة وتزايد هذا التأثير تدريجيا يوماً بعد يوم وبدأت ميوله تتحول تجاه الأدب الانجليزي كما تأثر باللغة الانجليزية ولذلك كان يستخدم في نثره ألفاظا انجليزية بدون تكلف واستعمل بعضها أيضا في الشعر(١).

ورغم ذلك ظلت معرفة حالي واطلاعه علي الثقافة الغربية محصوراً في دائرة اطلاعه علي الكتب الانجليزية المترجمة إلي الأردية وذلك بحكم عمله في مكتبة جامعة البنجاب، بالاضافة إلي تأثره ببعض مفردات اللغة الانجليزية نتيجة اختلاطه بالسير سيد وملازمته إبادة واستعمل حالي كذلك الكلمات التي كانت تتردد علي ألسنة المثقفين في ذلك الوقت ومنهم رفاق السيرسيد والمؤيدين لحركته ومنهم بصفة خاصة نذير أحمد ومحمد حسين آزاد.

واحتفظ حالي بثقافته الشرقية الإسلامية ولم ينجرف في تيار ثقافة الغرب مثل أغلب رفاق السيرسيد، وعلي الرغم من أن أشعار حالي الجديدة تلتقي مع الشعر الغربي في كثير من الصفات لكنه لم يزعم قط أنه يستطيع تقليد الشعر الغربي بشكل كامل وقد اشتهر حالي بنظمه أشعارا علي الطريقة الجديدة في الشعر الأردي إلا أن خصائص هذا الشعر الجديد كانت تقوم في أكثرها علي قواعد الشعر القديم ولم يبد فيها تقليده ومحاكاته بل يتجلي فيها اجتهاده وفرديته وشخصيته المميزة (٢) وقد اعترف حالي بهذا الأمر في مقدمة مجموعة نظم حالي فيقول: «لم أكن أعرف قواعد الشعر الغربي في ذلك الوقت (أثناء إقامته بلا هور) ولا أعرفها الآن وأري أن لغة نامية مثل الأردية لا تستطيع أن تحاكي الشعر الغربي وتقلده بطريقة كاملة وكل ما هنالك أنني كنت بطبيعتي أنفر من المبالغة والإغراق في الخيال، وليس في شعري ما يدل علي تقليدي للشعر الانجليزي والخروج علي الشعر القديم (٣) وفي قول حالي هذا رد مقنع علي من حاول أن يعزو التجديد في شعر حالي ومحاولته لكتابة كتاب في نقد الشعر وإحداثه

---

(١) صالحة عابد حسين: يا دگار الي. ص ٣٩

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالي. ص ٢٣٩.

(٣) حالي: كليات نظم حالي. ج ١، ص ٥٣.

تغيرات جذرية في فنون الشعر الاردي من ناحيتي الشكل والمضمون إلي تأثره باللغة الانجليزية وآدابها وشعرائها ونقادها، والحق أن حالي قد اعترف أكثر من مرة(١) بأنه لا يعرف اللغة الانجليزية ولذلك كان كثيراً ما يخطئ في استعمالها الصحيح ومما يدل أيضاً علي ثقافة حالي الإسلامية واهتمامه بآدابها الأردية والفارسية والعربية محاولته لكتابة كتاب في نقد هذه الآداب وهو «مقدمة شعر وشاعري» وما أمتلأت به هذه المقدمة من قصص وأمثلة وشواهد شعرية عربية وفارسية ما يؤكد علي صدق كلامنا وهو أن الثقافة الإسلامية راسخة متأصلة في فكر حالي وثقافته.

---

(١) حالي : كليات نثر حالي: ج٢، ، ص ١٢١ ، ٢٣٨، ٢٦٨.

شخصية حالي

تميزت شخصية حالي بالبساطة والتواضع الشديد والتمسك بتعاليم الدين الحنيف ونبذ البدع والخرافات وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره واطلع على كثير من الكتب الدينية في الفقه والشريعة وعلم الحديث وقد أثرت هذه الثقافة الدينية في شخصية حالي فكان محبًا للخير، راغبآ في الإصلاح، يتفاني في عمله لخدمة الجميع صغيرآ وكبيراً وكان يتأثر سريعاً بالأحداث التي تدور حوله في المجمع الهندي في ذلك الوقت فتجيش قريحته بالقصائد المؤثرة وبالمقالات القوية.

وهناك شخصيات عديدة أثرت في شخصية حالي وفي شعره وفي طريقة تفكيره وأهم هذه الشخصيات هي:

١ - ميرزا أسد الله غالب:

وهو أستاذ حالي الذي تتلمذ في قرض الشعر علي يديه وكان حالي كثيراً ما يفخر بذلك وغالب هو أمير شعراء الأردية علي الإطلاق وقد تأثر حالي كثيرًا بأسلوب وطريقة شعره وتعلم منه أسرار القريض، يقول حالي في ترجمته: «في الوقت الذي كنت أذهب فيه إلي دهلي كنت كثيرًا ما أختلف إلي مرزا أسد الله خان غالب لأسأله عن معاني أشعار ديوانه الفارسي والأردي والتي لم أكن أفهمها وكنت أقرأ عليه بعض القصائد الفارسية من ديوانه وكان من عادته منع أكثر المترددين عليه في التفكير في نظم الشعر ولكن بالنسبة لي عندما كنت أنظم غزلية فارسية أو أردية وأعرضها عليه كان لي: «مع أنني لا أشير علي أحد بالتفكير في نظم الشعر إلا أنني أعتقد بالنسبة لك إذا لم تقل الشعر فإنك سوف تظلم نفسك ظلمًا عظيما (١). وهذا اعتراف من حالي بتلمذته في الشعر علي يد غالب لكنه مع ذلك لم يتأثر بشخصيته ولم يؤثر شخصية غالب فيه، ففي الوقت الذي كان فيه غالب صديقا وأستاذا لحالي وتوثقت عري الصداقة بينهما وكان حالي في مرحلة شبابه والتي تغلب عليها الاتجاه الديني وكان يتضايق كثيراً عندما يري أستاذه يواظب علي شرب الخمر ورغم شيخوخته وأحيانا ينسي الصلاة، فتألم حالي لذلك وكتب له عدة رسائل يحثه فيها علي ضرورة إقامة الصلاة ويقول له: «التزم

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٧.

بالمحافظة علي الصلوات الخمس بقدر ما تستطيع واقفاً أو جالساً أو بالإشارة وإن لم تستطع الوضوء فتيمم صعيداً طيباً لكن لا تترك الصلاة » وقد وصل لغالب في هذه الفترة مئات الخطابات تتهمه بالكفر وكان بعضها يصل الي حد الشباب ولم يحفل غالب بها ولكنه صدم وتأثر بخطاب تلميذه حالي وأبدي حزنه وألمه.

وفي اليوم التالي أرسل لحالي قصيدة غزل يشتكي من هذه النصيحة فأرسل له حالي قصيدة علي سبيل الاعتذار يبدي فيها ندمه وأسفه وقبل غالب اعتذاره فقد كانت شكوي غالب من حالي مبنية علي الحب والتقدير واعترف حالي بخطئه وهذا من شيم كرام الناس وأعزاء النفوس (١)، وقدذكر حالي هذه الواقعة بالتفصيل في كتابة « يا دگار غالب » الذي كتبه وفاء لذكري أستاذه بين فيه حياته وشرح شعره وأظهر محاسنه.

٢ - نواب مصطفي خان شيفته:

وهو من الشخصيات التى تركت بصماتها واضحة فى شخصية حالى وقد تأثر حالى به كثيراً وكان شيفته من الشخصيات الكبيرة وهو شاعر وأديب صنف تذكرة فى حياة شعراء الأردية هى « گلشن بے خار » وتقابل حالى بشيفته بعد الثورة وفى عام ١٨٦٣م ويقول حالى فى ترجمته (بعد الثورة التقيت بمصطفى خان شيفته رئيس دهلى وجهانگير آباد وكان شاعراً من الطبقة الأولى ومتذوقًا جيداً للشعر تخلص بشيفته فى الأردية وبحسرتى فى الفارسية فتعارفنا وتصاحبنا وبقيت عنده ثمانى سنوات، وكان شيفته يعرض أشعاره على مؤمن خان وبعد وفاته كان يتناقش مع مرزا غالب . وبذهابى إلى هناك عنده بدأت أتشوق للشعر والنثر القديم وقد كنت لفترة حزينًا فصرت نضراً مسروراً ومال طبعى لنظم الشعر مشبوبًا بالرغبة والعاطفة حتى صقلت قريحتى بصحبته وفى ذلك الوقت نظمت معظم الغزليات الفارسية والأردية عند نواب مصطفى خان شيفته وكنت أرسل أشعارى إلى ميرزا غالب وأنا عنده فى جهانگير آباد، وفى الحقيقة لم أستفد كثيراً من نصائح مرزا غالب بالقدر الذى استفدته من مصاحبة شيفته فقد كان يكره المبالغة فى الشعر ويعتبر أن اجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة والتزام بحسن العرض وتجنب الالفاظ السوقية الدنيئة والأفكار والعبارات العامية »(٢).

---

(١) حالى: المرجع السابق صـ ٣٦-٣٨.

قام حالى بجمع رسائل نواب مصطفى خان شيفته وبجهوده صارت فى كتاب (انظر: خليل الرحمن داوودى - مقدمته على يادگار غالب صـ٢٩.

(٢) حالى: ترجمة حالى صـ٣٣٧-٣٣٨.

وهذا اعتراف من حالى بتأثير شخصية شيفته عليه وعلى ذوقه الشعرى، وكان شيفته قد دعاه إلى جهانگير آباد وسلم إليه مهمة تعليم أولاده وظل عنده ثمانية أعوام حتى توفى شيفته ١٨٦٩م وكان حالى يتردد كثيراً إلى دهلى بصحبته ويتشاورا مع مرزا غالب(١) وقد اعترف حالى بتأثير كل من غالب وشيفته على شخصية فى بيت شعر يقول:

حالى سخن مين شيفته سے مستفيض هون ∴ شاگرد ميرزا كا مقلد هون ميركا(٢).

٣ - السير سيد أحمدخان:

لم يتعد تأثير شيفته وغالب فى حالى عن الناحية الأدبية وقرض الشعر ولكن السير سيد أحمد خان أحدث تغيرات هائلة فى شخصية حالى فقد وجهه لأول مرة إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية والقومية فى شعره وأن يجعل الشعر وسيلة لإصلاح المجتمع والنهوض بالمسلمين فى الهند وقد اعترف حالى بفضل السير سيد عليه فى ترجمته فيقول: «لقد شجعنى السير سيد بنظم الشعر الذى يوضح حال الضعف والذل الراهنة للمسلمين فنظمت مسدس «مد وجزر إسلام» وأشعاراً أخرى(٣). وكان عام ١٨٧١م هو بداية الروابط العقلية لحالى بالسيد أحمد خان وحركته والدليل على هذا فى موضع لحالى بعنوان «سيد أحمد خان أوران كے كام(٤) أى سيد أحمد خان وعمله وقد نشر فى هذه السنة فى مجلة معهد على گرڑھ وقد انحاز حالى إلى حركة گرڑھ بشكل مستقل عام ١٨٧٥م بعد وصوله إلى دهلى وبدأ يكتب فى مجلتى «تهذيب الأخلاق» و«مجلة معهد على گرڑھ، وفى هذه السنة وضع حالى أساس الشعر القومى بقصيدته «مباركباد»(٥) التى نظمها بمناسبة حفل افتتاح مدرسة العلوم بعلى گرڑھ فى ٢٤ مايو ١٨٧٥م(٦) وقد تأثر حالى كثيراً بلقاء السير سيد وبشخصيته القوية وسيرته العظيمة وهدفه السامى وأصبح حالى مع السير سيد قلباً وقالباً وأوقف كل نفس من سنوات عمره

(١) الترجمة: لقد استفاد حالى كثيراً فى شعره بشيفته، وهو تلميذ غالب ومقلداً لمير (انظر: حالى: يادگار غالب ص٢٠) و(بابورام سكسينه: تاريخ ادب ارد و ص٣٠٧).
(٢) حالى: ترجمة حالى ص٣٤٠.
(٣) حالى: ترجمة حالى ص٣٤٠.
(٤) كليات نثر حالى: جـ١. ص٣٤٩.
(٥) حالى: كليات نظم حالى: جـ١: ص٢٩٠ وص١٢.
(٦) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص٤٥.

لهذا الهدف وأمره بنظم المسدس الذى وضح فيه تدهور أحوال المسلمين والسبيل إلى النهوض بهم وقد تأثر السير سيد بقراءة مسدس حالى ووضح ذلك فى خطابه لحالى فيقول بأسلوب سلس ممتع: «لو أننى أقر بأن المسدس هو بداية تاريخ جديد فى فن الشعر الأردى لكان ذلك حقًا، فبأى صفاء وجمال وسلاسة نظم هذا الشعر الذى يفوق الوصف ومن العجيب حقًا أن هذا الموضوع الواقعى خال من المبالغة والكذب ومن التشبيهات البعيدة عن التكلف وهو فخر للشعراء لأنه منظوم بطريقة مؤثرة وأسلوب واضح جميل، فلا تستطيع أن تقرأ فى المسدس بلا عين باكية، وصحيح أن الكلام الذى يخرج من القلب يستقر فى القلب، فلا شك أننى المحرك والدافع له على نظم المسدس وأعتبره من أعمالى الحسنة ولما يسألنى الله تعالى ماذا أحضرت؟

فإننى سأقول لقد جعلت حالى ينظم المسدس ولا شى غير ذلك[١].

وكان حالى من أشد المؤيدين لحركة گرطهـ ومن الشخصيات البارزة القريبة من السير سيد وقد كتب عدة[٢] مقالات حول حركته وجهوده الإصلاحية فضلاً عن كتاب «حيات جاويد» وهو فى حياة السير سيد وأعماله، وقد كان حالى من أقطاب الحركة التعليمية واشترك فى الندوات والمؤتمرات التى عقدت لبحث الحالة التعليمية للمسلمين فى الهند وشارك خاصة فى مؤتمر التعليم الإسلامى «محمدطن ايجوكيشنل كانفرانس» الذى أقامة السير سيد لدعوة المسلمين إلى الإقبال على تعلم العلوم الغربية ورأس الجلسة المنعقدة فى كراچى عام ١٩٠٧م[٣]، وكتب حالى قصيدة فى مدرسة العلوم التى أنشأها السير سيد وكان يسافر مع السير سيد فى أسفار بعيدة لجمع التبرعات لكلية على گرطهـ ويوجه النصائح إلى طلابها[٤] وقد مدح حالى السير سيد بهذه القصيدة:

---

(١) من خطاب السير سيد لحالى بتاريخ ١٠ يونيه ١٨٧٩م ونشر هذا الخطاب فى مجلة على گرطهـ فى يناير ١٩٣٩م.

(٢) كليات نثر حالى: ١/ ٣٨٧، ٣٩٤، ٤٣٢، ٣٤٩، ٤٣٢، ٣٤٩-٣٥٧-٣٥٨، ٣٨٤.

(٣) المرجع السابق جـ٢، ٢/ ١٢١ - ١٤٨، ٤٩، ٧٣.

(٤) المرجع السابق جـ٢-٢٨.

- پنهان نهين هے ياروسب پركهلاهوا ... جو حال آج اپنا اوراپنى قوم كاهے
- هے اک لكير باقى جس پرفقير هيں هم ... خود سانپ ورنه يان سے كب كانكل گياهے
- اس پربهى اے عزيزوا هے جاے فخر تم كو ... دينون مين دين بيضا حق نے تمهين دياهے
- قبله هے وه تمهارا جوگهر هے سب سے پهلا ... هادى هے وه تمهارا جوختم انبيا هے
- دى هے وه مصلح كل حق نے كتاب تم كو ... جس نے شريعتون كوشير وشكر كيا هے
- بخش تمهين حكومت حكمت تمهين عطاكى ... دوران سدا موافق تم سے نهين رها هے =

– الحالة التى نحن فيها والأوضاع التى يمر بها قومنا، ليست فى خفاء يا أصدقاء بل الجميع يعرفونها.

– فهناك أثر خط نحن متمسكين به، أما الحية فقد مرت من ذلك المكان منذ زمن بعيد.

– ومع هذا كله أيها الأصدقاء فمن مبعث فخركم، أن الله تعالى منحكم دينا نقيًا أبيضًا من بين الأديان.

– وأن قبلتكم هى أول بيت (من بيوت الله)، ورسولكم الهادى هو خاتم الأنبياء.

– منحكم الحكومة واعطاكم الحكمة، لكن لم يبق الزمن فى حقكم دائمًا.

– وعندما ساءت حالتكم فى الفترة الأخيرة، أقام هاشميًا بينكم مصلحًا.

– يريد الازدهار للقوم فى هذا العالم، مع أن القوم قد أفتوا بكفره.

– فقد ضحى بكل ما لديه، من وقته وعمله وروحه وماله لأصدقائه.

– القوم يهجمون عليه وهو درعهم الواقى، والناس يسيئون به الظن وهو يضحى بنفسه من أجلهم

– فقدم الكثير من ماله وقلمه وكفاحه، فمن ذا الذى يستطيع أن يفعل مثلما فعل.

– لم نسمع ولم نر أحداً مثله بين حماه القوم، فقد ورث هذا الألم عن جده.

– وهو الذى أسس لكم تعليمكم، الذى بلغ فى جميع أنحاء العالم.

– فقولوا من أنجز عملاً (مثل هذا) بعد القرون الأولى، يضارع ما انجزه السير سيد من الأعمال للقوم[1].

= – اس دور اخری مین جب یون بگڑ چلے تم / اک هاشمی تمهارا مصلح کهڑا کیاهے
– سر سبز چاهتاهے جو قوم کوجهان مین / فتون سے قوم کی گوکافر ٹهہر چگاهے
– وقت اپنا کام اینا جان اپنی مال اپنا / یارون یه جس نے سب کچهہ قربان کردیاهے
– واراس په قوم کے هین وه قوم کی سپرهے / قوم اس سے بد گمان هے وه قوم پرفدا هے
– در هم سے اور قلم سے دم سے قدسے اپنے / جو کچهہ کیاهے اس نے وه کس سے هوسکاهے
– همدرد قوم ایسا هم نے سنانه دیکها / یه درس اس کوجد کی میراث مین ملاهے
– تعلیم کی تمهاری بنیادا س نے ڈالی / ملکون مین جس کاچرچا هرسمت هوریاهے
– بعد ازقرون اولی کس نے کیا بتاوء / سید نے کام آکر جو قوم مین کیاهے

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/٢٦٨).

وعندما مات السير سيد رثاه حالى رثاءً حاراً بهذه القصيدة الفارسية :

- يا لهفى من هذا السهم الصائب الذى أطلقوه من قوس (الموت)، ويا حسرتاه على الجرح الذى ترك القوم بين الحياه والموت .

- ويا عجبا على رحيل فرد من أفراد البشر، لقد تركوا العالم فى حالة ظن وترقب ليوم القيامة .

- ويا للعجب على موت رجل شيخ أكله الدهر، لقد أشاعوا الاضطراب والفتن بين الصغار والشباب والشيوخ .

- فيا عجبى على هذا الحزن المحرق على وفاة أحد المسلمين، لقد أضرموا النار فى نفوس الرجال من كل مذهب .

- قد كان السيد أحمد خان فى قومه كالنقود فى المحفظه، فبقيت المحفظه خاويه وأخذوا المال من بيننا .

- لقد ضاع من يد القوم كنز المجد والعلا، ثم دفنوا هذا الكنز فى التراب بعد ذلك .

- لا أمل أن يحل ربيع جديداً آخر فى حديقة القوم، فقد اختاروا لها الخريف الدائم .

- وكأنهم قد انتهوا بغارتهم علينا للأبد، فصبوا هذه المصيبة على رأس المسلمين .

- وأصبح أهل الدين بلا معين ولم يبق للدين من ينصره، وأوصلوا ندائهم هذا إلى جميع أرجاء الهند .

- لقد رحل وأخذ معه رونق مجتمع المسلمين، فضعفت الملة بموته ومات الإسلام بموته[1] .

---

(١) آه ازين تيرگزا راكز كمان انداختند — آه كزيك زخم قومى نيم جان انداختند
- اى عجب كزر حلت فردى زافرادبشر — عالى را ازقيامت درگمان انداختند
- اى عجب كزمردن يك پير مردسال خورد — تاب وتب دركودك وپير وجوان انداختند
- اى عجب كزسوز اندوه وفات مسلمى — مردم هركيش را آتش بجان انداختند
- سيد اندرقوم نقدى بودا ندركيسه — كيسه خالى مانده ونقد ازميان انداختند
- قوم راسرماية مجد وعلا ازدست رفت — بعد ازان كاين گنج را درخاكدان انداختند
- نوبهار آيد درباغ قوم، اميدنيست — بعد ازوطرح خزان جاودان انداختند
- تاقيامت گونى ازتاراج ما فارغ شدند — كاين مصيبت برسرا سلاميات انداختند
- أهل دين بى ياور ودين بى كس وبى يا رماند — هرگه اين آوازه درهند وستان انداختند
- رفت وباخود رونق بزم مسلمانى ببرد — ملت ازمرگش بيژمرد ومسلمانى بمرد

وعلى الرغم من وجود وجهاء عظماء كثيرين فى دائرة نفوذ السير سيد أحمد خان إلا أن وضع حالى وسيرته كانت أسمى وأرفع من باقى رفاقه(١)، وقد اعترف السير بذلك فى إحدى خطبه، حيث يقول: « يجب علينا أن نشكر الله تعالى وأن نفخر بأن مثل هذا الشخص (حالى) موجود بيننا، وعندما يقال فى الأزمنة القادمة من فخر الشعراء والقوم والعلماء والمرشدين والمصلحين ومنقذ الأمة سيقال على الفور إنه الطاف حسين حالى »(٢).

وقد ظل حالى فى تأييده للسير سيد أحمد خان وحركته ولكنه لم يوافق على آرائه الدينية بصفة خاصة بعد تزايد المعارضين لها فى أنحاء الهند المختلفة، وكان حالى قد اختلف مع السير سيد حول تفسيره لبعض آيات القرآن لكنه لم يكن اختلافًا عميقًا، حتى أن حالى حاول بإخلاص أن يبعد سوء الفهم عن أفكاره الدينية وعرض لها بصدق فى مقالة « سير سيد احمد خان اور مذهب »(٣). أى السير سيد والدين، وكرر هذه المحاولة أيضًا فى كتابه « حيات جاويد » وهو سيرة السيد سيد أحمد خان(٤).

وقد بارك حالى حركة السير سيد التعليمية وسلم بدورها البارز فى تقدم المسلمين فى الهند.

وكانت فلسفة حالى فى تقليد الغرب والغب من فيض علومه قائمة على المثل العربى الذى كان كثيرًا ما يردده حتى فى نقد الشعر وهو « دع ماكدر وخذ ماصفا » فعلى الرغم من اعترافه بجمود العلوم القديمة إلا أنه لم يرفضها كلها بل كان يدعو إلى الاستفادة من العلوم الجديدة بالقدر النافع الذى يحفظ على المسلمين تقاليدهم ودينهم، لذلك نرى هذه الوسطية والاعتدال فى فكر حالى بصورة واضحة فلم ينجرف تمامًا إلى حركة على گرْھ على حساب الحركات الإصلاحية الاخرى بل كان حالى ينشد الإصلاح بأى صورة ويغض النظر عن هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بهذا الإصلاح، لذلك أيد حالى « ندوة العلماء » وكتب مقالاً عن نظام التعليم فى المدارس العربية عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر. ص١٢٣.
(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٥٩-٦٠.
- حالى: كليات نظم حالى: جـ١ ص٦٦.
(٣) حالى: كليات نثر حالى جـ١ ص٣٨٧.
(٤) حالى: حيات جاويد ص٩٣، ٩٤، ٩٥.

ولكنه لم يلقه بنفسه لمرضه[١]. ونظم قصيدة بمناسبة تأسيس دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٠٨م[٢] نوه فيها بفضل التعليم الديني وساند دعوة ندوة العلماء وبأهدافها الإصلاحية على الرغم من أنها كانت معارضة لحركة على گرطه وخاصة من الناحية الدينية وأيد حالى أيضًا جمعية المحافظة على الإسلام «انجمن حمايت إسلام وألقى قصيدة للتنويه بأعمالها فى خدمة الإسلام[٣].

وامتاز حالى بحماسة وحميته الدينية ولذلك نراه يرد بقوة على المبشر، عماد الدين ويكتب سلسلة من الكتب فى الرد عليه وهى «ترياق مسموم» و«شواهد الإلهام» و«تاريخ محمدى برمنصفانه رائے» وكان حالى يميل إلى أفكار شاه ولى الله الدينية وأولاده من بعده وقد كان سنيًا كما يبدو من مقالاته التى كتبها فى الدين الإسلامى والعقيدة الحنيفة والتى لم يخالف فيها أهل السنة والجماعة، وكان يكره التعصب الدينى، وتميز بالهدوء والتسامح سواء مع أهل بيته أو مع من حاول التطاول عليه بالنقد والتجريح، ومن النادر أن يرد على الذين ينقدون أو يعارضونه وكان يحترم معارضيه وينفر من الكبر والغرور والزهو والتعالى على الناس وكانت له علاقات طيبة وصداقات من الشيعة والسيخ والهندوس وغيرهم. وحالى دقيق الشعور مرهف الحس سليم الذوق كريم الطبع، متواضع دمث الخلق كثير الإنصاف لمعاصريه وكان يكره الشهرة وحب الظهور ولذلك عندما قررت الحكومة منحه لقب شمس العلماء عام ١٩٠٤م تقديرًا لخدماته الجليلة ودون سعى منه واحتفل بهذه المناسبة فى جميع الدوائر العلمية والأدبية وانهالت عليه سيل خطابات التهنئة ومن ضمنها خطاب مولانا شبلى النعمانى الذى يقول فيه «أنا أهنئك أنت ولكن أهنىء لقب شمس العلماء فقد نال هذا اللقب الشرف والعزة بك «نرى حالى يضطرب لذلك ويرتبك ويبين ذلك فى خطاب لابنه خواجه سجاد حسين فيقول: «بالرغم من أننى قد نلت هذا التقدير من قبل الحكومة وهذا شىء عظيم إلا أننى أعتبره نقمة وأنت تعلم أننى لم التق باى حاكم أو ضابط وكنت دائمًا بمعزل عن مثل هذه المناسبات لكن الآن عندما سيأتى اى حاكم إقليم فى پانى پت أو يتغير نائب حاكم المديرية فلا مفر من أننى سأذهب للقائه»[٤]. وهذا الخطاب يعكس

---

(١) حالى: كليات نثر حالى: ٢/٣٤-٤٧.

(٢) حالى: كليات نظم حالى: جـ١ ص٣١٦-١١٨.

(٣) حالى: كليات نظم حالى: جـ٢ ص٢٧٩-٢٨٧.

(٤) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٦١-٦٢.

طبيعة حالى التى تنفر من حب الظهور والشهرة.

وكان حالى متواضعًا إلى أبعد درجة ولم يحاول أن ينسب لنفسه أيًا من الإصلاحات العظيمة التى قام بها فى الأدب الاردى أو الإصلاحات الاجتماعية فى المجتمع الهندى فعلى الرغم من أنه قام بإصلاحات كثيرة فى الشعر خاصة وراد حركة التجديد وقد اعترف بذلك النقاد إلا أنه ينسب هذا التجديد لمحمد حسين آزاد واعترف أكثر من مرة خاصة فى ديباجة مجموعة نظم حالى بأنه لم يفعل أى شىء جديد يستحق الذكر!!. وأن الشعر الجديد خارج عن نطاق قدرته، وكان كثيراً ما يشير إلى السير سيد بأنه أبو الأدب الأردى مع العلم أن حالى قدم للأدب الأردى أضعاف ما قدمه السير سيد وخاصة فى الشعر وفن التراجم. ويقول الشيخ محمد إكرام: «إن المثقفين يعرفون جيداً أن دور «مسدس حالى» فى نهضة المسلمين فى شبه القارة الهندية لا يقل بأى حال عن كلية على گرهـ لكن طبيعة حالى المنطوية كانت تأبى أن تقر بهذه الحقيقة»(١). وعندما نشر مسدس حالى وذاعت شهرته فى أكناف الهند وأطرافها نرى حالى يكتب فى مقدمة الطبعة السابعة للمسدس: «على الرغم من أن نشر هذا الشعر لم يفد المجتمع بفائدة عظيمة» وهذه هى طبيعة حالى المتواضعة التى كانت دائمًا تفضل البقاء فى الظل والبقاء فى الصفوف الخلفية لأنه كان يكره أضواء الشهرة.

وتأثرت شخصية حالى أثناء إقامته فى دهلى بكل من شيفته وحكيم محمود خان وحكيم أجمل خان الذين كانوا يتميزون بالخصال الملائكية والسيرة النقية الطاهرة وكانوا أفضل مثال للمثل الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية فى حياتهم اليومية وكانوا نموذجًا صحيحًا لحياة الصحابة الكرام لكن لم يكن لأحد منهم ميزة التفانى فى خدمة القوم مثل حالى.

ولم تكن معاناة حالى وصدقه فى شعره نتيجة لاتباعه أى مدرسة أدبية معينة بل انعكاسًا لقريحته الشعرية الفريدة، وكان حالى من أسرة فقيرة وعمل موظفًا صغيراً عند نواب مصطفى خان شيفته لكنه كان له شأن عظيم فى النهاية يقول سيد محمود: «إذا سألنى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة من الناس قابلته وهيأ قلبك للعبادة، فإنى سأجيب فوراً بأنه «الطاف حسين حالى». ويقول خواجه غلام الثقلين: «إن حالى كان صاحب طبيعة صوفية»(٢).

(١) محمد إكرام: موج كوثر ص١٢٤.

(٢) محمد إكرام: موج كوثر ص١٢٧-١٢٨.

ولم تكن فى شخصية حالى الهيبة والمكانة العالية والكفاءة الإدارية مثل السير سيد لكنه كان يتفوق عليه فى إخلاصه ومعاناته القومية فكان حالى خادم القوم الذى يقوم دائمًا بالأعمال الشاقة بنفسه ويبذل قصارى جهده ولكنه كان يهرب من تلقى الجزاء بل وكلمات الشكر، وعلى حد قول خواجه غلام السيدين: « كانت حلقة أصدقاء ورفاق السير سيد تشتمل على كبار المشاهير وعليه القوم لكن كانت سيرة حالى أسمى من الجميع وكانت سيرته سامية نقية وقد انعكست هذه الصفات فى كتاباته النثرية والشعرية ». وأعمال حالى وحدة تعادل كلية على گرﻄﻫ ولكن السذج والبسطاء من الناس لم يقدروه حق قدره أما الذين لا يتأثرون بالأعمال الظاهرية فيعرفون جيداً أهمية حالى والدور الذى قام به فى إيقاظ ونهضة المسلمين يتساوى معه فى ذلك السير سيد ومحسن الملك ويقول إقبال عن حالى والسير سيد:

آن لاله صحرا كه خزان ديد وبيفسرد   سيد دگراوارنمى ازاشك سحر داد

حالى زنوا هاى چگرسوزنيا سود   تالاله شبنم زده راداغ چگرداد[1]

وقد ظلت الفكرة الشائعة بالنسبة لشعر حالى وشخصيته أنه كان رفيق السير سيد وأنه صدى لأفكاره وترجمان لعظمة المسلمين الضائعة، ويحاول البعض منهم سيد احتشام حسين التقليل من شأن حالى والقول بأن مؤلفاته كانت بتوجيه من السير سيد مثل « مسدس حالى » و« حيات جاويد » وكان حالى متفق تمامًا فى كل مسألة مع السير سيد ولكن هناك حقيقة لا يجب أن نتغاضى عنها وهى أن حالى الشخص وحالى الشاعر كليهما يحمل خاصية منفردة والتى منبعها الأصلى هو التأثير والتأثر فى أفكاره وتصوراته وليس منبعها الآخرين وإذا قارنا بين أفكار حالى وأفكار السير سيد السياسية نستطيع أن نقول إنه على الرغم من أن حالى تصدى لشرح أفكار السير سيد ولكن لم يكن ينظر إلى هذه الأفكار من وجهة نظر السير سيد بل من وجهة نظره هو فمثلاً هناك اختلاف واضح بينهما فى الأمور الدينية وآراءهما حول التعليم وخاصة تعليم المرأة كما اختلفا فى العمل الاقتصادى والسياسى[2].

---

(١) ان تلك الشقائق الصحراوية التى أدركها الخريف فذبلت ∴ ها قد أعادها (سيد) للحياة ورواها بادمع السحر ولم يتوقف حالى عن إصدار أناته المتضرعه (المحرقة للكبد) ∴ حتى تنبعث حرارة الانفاس فى الشقائق التى أصابها البلل.

(٢) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص١٥-١٧.

ولعل فلسفة حالى ونظرته الثاقبة للحياة تتضح جيداً فى هذا المصرع من بيت شعر له « در مع الدهر كيف دار »[1] واتباعه لسياسة الأمر الواقع ومسايرة التيار – إلى حين – وعدم الوقوف فى وجهه حتى لا ينجرف معه.

(١) جس رخ زمانه پهرے اسى رخ پهر جاو.
(انظر: غلاف مقدمه شعر وشاعرى).

(الفصل الثالث)

جهود حالى الفكرية والاجتماعية

فى بنـاء المجتمـع الإسـلامى الهنـدى

أ - جهود حالى الفكرية :

* تأييد حالى لحركة على گرﻃﻪ:

كان حالى مؤيدا لحركة السير سيد أحمد خان ومناصرا لها بشكل كامل وكان - مثل السير سيد - على يقين تام أنه من الضرورى على المسلمين تعلم العلوم والفنون الحديثة والاستفادة من تجارب الغرب من أجل نهوض المسلمين وتقدمهم وكان لحالى تصور خاص وواضح بالنسبة للتعليم فكان يسلم بأن الشىء الجديد والأجيال القادمة لن تجنى أى فائدة من تعلم العلوم والفنون القديمة لما تتسم به من جمود وركود وعدم مسايرتها للعلوم الغرب الحديثة فهى من ناحية لا تساعد على كسب العيش - لأن الوظائف والمناصب كانت مقصورة فى ذلك الوقت وإبان الحكم الانجليزى للهند على من يعرف اللغة الانجليزية - ومن ناحية أخرى لا تستطيع أن تنافس العلوم والعقلية الغربية، لهذا أكد حالى على أهمية تحصيل العلوم الحديثة من أجل تقدم المسلمين وازدهارهم، لذلك اتفق حالى مع السير سيد على ضرورة الاهتمام بتعلم العلوم الجديدة حتى يستطيع المسلمون الحصول على الوظائف بعد أن حرموا منها وسبقهم إليها باقى الطوائف الاخرى وخاصة الهندوس والسيخ مما ساعد على تدهور الحالة الاقتصادية للمسلمين بعد أن كانوا سادة الهند وحكموها أكثر من ثمانية قرون، فقام السير سيد بالدعوة إلى إنشاء معهد على گرﻃﻪ على غرار الجامعات الانجليزية لتعليم المسلمين العلوم الجديدة وقد قام حالى بدور بارز فى نجاح حركة على گرﻃﻪ وذلك بالخطب والمقالات حينا وبالقصائد الشعرية حينا آخر، وكتب حالى مقالات كثيرة فى مجلة «معهد على گرﻃﻪ» التى أصدرها السير سيد لخدمة أهدافه التعليمية ونشرها فى أواسط المسلمين كما كتب مقالات أخرى فى مجلة «تهذيب الأخلاق». مماكان لها أبلغ الأثر فى إثراء حياة المسلمين الفكرية فى ذلك الوقت.

وعلى الرغم من مساندة حالى لحركة على گرڑھ إلا أنه لم ينسق كليا وراء آراء السير سيد فقد كانت له آراء معارضة له وخاصة من ناحية أفكار السير سيد الدينية الخاصة فى الوحى والملائكة والمعجزات وتفسير القرآن الكريم طبقا لآرائه الحديثة التى لا ترتبط كثيرا بتفاسير الصحابة والسلف الصالح فانكر حالى ذلك.

*** جهود حالى فى مجال التعليم:**

واشترك حالى فى «المؤتمر التعليمى الإسلامى فى على گرڑھ (محمدڻن ايجوكيشنل كانفرانس) وكانت الجلسة الأولى له فى ٢٧ ديسمبر ١٨٨٩م ويعد هذا المؤتمر من أوائل التكتلات الإسلامية فى الهند إبان الحكم البريطانى وكان له أهمية بالغة فى حياة المسلمين فى الهند وقد أسسه السير سيد لنشر التعليم الحديث بين المسلمين وكان يجتمع فيه وجهاء المسلمين وأعيانهم لطرح مشكلاتهم وتقديم الحلول المناسبة لها ولقد انبثق عن هذا مؤتمر الرابطة الإسلامية لمسلمى الهند «آل انديا مسلم ليگ» وذلك فى الجلسة السنوية المنعقدة فى دكا فى عام ١٠٩٦م وعن طريق العمل والجهد نجحت حركة التحرير فى تحقيق فكرة قيام باكستان،[١] وكان المؤتمر التعليمى يعقد مرة واحدة كل عام فى مدينة مختلفة من مدن الهند.

وقد رأس حالى الإجتماع السنوى للمؤتمر التعليمى العام لمسلمى الهند المنعقد فى كراچى عام ١٩٠٧م وألقى خطبة فى الافتتاح حث فيها قومه على تحصيل العلوم والفنون المختلفة فقال: «على كل حال فإن تعليم الجامعة الحالى ليس كافيا فقط من أجل تقدم المسلمين، بل من الضرورى كذلك أن نأخذ بناصية كل فروع المعرفة ومن هذا السباق يتقدم شعبنا إلى الأمام كثيرا وأنا أشارك فيه بقدر الإمكان وإلا فإننا سوف نتخلى إلى الأبد وفى زمن قريب ليس فقط عن عزتنا وكرامتنا بل وعن بقائنا ووجودنا كذلك»[٢]

كما نظم حالى سلسلة من القصائد فى مجال تعليم المسلمين ومن أجل الدعوة إلى تأييد السياسة التعليمية لحركة على گرڑھ. ففى سنة ١٨٨٩م قام حالى بنظم قصيدة «مسلمانون كى تعليم» «أى» «تعليم المسلمين» فى قالب تركيب بند فى مؤتمر «مسلمانون التعليم الإسلامى فى دورته الرابعة المنعقدة فى ديسمبر فى على گرڑھ وألقاها حالى بنفسه فى المؤتمر وهى مكونة من اثنى عشر بندا[٣].

---

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى ميں آردو كاحصه. ص٧٧٤.

(٢) صالحة عابدحسين: يا دگار حالى: ص٦٦-٦٧.

(٣) حالى: كليات نظم حالى: جـ٢، ص٢٣٠.

ويؤكد حالى فى المقطوعة «بند» الثانية والثالثة على أهمية التعليم وضرورته للإنسان وفى البند الرابع يذكر إنجازات السير سيد فى مجال التعليم وفى الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة أيضا يذكر الخدمات التعليمية والقومية للسير سيد ومدى تقبلها وفى المقطوعة التاسعة ينصح قومه بالاتحاد وفى المقطوعة العاشرة يعدد حالى مزايا دار العلوم وفى المقطوعتين الأخيرتين يذكر حالى بالتفصيل أحوال الإقامة والتدريس ويذكر أحوال الطلبة ويصفهم بالتراجم وبالأخلاق الرفيعة وعدم وجود متمردين فيما بينهم وهم يطيعون أساتذتهم ويصغون لهم جيدا، ثم مدح المدرسين الأجانب الذين كانوا يشاركون فى الإشراف على معهد على گرڑھ ويعلمون طلبته ثم يختم قصيدته بمدح العلماء الهنود الموجودين فى المؤتمر وعلى رأسهم شبلى النعمانى الذى عُين مدرسا بمدرسة دار العلوم گرڑھ من يناير ١٨٨٣م حتى مايو ١٨٩٨م(١).

ونظم حالى أيضا قصيدة «قوم كامتوسط طبقة» «الطبقة المتوسطة» فى قالب «تركيب بند» وذلك فى المؤتمر التعليمى الإسلامى فى دورته السادسة المنعقدة فى ديسمبر ١٨٩١م ويحاول حالى فى هذه القصيدة أن يبين أن حالة الطبقة المتوسطة من الناس أفضل من الفقراء والأغنياء على السواء(٢)، ويوضح السير سيد فى خطبة له مدى تأثير هذه القصيدة على الحاضرين فيقول :«إن القصيدة التى ألقاها حالى اليوم رائعة وربما لم ينظم مثلها أى شاعر سواء كان فى العربية أو الفارسية أو الأردية ويجب أن نشكر الله على أعمال حالى ويجب أن نفخر به أيضا أن ولد فى قومنا مثل هذا الشخص وفى العصور القادمة عندما سيتساءل الناس من يكون فخر القوم وفخر الشعراء وفخر العلماء والمرشد ومنقد القوم سيقال إنه حالى (٣) والحقيقة إننا لو درسنا شعر حالى فى ضوء الحركات والنزعات الجديدة ودرسنا التراث الشعرى القديم فى الأردية، يتضح لنا مدى صدق قول السير سيد فمن وجهة النظر الفنية لا يقل حالى عما قاله السير سيد فإن الأفكار الفلسفية فى شعر حالى القومى المشبوبة بحرارة العاطفة تصاغ شعرا موزونا جميلا من ناحية اللغة والأسلوب الشعرى الجديد وبهذا فقد وضع حالى الأساس القوى

(١) غلام مصطفى خان: حالى كاذ هنى ارتقاء، ص ١٢٣-١٢٥

(٢) المرجع السابق ص ١٣١ وكليات نظم حالى. جـ٢،ص٢٣٠

(٣) حالى: كليات نظم حالى. جـ١ .ص ٥

للشعر الأردى ومهد الطريق لشعر إقبال[1]

وإلى جانب شعر حالى القومى والاجتماعى وشعر الطبيعة قام بكتابة الكثير من الكتب التى ساهمت فى إثراء الحركة الفكرية والتعليمية فى الهند ونشر العديد من مقالاته عن التعليم فى المجلات والصحف، ونظم شعرا تعليميا للأطفال يبث فيهم من خلاله روح الفضيلة والأخلاق منذ الصغر كما نظم حالى شعرا هادفا يدعو فيه إلى الإصلاح والقيم الأخلاقية الإسلامية وقام بنقد العديد من الكتب التى ألفت فى عصره وعلق عليها مما أثرى الحركة النقدية والفكرية وعمل حالى لفترة قصيرة نائبا لمدير تحرير مجلة «اتاليق پنجاب» أى تعليم البنجاب الشهرية التابعة لمديرية التعليم فى إقليم البنجاب، وظلت كتب حالى تدرج ضمن المناهج التعليمية فى المدارس وخاصة كتابه «مجالس النساء».

---

(١) المرجع السابق، ص٦٦.

حركة التجديد في الشعر الأردي في لاهور عام ١٨٧٤م

كانت حركة الشعر الجديد انعكاسا للحركة التعليمية والحضارية والتي بدأت في شمال الهند من أجل إقامة نظام تعلمي حديث وتم ذلك برعاية الحكام الانجليز الذين لهم اهتمامات بالشرق وبعض العلماء في الهند.[١] وفي عام ١٨٦٠ تقريبا أقيمت الجمعيات الثقافية والعلمية في المناطق المركزية علاوة على بعض المدن في إقليم البنجاب وقد ساهمت الجرائد والمجلات بنشاط ملحوظ في ترويج ونشر الأفكار والعلوم الحديثة، وبدأت حركة ترجمة وتأليف واسعة للكتب الجديدة من أجل المقررات والمناهج الدراسية للمدارس الجديدة التي أقيمت تحت إشراف إدارة التعليم وفي هذه السلسلة من الاصلاحات أثبتت «انجمن بنجاب» جمعية البنجاب أنها صاحبة أكبر المحاولات الإصلاحية في اللغة الأردية. وقد مر الشعر الأردي في ذلك الوقت بأهم منعطف له في العصر الحديث، وذلك عندما أقامت جمعية البنجاب ندوات شعرية جديدة في عام ١٨٧٤م. يقول حالي: «وفي لاهور حقق محمد حسين آزاد رغبته في القديمة حينما أقام في عام ١٨٧٤م ندوات شعرية في جديدة من نوعها بالنسبة للهند بايعاز من كرنيل هالرايد مدير عام التعليم في البنجاب وفيها يختار الشعراء أي موضوع ينظمون الشعر حوله ويظهرون أفكارهم بالطريقة التي يريدونها شعرا بدلا من تحديد مصرع معين من بيت شعر يلتزم الشاعر قافيته ووزنه في شعره»[٢]

وبالفعل بدأت أول مشاعرة عن موسم المطر (برسات بركهارت) ويقول الأستاذ حامد محمد قادري إن أول ندوة بدأت يوم ٨ مايو ١٨٧٤م واستمرت أحد عشر شهرا، لكن بندطت كيفي يذكر تاريخ أول ندوة ٣٠ يونيه وقد اشترك في هذه الندوات الشعرية علاوة علي حالي ومحمد حسين آزاد عدد من الشعراء هم: أنور حسين هما واشرف بيك أشرف والهي بخش رفيق ومحمد مقرب علي وولي دهلوي وقادر بخش رفيق وعطاء الله وعلاء الله محمد[٣] وغيرهم وكان يقترح في هذه الندوات نظم الشعر في موضوعات يحددونها وينظم الشعراء في هذه الموضوعات علي بحر وقافية واحدة ويعمل فيها الشعراء فكرهم ويقدحون زناد خواطرهم بدلا من الطريقة القديمة التي كانوا يحددون لها مصرعا معينا ينظم الشعراء حوله، ويؤرخ غلام حيدر نثار تلميذ آزاد لهذه

---

(١) افتخار أحمد صديقي: كليات نظم حالي، جـ ١ ص ٥٣

(٢) حالي: ترجمة حالي. ص ٣٤٠.

(٣) غلام مصطفي خان: حالي كاذهني ارتقا ص ٣٤

الفترة فيقول: «لقد لاقت هذه الأشعار معارضة الناس في البداية ولكنها أصبحت مؤثرة فيهم في خلال أربع عشرة سنة بحيث يسمع صدي هذه القصائد حتي الان في مدن الهند المشهورة»(١)

وقد استمرت هذه الندوات تعقد مرة كل شهر لمدة أحد عشر شهرا، وقد شارك حالي في أربع ندوات فقط يقول: «قد نظمت في هذه الفترة أربع مثنويات المثنوي الأول باسم المطر (برسات) والثاني باسم الأمل (اميد) والثالث باسم (عدل وإنصاف) وحب الوطن «حب وطن»(٢) وهذه المثنويات الأربعة هي باكورة تجديد حالي في الشعر الأردي وخاصة في المضمون وعلي حد قول الدكتور عبادت بريلوي «كانت هذه القصائد منعطفا جديدا وهاما في الشعر الأردي فموضوعاتها جديدة وتشعر بالجدة في أفكارها وتصور الأوضاع الجديدة ببراعة وأهم من ذلك وجود أسلوب جديد واضح فيها وهي رائدة للأسلوب الجديد في الشعر ونلمح فيها التجديد في الشكل والمضمون فلم تنظم في الأردية مثل هذه القصائد الجديدة من قبل لهذا فكانت كمعلم طريق للشعر الجديد في العصر الحديث»(٣)

ويقول رام بابوسكسينه عن هذه المثنويات الجديدة: «هذه المثنويات مشهورة جدا وقد دخلت ضمن المناهج الدراسية في بعض الجامعات فعباراتها واضحة جدا وبلا تكلف وخالية من المحسنات البديعية والصنعة ومبالغة الشرق وتؤدي فيها التعاليم الأخلاقية بأسلوب غاية في الجاذبية والتأثير وأحيانا يبدو في بعض المواضع إشارات للوقائع التاريخية علي هيئة محادثة يعرض فيها كل فريق المحاسن والعيوب بأسلوب ممتع، فهو مثلا يقص بأسلوب رائع في مثنوي «رحم وإنصاف» أي العدل والرحمة عيوب ومحاسن كل منهما ويترك الحكم للعقل في ترجيح أحدهما، وفي مثنوي «بركهارت» يصور حالي فيه موسم المطر في الهند بطريقة شيقة ممتعة ويعدد فيها فوائد المطر مثل أنه يقوم بفرش الجبال والسهود ببساط أخضر جميل وتتوالد فيه جميع الكائنات الحية وذلك بلغة شيقة سهلة بدون تكلف ولا مبالغة وبطريقة طبيعية وليس فيها تشبيهات أو استعارات في غير موضعها، وقد نال حالي الكمال بهذه القصائد في أواخر حياته، ولا شك أننا إذا نظرنا إلي هذه القصائد من وجهة نظر الشعراء القدامي فإن هذه القصائد لم

---

(١) محمد إكرام سانبوي: حالي وأكبر كاخصوص مطالعة ص ٦.
(٢) حالي: ترجمة حالي: ص٣٤٠.
(٣) عبادت بريلوي: جديد شاعري ص١٧١.

تضف شيئا ذا بال من حيث الخيال واللغة ولكن لا أحد ينكر أنها رائدة لهذه الطابع الجديد والذي ما زال راسخا في أذهان الناس حتي اليوم، علاوة علي أن الموضوعات الشعرية القديمة العادية لا يستطيع أن يجرب عليها الشاعر طبعه بطريقة جيدة، وهو في «نشاط أميد» يدعو قومه إلي تجديد الأمل وعدم اليأس والقنوط ويلقنهم الدرس لبناء مستقبل أفضل بلهجة مخلصة وقوة في الأسلوب وبطريقة مؤثرة، ومع أن «حب الوطن» ليست طويلة إلا أن حالي يظهر فيها بوضوح عاطفة حب الوطن قوية وبأسلوب بسيط جذاب، وعلي الرغم من أن لهجة حالي هامسة إلا أنه لم يترك أي قارئ إلا وقد أثر عليه تأثيرا عميقا(١). ويقول الدكتور عبادت بريلوي عن مثنويات حالي الجديدة «لقد نظم حالي هذه القصائد تحت تأثير حركة إصلاحية خاصة وأنجز ذلك طبقا لما تقتضيه البيئة الأدبية الجديدة وليس في هذه القصائد تأثير عميق أو سطحي بالشعر الغربي ولكنه من الضروري أنه نظم هذه القصائد متأثرا بالأدب الغربي بطريقة غير مباشرة (عن طريق قراءة الترجمات الأردية عن الأدب الانجليزي) لأن التجديد فيها يبدو واضحا في الموضوع والأسلوب وعلي الرغم من أن عدد هذه المثنويات أربعة فقط إلا أن كل قصيدة منها هي ترجمان صادق للميول والنزعات الجديدة ومع أن موضوعاتها متنوعة لكنها تشترك جميعا في خصائص التجديد ولهذا وضع حالي الشعر الأردي علي طريق جديد»(٢)

وكان حالي يحتفظ بهذه الأفكار الجديدة في ذهنه ثم يصوغها في قوالب شعرية مألوفة لذلك ظل علي رأس حالي تاج نجاح الشعر الجديد، وكان تقليد حالي للغرب في الحقيقة فقط بجعل الصلة وثيقة ومحكمة بين الشعر والحياة الإنسانية وعلمنا أن نستخدم مواد التجربة والمشاهدة بدلا من أن نهيم علي وجوهنا في الخيال المحلق ولم يتخل حالي أيضا عن التراث الشعري لـ مصحفي ومير كما استفاد من شيفته وغالب من قبل، ويظهر من المقارنة بين شعر حالي وآزاد الجديد وخاصة في القدرة علي استخدام اللغة ووصف الخيال، أن شعر آزاد يفقد الوحدة العضوية وصحة اللغة والصفاء والبساطة وسلاسة الألفاظ التي تتوافر في شعر حالي (٣) وقد أحدث حالي تجديدات في الشعر

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو. ص ٣٦٠ -٣٦١

ومحمد اكرام سانبوي: حالي واكبر كاخصوص مطالعه، ص٧

(٢) عبادت بريلوي: جديد شاعري.ص ١٧١-١٧٥

ومحمد اكرام سانبوي: المرجع السابق ص ٨

(٣) افتخار صديقي: كليات نظم حالي،جـ١ ،ص٥٤

الأردي من ناحيتي الشكل والمضمون فقد استخدم الشعر لأول مرة في مهمة إصلاحية وأيد بشدة نظرية «الفن للمجتمع» بعد أن رفض نظرية «الفن للفن» التي كانت تنطبق علي الشعر الأردي القديم وتخلص حالي في هذه الفترة من نظم القصائد الغزلية بالأساليب القديمة التي ينصب اهتمامها علي الحب وأمور العشق والغزل الحسي وربما الفاحش والتغني بمفاتن المحبوب وترك الحديث عن البلبل والوردة والحديقة والزهرة وغيرها من علامات الغزل القديم بالإضافة إلي الموضوعات الفلسفية وموضوعات التصوف والخمريات وهي متأثرة إلي حد كبير بالشعر الفارسي فأحدث حالي تغيرات هائلة في موضوعات الغزل حيث استخدمه في نشر مفاهيم أخلاقية وتعليمية سامية.

وقد كان حالي يمتلك موهبة فطرية فذة لنظم الشعر وصقل هذه الموهبة باكتساب العلوم المختلفة طبقا لما يقتضيه ظروف عصره الذي عاش فيه وتأثر بالبيئة المحيطة به، وكان حالي يحمل لواء الإصلاح الاجتماعي والقومي في ثنايا شعره بعد أن حطم الأطر القديمة لشكل القصيدة الأردية وقلم حالي بوضع حجر الأساس للشعر الجديد بعد أن شعر بأن الشعر القديم مناف لمقتضيات العصر الحديث وأنه عقبة كئود في طريق تقدم الأدب واللغة وليس جديرا بطرح القضايا المعاصرة[1]. وكانت هذه الندوات الشعرية قد خلقت بيئة مناسبة لظهور الشعر الأردي وكان حالي في طليعة هذه الندوات ولكن رفض تقليد الشعر الغربي وأغمض عينه عنه، فمع تأثر حالي بهذه المؤثرات الجديدة إلا أنه لم ينفصل عن المثل الأخلاقية العليا في شعره.

ويقال إن حركة الشعر الجديد عند حالي تلتقي براوفد الشعر الغربي، لكن حالي في مقدمة مجموعة نظم حالي يدحض هذا الزعم بأنه لا يستطيع أن يتتبع الشعر الغربي ويقلده تقليدا تاما أو يصل إلي درجة الكمال والإبداع فيه فهو مروج لنظم الشعر الجديد في الشعر الأردي لكن هذا الشعر الجديد قائم علي كثيرم ن الخصائص الشعرية القديمة، فلا يبدو في شعره الجديد المحاكاة بل يتجلي فيه الاجتهاد والفردية بوضوح. ويقول حالي فيَ مقدمة نظم حالي: «لم أكن أعلم أصول الشعر الغربي في ذلك الوقت ولا أعرفها الآن ولا أري أن لغة نامية مثل اللغة الأردية تستطيع أن تقلد الشعر الغربي بطريقة كاملة وكل ما هنالك أنني كنت بطبيعتي أكره المبالغة والإغراق في الخيال ووافق طبعي هذه الحركة الجديدة وليس هناك شيء آخر في شعري يدل علي تقليدي للشعر الانجليزي

(١) محمد إكرام سابنوي: حالي وأكبر كاخصوصي مطالعة، ص ١.

والخروج علي طريقة شعر القدماء»(١)

وقد حسم حالي قضية التجديد في الشعر الأردي في مقدمة ديوانه فيقول: «عندما تتغير أفكار شخص ما أو بلد ما أو قوم ما فلا يتبع ذلك تغيير في أسلوب الكتابة واللغة، نعم هناك فرق في سرعة العجلة ولكن حركة المحور تبقي كالمعتاد فعندما جاء الإسلام غير كثير من عادات الجاهلية وأفكارها لكنه لم يغير في أسلوب البيان قط فالتشبيهات والاستعارات التي كانت تستخدم من قبل في الغزل والنسيب والمدح والهجاء هي بعينها التي استخدمت في التوحيد والمناجاة والأخلاق فمن الممكن أن يتخلي الشعراء المتأخرون عن اتباع وتقليد بعض أفكار الشعراء المتقدمين لكنهم لا يستطيعون التخلي عن طريقتهم في البيان وكذلك فالأفكار الجديدة مهمة وضرورية للشاعر لكنه يجب عليه ألا يبتعد في طريقة أسلوبه وتفكيره عن أسلوب القدماء وطريقتهم ويبذل قصاري جهده من أجل أداء أفكارهم بأساليبه المختلفة والتي تأنس لها آذان السامعين ويشكر من قلبه الشعراء القدماء لأنهم تركوا له هذه الثروة من الألفاظ والجمل والتشبيهات والاستعارات، ولا عجب أن يتبادر إلي ذهن القارئ هذا السؤال بعد رؤية الديوان وهو أين الشعر الجديد فيه؟ فلا يوجد فيه أي أفكار جديدة وعجيبة لا ترد في ذهن أحد ولا يوجد فيه أي جدة في الأسلوب، ولا شك أن هناك فرقا بسيطا جدا بين طريقتي في أداد الشعر وبين طريقة القدماء ولكن عندما تمعنون النظر قليلا في الافكار فسيبدو لكم عالم آخر وفرق كبير وسترون أن الجمل لم يتغير ولكن الجمال هو الذي تغير أو أن الكأس لم يتغير ولكن الخمر هو الذي تغير، فانا لا أقصد قط بالأفكار الجديدة تلك الأفكار التي لا ترد علي ذهن أحد أو لا تستطيع أن تصل إلي عقله، بل تلك الزفكار التي تتوارد دائما علي قلب الشاعر وغير الشاعر والتي أمامهم في كل وقت لكنهم يتركونها وينفرون منها بسبب كونها مبتذلة وسوقية ولا يعيرونها أي اهتمام من جانبهم ويعترون درجة شاعريتها رديئة وسوقية،لكن في الحقيقة أن سر الشعر يكمن في هذه الأفكار المبتذلة والتي تبدو عيانا للناس عن طريق الشعر»(٢)

وقد نظم حالي كثيرا من القصائد الجديدة والتي نالت شهرة لا مثيل لها لجمالها وقوة

---

(١)حالي: مقدمة مجموعة نظم حالي، ضمن كليات نظم حالي، جـ١، ص ٥٣

(٢) حالي: مقدمة ديوان حالي:ص٢،٣،٥

أثرها ودقائقها الفنية وسلاسة لغتها وعمق معناها وكان حالي ينجح دائما في تحقيق هدفه كاملا وكانت قصائد «سدس حالي» و«مناجاة بيوه» و«حب وطن»و«كلمة حق» قصائد خالدة ولكنه مع ذلك اعترف بانه عاجز عن نظم الشعر الجديد كما ينبغي وأنه خارج عن طاقته ويكفيه أنه وضع أساسا متينا له تستطيع الأجيال القادمة أن تكمل بناءه. يقول حالي «أعترف لانصار الشعر الغربي الذين يعرفون ماهيته أن أداء حق الطريقة الجديدة في الشعر كان خارجا عن طاقتي وقدرتي، لكنني بلا شك قد أسست بناء ناقصا وغير محكم للشعر الجديد في اللغة الأردية وعلي الأجيال القادمة ذوي المواهب أن يقيموا صرحا شامخا علي هذا الأساس، وألتمس منهم ألا يتركوا هذا الأساس ناقصا»(١)

ب – جهود حالى الاجتماعية

مر المجتمع الهندي في الفترة التي عاش فيها حالي بين عامي ١٨٣٧م و ١٩١٤م بظروف قاسية وبنكبات متلاحقة وخيم التدهور والانحطاط علي أرجائه، ووصلت الحياة الاجتماعية إلي أقصي مرحلة لها من التمزق وساءت أحوال المسلمين الاقتصادية تبعا لانتقال السلطة السياسية من أيديهم إلي أيدي الانجليز بعد أن لفظت الدول المغولية آخر أنفاسها وكان الناس في غفلة من أمرهم ولم يفكر أحد في استعادة أمجاد المسلمين المفقودة، فالعالم محصور بين كتبه، والصوفي متقوقع في صومعته، وضعف الاهتمام بالدين إلا اسمه ومن العبادة إلا رسمها، والشاعر أسير حبه الذاتي فلم يعد يهتم بشيء سوي الغزل، وجاء رسمها حالي في هذا الجو الفاسد فأعلن أن الشعر هو وسيلة للتعبير عن آلام المجتمع وآماله والشاعر لسان حال قومه ويجب عليه أن ينذر نفسه وشعره من أجل حياة أفضل لأهله ولعشيرته، فـ«حتي الآن لم ينظم أحد شعرا من أجل إيقاظ المسلمين وتنبيههم»(١) لذلك قرر حالي أن يجعل من نفسه قدوة للشعراء ويجعل شعره أداة فعالة وقوية لنهضة المسلمين في شبه القارة الهندية وساهم بنصيب كبير في الإصلاح الاجتماعي ونظم العشر لاول مرة في اللغة الأردية في قضايا اجتماعية متعددة، واهتم بمشاكل المجتمع، وحاول وضعا لحلول لها واهتم بالواقع والحياة علي الأرض بعد أن كان الشعر يحلق في سماء الخيال.

وقد دعي حالي إلي تماسك عناصر المجتمع الهندي فأهتم بالأسرة وأخذت قضايا المرأة

---

(١)حالي: مسدس حالي.ص٤.

والطفل حيزا كبيرا في تفكيره وأكد حالي على ضرورة الاهتمام بتعليم المرأة والأطفال.

*** اهتمام حالي بقضايا المرأة المسلمة:**

اهتم حالي بوضع المرأة المسلمة الهندية وكان أول من تناول قضية المرأة الهندية في الشعر الأردي بعد أن تناولها في القصة قبله نذير أحمد، ففي قصيدة «منا جات بيوه» مناجاة أرملة التي نظمها حالي عام ١٨٨٤ في قالب المثنوي تحدث حالي بإخلاص على لسان إحدي الأرامل عن الآلم الذي تملكها واستولي علي كيانها في أسلوب بسيط سهل وجذاب ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد استعمل في هذه القصيدة اللغة المحلية البسيطة واستخدم الكنايات والتشبيهات اللطيفة من أجل تصوير الحياة الاجتماعية ووصف العواطف الفطرية للأرملة التي صارت مرآة لكل أرملة أخري، وتقول صالحة عابد حسين «لقد أصبحت في حيرة من أمري بعد قراءة «مناجات بيوه» فمن أين تأتت له هذه المشاعر الرقيقة ووقوفه علي معاناة الأرملة الصغيرة وكيف أحس بمشاعرها وعواطفها الصحيحة علي الرغم من كونه رجلا، ولكن هناك تظهر براعة الشاعر الأصيل الذي يستطيع أن يكتب مثل هذا الشيء الحي الخالد مثل مناجات بيوه»(١) وقد صور فيها الحالة المؤلمة لزوجة صغيرة وقعت صيدا لظلم التقاليد البالية في المجتمع بحيث تنبض له فرائض القلب، ويقول رام بابو سكسينه عن هذه القصيدة :«إن الإنسان لينفطر قلبه بعد قراءة هذه القصدة أو سماعها وكان أكثر الأزواج يقولون لزوجاتهم بعد قراءتها يا ليتها كانت زوجتي لكي أتنعم بها»(٢) ولا شك أن الزوجة نفسها والنساء اللائى وقعن تحت ظلم المجتمع والبنات المحصنات والعذاري لا يستطعن أن يمنعن أنفسهن من البكاء وحتي الرجل مصدر هذه المظالم لا يقر له قرار بعد قراءة هذه القصيدة، وقد قدم حالي في هذه القصيدة نموذجا للغة الأردية الجميلة التي استعمل حالي فيها مئات الالفاظ الهندية الجميلة والطريفة بدون تكلف في موضعها ويقول شجاعت علي سنديلوي: «إن سحر لغة مناجاة بيوه يخيم علي جميع الابيات، فهذه القصيدة مشهورة لدي الطبقة المثقفة في الأردية علاوة علي الهنود أيضا وقد ترجمت «مناجات بيوه» إلي اللغة الهندية فضلا عن لغات الهند المختلفة»(٣) وذات مرة كتب «مولوي عبد الحق »لغاندي بقوله له :«إذا أحببت أن تري نموذجا لهذه اللغة «يقصد الأردية» التي يتحدث بها ويفهمها الكثير من

---

(١) صالحة عابد حسين: يا دگار حالي. ص ٢٢٧.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٣) شجاعت علي سنديلوي: حالي بحيثيت شاعر. ص ٢٢٤.

الهند فاقرأ «مناجات بيوه «لحالي» .(١)

وفي سلسلة الاصلاح الاجتماعي اهتم حالي بالحالة الاجتماعية للمرأة وما آلت إليه من ضعف وفساد ورد إليها الحقوق الإنسانية الذي سلبها منهن الرجال الانانيون وبسبب جهلهن ضاعت حقوقهن، فقبل حالي لم يكن للمرأة اي منزلة خاصة في الشعر الأردي فإذا جاء ذكرها فيكون قاصرا علي كونها المحبوبة التي لم تحمل اي قيم اخلاقية سامية، وكان حالي أول من رفع صوته عاليا ضد التقاليد الاجتماعية البالية مثل مرض زواج الاطفال وعدم زواج الارامل وكانت هذه الأمراض الاجتماعية من اسوأ مثالب الحضارة الهندية والتي تحطم بسببها حياة مئات الأبرياء من النساء، فكان شعر حالي أول ما نادي بتحرير المرأة الهندية من هذه الأمراض الاجتماعية الفتاكة وذكر حالي أن المرأة هي الأم والأخت والزوجة والإبنة وما زال دورها هاما وبارزا في تاريخ العالم بصفة عامة وفي تاريخ الهند بصفة خاصة وذكر حالي أن المرأة تتصف بالايثار والتضحية والعمل والوفاء والحب والخدمة، وكان ميرأنيس (قد قدم نماذج عظيمة للمرأة في شعر الرثاء الذي اشتهر به قبل حالي علي الرغم من أن الرثاء ميدانه محدود فالمرأة عنده نموذج جذاب للحب والعطف والايثار والتضحية لكن المرأة عند أنيس هي من أسرة النبي صلي الله عليه وسلم والتي لا مثيل لها الان لكن المرأة عند حالي هي نموذج للمرأة في صورها المتعددة(٢)

---

(١) افتخار صديقي، كليات نظم حالي، جـ١، ص٦٠ .

(٢) صالحة عابد حسين :يا دگار حالي، ص ٢٢١-٢٢٢-٢٢٣

اے خداوندوں | مالک خاوند اوربندون
واسطة اپني خاوندي كا | صدقه اپني خداوندي كا
تويه كسي كوداغ نه ديجو | كس كوبے وارث مت كيجو
كيجو جو كچھ تيري خوشي هو | راند ط مگر كيجونه كسی كو
مسند تكيه عزت حرمت | نوكر چاكردولت حشمت
چاندي سونا نقدي غلا | گهنا پاتا ڈوم اورچهلا
سائين بن جوچير هے گهرمين | خاك هے سب عورت كي نظرمين
دل كي خوش آگ آس يه تهي سب | سووه هزارون كوس گئےاب
پهول كچهـ ا ب كانٹون سے نهين كم | جنت بهي هو تو هے جهنم
باغ نظر مين اس كي خزان هے | آنكهـ مين تاريک اس كي جهان هے
عيش هے اس واسطه ماتم | عيد هے اس كے حق مي محرم =

وقد نالت قصائد حالي التي نظمها عن المراة أهمية خاصة لانه لم يكتب عنها أحد من قبل لذلك لم يكن للمراة الهندية اي قيمة او اعتبار في الهيكل الاجتماعي لشبها لقارة الهندية فحاول حالي في منظومة «مناجات بيوه» أن يرد للمراة حقها المشروع وتناول قضية اجتماعية هامة وهي وضع المرأة في المجتمع الهندي الذي لم يكن لها اي دور فيه أيام حالي فقد اغلقت معظم أبواب الحياة الكريمة في وجهها وكان الرجل هو المسئول عن كل القضاياو المعاملات التي تختص بها، ولم يكن للمراة اي نصيب من التعليم الذي اعتبروه نقيضا للغيرة والشرف. وكان حالي صاحب قلب حساس فتأثر بهذا الوضع الصعب الذي يعيش فيه الزوجات الصغيرات لهذا تناول حالي هذه القضية الاجتماعية الدقيقة بالتفصيل في هذه القصيدة المليئة بآلام احداهن وهذه القضية الاجتماعية علي خطورتها لم يتناولها أحد قبل حالي سواء مصلح أو شاعر او مفكر.

وأسلوب أرملة حالي في غاية السلاسة والرقة وقد صور حالي عواطف المراة والارملة

= جس دکھیا پر پڑے یہ بپتا ... کراسے تو بیوندزمین کا
یا عورت کو پہلے بلالے ... یادونون کو ساتھ اٹھالے
یا یہ مٹادے پ ریت جہان کي ... جس سے گئ ہے پربت بہان
جس سے ہوئي دل سیکڑون بسمل ... جس نے ہزاروں کردے گھائل
جس نے کلیج آگ من بھونے ... جس نے بھرے گھر کردے سونے
خوف دولوں سے کھود یاجس نے ... شرم سے دیدے دھودے جس نے
قوم کي جس بن آن ہے جاتي ... دیس کي جس پرجان ہے جاتي
ملے مین پتے تیرے ملائے ... ریت ہے جو دنیا سے نرالي
جس نے کے دل رحم سے خالی ... بندیون کي بیڑي یہ تر ڑ ادے
سہل اور مشکل تجھ کو ہے یکساں ... ہم کو ہے مشکل تجھ کوے تیرے
رنج اورد کھ قبضے میں ہے تیرے ... چین اوسکھ قبضے میں ہے تیرے
ھلتے ہیں پتے تیرے ھلائے ... کھلتے ہیں غنچ تیرے کھلائے
مٹھی میں ہیں تیری ہوائیں ... قابو میں ہیں تیرے گھٹائیں
تجھ سے ہیں دریاؤن کی روانی ... تیرے بہائے بہتے ہیں پانی
جھیل، سمندر، پربت، رائی ... کھنے میں ہے سي تیرے خدائی
ناتا، رشتہ، نسب، شادی ... سوگ، رنداپا، قید، آزادی
قوم کی ریتین، دیس کی رسمین ... کیاہے وہ جو تیرے نہیں بس میں
کام کوئي مشکل نہیں تجھ کو ... ایک یہ کیا گر تیری خوش ہو
سوت لگے پتھر سے نکلنے ... ناؤ لگے ریت میں چلنے

---

(١) حالي: كليات نظم حالي: ٢ / ٣٧ – ٣٨.

علي أكمل وجه وبدأها بشكوي هذه الأرملة لله تعالي لبثها وضعفها وقلة حيلتها وهوانها علي الناس والحزن الذي يعتصرها ومع ذلك تقدم ما عندها لاسعاد الناس وهي نموذج للاستقامة والطهارة وتحمل الشدائد والأحزان. ويصف حالي ذلك فيقول:-

-يا إلهي، يا رب الأرباب، ورب السادة والعبيد.

- رحمتى بحق الوهيتك، وقوتي صدقه من ربوبيتك.

- لا تمنح هذه الحرقة لأحد من عبيدك، ولا تجعل أحدا بلا وارث

- فاعمل الذي يرضيك، لكن لا تجعل واحدة ما أرملة

- السجاجيد والوسائد والعزة والجاة، والعبد والخادم والعظمة والمال.

- والفضة والذهب والمال والغلال، والزينة والحلي والمجوهرات.

- هذه الأشياء كلها كالتراب في نظر المرأة، لو لم يكن لها زوج.

-كانت سعادة القلب منوطه بأمل وحيند وهذا الأمل الآن قد بعد عني بعد آلاف الأميال.

- الآن الزهور لديها كالاشواك، والجنة في عينها جهنم.

- الحديقة في نظرها خريف، والعالم في عينها ظلام دامس.

- اصبحت الحياة من أجلها ماتما، والعيد في حقها حرام.

- فهذه المصيبة قد ألمت بهذه المسكينة المتألمة، فيارب اجعلها في طيات الأرض نسيا منسيا.

- أو تستدعي المرأة عندك (تتوفاها) قبل زوجها، أو ترفع كلا منهما معا(من هذه الدنيا).

- أو تزيل تلك التقاليد السيئة السائدة في المجتمع، التي قضت علي الحب.

- والتي جرحت آلاف القلوب، وجعلتهم يعانون من المصائب التي ألمت بهن.

- (هذه التقاليد السيئة) هي التي أضرمت النار في الأكباد، واقفرت منها المنازل العامرة.

- وهي التي اضاعت الخوف من القلوب، وجعلت الحياء يتواري عن العيون.

– بدون الخوف والحياء يفقد القوم شانه، وبوجودهما يقوي الوطن.

– (فهذه التقاليد) قد جعلت القلوب خالية من الرحمة، وهذه العادة (الترمل) من أغرب التقاليد كلها.

– اللهم انقذ القوم من هذه التقاليد، وحطم أغلال وقيود المقيدين بها.

– يا من عندك الصعب والسهل سواء، وكل ما هو عسير عندنا يسير لديك.

– الألم والحزن فى قبضتك، والراحة والسكينة فى حوذتك.

– الأوراق تتحرك بأمرك، وتتفتح البراعم حينما تشاء.

– الرياح فى قبضتك، والسحب فى نطاق قدرتك.

– جريان البحار بأرادتك، وجريان الماء بمشيئتك.

– البحيرة والبحر والجبال والذرة، الجميع رهن أمرك.

– القرابة وصله الرحم والخطوبة والزواج، الحداد والترمل والسجن والحرية.

– هذه كلها من تقاليد القوم وعادات الوطن، فأى شىء هنا خارج عن إرادتك.

– ليس هناك أى أمر يصعب عليك، فهذه الأمور ليست بشىء أمام مشيئتك.

– فحينما أنت تشاء تتفجر الأنهار من الحجر، وتتحرك السفن فى الرمال.

وفى سبيل الدفاع عن المرأة وعن حريتها نظم حالى أيضاً قصيدة «چب كى داد» أى عدل الصمت سنة ١٩٠٥م وهى فى قالب «تركيب بند» وحالى فى هذه القصيدة لا يدافع عن المرأة الهندية فحسب بل عن المرأة الشرقية فقد كانت صورة المرأة فى الشعر الأردى محدودة بموضوعات الغزل والقصة فقط فلم يهتم الشعراء بالآلآم الحقيقية فى حياة النساء ولم يتجهوا إلى تصوير مصائبهن ومعاناتهن وكان حالى يرى أن المرأة فى صورة الأم والزوجة والأخت والبنت تستطيع أن تجلب السعادة والاستقرار اللامتناهى للحياة الاجتماعية بفضل فضيلة الإيثار والحنان(١).

وبعد أن ألقى حالى الضوء على سيرة المرأة الهندية وخدماتها تناول بالذكر ما يقع عليهن من ظلم واضطهاد وبأسلوب مليء بالإخلاص والحماس فقد كان حالى أول من نادى بحقوق المرأة واعترف بفداحة الظلم الاجتماعى الواقع عليها ورفع راية الدفاع عن حقوقها(٢).

---

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ١، ص ٦٠.

(٢) صالحة عابد حسين: يا دگار حالى ص ٢٢٣.

وكتب حالى كتاب «مجالس النساء» عام ١٨٧٤م ويقول حالى: كتبت فى لاهور كتابا لتعليم النساء فى أسلوب قصصى يعرف بمجالس النساء وقد أهدانى بسببه اللورد نارتهـ بروكـ بيـده أربعـمـائة روبيـه وظل مـقـرراً لفـتـرة فى مـدارس النسـاء فى اودهـ والبنجاب»(١). وهذا الكتاب يشتمل على جزئين وله أهمية كبرى بالنسبة لمؤلفات حالى وقد حاول فيه حالى إصلاح الحياة الاجتماعية للمرأة وانتقد ضيق نظرهن وأوهامهن وجهلهن وتمسكهن بالعادات البالية وذلك فى قالب قصصى ونصح المرأة الهندية بأن تتزين بزينة العلم حتى تستطيع أن تربى أولادها كما يجب وذلك لن يتحقق إلا بتعليم الأم وكان رأى حالى مختلفاً عن رأى السير سيد فى مسألة تعليم المرأة، فالسير سيد لا يعارض تعليم المرأة وإنما يرى أن المرأة ستزاحم الرجل فى التعليم ولذلك يجب أن يتعلم الرجل أولا ثم تتعلم المرأة بعد ذلك ولكن رأى حالى مختلف عن هذا الرأى فيرى أنه من الضرورى أن تتعلم المرأة الحضارة الحديثة حتى تستطيع أن تقوم بدورها فى الإصلاح الاجتماعى على أكمل وجه. وقد أكد حالى فى «مجالس النساء» على أهمية تعليم المرأة وظل لوقت طويل ضمن المقررات الدراسية فى مدارس البنات على الرغم من أن نذير أحمد نشر قبله كتابه «مرآه العروس» سنة ١٨٦٩م و«بنات النعش» ١٨٧٣م وتتضمن تعاليم أخلاقية للنساء(٢).

وقد عرض حالى هذه القضية الاجتماعية بالتفصيل والتى تتجاهلها نصف المجتمع وكان لحالى وجهة نظر فريدة فى هذه القضية ويعتبر بعض النقاد أن «مناجات بيوه» و«چب كى داد» من الثمرات الأدبية لحركة على گڑھ على الرغم من أن السير سيد لم يعتبر المسائل الخاصة بتعليم النساء جديرة بالاهتمام.

واهتم حالى كذلك بالأطفال ونظم قصائد شعرية خفيفة وبسيطة وبأسلوب فكاهى مرح لتعليم الأطفال فى المدارس ولتنشأة الطفل تنشأة سليمة وصحيحة، وفى سنة ١٩٠٨م نشر حالى مجموعة قصائد باسم «اطوار بازيجه» أى طرق اللعب تحت رعاية السيد نولتن المسئول عن كلية التربية بلاهور ونزولاً على رغبة الإدارة التعليمية بالبنجاب وقد جمع حالى فى هذه المجموعة عدة قصائد طبع بعضها فى «بچون كا أخبار» جريدة الأطفال بلاهور واهتم حالى فى هذه المجموعة بالناحية النفسية للأطفال فضلاً عن الناحية التعليمية(٣).

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٤١.

(٢) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص ٢٤٥.

(٣) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١ ص ٥٧، ٥٨ وص ٥١٣ - ٥٤٣.

* دور «مسدس حالى» فى الحياة الاجتماعية فى شبه القارة الهندية:

مسدس حالى هو الملحمة الأردية التى نظمها حالى من أجل إصلاح حياة المسلمين الاجتماعية فى الهند فى محاولة للنهوض بهم من كبوتهم لاستعادة مكانتهم فى طليعة شعوب الهند بعد أن فقدوا دورهم الطليعى فى حكم الهند بنهاية الدولة المغولية واحتلال الإنجليز للهند وحكمهم لها وقد خيمت سحب اليأس على المجتمع الهندى عامة وعلى المسلمين خاصة بعد فشل ثورة التحرير عام ١٨٥٧م وما آلت إليه حياة المسلمين من تدهور واضمحلال والتفكك الاجتماعى جعلت حالى ينظم هذه المنظومة الطويلة والمعروفة أيضاً بـ «مد وجزر إسلام» عام ١٨٧٩م ليدعوا المسلمين إلى استعادة أمجادهم وماضيهم المشرق وقد نظم حالى المسدس بإيعاز من السير سيد أحمد خان الذى وجهه لنظم الشعر الاجتماعى الهادف، ويقول حالى فى ترجمته: «لقد شجعنى السير سيد بقوله إنه من المفيد ولو وضحت بالشعر حالة الضعف والذل الراهنة للمسلمين لهذا نظمت المسدس»(١) وقد أشار حالى إلى فضل توجيه السير سيد له فى نظم المسدس فى مقدمته(٢).

وتعد هذه المنظومة فريدة من نوعها فى الشعر الأردى وبداية لعهد جديد فى نظم الشعر الأردى الهادف الذى يفيد المجتمع ويعود عليه بالنفع ويعمل على إصلاحه وبذلك أصبح للشعر دور هام فى الحياة بعد ما كان يقتصر على مجرد المتعة الفنية الخالصة بغض النظر عن الجانب الأخلاقى، وكان لهذا المسدس دور كبير فى نهوض المجتمع الهندى من تأخره واضمحلاله حتى صار يتردد على ألسنة الكبار والصغار وصار مضرباً للأمثال وبه ذاع صيت حالى وشهرته فى أكناف الهند وأطرافها.

وعلى الرغم من أن حالى يأت بجديد من الناحية الفنية وناحية القالب الشعرى إلا أنه جاء بجديد من ناحية المضمون حيث استخدم الشعر لأول مرة فى مهمة إصلاحية.

وتحدث حالى فى مقدمة المسدس عن الأوضاع الاجتماعية فى الهند وصور حالة المجتمع السائدة من فوضى وعدم الشعور بالأمان فالحياة السياسية مضطربة، وانتشرت البدع والخرافات فى الدين وحلت محل الشرع وانتشر الجهل بين أئمة المسلمين

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٤٠.

(٢) حالى: مسدس حالى: ص ٣.

«أصبحت حالة القوم متردية وصار العزيز ذليلاً ومرغ الشريف في التراب وكانت نهاية العلم وأفسد الفقر كل بيت وتفشت الجماعات وفسدت الأخلاق تماماً وخيمت على الناس سحب التعصب الكثيفة وتقيد الناس بأغلال العرف والتقاليد وتسلط الجهل والبدع على رقاب العباد فالأمراء غافلون عن مهامهم، والعلماء الذين يعول عليهم في إصلاح المجتمع كانوا جاهلين عن ضروريات العصر ومقتضياته . . . . . . وحتى الآن لم ينظم أحد شعراً من أجل إيقاظ المسلمين وتنبيههم»(١).

وبين حالي في المسدس أسباب ضعف وتأخر مجتمع المسلمين بعد أن كانوا أولي بأس شديد، وسرد تاريخهم الزاهر الذي سادوا فيه الهند وأجزاء كبيرة من العالم ووضع لهم الحلول التي تنهض بمجتمعهم مرة أخرى ثم يتجه إلى تصوير الإطار الإجمالي لمجتمع العرب في الجاهلية في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبداية ظهور النبي ﷺ وتناول تعاليمه بأسلوب جذاب مؤثر مبينا ما كان عليه المسلمون من عزة وجاه بسبب الإسلام في ذلك الوقت، ثم يذكر أوضاع المسلمين السيئة وضعفهم وانحلالهم وتكاسلهم بطريقة معبرة يندى لها الجبين خجلاً، وفي نهاية المسدس يبث فيهم شعاع الأمل ليخرجهم من ظلمات يأسهم ويحفزهم على العمل وبذل الجهد ويشجعهم على تحصيل العلوم الجديدة ليواكبوا ضروريات العصر مع الاحتفاظ بأخلاقهم ودينهم ثم يختم المسدس بالتوجه إلى الله تعالى بالدعاء للمسلمين.

وكان حالي يعرف أنه يقدم «المسدس» نموذجاً جديداً وكان يعلم أن أنصار الشعر القديم لن يستحسنوا هذه البدعة وكان تقديره في موضعه فعندما وصلت الطبعة الأولى من المسدس إلى أيدي الناس عام ١٨٧٩م انتشرت صيحات المعارضة في أنحاء الهند واحتدم النقاش حوله ونقدوا طريقة حالي في كشف العيوب أمام الأعداء وعلى العكس من ذلك قبلته بعض الأوساط والدوائر لما فيه من حماس شديد وجعلته بمثابة رسالة تبعث الروح في حياة المجتمع وكشعاع نور في ظلمات اليأس يهدي المسلمين إلى جادة الطريق وأثر المسدس تأثيراً عميقاً على قلوب المسلمين، وبعد فترة من الوقت هدأت عواصف المعارضة وقرأه الجميع الخاصة والعامة والعالم والجاهل والفقير والغني والصغير والكبير والمرأة والرجل ونكسوا رؤوسهم وانخرطوا في البكاء على حالتهم المتردية(٢).

---

(١) حالي: مسدس حالي ص ٤.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالي ص ١٩٨ - ١٩٩.

«وفى عضون سبعة أعوام نال هذا المسدس شهرة عريضة فى إطراف الهند وأكنافها وقد اشتمل موضوعه على كثير من اللوم والطعن والنقد الذى أظهر عيوب القوم وساوئهم وعملت فيهم اللغة والكلمات عمل السيف والرمح فقد كان التعصب مانعًا من سماع كلمة الحق ومع كل هذا انتشر المسدس فى أرجاء الهند فى مدة قصيرة ونشر فى طبعات عديدة وقد اختارته بعض المدارس القومية لتعليم الأطفال وكان يقرأ فى مجالس الاحتفال بمولد النبى ﷺ وترددت أبياته على ألسنة واعظينا ومثلت موضوعاته على المسرح القومى فى بعض المدن ورتب على طريقته وفى بحره العديد من القصائد فى قالب المسدس وكتبت عنه أكثر الجرائد والمجلات أبحاثًا مؤيدة أو معارضة له وأدرج ضمن المناهج التعليمية فى المدارس الحكومية فى المحافظات الشمالية نظيرًا لشهرته»(١).

ومن الأسباب الكبيرة التى جعلت مسدس حالى يحوز هذه الشهرة هو تصويره للواقع والحقيقة بصدق وإخلاص وبحرقة وألم وهذه الصفات تسرى فى كل بيت من المسدس، والسبب الثانى بساطة اللغة وسلاستها والمسدس هو رسالة للمسلمين جميعًا ولم يكن منحازًا إلى أى طبقة أو فرقة بعينها لهذا استطاع كل فرد أن يستوعب هذه الرسالة الإصلاحية بسهولة لأن حالى استعمل لغة الحديث اليومية دون تكلف(٢).

والمسدس كتاب إلهام ويعتبر معلمًا بارزًا فى تطور الشعر الأردى وكالنجم الهادى الذى لاح فى سماء الأدب الأردى وهو أساس الشعر القومى والوطنى فى الهند ولم يخاطب حالى أصحاب دين معين بل يخاطب جميع مواطنى الهند وقد قلد حالى كثيرًا من الشعراء فى نظم القصائد فى قالب المسدس ولكن لم يصل حتى الآن أى منهم إلى منزلة حالى من حيث الحماسة وقوة الخيال وجمال الأسلوب فقد عدد حالى فيه مآثر المسلمين الأوائل ووضح فيه عظمه الإسلام السالفة وقوة المسلمين الأولين وسمو أفكارهم ويوجه حالى نداء إلى المسلمين بأن يعقدوا العزم لاستعادة سابق مجدهم ومنزلة الصدارة فى تاريخ العالم(٣).

فالقيم التى عرضها حالى فى المسدس متحررة من قيد عاملى الزمان والمكان فالعمل والأخوة والعدل والمساواة الاجتماعية واحترام العلم ونبذ الشهرة والأنساب وغيرهم من

---

(١) حالى: مقدمة ملحق مسدس مد وجزر إسلام ص ٧٢٦.

(٢) صالحة عابد حسين: يا دگار حالى: ص ٢٠٣.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب أردو. ص ٣٦١ - ٣٦٢.

الصفات المزمومة تعتبر ضرورية لكل شعب، وعلى الرغم من أن حالى لم يوضح أى مصطلحات خاصة بالدين أو بالقومية إلا أن قيمة لم تفقد قيمتها[١] والعلماء يعرفون جيداً أن دور مسدس حالى فى إيقاظ المسلمين ونهضتهم لا يقل بأى حال من الأحوال عن حركة تأسيس حركة على گڑھ وكان السير سيد يعرف أهمية المسدس فقد نظمه حالى بتشجيع منه فيقول: «بلا شك فانا المحرك والحافز لهذا العمل وأعتبره من أعمالى المجيدة وعندما يسألنى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ماذا أحضرت؟ فسأقول إننى جعلت حالى ينظم المسدس ولا شيء غير ذلك»[٢]. فقد انتشل حالى قومه من انحطاطهم بالإضافة إلى أنه أحدث تغيرات هائلة فى تفكير المسلمين وطريقة حياتهم فى الخمسين سنة التى أعقبت نشر المسدس وقد وصلت رسالة المسدس فى نهضة المسلمين إلى رجل الشارع والعامة. بحيث لا ينهاهزه فى ذلك كل من المؤتمر التعليمى الإسلامى أو كلية على گڑھ فكلاهما كان محدوداً بأوساط المثقفين، أما المسدس فكان لسهولة لغته وبساطة أفكاره مقبولاً لدى الخاصة والعامة على السواء فكثير من الناس عارض حركة على گڑھ ولكن من من الناس عارض مسدس حالى؟ وقد غير المسدس ٧٠ مليون شخص ويعتبر من أهم خمسة أو ستة قصائد طويلة فى العالم، وإن لم ينظم حالى سوى هذه المرثية فى قومه فإنه يعتبر فى عداد مصلحى قومه جنباً إلى جنب مع السير سيد ومحسن الملك، وكان مسدس حالى مرآة لانحطاط المسلمين وتأخرهم ولم يكن حالى يرغب أن يظل المسلمون فى مستنقع الإحباط واليأس ولكنه بعد أن يشعرهم بعيوبهم ونقائصهم ويهيئهم للعمل ويدفعهم دفعاً ليستعيدوا عظمة أسلافهم مرة أخرى[٣] ويقول خواجه غلام السيدين: «إن حالى رفع النقاب عن الوجه المضئ لتعاليم الإسلام والذى كان قد حجب عن المسلمين فى أوقات التعصب وسوء الفهم وبرهن على عظمة الدين الإسلامى الذى جاء ليقيم حكومة الاخلاق والمحبة حتى تسود الأخوة بين الناس». ويقول الدكتور غلام حسين: «إن مسدس حالى من روائع هذا العصر والذى ساهم فى الحركة الإصلاحية التى نادى بها السير سيد وخاصة فيما يتعلق بالناحية التعليمية فلم تستطع مقالات السير سيد ورفاقه فى مجلة «تهذيب الأخلاق» أن ثبت

---

(١) صالحة عابد حسين: يا دگار حالى. ص ٢١٠ - ٢١٦.

(٢) من خطاب السير سيد لحالى بعد نشر المسدس وبتاريخ ١٠ يونية ١٨٧٩م ونشر هذا الخطاب فى مجلة على گڑھ فى يناير ١٩٣٩.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ١٢٤ - ١٢٦.

الروح فى جسد المسلمين الخامد مثلما فعل مسدس حالى »[١].

وقد أعاد حالى فى مسدسه الشعور القومى إلى شبابه فهو يبكى وُيبكى الآخرين وهو يشعر أيضًا بعظمة الإسلام وسموه ويشعر الآخرين بذلك فهذا الشعر الحزين استغاثة القلب ونداء من مسلم صادق تخرج من أعماق قلبه وهو رسالة مصلح وصيحة مرشد ويبدو صوت حالى فى هذا الشعر غارقًا فى الألم.

وفيما يلى نماذج من « مسدس حالى » يبكى فيه أوضاع المسلمين المتردية وفساد العلماء ورجال الدين ويتحسر على انقضاء عهد علماء الشريعة والمفسرين والمحدثون والمناظرون وتوقف المدارس التى تعلم الدين وتخرج القضاة والمفتيين وضياع الكتب الدينية الثمينة وجهل رجال الدين الذى تسبب فى تأخر المسلمين فيقول: -

- أين علماء الشريعة المهرة، وأين الذين لهم بصيرة بأخبار الدين.

- أين علماء علم الأصول والمناظرون، وأين المفسرون وأين المحدثون.

- فالمجلس الذى كان مضاء بالأمس، لم يبق منه الآن ضوء مصباح خافت.

- أين المدارس التى تعلم الدين، وأين مراحل العلم واليقين.

- أين أركان الشرع المتين، وأين ورثة الرسول الأمين.

- لم يبق أى ملجأ أو مأوى للأمة، فلا قاضى ولا مفتى ولا صوفى ولا شيخ.

- أين خزائن الكتب الدينية، وأين اختفت مشاهد العلم الإلهى.

- لقد مرت بهذا المجلس ريح صرصرعاتية، اطفأت جميع مشاعل نور الحق.

- ولم يبق أى متاع فى المجلس، فلا أبريق ولا ربابة، ولا مطرب ولا ساقى.

- وكثير من الناس بعد ما ادعوا أنهم يرجون الخير للأمة واعترف السفهاء بفضلهم.

- بدأوا يتجولون فى القرى، ويجدون فى جمع المال والثروة.

- هؤلاء هم مرشدوا الإسلام، وهم الذين يلقبون باسم ورثة الأنبياء[٢].

---

(١) محمد إكرام سانبوى: حالى وأكبر كاخصوصى مطالعه ص ٢٦.

(٢) وه علم شريعت كے ماهر كدهر هيں   وه اخبار دين كے مبصر كدهر هيں
اصولى كدهر هيں مناظر كدهر هيں   محدث كهان هيں مفسر كدهر هيں =

- وكثير منهم ادعوا أنهم أبناء شيوخ الطرق، وذاتهم المباركة خالية من أى جوهر.

- يفتخرون بأن أسلافهم كانوا من أولياء الله.

- ويظهرون كرامتهم ومعجزاتهم الزائفة أمام الناس، وهكذا ينهبون اتباعهم.

- ويعتبرون أن هؤلاء الناس هم الذين يسيرون على طريق الشريعة وأن منزلتهم أسمى من الشريعة.

- وهم الذين انتهى بهم الكشف والكرامات، وفى قبضتهم أقدار العباد.

- فهم المرادون الآن وهم المريدون الذى يقصد إليهم، وهم اليوم «الجنيد» و«بايزيد» عصرهم.

- يخطبون بالشيء الذى يزيد الكراهية، ويكتبون الحديث الذى تنفطر منه الأكباد.

- يحقرون العباد المذنبين، ويكفرون الأخ المسلم.

= وه مجلس جو کل سر بسرتھی چراغاں
چراغ اب کھیں ٹمٹما تانھیں واں

مدارس وه تعليم دين کے کھان هيں — مراحل وه علم ويقين کے کھاں هيں
وه اركان شرع متين کے کھاں هيں — وه وارث رسول امين کے کھاں هيں

رهاكوئى امت كاملجانه ماوے
نه قاضى نه مفتى نه صوفى نه ملا

کھاں هيں وه دينى کتابون کے دفتر — کھاں هيں وه علم آلھی کے منظر
چلی ايسی اس بزم هيں باد صرصر — بجھيں مشعلين نور حق کی سرا سر

رها كوئى سامان نه مجلس مين باقى
صراحى نه طنبور مطرب نه ساقى

بهت لو گ بن کرھوا خواه امت — سفيھون سے منوا کے اپنى فضيلت
سدا گاؤں درگاؤں نوبت به نوبت — پرے پھرتے ھيں کرتے تحصيل دولت

يه كھرے ھيں اسلام کے رهنما اب
لقب ان كا هے وارث انبياء اب

(حالى: مسدس حالى: ص ٥٤، ٥٥)

- هذه هى طريقة علمائنا، وهذا هو أسلوب مرشدينا.

- لو ذهب أحد لهم ليسألهم فى أى مسأله، يرجع من عندهم وهو يحمل عبئًا ثقيلاً على كاهله.

- وإذا شك أحد فى كلامهم لسوء حظه، فإنه لابد أن يلقب باهل النار.

- ولو حاول أحد الاعتراض عليهم، فمن الصعب أن يعود آمنا[1].

- أحيانا تنتفخ اوداجهم، وأحيانال يرغون ويزيدون.

- وأحيانا ينادونهم بالكلب والخنزير، وأحيانا يرفعون عليه العصا للضرب.

- فليحرسهم الله من عين السوء أنهم عماد الدين، ونموذج لأخلاق الرسول الأمين!!

- لو أراد أحد أن يسعد بلقائهم، يجب أن يكون مسلماً.

---

(١) بهت لوگ پیروں کی اولاد بنکر　　نهیں ذات والامین کچھ جن جوهر
برا فخرهے جن کولے دے کے اس پر　　که تهی ان کے اسلاف مقبول داور

کرشمے هیں جاجا کے جُهوٹے دکهاتے
مریدوں کو هیں لوٹے اورکهاتے

یه هیں جاده پیمائے راه طریقت　　مقام ان کاهے ما ورائے شریعت
انهین پر هے ختم آج کشف وکرامت　　انهین کے هے قبضه میں بندوں کی قسمت

یهی هیں مراد اوریهی هیں مرید اب
یهی هیں جنیدا وریهی بایزید اب

برهے جس سے نفرت وتقریر کرنی　　جگر جس سے شق هوں وه تحریر کرنی
گهنگار بندوں کی تحقیر کرنی　　مسلمان بهائی کی تکفیر کرنی

یه هے عالموں کاهمارے طریقه
یه هے هادیوں کاهمارے سلیقه

کوئی مسئله پوجهنے ان سے جاے　　تو گردن په بار گران لے کے آئے
اگربد نصیبی سے شک اسمین لائے　　توقطعی خطاب اهل دوزخ کاپائے

اگراعتراض اس کی نکلا زبان سے
توآنا سلامت هے دشوار وان سے

(حالي: مسدس حالي: ص ٥٥، ٥٦)

– وأن تكون سيماء السجود ظاهره على جبينه وألا يكون عنده أى نقص فى مظهره الشرعى.

– فلا يكون شعر شاربه طويلاً، ولا تكون لحيته مشدوده إلى الرأس ولا إزاره طويلاً.

– ويكون على شاكله المرشد فى معتقداته، ويوافق (آراءهم) فى الأصول والفروع.

– وأن يسىء الظن باعدائهم، ويكون غاليًا فى مدح اتباعهم.

– وإذا لم يكن هكذا فهو مردود وخارج عن الدين، ولا يليق به أن يحظى بلقاء العظماء.

– إن أحكام الشريعة كانت سائغة حتى شغف بها اليهود والنصارى.

– والقرآن كله شاهد على يسر هذه الأحكام، والنبى نفسه نادى بأن «الدين يسر».

– لكنهم قد جعلوا هذه الأحكام عسيره، حتى اعتبرها المسلم عبئًا ثقيلاً[١].

---

(١) کبھی وہ گلے کی رگیں ہیں پھلاتے — کبھی جھاگ پر جھاگ ہیں منہ پہ لاتے
کبھی خوک اور سگ ہیں اس کو بتائے — کبھی مارنے کو عصا ہیں اٹھاتے

ستون چشم بد دور ہیں آپ دین کے
نمونہ ہیں خلق رسول امین کے

جوچاہے کہ خوش اُن سے مل کر ہو انسان — تو ہے شرط وہ قوم کا ہو مسلمان
نشان سجدہ کا ہو جبین پرنمایان — تشریع میں اس کےنہ ہو کوئی نقصان

لبین بڑھ رہی ہوں نہ داڑھی چڑھی ہو
ازار اپنی حد سے نہ آگے بڑھی ہو

عقائد میں حضرت کا ہم داستان ہو — ہر ایک اصل مین فرع میں ہم زبان ہو
حریفوں سے انکے بہت بدگمان ہو — مریدو کا ان کے بڑا مدح خوان ہو

گرایسانہیں ہے تومردود دین ہے
بزرگون سے ملنے کے قابل نہیں ہے

شریعت کے احکام تھے وہ گوارا — کہ شیدا تھے اُن پریہود اور نصاری
گواہ ان کی نرمی کاقرآن ہے سارا — خود الدین یسر نبی نے پکارا

مگریان کیسا ایسا دشوار ان کو
کہ مومن سمجھنے لگے باران کو

(حالی: مسدس حالی: ص ٥٦، ٥٧)

- انهم لم يرشدوا المسلم خلقا، ولم يهتموا بتزكية باطنه.

- واكثروا القول فى الأحكام الظاهرية، بحيث لم يعد أحد بمنأى عنها للحظه واحدة.

- هذا الدين الذى كان منبعًا للخلق القويم، جعلوه كأنه مسألة الوضوء والغسل من قلتين.

- فى قلوبهم زيغ من أهل التحقيق، ويعتبرون أن الدين يصاب بخلل من إتباع الأحاديث.

- فإصدار الفتاوى شغلهم الشاغل، وآراؤهم خير بديل للقرآن.

- لم يبق من القرآن إلا اسمه، ولا من السنه إلا رسمها ولم يبق لهم أى صلة بالله ورسوله.

- وحينما يوجد خلاف بين الروايات، لا يميلو إلى رواية صحيحة يفضلونها على جميع الروايات.

- والرواية التى لا يقبلها عقل أى مسلم مطلقًا، نعتبرها مقدمة على كل رواية.

- فالجميع سواء كبيراً أو صغيراً كلهم أسرى لهذا الأمر وكأن عقولهم قد تحجرت تمامًا.

- لو عبد أحد صنما فهو كافر، ولو اعتقد بإبن الله فهو كافر.

- ولو يسجد أحد للنار فهو كافر، ولو اعتقد أحد بمعجزات الكواكب فهو كافر.

- أما المؤمنون فجميع الطرق مفتوحة أمامهم، فليعبدوا أى شيء يريدونه بكل رغبة[١].

---

(١) نه كى ان كى اخلاق ميں رهنمائى — نه باطن ميں كى ان كے پيدا صفائى
په احكام ظاهر كى لے يه برط هائى — كه هوتى نهيں ان سے دم بهرر هائى

وه دين جوكه چشمه تها خلق نكوكا
كيا قلتين اس كو غسل ووضوكا

سدا اهل تحقيق سے دل ميں بهل هے — حديثون په چلنے ميں دين كاخلل هے
فتاوون په بالكل مدار عمل هے — پراك رائے قرآن كانعم البدل هے

كتاب اور سنت كاهے نام باقى
خدا اور نبى هے نهيں كام باقى =

- إنهم لو أرادوا فإنهم يجعلون النبى إلهًا، ويرفعون منزلة الإمام عن منزله النبى!!

- ويقدمون النذور والقرابين على أضرحة الأولياء، ويتلون دعواتهم أمام قبور الشهداء.

- فهذا كله لا يضير بالتوحيد شيئًا، ولا يضعف الإسلام ولا يحدث أى نقص فى الإيمان.

- ذلك الدين الذى كان سببا فى نشر التوحيد فى العالم، وتجلى الحق به فى كل زمان ومكان.

- والذى قضى تماماً على الشرك، ذلك الدين قد حدث فيه تغيير فى الهند.

- والثروة التى كان الإسلام معتزاً وفخوراً بها، فقدت تلك الثروة أيضًا مع آخر مسلم(١).

= جهان مختلف هون روايات با هم — کبهی هوں نه سید هی روایت سے خوش هم
جسے عقل رکھے نه هرگز مسلم — اسے پر روایت سے سمجهیں مقدم

سب اس میں گرفتار چھوٹے بڑے هیں
سمجھ پرهماری یه پتھر بڑے هیں

کرے غیر گر بت کی پُوجا تو کافر — جو ٹھرائے بیٹا خدا کا تو کافر
جھکے آگ پر بهر سجده تو کافر — کواکب مین مانے کرشمه تو کافر

مگر مومنون پرکشاده هیں را هیں
پرستش کریں شوق سے جسکے جا هیں

(حالی: مسدس حالی: ص ٥٧، ٥٨)

(١) نبی کو جو چا هین خدا کر دکهائیں — اما مون کا رتبه نبی سے بڑ ھائیں
مزارون یه دن رات نذریں چڑ هائین — شهیدون سے جاجاکے مانگین دعائیں

نه توحید میں کچھ خلل اس سے آئے
نه اسلام بگڑے نه ایمان جائے

وه دین جس سے توحید پهیلی جهاں میں — هوا جلوه گر حق زمین وزمان میں
رها شرک باقی نه وهم وگماں میں — وه بدلا گیا آکے هند وستان میں

همیشه سے اسلام تها جس یه نازان
وه دولت بهی کهو بیٹھے آخر مسلمان

(حالی: مسدس حالی: ص ٥٧، ٥٨)

وقد ترجم مسدس حالى إلى عدة لغات عالمية ومحلية لشهرته، فترجم إلى اللغة الإنجليزية والروسية(١)، ولغة الباشتو(٢)، واللغة الهندية(٣)، والبنغالية(٤) والبنجابية(٥) وتقول صالحة عابد حسين: «لقد انقضت سنوات عديدة منذ أن طبع المسدس للمرة الأولى فى عام ١٨٧٩ م، ومن الصعب الآن تقدير أثره الأخلاقى والإصلاحى على المجتمع الهندى. «ويقول أحد المستشرقين» نجد فى الهند مرثاة حالى الرائعة المسماة «مسدس مد وجزر إسلام» ١٨٧٩ م فهى تستعيد الأبهة الإسلامية الزائلة بأسلوب مشرق وتنفذ إلى أعماق الجمهور(٦).

وقد قام الشاعر اليمنى القاضى محمد محود الزبيرى(٧) بترجمة «مسدس حالى» شعراً وقد اطلعت على نماذج من هذه الترجمة فى مجلة «المسلمون» التى كان الإخوان المسلمون يصدرونها فى عامى ١٩٥٢ و ١٩٥٣م، وهذه الأبيات سبعة وستون بيتا نشرت فى العددين السادس والسابع عام ١٩٥٢م، ويقول الشاعر فى مقدمته على هذه الترجمة: «هذه المنظومة التى وضعها حالى لاستنهاض عزائم المسلمين هى أعظم مؤلفاته، كما أنها من أعظم ما أنتجته آداب الهند الإسلامية على الإطلاق، وكان لها أثر بعيد المدى فى ايقاد روح الوعى الإسلامى فى شبه القارة، وقد ترجمت هذه المنظومة إلى لغات عديدة ولما كانت اللغة العربية أدنى قرابة إلى هذه اللغة (الأردية) وأحق بتراثها الأدبى وكنوزها الإسلامية فأنا نرى أن ترجمة هذه المنظومة الأردية إليها كان يجب أن يسبق جميع التراجم الأخرى ومع ذلك فإنا وقد جئنا إلى ترجمتها متأخرين نرى أن العالم العربى لا يزال فى حاجة إلى مثل هذه الهزة الروحية التى توقظ فى أعماقه أمجاد العافية».

---

(١) ترجمة مولانا سندهى (يادگار حالى) ص ٢٠٥.

(٢) ترجمة مولانا غلام محمد خان (يادگار حالى ص ٢٠٠).

(٣) انظر: شجاعت على سنديلوى: مطالعة حالى ص ١٧، ١٨.

(٤) ترجمة الشاعر غلام مصطفى فى ديوانه.

(٥) الترجمة موجودة فى مكتبة دار الدعوة السلفية بدون ذكر للمترجم.

(6) Islam in Moder History. P. 78. Wilfird Cantwell Snith.

(٧) القاضى محمد محمود الزبيرى شاعر يمنى كان معارضاً لحكام اليمن من الائمة فهاجر لاجئًا إلى باكستان ونزل ضيفا على شيخ الإسلام شبير احمد عثمانى وقد تعلم اللغة الاردية وترجم «مسدس حالى» إلى اللغة العربية وظل بباكستان حتى تم انقلاب اليمن وعاد إلى وطنه ومات ودفن باليمن. (مجلة المسلمون: العدد السادس ص ٩٣).

وفيما يلى نماذج من هذه الترجمة التى لم يلتزم فيها الشاعر بقالب المسدس عند الترجمة كما أنها ليست ترجمة حرفية بل حاول الشاعر جاهداً أن يوصل المعنى إلى القارىء فأضاف أبياتا من عنده:

أتى سائل بقراط يحذر خطبه ... ويسأله فتوى تعالج كربه
ألا أى داء فى البرية مهلك ... إذا مس إنسانا قضى نحبه؟
فقال لم يخلق الله مرة ... لنا مرضا إلا ويخلق طبه
ولكن داء هينا لا نخافه ... هو الداء يستشرى ويقتل ربه
وأخطر أمراض علينا مغبة ... هو المرض السهل الذى لن نطبه
نرى أمره هونا ونترك شره ... بأقطارنا ينمو ويجمع إلبه
ونعتد أقوال الطبيب بشأنه ... خرافة شيخ أصبح الهجر دأبه

ففى النموذج السابق نجد أن الأبيات الثلاثة الأولى هي ترجمة للمسدس الأول أما الأربعة أبيات الأخرى فقد ذكرها الشاعر من أجل توضيح الفكرة للقارىء العربى، ثم يقول(٢):

إذا هو فى التشخيص أعلن رأيه ... زعمناه بالتشخيص يعلن عيه
وقمنا عليه هازئين نذيقه الهوان ... ونسقيه من الصاب ربه
ونسلقه سلقا بألسنة لنا ... حداد تعزيه وتنسج خزيه

---

(١)

كسى نے يه بقراط سے جاکے پوجها ... مرض تيرے نزد يك مهلك هيں كيا كيا
كها دكھ جهان مين نهين كوئى ايسا ... كه جس كي دواحق نے كى هونه پيدا

مكروه مرض جس كو آسان سمجهين
كهے جو طبيب اس كو هذيان سمجيهين

(حالى: مسدسى حالى ص ٨).

(٢) مجلة المسلمون، العدد السادس ص ٩٤.

كـــأن بـه مس الجنـون كـــأننـا | حـــواليـــه أطفـــال تحـــاول كـيــه
نحـاذر أسـبـاب الشـفـاء وأن يكن | نطاســـيــــه الأسى لنا أو نبـيــــه
كـــذاك يمد الداء فى الروح مـــده | ويبلغ بـالتـــدريج فـــينا أشـــده
ويـنـزع منـا الانـس بـالـطـب والـدوا | إلى أن نذوق اليـــأس والموت بعـــده
ونكره أن نلقى الطبـــيـب بدائنا | ولو كـــان ســـر الحى والميت عنده
كـذلك حـال الشـعب يوم تغـوله | الغوائل فى الدنيا ويفـقـد رشـده(١)

وعند مقارنة هذه الأبيات بالأصل الأردى نجد أن الثلاثة أبيات الأولى هى الترجمة الحقيقية للمسدس الثانى والستة أبيات الآخرى هى شرح للأبيات الثلاثة الأولى .

---

(١)

سبب يا علامت گر ان كوسمجهائين | توتشـــخـيص مين ســو نكالين خطائين
دوا اورپرهيـــز ســـــے جی چُرائين | يونهين رفـتــــه مـــرض كـــوبرﻃﻬائين

طبيبون سے هرگز نه مانوس هون وه
يهان تک كه جينے سے مايؤس هون وه

(حالى : مسدسى حالى ص ٩) .

الباب الثانى

أصول نظرية النقد عند ألطاف حسين حالى

- الفصل الأول : أصول من التراث الشرقى القديم .
(الأردى - الفارسى - العربى)
- الفصل الثانى : أصول من التراث الغربى .
(اليونانى - الإنجليزى)
- الفصل الثالث : مقدمة شعر وشاعرى.
(دراسة وصفية تحليلية نقدية)



الفصل الأول

أصول من التراث الشرقى القديم

١ - أصول من التراث النقدى الأردى.

٢ - أصول من التراث النقدى الفارسى.

٣ - أصول من التراث النقدى العربى.

١ - أصول من التراث النقدى الأردى

ظهرت الآراء النقدية فى الشعر الأردى أو ما ظهرت متأثرة بأراء الناقد الشخصية والذوقية فى الشعر فكان الشعر الجيد - من وجهة نظره - هو الذى يضم فى ثناياه ما اتفق من لمسات جمالية تتفق وذوق العامة فضلاً عن الخاصة، وكان الشعراء والنقاد مهتمين - كالنقد العربى القديم - بالبديع والمحسنات وعلوم البلاغة الأخرى وبالنقد اللغوى أكثر من أى شيء آخر، وكان النقد يعتمد على النظر فى طبيعة الشعر من ناحية خلوه من الأخطاء اللغوية وفصاحة الألفاظ وبعده عن التعقيد اللفظى وسلامة الوزن والقافية، وكانت تقاس مقاييس جودة الشعر بمدى تأثيره على عدد أكبر من الجمهور، لذا كان النقد الأردى يخضع للأذواق وليس لقواعد معينة يستطيع بها الناقد أن يقيم الشعر وفقاً لها، فكانت (مقدمة شعر وشاعرى) بمثابة بداية للنقد المنهجى المنظم القائم على أسس وقواعد نقدية ثابتة.

وكانت هناك لمحات نقدية فى الأردية قبل الحركة الفكرية التى أحدثتها مجلة (تهذيب الأخلاق)، ولكنها كانت نتفا مفرقه وفقرات مبعثرة، ففى الأردية الدكنية القديمة أشار (ملا وجهى) فى قصص الحب (قطب مشترى) و(سب رس) إلى خصائص الشعر الأردى ويبدو من قراءة هذه الآراء أن ملا وجهى كان لديه إحساس بالشعر الجيد، وهذا الإحساس فى حد ذاته يصبح معياراً للفكر النقدى ومع أن تفكيره غير مترابط إلا أنه يلفت انتباهنا إلى التفكير فى نقد الشعر.

وتوجد الميول النقدية بطريقة متفاوتة وغير منظمة عند شعراء شمال الهند، فمثلاً تلوح بعض الافكار النقدية فى صورة أشعار متفرقة عند كل من ولى وشاه حاتم ومرزا مظهر جان جانان وخان آرزو وميرتقى وسودا وغيرهم فتقل عند أحدهم وتزيد عند الآخر.

ويعتبر نقد مير محمد تقى(*) على مراثى سودا هو العمل النقدى الأول فى النقد الأردى، وربما لا يمكن أن نجد نموذجاً أفضل وأكمل منه فى النقد الأردى القديم لأنه بحث فى بعض أصول الشعر علاوة على بحثه فى اللغة، وبالإضافة إلى ذلك يوجد أراء

(*) هو شخصى آخر غير « ميرتقى مير» الشاعر المعروف.

نقدية متفرقة فى مجلة « عبرة الغافلين » و« مقدمة سودا » و« مقدمة ديوان زاده لشاه حاتم » و« چمنستان شعرا » لشفيق اورنگ آبادى، لكن هذه الآراء النقدية لم تكن ترجمانا لأفكار الشاعر ولم تلق الضوء على ما هية الشعر ولم تفتح الباب للبحث فى النظريات النقدية ولم توضح حقيقة الشعر، وعلى الرغم من أن شعراء الأردية كانوا يهتمون بالبساطة والصدق والحرقة والإخلاص فى الشعر إلا أن الجزء الأكبر من أشعارهم كان يخلو من هذه الخصائص(١).

وكانت المرحلة التالية للنقد الأردى متمثلة فى تراجم شعراء الأردية التى تحتوى على كثير من الأراء المفيدة وبعض التعليقات النقدية القيمة فيما يتعلق بفن الشعر ولغته ونلمس فيها بعض الإحساس بالجانب المفيد للشعر - وخاصة عندما بدأت الصحف والمجلات فى الصدور فى مختلف أنحاء الهند - فمثلاً نجد فى تذكرة « شميم سخن » عام ١٨٧٢م لعبد الحى صفا بدايونى بحثاً فى أصول الشعر وقواعده وتاثيره والجانب الأخلاقى المفيد فيه وهكذا فقد كتب كثير من شعراء الأردية تراجم للشعراء ولكن هذه التذاكر(*) كتبت فقط لملء الفراغ فى هذا الفن وكتحصيل حاصل وكان كل مؤلف يكتب هذه التذاكر طبقاً لما يمليه عليه ذوقه الخاص، وعلى الرغم من ذلك فهناك فى الأردية تذاكر قيمة تحظى باحترام النقاد حتى اليوم ومنها تذكرة « نكات الشعراء » لمير وقد نالت أهمية عظمى لأنه بين فيها أقسام الشعر فى لغة « الريخته » ولم يطعن أو يلعن فى الشعراء ولم يستغرق فقط فى التحسين والتقبيح بل أبدى آراءه الصائبة فى بعض الأماكن، ويقول كليم الدين أن(٢): « البصيرة النقدية النافذة عند مير تتفوق كثيراً على آزاد فلم يكن مير يكتب أى رأى إلا بعد التفكير فيه، ولكنه كان يكتب رأيه باختصار شديد ولذلك فآراؤه محدودة فى بعض الأماكن فمثلاً آراؤه بالنسبة لدرد وسودا لا يوجد بينهما أى فرق جوهرى ظاهر سوى أن « سودا على رأس شعراء الهند وهو شاعر مجيد »، ودرد « كالعندليب الذى يصدح فى الرياض » فلا يمكن بهذه الجمل الوصفية أن تتضح شاعرية الشاعر ولا أن نعرف ذوقه الشعرى لكن مع هذا تتجلى البصيرة النقدية النافذة فى آراء تذكرة « نكات الشعراء » بوضوح على الرغم من جميع التذاكر الأخرى ليس لها أهمية كبيرة من الناحية النقدية بداية من « مخزن النكات » و« مجموعة نغزدى تاسى »

(١) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(*) المقصود هنا بكتب « التذاكر » كتب تراجم الشعراء التى تتناول حياتهم إلى جانب الاهتمام باشعارهم.

(٢) كليم الدين احمد : اردو تنقيد برايك نظر: ص ٤٢.

و« طبقات الشعراء » لكريم الدين حتى گلشن بے خار لشيفته .

وكل ما كان يميز هذه التذاكر هو كتابة حياة الشعراء ومختارات من أشعارهم مع إبداء الرأى النقدى الموجز عليها وكان هذا الإطار النقدى ناقصاً تماماً فقد كتبت كتب التذاكر هذه تقليداً لأهل إيران فى كتابه التراجم وليس من أجل إظهار الشعور النقدى وعلى حد قول كليم الدين أحمد أن أعظم رأى فى كتب التذاكر هو أن الشاعر « بسيار خوشگواست » أى شاعر مفلق .

ويرى كليم الدين أحمد أن القول بوجود النقد الأردى هو مجرد افتراض، وبذلك ظلم كثيراً من كتب التذاكر الأردية القديمة التى تحتوى فى معظمها على كثير من الإشارات النقدية اللطيفة والأحكام الدقيقة الصائبة، وصحيح أن الأدب الأردى قد استفاد استفادة عظيمة من ذخائر التراث العربية والفارسية، كما قلد كتاب التذاكر فى الأردية طريقة النقد العربى والفارسى، ولكن لأنهم لم يتعلموا اللغة العربية جيداً وكانت معلوماتهم عن الأدب الأردى ناقصة وضعيفة، فإن ما كتب فى كتب التذاكر الأردية يعتبر فى حكم الرموز الغامضة بالنسبة لكثير من النقاد فى العصر الحاضر(١) .

وترجع هذه الرموز والمصطلحات الموجودة فى كتب التراجم القديمة إلى أسلوب تنميق العبارات، لكن بعد الإلمام بعلوم البيان والمعانى والبديع سوف يتضح كم كان يتمتع كتاب هذه التذاكر بوجهة نظر عميقة وغزارة فى المعلومات وبأحكام صحيحة صائبة عدا بعض المواضع، وصحيح أن كتاب تذاكر الشعراء فى الأردية كانوا يفرضون على القراء أن يلموا بمبادىء علوم البيان والمعانى والبديع، ولذلك يسىء المثقف الظن بتلك التذاكر القديمة وترسخ فى ذهنه هذه الفكرة وهى أن النقد مفقود تماماً فى تلك التذاكر .

وتشتمل هذه التذاكر على الأحكام العامة مثل : فلان فارس المعانى وفلان ملك الألفاظ وهذا يرجع صدفة إلى أن النثر الفارسى الذى انتشر وراج فى الهند وعرف بالأسلوب الهندى، كان مبنياً فى أغلبه على المحسنات والتكلف والمبالغة، ولذلك مالت كتب التذاكر التى كتبت بالفارسية إلى تنميق العبارات والسجع والذى اختاره الكتاب المشهورون فى العصر القاجارى وازدهر على أكمل وجه فى العصر المغولى، وقد قلد

---

(١) سيد عابد على عابد : اصول انتقاد ادبيات، ص ٢٣٧، ٢٣٨ .

كتاب التذاكر الأردية الأسلوب الفارسى، ولذلك كان الإطلاع على الكتب الفارسية والعربية التى يوجد بها قواعد النقد وأصوله بالتفصيل فرضاً على كتاب التذاكر الأردية القديمة بخصوص نقد الأدب بصفة عامة وموضوع نقد الإبداع الشعرى بصفة خاصة وكان هذا يستلزم من القراء العلم بجميع المصطلحات المتعلقة بعلوم البديع والبيان والمعانى، كما يجب والتى بالتغاضى عنها يعتبر قراءة التذاكر عمل غير مفيد.

ولقد حدد كتاب التذاكر مكانة كل شاعر وأهميته وأقروا مقاييس محددة لشعر فحول الشعراء، وكان أكثرهم يكتبون أن الشاعر فلان يوجد فيه طبع شعر سوداً أو طريقة شعر مير ومن المفترض أن لدى القارىء علماً بنوعية فن مير وسوداً وعندما نعلم أن الشاعر فلاناً منسوب إلى مدرسة مير فسوف يتسنى لنا حين ذلك نقد شعره والبحث فى خصائص هذه المدرسة الشعرية التى ينسب إليها هذا الشاعر أو الذى تأثر بها، وقد قام كتاب التذاكر بعمل مفيد عندما اختاروا الأشعار التى يبدو منها بعد إمعان النظر فيها أنها فى الأصل جزء من النقد فإذا انتخب كتاب التذاكر أشعاراً جيدة فإن أذواق القراء ستصبح سليمة بقراءتها، ويبدو أنه مادام الذوق السليم مفقوداً فإن الجهود النقدية لا تستمر بل تكون ضارة للقراء.

وبقراءتنا لكتب التذاكر الأردية القديمة مثل[1]:

١ – چمنستان شعرا: تأليف لكشمى نرائن اورنگ آبادى (بالفارسية).

٢ – گل عجائب (يعنى تذكرة شاعران): تأليف أسد على خان تمنا اورنگ آبادى عام ١٩٩٢ هـ (بالفارسية).

٣ – گلشن هند: تأليف مرزا على لطف سنة ١٨٠١م (بالأردية).

٤ – مجموعة نغز: تأليف مير قدرت الله قاسم وانتهى من تأليفها عام ١٢٢١ هـ (بالفارسية).

٥ – گلستان بے خزان: والمعروفة باسم «نغمه عندليب» تأليف سيد قطب الدين باطن عام ١٢٦١ هـ.

٦ – تذكرة «نصر الدين آزرده» المتوفى عام ١٢٨٥ هـ.

---

(١) سيد عابد على عابد: اصول انتقاد ادبيات، ص ٢٤٠، ٢٤١.

نرى أن هذه التذاكر القديمة تتميز بسمات مشتركة فى أحكامها النقدية وطريقة اختيارها للمختارات الشعرية بل ونفس العبارات والألفاظ النقدية :

١ – يوجد فى كتب التذاكر القديمة نقد وإشارات نقدية .

٢ – ربما لن يحصل القارئ على فوائد عظيمة من قراءة التذاكر بدون أن يلم بعلوم القافية والعروض والبديع والبيان سواء كان ذلك فى النقد أو فى الأحكام النقدية .

٣ – أن الكلمات التى يعتقد أنها مجرد بارات منمقة هى فى أكثرها عبارات من الرموز والمصطلحات .

٤ – لقد تحددت منزلة الإبداع الفنى لشعراء الأردية حينما راعى كتاب التذاكر مدرسة الشعر الفارسى .

٥ – أقرب التذاكر مقاييس للنقد ومعايير لشعر فحول الشعراء فى الأردية وهذا الأمر معروف ومسلم به وله أهمية أساسية فى النقد الأردى .

وبذلك يكون لنقد هذه التذاكر أهمية كبرى فى تطور النقد الأردى، فقد ركزت كتب التذاكر الأردية على أمور مشتركة هى : انتخاب أبيات شعرية من أفضل أشعار الشاعر طبقًا للذوق الشخصى لمؤلف التذكرة، وتحديد مرتبة الإبداع الشعرى ومنزلته وتبسيط الصعاب من أجل شرح الشعر والبحث عن مدارس الشعراء التى ينتمون إليها بعد توافر عدد من الشروط المعينة على شعرهم يجعلهم ينتسبون إلى هذه المدرسة أو تلك . ولا شك أن إطلاعنا على وقائع حياة الشعراء يساعدنا فى فهم إبداعاتهم الشعرية بالإضافة إلى هذه الوقائع تكون فى بعض الأوقات بمثابة تمهيد الطريق أمام النقد الصحيح، غير أن كتاب التذاكر يتفاوتون فى اهتمامهم بحياة الشعراء لأن فى اعتقادهم أن النقد اصحيح كان ممكنا بدون تناول حياة الشعراء وهذا محل خلاف بين وجهتى النظر القديمة والحديثة لأن كتاب التذاكر لم يعتبروا ذلك ضمن تخصصهم بحيث يكتبون هذه الوقائع بالتفصيل لأن كتابه التذاكر ليست كتبا للسيرة الذاتية أو التراجم وعندما نراعى هذا الأمر فإن كثيراً من الاعتراضات والنقد على طريقة تأليف التذاكر سوف يزول تلقائيًا .

والوجه الثالث للنقد الأردى يوجد فى كتب التذاكر التاريخية التى تطورت عن كتب التذاكر فقد كانت كتابة التاريخ الأدبى آخر مرحلة من كتابة التذاكر وقد نشر

محمد حسين آزاد كتابه (آب حيات) عام ١٨٨٠ م وهذا الكتاب يعد آخر صورة من صور التذاكر وعلى الرغم من أن كتاب «آب حيات» نال أهمية نقدية خاصة فى القرن العشرين إلا أننا يجب ألا ننخدع به لانه لم يكن كتابا نقديا بالمعنى الحديث بل يمكن تصنيفه فى عداد كتب تواريخ الادب، وقد كان آزاد يتميز بالإحساس الذاتى اللطيف والجاد بحيث أن بعض آرائه النقدية قد حازت أهمية خاصة فهو يذكر القصص والحكايات على غرار كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى بعد أن ينقد كل حكاية أو قصة بأسلوب بديع رائع. ولم يكن آزاد أول من حدد طبقات الشعراء بل أن ميرتقى مير وقائم ومير حسن قد قاموا قبله بتحديد هذه الطبقات، لكننا نسلم بأن آزاد كان أول شخص أجرى دماء الحياة فى عروق كتب التذاكر التى كانت بلا روح وحتى الآن فقد كتب شعراء الأردية العديد من كتب التذاكر الأردية والفارسية إلا أنها تفتقد إلى وجهه نظر الشعور بالفن والذى كان مع بداية تأليف هذه التذاكر وقد بدأت الفترة التاريخية فى النقد الأردى بمحاولات آزاد وبجهوده ولذلك يشعر القارئ بالناحية التاريخية بعد قراءته لوقائع حياة الشعراء ومختارات من شعرهم مع تناوله لشخصية الشاعر وبيئته وأهم الأحداث فى عصره[1].

ويعتبر كتاب (آب حيات) إضافة جديدة فى كتابة التراجم وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة لأسلوبه الشيق الممتع ولسحر ألفاظه، وقد سحر الناس بسبب طابعه القصصى. وبدأ أكثر المثقين يعتبرون بعض الأحكام المتعصبة فى (آب حيات) صحيحة أيضًا وكان ما كتبه آزاد فيما يتعلق بغالب وذوق قد وصل صداه إلى الكليات والمجلس الأدبية، واستمر هذا الاعتقاد بتفوق ذوق أستاذ آزاد على غالب وقد كان كتاب (آب حيات) بمثابة حل لطلاسم الأدب الأردى بعد أن فتح أبواب الأسرار والرموز التى فيها.

ثم جاءت تذكرة (گل دعنا) التى كان الهدف الأصلى من تأليفها كشف الأخطاء والعيوب التاريخية فى تذكرة (آب حيات). أما (خمخانه جاويد) فقد ألفت لشرح الأسلوب القديم ويقل فيها النقد وقد قام مؤلفها بالتعريف بكثير من الشعراء المغمورين[2].

على أن بداية النقد بالمعنى الحقيقى فى الأردية بدأ مع حالى وقد اعترف النقاد أن النقد الأردى بدأ وانتهى «بمقدمه شعر وشاعرى» فقد بدأ حالى بنقد الشعر الأردى

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) سيد عابد على عابد: اصول انتقاد أدبيات. ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

القديم وكان يقصد بذلك تحطيم دائرته المحدودة وبذلك ظهر الشعور النقدى الواعى لدى حالى وهو أفضل مميزاته، وقد تعرض حالى للأسس النقدية الأولية وسلم بأن هناك خطأ فى فهم ماهية الشعر وأن ثمة علاقة بين الشعر والأخلاق وقام ببحث فى فنون الشعر الأردى كما أن النموذج الذى قدمه للعملية الإبداعية ليس له نظير فى الأردية وأن عمق التفكير والشعور النقدى يتجلى فى كل موضع من «مقدمة شعر وشاعرى».

النقد الأردى قبل حالى:

كانت الأفكار النقدية الجديدة قد ظهرت قبل حالى فى «مقالات گارسان دى تاسى» و«مجلة تهذيب الأخلاق» التى أصدرها السير سيد بعد عودته من لندن وكذلك الصحف والمجلات الأخرى، كما أن حالى نفسه كان قد أظهر استياءه وتبرمه من طريقه الشعر القديم فى مسدسه ولكنها كانت أفكارا نقدية وتعليقات مبعثرة تحتاج إلى بناء كامل متماسك وقد استفاد حالى من هذه الآراء النقدية ورتب منها قواعد منظمة للنقد الاردى، وبذلك مهد حالى الطريق للتوفيق بين الميول والنزعات الجديدة فى الشعر الأردى وأسس قواعد هذا الفن بعد أن مزج بين الأفكار والنظريات الجديدة وحاول إيجاد نوع من التوافق بينهما(١).

وقد كانت بداية الشعر الجديد قد ظهرت على يد محمد حسين آزاد الذى كان من أوائل المتأثرين بالثقافة الإنجليزية، ولذا أقام ندوات شعرية جديدة فى جمعية الپنجاب «انجمن بنجاب» وكان الشعراء ينظمون الشعر فيها فى الموضوعات بدلاً من اختيار مصرع من بيت شعر ينظم الشعراء حوله قصائدهم كما كان يحدث فى الندوات الشعرية القديمة، وكان من مآثر هذه الندوات مجموعة من المثنويات الرائعة من حيث البيان واللغة والتراكيب والصفاء والبساطة والسلاسة مثل مثنوى «آفتاب» و«خواب امن» لمحمد حسين آزاد ومثنوى: «نشاط اميد» و«حب وطن» و«تعصب وانصاف» و«بركهارُت» فكانت هذه الندوات الشعرية الجديدة بداية لظهور حركة إصلاح واسعة فى الشعر الاردى بتأثير من الشعر الإنجليزى والثقافة الغربية وقد اعترف حالى بنفسه برياده آزاد للشعر الجديد إلا أن طبيعة آزاد لم تكن ملائمة لإصلاح الشعر ولم يستطع أن يكمل محاولاته لإصلاح الشعر الاردى إلى النهاية فنال حالى شرف الزعامة والريادة للشعر الجديد ومن ثم تصنيفه للكتاب النقدى الاول فى الشعر الأردى والذى كان المرجع الأول فى النقد الأردى لمن جاء بعده.

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

مقدمة شعر وشاعرى

تعتبر «مقدمة شعر وشاعرى» لـ ألطاف حسين حالى أول كتاب منهجى فى النقد الأردى، وقد بحث فيه - لأول مرة فى الأدب الأردى - عن ماهيه الشعر وطرح العديد من التساؤلات الحيوية الملحة ووضع لها الإجابات المناسبة وبين فيه أهداف الشعر ومدى تأثيره على الجمهور وذكر النظريات والأفكار النقدية بوضوح تام وأرسى بذلك قواعد ثابتة للنقد فى الشعر الأردى.

وكانت فكرة إصلاح الشعر الأردى تدور فى ذهن حالى وخاصة فى ظل الإصلاحات التى كان يموج بها المجتمع الهندى فى عصره ولذلك كان يبدى هذه الرغبات فى إظهار أفكاره من وقت لآخر فى مؤلفاته التى تتعلق بالشعر مثل «مسدس حالى» و«حيات سعدى» و«يادگار غالب» وقد قام فى خاتمة كتابه «حيات سعدى» ببحث مفصل عن كيفية إصلاح الشعر ثم اتخذت آراء حالى المتفرقة هنا وهناك طريقة منظمة ومرتبة عندما طبعت فى صورة «مقدمه شعر وشاعرى».

وقد اعترف حالى يتبرمه بطريقه الشعر القديم واتجاهه ناحية الأفكار الغربية التى كانت حركة على گرﮍھ تدعو إلى التمسك بأهدابها فالف محمد حسين آزاد كتابه «آب حيات» وكتب نذير أحمد العديد من قصصه المعروفة «توبة نصوح» و«مرآه عروس» و«بنات نعش» وكان من نتيجة هذه الحركة الفكرية التى تدعو إلى إصلاح الادب بعامة والشعر بخاصة أن عقد حالى العزم على ترتيب «مقدمة شعر وشاعرى» للبحث فى ماهية الشعر وتأثيره على المجتمع والأخلاق القومية وحاول فيها إصلاح فنون الشعر الأردى: الغزل والقصيدة والمرثية والمثنوى وكان هدف حالى من تأليف المقدمة - كما كشف عن ذلك فى أحد خطاباته فيقول: (أريد أن أكتب موضوعا طويلا ومفصلا فى شعر المسلمين وأبين فيه حقيقه الشعر من العصر الجاهلى حتى اليوم وأبحث فى شعر اللغات الثلاثة: العربية والفارسية والأردية والهدف من ذلك هو إصلاح الشعر الأردى الذى وصل إلى مرحلة متردية من الركاكة والضعف ولبيان أن الشعر المبنى على أصول ثابتة قوية يمكن أن يفيد المجتمع»[1].

---

(١) خطاب باسم خواجه تصديق حسين بتاريخ ٣ فبراير ١٨٩٤ (مكتوبات حالى) جلد دوم.

ونعرف من «مكتوبات حالى» أنه ظل مشغولا فى ترتيب المقدمة من حين لآخر فكان يريد رؤية مجلة «نحله» التى كانت تصدر باللغة العربية فى لندن وأنه قد بحث طويلا عن كتاب «المزهر» لجلال الدين السيوطى وسافر إلى على گرطـ هـ و«ناهن» لهذا الغرض.

وقد استعان حالى على تحقيق هذا الهدف بالمراجع العربية فى الشعر والنقد مثل «المزهر» للسيوطى ومقدمة ابن خلدون والعمدة لابن رشيق والموشح للمرزبانى والعقد الفريد لابن عبد ربه والحماسه لأبى تمام ورجع إلى هذه الكتب واستشهد بها فى كثير من قضايا الشعر والنقد.

كما استعان أيضاً بالنظريات والأفكار الإنجليزية ويوجد تأثر واضح فى المقدمة بأفكار: ميلتون ومل وشيكسبير وميكالى وغيرهم على الرغم من أن حالى لم يقرأ أى كتاب مستقل أو باللغة الإنجليزية مباشرة فيما يتعلق بنظريات الأدب الغربى فقد كانت استفادته من النقد الإنجليزى قاصرة على الكتب الإنجليزية والمترجمة والمقالات التى تناولت هذه النظريات فى مجلة «بنجابى اخبار» وعلى گرطـ هـ اخبار «ومجله معهد على گرطـ هـ» «وتهذيب الأخلاق» وكان قد انقضى من عمر حالى آنذاك ستة وستون عاما ونضجت أفكاره، لذلك بدأ فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى» فى مايو أو يونية عام ١٨٩٢ م وانتهى من كتابتها فى سبتمبر ١٨٩٣ م فى على گرطـ هـ[١] وتقع هذه المقدمة فى مائتى صفحة وطبعت فى مطبعة نامى بريس بدهلى عام ١٨٩٣ م وطبع معها ديوان حالى ووضع لهما عنوان مشترك هو «مقدمة مع ديوان حالى» ثم نشرت المقدمة منفصلة عن الديوان فيما بعد باسم «مقدمة شعر وشاعرى» وكان الذى كتبه حالى فى المقدمة بالمقارنة بظروف البيئة وأوضاعها يعد طفرة جديدة فى تذوق النقد فى عصره وأعظم من أى كتاب آخر فى النقد الاردى.

وقد ارتفعت صيحات الاستحسان وغوغاء المعارضة من كل صوب وحدب واحتدم النقاش والمعارضة فى مدرسة لكناؤ لأن هذه المقدمة جاءت بطريقة جديدة فى فن النقد وأصبحت كل أشعار الشعراء عديمة النفع فى هذا الوقت بسبب هذه الآراء النقدية فقد كان النقد قبل حالى يهتم بالعروض والقافية والرديف، والالفاظ والتراكيب والصنعة اللفظية واستعمال التعبيرات الادبية الشائعة لإثبات تفوق الشاعر وأساتذة الشعر

---

(١) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا: ص ١٤٤ — ١٤٥.

ويهتمون أيضاً بالتذكير والتأنيث الذى كان يعتبر من معضلات نقد الشعر فى ذلك الوقت.

وقام حالى بعد أن ترك هذه الطريقة التقليدية القديمة فى النقد ببحث فى قواعد الشعر الأساسية وتساءل عن الهدف الأصلى من الشعر وأين يقع منه فن الشعر الأردى؟(١).

وكتب عابد حسين يقول: «إن هذه المقدمة مرآة لجده الخيال وسعة الأفق وحسن الذوق لأن أى شخص ينتقد الشعر وهو ليس بشاعر يقع فى أخطاء كثيرة نتيجة الظن والحدس والتخمين والقياس ولأن حالى شاعر فقد تناول مسائل الشعر الجوهرية جنبًا إلى جنب مع دقائق هذا الفن وتعرض لروح الشعر». وقد اعترض حالى على مدرسة لكناؤ الشعرية لجعلها الشعر والغزل بصفة خاصة محصورين فى رقة الخيال والمحسنات اللفظية. والحقيقة أن الذين اعترضوا على حالى لم يثبتوا بُعد النظر وسعة الأفق فى كتبهم التى قدموها على الرغم من وسائل المعلومات المختلفة والمتاحة فى عصرهم وعلى كثرة ما استفادته بالنقد الغربى عن طريق الكتب المترجمة للأردية.

وقام حالى ببحث فى الغاية المثالية للشعر وقام ببيان ماهية الشعر مع أمثله واضحة ومفصلة لآراء النقاد والشعراء الشرقين والغربيين واحتوت على كم هائل من المعلومات ولهذا السبب تعد أول كتاب فى فن النقد الأردى ومن أعظم مزايا هذه المقدمة أن مؤلفها كان لا يعرف اللغة الإنجليزية وقام بفتح الباب على مصراعية للأفكار النقدية الحديثة ونظرية الخيال إلى جانب مطالعته لطريقة الشعراء القدامى، لكن للأسف فقد طبعت مقدمات كثيرة بلا فائدة فى دواوين عديدة فى عصرنا الحالى تقليداً لهذه المقدمة وكان مرجعها فى الحقيقة «مقدمة شعر وشاعرى ولم تأت بجديد فى النقد الأردى»(٢).

---

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالى: ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٣٦٥ - ٤٥٥.

الأصول الأردية فى مقدمة شعر وشاعرى

رجع حالى فى مقدمة شعر وشاعرى إلى كثير من كتب التذاكر والتراجم الأردية ودواوين شعراء الأردية وإلى ذخائر التراث الشعرى الأردى إلى جانب المقالات المختلفة التى كانت تنشر من حين لآخر فى مجلة « تهذيب الاخلاق » و« معهد على گرطھ » فيما يتعلق بنقد الشعر الأردى، **وقد استفاد حالى من هذه الأصول الأردية فى تأليف المقدمة ولكنه لم يصرح إلابثلاثة مراجع فقط وهى على التوالى :**

١ - تذكرة « نصير الدين آزرده » ت ١٢٨٥ م :

وهى فى تراجم شعراء الأردية وكتبت باللغة الفارسية ونقل حالى من « تذكرة آزرده » خبراً يتعلق بأستاذية ميرتقى فى الشعر وبراعته فى أداء الأساليب المبتذلة بأسلوب رائع بديع لا يضارعه فيه أى شاعر آخر. فيقول : « كتب آزرده الدهلوى فى تذكرته عن مير الذى يعتبره الناس أستاذاً عظيما فى الشعر الأردى بأن « أشعاره السامية غاية فى السمو وأشعاره المبتذلة غاية فى الابتذال ». لانه قد جاء بأشعار بنفس الأسلوب والأفكار العادية التى استمر فى استعمالها الشعراء منذ قرون عديدة ومع هذا فقد استعملت أكثر هذه الأفكار التى بلغت أعلى درجات البساطة والصفات - بأسلوب بديع فريد لا نجد له مثيلا. وتوضيحا لهذا الأمر تقدم لكم هذه الواقعة فقد اجتمع ذات يوم فى مجلس آزرده عدة أصدقاء وكان من بينهم مؤمن وشيفته فأنشد هذا البيت من قصيدة مير الغزلية التى استعمل فيها :

(خاک مين - چاک مين - هلاک مين) كقافية ورديف :

* ابکے جنون مين فاصلة شايدنه کچھ رهے .. دامن کے چاک اور گريبان کے چاک ميں[1].

ولاقى هذا البيت مدحًا كثيرا وأراد الجميع أن ينظم كل شخص فى هذه القافية والرديف طبقا لفكرة واسلوبه وأخذ الجميع القلم والمحبره والورق وجلسوا على انفراد وبدأوا يفكرون وفى ذلك الوقت قدم صديق آخر وسأل آزرده : فيما تفكر؟ فقال مولانا

---

(١) الترجمة : ربما لم يبق فى الجنون هذه المرة، اى فرق بين الجيب المشقوق والذيل الممزق.

آزرده: أريد أن اكتب جواب «قل هو الله»(١).

أى أن إعجاز بيت مير وبلاغته وصلت إلى أعلى درجة بحيث لا يمكن لأى شاعر أن يأتى بمثله مثلما لا يستطيع أن يجيب أحد على كلمة «قل هو الله».

ويعلق حالى على هذه القصة بقوله: «الحقيقة أن تمزيق الذيل أو الجيب أو كليهما فى ثورة الجنون هو معنى مبتذل وموضوع ردئ للغاية وقد استعمله الناس باستمرار من قديم الزمن ولكن مير استطاع أن يؤدى هذا المعنى المبتذل فى أسلوب جذاب، بديع وطريف برغم بساطته الشديدة ولا يمكن تصوره فى أسلوب أفضل من هذا وأن أجمل ما فى هذا الأسلوب أنه فريد بالرغم من بساطته وطبيعيته»(٢).

٢ - «آب حيات» لمحمد حسين آزاد (ت ١٩١٣م):

وهو كتاب فى تاريخ الأدب الأردى وطبقات شعراء الأردية وألفه محمد حسين آزاد عام ١٨٨٠م وهو مرحلة متقدمة عن كتب التذاكر وقد نال «آب حيات» شهرة عريضة فى الأدب الأردى لجمال أسلوبه وسحر ألفاظه التى سحرت الناس بأسلوبه القصصى الممتع على غرار كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

وقد رجع إليه حالى ونقل عنه هذه الحكاية(٣) التى دلل بها على وقوع الشاعر فريسة لعاداته التى تجبره على نظم قصائد التهنئة فى الأعياد والمناسبات أو نظم الغزليات فى المجالس الشعرية وتكون له بمثابة عرقلة لسير حريته، وهذا ما حدث بالفعل للشاعر إن شاء الله خان «فعندما كان إنشاء الله خان يشعر بالحرية الكاملة فى بلاط سعادت على خان فكان يأتى بالطرائف والفكاهات والنوادر والنكات الغريبة ولكن عندما ألزمه سعادت على خان بأن يروى له كل يوم حديثين لم يروهما أحد فكان إنشاء الله خان يدور حول الأطفال كالمجانين ويسألهم أن أخبرونى بشىء جديد؟ حتى أصبح فى نهاية الأمر مجنونا»(٤).

٣ - كتاب حالى «حيات سعدى»:

وهذا الكتاب الفه حالى عن حياة الشيخ سعدى الشيرازى وتناول فيه حياته وشعره

---

(١) انظر: تذكرة آزرده: نصر الدين آزرده ص: ٤٣.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧١.

(٣) محمد حسين آزاد: آب حيات: ص ٢٤٠ - ٢٤١ وما بعدها.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٩٩.

بالتفصيل ونشره عام ١٨٨٦م وقام ببحث مفصل عن الشعر والغزل بصفة عامة وشعر سعدى وغزلياته بصفة خاصة فقد كان حالى أشد المعجبين بسعدى شاعر الفضيلة والأخلاق وينعكس هذا الإعجاب فى مواضع كثيرة من «المقدمة» حيث تأثر بالجانب الأخلاقى عنده وحاول أن يؤصل النقد الأردى على أساس أخلاقى ولذا نراه يستشهد بأشعاره العديدة فى مقدمة شعر وشاعرى».

وقد أشار حالى إلى كتابه هذا فى موضعين من المقدمة: الموضع الأول عندما تحدث حالى عن إصلاح الغزل الأردى وذكر بداية نشأة الغزل فقال: «إن الذين قاموا بصقل الغزل وجعله مقبولاً بين الناس عامتهم وخاصتهم هم أهل الله والصوفية أو الذين يعدون من العارفين بغناء ألحان العشق الإلهى مثل: سعدى والرومى وخسرو وحافظ...... وغيرهم فلم نجد اهتمام الناس بالغزل كثيراً قبل هؤلاء العظماء، وقد وضحت ذلك فى مكان ما[1] فى كتاب «حيات سعدى» وهو أنه - أى سعدى - لم يكن موضوع غزله هو العشق المجازى كما يفهم من ظاهر الألفاظ بل كان يوضح الحقيقة فى حجاب المجاز»[2].

والموضوع الثانى الذى أشاد فيه حالى إلى كتابه «حيات سعدى» كان فى معرض حديثه عن إصلاح الغزل أيضا فذكر أن «موضوعات الحب التى تستعمل فى الغزل يجب أن تكون فى صورة الكلمات الجامعة التى تحتوى على جميع أنواع المحبة والصداقة وجميع الروابط الروحية والجسدية وألا يتخللها بقدر الإمكان أى كلمة يقصد بها المرأة أو الرجل صراحة وقد ذكرنا هذا بالتفصيل فى خاتمة كتاب «حيات سعدى»[3].

وإلى جانب هذا فقد غب حالى من فيض التراث النقدى العربى والفارسى وكانا يعتبران فى ذلك الوقت جزءا لا يتجزأ من التراث النقدى الأردى.

---

(١) انظر: خاتمة كتاب «حيات سعدى».

(٢) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص ١٠٢.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ١٠٥.

٢ - أصول من التراث النقدي الفارسي

كانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للامبراطورية المغولية في شبه القارة الهندية ولغة البلاط التي يكتب بها الرسائل والدواوين وينظم الشعراء بها شعر المدح للأمراء المغول وقد اشتهرت اللغة الفارسية كلغة ثقافية بين طبقات المثقفين وكان لا غني للفرد عن تعلمها إذا أراد الالتحاق بوظائف الدولة، وكان حالي كغالب أهل عصره يتقن اللغة الفارسية ويجيد النظم بها وقد كانت هذه اللغة مسيطرة في ذلك الوقت علي المحافل الثقافية كلغة أدب ولذلك كان من الضروري أن يرجع إلي كتب النقد واللغة والأدب الفارسي ويستشهد بفحول شعرائها في القضايا المختلفة التي طرحها في كتابه «مقدمة شعر وشاعري» لذلك نراه يقتبس الكثير من فيض هذه اللغة التي يتردد أشعارها علي كل لسان وخاصة المثقفين، وقد ازدهرت الفارسية في الهند حتي أصبح لها أسلوب خاص يسمي بـ«سبك هندي» أي الأسلوب الهندي كما لجأ إليها كثير من شعراء إيران مثل عرفي ونظيري وغيرهم.

ولذلك كان من الطبيعي أن يرجع حالي إلي التراث النقدي الفارسي الضخم ويستفيد منه كثيرا وخاصة أن التراث النقدي الأردي كان قليلا ولا يقارن بالتراث الفارسي فضلا عن أنه لم يكتب فيه أي كتاب منهجي في النقد فرجع حالي – علي الأرجح – إلي الكتب النقدية الفارسية التي تبحث في الأصول والقواعد المختصرة لفن الشعر مثل:

جهار مقاله ومعيار الاشعار وحدايق البلاغة وعروض سيفي ورسالة جامي وغيرها إلا أنه لم يصرح في المقدمة إلا باسم كتابين فارسيين فقط وهما:

١ - «تذكرة» ميرزا محمد طاهر نصر آبادي (ت: ١١٨٥هـ):

وهو كتاب في تراجم شعراء العصر الصفوي وقد أشار حالي إليه إشارة واحدة عندما استشهد به علي أحوال الشعر في القرن الرابع الهجري ونظرة الناس المختلفة له من ذام ومادح من خلال ندوة شعرية تجمع الصاحب بن عباد والطالقاني، وقد نقل حالي عنه هذه الحكاية: «في مساء ذات يوم كان الصاحب بن عباد والشعراء والعلماء قد اجتمعوا

كالعادة في مجلس الطالقاني ودار الحديث بينهم عن الشعر كثيرا ما يشتمل علي المدح أو الذم وكلاهما قائم علي الكذب فقال لهم أبو محمد الخازن - الذي كان عالما عظيما - في تأييد الشعر: إن من أهم مميزات الشعر هو أنه مع أننا نستفيد من كل علم وفن وليس نجاحنا بسبب أي منها، فالشعر هو ذلك الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نتقرب به إلي السلطان والوزراء، أما كثرة الكذب والمبالغة في الشعر فلا شك فيها، لكن عندما يطلي النحاس (الكذب) بطلاء الشعر فيصير لونه مثل الذهب الخالص فيتغلب جمال الشعر علي قبحه، فاستحسن الجميع هذا الرأي وهكذا انتهي النقاش بعد أن استقروا علي أن الشعر هو الوسيلة الوحيدة للتقرب من الأمراء والسلاطين ولا يغني العلم والفن عن الشعر شيئا كما أن الكذب والمبالغة فيه مقبولة.

ويخلص حالي من هذه القصة برأيه عن الشعر في القرن الرابع الهجري فيري أنه كان يعتبر أحد الأسباب القوية في التقرب من الملوك والأمراء ولذلك كان الكذب والمبالغة يدخلان في خصائصه.[1]

٢ - أساس الاقتباس: نصير الدين الطوسي (ت:٦٧٢هـ):

وهو كتاب في المنطق يضم تسعة أبواب آخرها في الشعر وقد رجع حالي إليه في موضعين هما:

١ - عندما تحدث حالي عن أهمية الوزن للشعر وذكر أن العرب كانوا يمتازون ويتفوقون في لغة الحديث بشكل عام والفصاحة والبلاغة بوجه خاص، ولذلك عندما سمعت قريش عبارات القرآن الكريم المعجزة لم تصدق أن القرآن لم يلتزم بالوزن والقافية.[2] ويعقب حالي علي هذه القضية برأي لنصير الدين الطوسي في الوزن حيث يقول إن «الوزن لم يكن شرطا أساسيا للشعر العبري والسرياني والفارسي القديم وكان العرب أول من التزموا به في شعرهم»[3] ثم يقول حالي إن الشعر يصير أكثر حدة وسحرا وأعظم تأثيرا ونفعا باستخدام الوزن.

٢ - ويستشهد حالي برأي نصير الدين الطوسي أيضا عندما يتكلم عن أهمية القافية للشعر كأهمية الوزن فيقول أن القافية ضرورية للنظم وليس للشعر وقد جاء في

---

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعري، ص ١٦,١٧.

(٢) حالي: المرجع السابق: ص ٢٧-٢٨

(٣) نصير الدين الطوسي أساس الاقتباس دانشگاه تهران. چاب دوم، ص٥٨٧

« أساس الاقتباس » أن « القافية » عند اليونانين مثل – الوزن أيضا غير ضرورية، وقد كتب « جشوني » أحد شعراء المجوس كتابا جمع فيه أشعارا غيرمقفاه[1] ويري حالي أن القافية تزيد من حسن الشعر ما لم تثن الشعراء عن أداء المعني.

وقد رجع حالي إلي كتب فارسية أخري في اللغة والنقد والأدب واستعان بها في مواضع كثيرة في المقدمة دون الإشارة إلي هذه المراجع والمصادر أو ذكر أسماء مؤلفيها ومن هذه المصادر « چهار مقاله » الذي من المرجح أن حالي قد رجع إليه ونقل عنه روايتين أحداهما للرودكي والأخري للفردوسي وكان مؤلف « چهار مقاله » نظامي عروضي السمرقندي أول من ذكرهاتين الروايتين في كتابه هذا الذي ألفه عام ٥٥٠هـ/١٥٥-١١٥٦م ويحتوي علي أربع مقالات في علم الفلك والطب والنشر والشعر، وقد نقل هاتين الروايتين كل من جاء بعده ومنهم دولتشاه السمرقندي في كتابه « تذكرة الشعراء »، والروايتان هما :-

١ – الرواية الأولي التي نقلها حالي عن « چهار مقاله » ودلل بها علي تأثير الشعر هي قصة القصيدة المشهورة التي نظمها الرودكي بناء علي رغبة القادة والوزراء ليحث بها الأمير الساماني نصر بن أحمد إلي العودة إلي موطنهم بخاري بعد أن ظلوا مقيمين في هراه قرابة أربع سنوات[2]. وقد نقل حالي القصة كما هي دون تحريف أو تعليق إلا أن هناك بعض الاختلافات في رواية الأبيات التي ذكرها حالي في المقدمة عن الأبيات التي ذكرها العروض السمرقندي وربما يرجع هذا إلي أن حالي قد نقل هذه الأبيات من « چهار مقاله » المطبوع في الهند لذا ظهرت بعض الأبيات التي ذكرهاحالي برواية مختلفة ومطلع هذه الأبيات هو :

بوي جوي موليان آيدهمي　　　ياد يار مهر بان آيدهمي[3]

ولما بلغ الرودكي البيت الأخير بلغ تأثير الأمير مداه فنزل عن التخت وأسرع غير منتعل فركب فرسه وتوجه شطر بخاري حتي حمل وراءه حذاءه فرسخين إلي بروته وهناك لبسهما ولم يعرج علي مكان حتي بخاري.

٢ – والرواية الثانية التي نقلها حالي في مقدمته عن « چهار مقاله »[4] هي قصة

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص، ١٠،٩

(٣) نظامي عروض السمرقندي، چهار مقاله: ص ٢٤-٢٨ ويحي الخشاب وعبد الوهاب عزام: الترجمة العربية لچهاز مقاله ص ٣٨-٤١

(٤) نظامي عروضي السمرقندي: چهار مقاله: ص ٣٥-٣٩ والترجمة العربية ص ٥٥-٥٩.

الفردوسي ونظمه للشاهنامة وحملها إلي وزير السلطان محمود الغزنوي الحسن الميمندي وتوسله إليه حتي قبلها ولكنه لم يحصل علي الجائزة التي ينتظرها وذلك بفعل الوشاة الذين كانوا يترصدون الزلل للوزير الميمندي فلم يكترث بها السلطان محمود، وعندما علم الفردوسي بمعارضة حسن الميمندي قال هذين البيتين:

انني امرؤ لم اكن منذ حداثتي ساعيا إلي مال أو طامعًا في جاه أبدا

فلما التجيء إلي أبواب الوزير مؤمل وأنا الذي انصرفت عن أعتاب الملك(١)

ويذكر حالي هذه القصة ليدلل بها علي أن الحكومة الفرديه المطلقة تحد من حرية الشاعر فبالإضافة إلي اتهام الوشاة للفردوسي بانه دهري تارة وشيعي تارة أخري، فلم يجن من تعب السنين في نظم الشاهنامة سوي الحرمان والفشل وذلك بسبب عدم خضوعه لتاثير البلاط وضغط المجتمع.(٢)

وقد أشار حالي إلي شاهنامه الفردوسي في موضع آخر(٣) عندما تعرض لبراعة الفردوسي في تصوير قوة بطله رستم وشجاعته بدقة حتي أن السامعين عندما يسمعون اسمه ينشأ في قلوبهم الشعور بالزهو والخيلاء تلقائيا. كما ذكرحالي قصة «رستم وسهراب» عرضا عند الحديث عن خوارق العادات الموجودة في شعر المثنوي.(٤) وقد تحدث حالي في «مقدمة شعر وشاعري» «عن قضية الفن» للمجتمع وأن الشعر تابع للمجتمع فيتغير تبعا لتغير أفكار المجتمع وميوله وعاداته وان هذا التغير غير معروف تماما بل انه يتماشي جنبا إلي جنب مع المجتمع وضرب مثلا علي ذلك بشاعر الهزل الفارسي الشهير «عبيد زاكاني» الذي تخلي عن العلم واختيار شعر الهزل والتملق طبقا لمقتضيات العصر وبرع في هذا الاتجاه.(٥)

ورجع حالي في مقدمته إلي كثير من دواوين شعراء الفرس واستعان بها في ذكر أبيات منها كشواهد شعرية لتوضيح فكرة أو نفي أخري أو لاثبات رأي أو بمقارنتها بالشعر

---

(١) من بنده كزمبادي فطرت نبوده ام.. مائل بمال هرگز طامع به جاه نيز
سوي دروزير چرا ملتفت شوم.. چون فارغم زبارگه بادشاه نيز

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ٢٠

(٣) حالي: المرجع السابق: ص١٢

(٤) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ١٦٩-١٧٠

(٥) حالي: مقدمه شعر وشاعري: ص ١٥.

العربي أو الأردى وكان حالى يرمى من وراء ذلك إلى إثبات تفوق أستاذه غالب خاصة في شعره الفارسى على شعراء إيران .

وكان سعدى الشيرازى من أكثر الشعراء الايرانيين الذى أعجب بهم حالى أيما اعجاب وكان يعتبره مثله الأعلى فى الشعر والأخلاق ولذلك كتب حالى عنه كتابا قيما بالأردية هو « حيات سعدى » استعرض فيه حياته بالتفصيل وبحث فى خصائص شعره وقد استشهد حالى بشعره فى مواضع كثيرة فى المقدمة ووصل عدد هذه الشواهد الشعرية إلى تسعة عشر بيتا كما عقد مقارنة بين ستة امثال عربية اقتبس سعدى منها فكرته فى ستة أبيات[1] وقد استشهد حالى بثلاثة عشر بيتا من شعر حافظ الشيرازى فى مواضع متعددة من المقدمة وعشرة أبيات لنظيرى وستة للفردوس وثلاثة لجلال الدين الرومى وأربعة لعرفى الشيرازى وثلاثة أبيات لناصر خسرو ولكل من فيض وصائب التبريزى ونظامى وشفائى بيت واحد ، كما ذكر حالى عددا من الأبيات الفارسية كشواهد دون ذكر شاعرها و عددها سبعة أبيات : وبذلك يبدو التأثير الفارسى فى أفكار حالى النقدية واضحا فى بلورة نظريته النقدية .

(١) حالى : المرجع السابق :ص ٢٥-١٢٦

٢ - أصول من التراث النقدى العربى

رجع حالى فى مقدمة شعر وشاعرى إلى مصادر عربية عديدة فى نقد الشعر فى الأدب واللغة والتراجم والرحلات واستعان بنصوص كثيرة منها ونقلها فى مقدمته وذلك لتكوين آداته النقدية وهو يعد لكتابة أول كتاب منهجى فى نقد الشعر الأردى وهذه الكتب هى: العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) والعمدة لابن رشيق (ت: ٤٥٨هـ) ومقدمة «ابن خلدون» (ت ٨٠٨هـ) والديوان النفيس بايوان باريس لرفاعة الطهطهاوى و«المزهر فى علوم اللغة للسيوطى» (ت: ٩١١هـ) وألف ليلة وليلة و«الفهرست» لابن النديم وديوان الحماسة لأبى تمام (ت: ٢٣١هـ) والحيوان والبيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) والشعر والشعراء لابن قتيبة والموشح للمرزبانى و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦هـ) وسيرة ابن هشام و«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجانى. وقد تأثر حالى أيضا برأى الفلاسفة المسلمين فيما يتعلق بالخيال وقوى الادراك الإنسانى وخاصة القوة المتخيلة والقوة المميزة، كما ذكر حالى فى المقدمة آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوالاً مأثورة وأمثلة شائعة.

ومن الملاحظ أن حالى لم يذكر المراجع العربية التى أخذ منها إلا نادراً وفى مواضع قليلة ولم يصرح فى مقدمته إلا بأسماء كتب خمسة فقط وهى:

١ - الديوان النفيس بايوان باريس: لرفاعة الطهطاوى وهو المعروف أيضًا بـ« تخليص الابريز فى تلخيص باريز» وهو كتاب فى أدب الرحلة سجل فيه الطهطهاوى خواطره عن رحلته إلى فرنسا للتعليم، وقد نقل حالى عنه أبياتا من قصيدتين فرنسيتين قام رفاعة الطهطاوى بترجمتها إلى العربية أثناء بعثته فى فرنسا بين عامى (١٨٢٦ - ١٨٣١م) وقد استشهد حالى بهما على تأثير الشعر على الجمهور مما أدى إلى قيام أهل فرنسا بالثورة على ملكهم شارل العاشر عام ١٨٣٠م بسبب القانون الذى سنه ضد قانون الحريات بتأثير هاتين القصيدتين هما:

١ - القصيدة الباريسية: وقد قيلت فى ثورة الفرنسيين ضد ملكهم شارل العاشر وهذه القصيدة فى بحر المتدارك وتحتوى على ستة وأربعين بيتًا وقد ذكر

حالى(١) منها هذه الأبيات فقط:

يـا أهـل فـــــــرنســــــا الـغـــــــرا	يا شــجــعـــانا بشــهــامـــتكـم
عـــشـــــتـم في الـرق وورطتـــــه	والآن خــــــذوا حـــــــريـتـكـم
مـــا أحــــسن يوم فـــخـــــاركـم	بتــــوافـــقكـم في كـلـمــــتكـم
كـــــروا كـــــرا لـلظـفـــــر بهـم	النصـــر حليف شــجــاعــتكـم(٢)

٢ - القصيدة المرسيلية: وهى نشيد المارسليز "La Marseillaise" الذى ألفه الشاعر «روجيه دى لوزال» "Rougetdeloisile" وهونشيد ثورى يدعو إل بالحرية والعدالة بالإضافة إلى كونه نشيد الثورة الفرنسية وهو فى خمسين بيتًا وقد ذكر حالى(٣) هذه الأبيات منه:

هـيـــــــا بـنـى الأوطـان هـيــــــا	فـــوقـت فـــخــــاركـم لكـم تهــيـــا
أقــيــمـــــوا الراية العظمى ســـويا	وشنوا غـــارة الهــيــــجـــا مليـــا
عـلـيكـم بـالســـــــلاح أيـا أهـالى	ونظم صــــفــــوفكـم مــــثل اللآلى
وخـــوضـــــوا في دمـــاءأولى الوبال	فـــهـم أعـــداؤكـم في كـل حـــــال
وجـــودهـم غــــداً فـــيكـم جليـــا	بنا خــوضـــوا أدمــاء أولي الوبال(٤)

وقد نقل حالى هذا المثال كما يذكر فى حاشية كتابه من «الديوان النفيس بايوان باريس» والمعروف أيضًا «بتخليص الابريز فى تلخيص باريز» غير أننى قد بحثت فى هذا الكتاب فلم أجد هاتين القصيدتين وان كنت قد عثرت على قصة هذا المثال»(٥).

٢ - العمدة لابن رشيق القيروانى :

أشار حالى إلى كتاب «العمدة» فى مقدمته أكثر من مرة، سواء كان يذكر له رأيا منفردًا أو فى مقارنة الآراء النقدية فى الشعر بينه وبين ميلتون، ولكن حالى - كما سنرى

(١) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص٧

(٢) طه وادى: ديوان رفاعه الطهطاوى، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

(٣) حالى: مقدمه شعروشاعرى: ص ٧.

(٤) طه وادى: ديوان رفاعه الطهطاوى ص ١٩٩ - ٢٠٢.

(٥) رفاعه الطهطاوى: تخليص الابريز فى تلخيص باريز ص ١٩٨ - ٢٠٠.

– لم يطلع على كتاب « العمدة » مباشرة بل قرأ عنه فى كتب أخرى وتأثر برأى ابن رشيق عن طريق غيرمباشر، فقد قمت بقراءة كتاب العمدة كاملا فلم أجد فيه أيًا من الاصول التى نسبها حالى إليه فى مقدمته، ولكننى عثرت على هذه الآراء فى « مقدمة ابن خلدون » التى افتتن بها حالى ونقلها على أنها آراء ابن رشيق، فيقول ابن خلدون التى افتتن بها حالى ونقلها على أنها آراء ابن رشيق، فيقول ابن خلدون فى مقدمته عن ابن رشيق وكتابه العمدة فى فصل عقده فى صناعة الشعر ووجه تعلمه وذلك فى معرض حديثه عن صناعة الشعر وأوقات القريض: « . . . وذكر ذلك ابن رشيق فى كتابه العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله »[1] وعلى الرغم من أن ابن خلدون قد صدر فى رأيه فى صناعة الشعر عن آراء ابن رشيق فى عمل الشعر وشحذ القريحة[2] له من حفظ أشعار كبار الشعراء حتى تتكون ملكته وتخير الأماكن التى بها ماء وأزهار واختيار الخلوة والأوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة من الطعام والشراب ونشاط الفكر، إلا أننا مع ذلك لا نستطيع نسب هذه الآراء إلى ابن رشيق لمجرد أنها جاءت بنفس المعانى عن ابن خلدون ولكن بالفاظ مختلفة ولم يذكرها ابن خلدون بالنص ولكنه قال ذكر « ذلك » ابن رشيق أى أنه ذكر هذا الموضوع أيضا، ولكن حالى فهم أن اسم الإشارة « ذلك » يعود على نسب الفقرة السابقة لابن رشيق ولذا وقع حالى فى هذا الخطأ عندمانسب هذه النصوص الثلاثة لابن رشيق وفيما يلى مقارنة بين هذه النصوص الثلاثة التى ذكرها حالى فى مقدمته وما ذكره ابن خلدون.

١ – **النص الأول**: يقول ابن خلدون فى مقدمته فيما يتعلق بهذا الباب:

« وليراجع الشاعرشعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك إذا لم يبلغ الإجاده، فإن الإنسان مفتون بشعره إذ هو بنات فكره واختراع قريحته . . فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة »[3].

وقد ترجم حالى هذا النص فى مقدمة شعر وشاعرى وهو رأى ابن خلدون ولكن حالى نسبه خطأ لابن رشيق فيقول:

---

(١) مقدمة ابن خلدون: جـ٣ ، ص ١٣٠٧ . طبعة دار نهضة مصر.

(٢) ابن رشيق: العمدة: ١/٢٠٤ – ٢١٥ .

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٣ ، ص ١٣٠٧ .

«جب شعر سرانجام هو جاے تواسپر باربار نظرڈالنی جاے اورجهاں تک هو سکے اسمیں خوب تنقیح وتهذیب کرنی چاے پهربهی اگر شعر میں جودت اور خوبی پیدانه هوتواسکود ور کرنے میں پس وپیش نه کرنا چاے جیساکه اکثر شعراکیا کرتے انسان اپنے کلام پراسلے که وه اسکی مجازی اولاد هوتی هے مفتون اورفریفته هوتا هے پس اگرا سکے دور کرنے میں مضائقه کیا جائیگا توایک بُرے شعر کے سبب سارا کلام درجة بلاغت سے گرجائے گا»(١).

٢ – **النص الثاني**: يقول ابن خلدون في مقدمته:

اعلم أن لعمل الشعر واحكام صناعته شروطًا أولا: «الحفظ من جنسه حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها... ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء... فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعرا وإنما هو نظم ساقط. ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل النظم بالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ»(٢).

وترجم حالي هذا النص في مقدمته تحت عنوان «يجب حفظ أشعار فحول الشعراء» فيقول:

«شاعر کوا علے ا طبقه کے شعرا کا کلام یا دهونا چا هے تاکه وه اپنی شعر کی بنیاد اسی منوال بر رکهے. جو شخص اساتذه کے کلام سے خالی الذ هن هوگا اگروه محض طبیعت کی اپج سے کچهـ لکهـ بهی لے گاتوا سکو شعر نهین بلکه نظم ساقط ازاعتبار یا ٹکسال سے باهر کهین کے پس جب اسکا حافظه بلغا کے کلام سے بُر هو جائے اورانکی روش ذهن کی لوح برنقش هوجائے تب فکر شعر کیطرف متوجه هوناچا هے اب جسقدر مشق زیاده هوکی اسیقدر ملکه شاعری مستحکم هوگا»(٣).

ويعقب حالي على هذا الرأى بقوله ان «هذه النصيحة التي يقدمها ابن رشيق ربما تكون مناسبة للشعر العربي، لانه دار عليه زمن طويل ومر عليه اكثر من ألف عام وقد بزغ في كل طبقة وكل عهد شاعر اسمى وأفضل من الآخر واتسعت دائرة اللغة اتساعا

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعري، ص٤٣.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: ج٣، ص١٣٠٦.

(٣) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص ٤٥ – ٤٦.

كبيراً.. على عكس اللغة الأردية الوليدة»[1].

ولعل ارتباط المهارة بإعادة سبك العناصر القديمة تفرض أول قاعدة من قواعد الصنعة وهى «الحفظ» وذلك أمر طبيعى فكلما كثر المحفوظ كثرت المواد بين الشاعر ورحب المجال أمامه فى إعادة السبك وساعده كمال عقله إلى البدائع[2].

فعلى الشاعر المحدث أن يتأمل الشعر الجيد بل ويديم النظر فى الأشعار لتلصق معانيها فى فهمه وترسخ أصولها فى قلبه وتصير مواد الطبعة ويذوب لسانه بألفاظها فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار فكانت تلك النتيجة كسبيكه مفرغة من جميع الأصناف التى تخرجها المعادن»[3].

٣ – **النص الثالث**: ويقول ابن خلدون :

«ربما يقال أن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هى صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليها بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة»[4].

وهذا النص لابن خلدون أيضا ولكن حالى نسبه إلى ابن رشيق فيقول:

يقول ابن رشيق بعد ذلك أن: «بعضون كى رائے یہ ھے کہ ایک بار اساتذہ کے کلام پرتفصیلی نظر ڈال کراسکو صفحۂ خاطر سے محو کردیناچا ھے کیونکہ اسکا بعینہ ذھن میں محفوظ رہنا ویسھی ترکیبون اوراسلوبون استعمال کرنے سے ھمیشہ مانع ہوگا لیکن جب وہ کلام صفحۂ خاطر سے محو ہوجائیگا توبسبب اس رنگ کے جو کلام بلغاکی سیرکرنے سے طبیعت برخود بخود چرڑھ گیا ھے اسمیں ایک ایساملکہ پیدا ہوجائیگا کہ ویسی ہی ترکیبین اور اسلوب جیسے کہ اساتذہ کے کلام میں واقع ہوئے ہیں دوسرے لفظون مین خود بخود بغیر اس تصود کے کہ یہ ترکیب فلان ترکیب برمبنی ھے اوریہ اسلوب فلان اسلوب کاچربا ھے جیسے ضرورت برڑے گی بناتا چلاجائیگا»[5].

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٤٣.

(٢) ابن طباطبا: عيار الشعر: ص ١٠.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ص ٣٤.

(٤) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون. جـ٣ ص ١٣٠٦ – ١٣٠٧.

(٥) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٦ – ٤٧.

ويعقب حالى على رأى ابن خلدون قائلا: «هذا الرأى عندنا أكثر قبولا وجديراً بالاحترام عن الرأى الأول، فما دام الشاعر لا يمحو من ذهنه شعر الفحول فسيبقى طبعه محصوراً ومقيداً بطرقهم وأساليبهم والتى تصبح بمثابة الطبيعة الثانية بسبب كثرة قراءتها وحفظها والتى بسببها لا تظهر ملكة إبداع الأساليب والطرق الجديدة فى البيان عند الشعراء ونتيجه لهذا لا يتقدم فن الشعر قيد أنملة»(١).

ويستعرض حالى آراء النقاد فى الشعر الجيد حتى يصل إلى الرأى الأخير فى تعريف الشعر الجيد الذى يميل إليه ويسلم به فيقول: «وفى رأى أن قول ابن رشيق فى هذا الصدد هو أفضل قول، فيقول:

فإذا قيل أطمع الناس طرآ وإذا ريم أعجز المعجزينا

ويقول حالى: «الحق أن ابن رشيق قد عرف الشعر الجيد بلطافه وجمال لا يمكن تصوره فى حد الشعر أفضل من هذا وكأنه قد عرف الشعر الجيد بشعر بنفس الجودة والسمو التى يحتاج إليها الشعر»(٢).

فهذا التعريف للشعر الجيد الذى سلم به حالى ورأى أنه أفضل تعريف للشعر الجيد ونسبه لابن رشيق خطأ يؤكد صدق رأينا السابق من أن حالى لم يطلع على كتاب «العمدة» وأنه اعتمد فى ذلك على ما ذكره ابن خلدون فى المقدمة عن ابن رشيق، وقد ذكر ابن خلدون هذا البيت فى مقدمته ضمن قصيدة طويلة فى صناعة الشعر فقال: «وقد نظم الناس فى أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل فى ذلك وأظنه لابن رشيق(٣)» ثم ذكر أبياتا طويلة حتى وصل إلى هذا البيت.

بيد أننا إذا رجعنا إلى كتاب العمدة الذى أخذ عنه كل من ابن خلدون وحالى نرى أن ابن رشيق قد كتب فى باب (فى أغراض الشعر وصنوفه) أن هذا البيت لأبى العباسى الناشئ من قصيدة مطلعها:

لعن الله صنعة الشعر، ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا؟

إلى أن يصل إلى قوله:

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٧.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢.

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ١٣٠٨.

وأصح القريض ما فات في النظم وإن كان واضحا مستبينا

وإذا قيل أطمع الناس طرا وإذا ريم أعجز المعجزينا(١)

إذا فهذا البيت الأخير الذى نسبه ابن خلدون على سبيل الظن لابن رشيق قد نسبه حالى خطأ لابن رشيق وهو للعباس الناشئ وهو من شعراء بنى بويه واسمه على عبد الله ابن وصيف.

وبعد ذلك عقد حالى فى مقدمة شعر وشاعرى بابًا للمقارنة بين تعريف «العباسى الناشئ» الذى نسبه خطأ لابن رشيق وبين تعريف ميلتون للشعر الجيد وهو أن يكون الشعر «بسيطًا ومفعمًا بالاحساس والانفعال» (٢) أو بعبارة أخرى «بسيطا شعوريا مؤثرًا»(٣) على الرغم من أن هذا سرد لبعض صفات الشعر لا حد له.

فيرى حالى أن «هناك فرقًا دقيقًا فى تعريف كل من ابن رشيق وميلتون للشعر فيفهم من تعريف ابن رشيق ان الشعر الجيد مرهون على كثرة محاسن الصدف فى نهاياته أى قوافيه والتى لا دخل لإرادة الشاعر فيها وأن الشاعر لا يخبرنا بطريقة نظمة للشعر الجيد بل يعرفنا بأن اى شعر من أشعار الشاعر يمكن أن يعتبر جيداً، أما ميلتون فيتوفر فى تعريفه كلا الجانبين فمن تعريفه للشعر يعرف كلا الشرطين وهما أركان نظم الشعر الجيد ومعرفة الشعر الجيد كذلك»(٤).

ومما سبق يتضح جليًا عدم اهتمام حالى بتحرى الدقة فى نقل النصوص وكذلك عدم ذكر المصادر التى أخذ منها إلا نادراً وينسب أقوالا لغير قائليها وافتقد إلى التدقيق والتمحيص وكما مر بنا فقد ذكر ثلاثة نصوص لابن خلدون ونسبها خطأ لابن رشيق كما انطق ابن رشيق البيت الذى استحسنه فى تعريف الشعر الجيد ويبدو من هذا أن حالى كان من أشد المعجبين بابن خلدون وارائه فى صناعة الشعر ونقده وقد نقل من مقدمته كل النصوص والآراء التى ذكرها لابن رشيق.

---

(١) ابن رشيق: العمدة : ٢/١١٣ - ١١٤.

(٢) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبى ص ٢٩٧.

(٣) ماثيوارنولد: مقالات في النقد، ترجمة على جمال الدين عزت جـ١، ص٨١.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٣.

٣ – مقدمة ابن خلدون :

ذكر حالى فى مقدمة شعر وشاعرى «نصين لابن خلدون نقلهما من مقدمته، والنص الأول الذى أشار إليه حالى يتعلق بقضية اللفظ والمعنى وهو «انشا پردازى كاهنر

نظم مين ـهو يا نثرمين محض الفاظ مين هے، معانى مين هرگز نهيں معانى صرف الفاظ كے تابع ـهيں اوراصل الفاظ هے، معانى، هرشخص كے ذهن مين موجود ميں پس انكے لے كسى هنر كے اكتساب كرنے كى ضرورت نهيں هے اگرضرورت هے توصرف اسے بات كى هے كه ان معانى كوكس طرح الفاظ ميں اداكيا جاے وه كهتے پس كه الفاظ كوايسا سمجهـ جيسے پياله اور معانى كوايسا سمجهـ جيسے پانى – پانى كوچاهو سونے كے پياله ميں بهرلو اور چاهو چاند كے پياله ميں اور چاهو كانچ يا بلور يا سيب كے پياله ميں – اور چاهو مٹى كے پياله ميں پانے كى ذات ميں كچهـ فرق نهين آتامگر سونے يا چاندى وغيره كے پياله مين اسكى قدر برطهـ جاتى هےا ور متى كے پياله كم ـهوجاتى هے اسى طرح معانى كى قدر ايكـ فصيح اور ماهر كے بيان مين زياده ـهوجا تى هے اور غير فصيح كے بيان مين گهب جاتى ہے»(١).

ويقول ابن خلدون فى مقدمته: «اعلم أن صناعة الكلام نظمًا أو نثرًا انما هى فى الألفاظ لا فى المعانى..... والمعانى موجودة عند كل واحد............ فلا تحتاج إلى صناعة وهى بمثابة القوالب للمعانى فكما أن الأوانى التى يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد فى نفسه، وتختلف الجودة فى الأوانى المملؤة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلاغتها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تاليفه»(٢).

وعلى الرغم من أن حالى رجح اللفظ على المعنى إلا أنه لا يسلم برأى ابن خلدون ويؤكد على ضرورة الاهتمام بالمعانى كذلك، فيقول: «نحن نعترف بأن الألفاظ محور الشعر أكثر من المعانى، لأن المعانى مهماكانت لطيفة وجيدة وسامية لا يمكن أن تجد لنفسها مكانا فى قلوب الناس ما دامت لم تؤدى فى الفاظ جيدة قوية، وأن الموضوع

(١) حالى: مقدمة: شعر وشاعرى ص ٤٣ – ٤٤.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٣ ص١٣١٢ ، ١٣١٣.

المبتذل فى ثوب الفاظ جميلة يمكن ان يكون جديراً بالثناء»[1].

والنص الثانى الذى ذكره حالى فى مقدمة شعر وشاعرى نقلاً عن مقدمة ابن خلدون هو رأى ابن خلدون فى تعلم لغة قوم ما، فيقول حالى: يرى ابن خلدون أن «ايک أعجمى فصحاے عرب کے کلام کی ممارست ے اہل زبان میں شمار کرنے کے لائق ہوسکتاہے»[2].

أى أن «الأعجمى بممارسة كلام العرب يصير كواحد منهم[3]» وهذا الرأى الذى نقله حالى من مقدمة ابن خلدون إلى مقدمته بعد أن ترجمة للأردية هو خلاصة لباب عقده ابن خلدون فى إمكان تعلم العجم لغة العرب والنبوغ فيها بعد التمرس والاعتياد وضرب مثلا على ذلك بالأعاجم الداخلين فى اللسان العربى المضطرين إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق والبربر بالمغرب ويذكر أن سيبويه الفارسى والزمخشرى وغيرهم من فرسان الكلام كانوا أعجاماً مع حصول هذه الملكة لهم».

ويرى حالى أن هذا الأمر يستحق أكثر من ذلك بالنسبة لسكان الهند، فإنهم بمزاولة كلام أهل اللغة أولى وأحق أن يصبحوا من أهل اللغة.

٤ - العقد الفريد لابن عبد ربه :

وهذا الكتاب من أكثر الكتب التى تأثر بها حالى ونقل عنه العديد من الأصول والآراء النقدية ومعظم الأخبار والشواهد فى قضية الكذب والمبالغة فى الشعر ولكنه لم يصرح بذلك إلا فى موضعين من «مقدمة شعر وشاعرى».

والموضوع الأول الذى صرح حالى فيه بكتاب العقد الفريد هو استشهاده برأى ابن عبد ربه فى الشعر الجيد بعد أن استعرض آراء ميلتون والأصمعى والخليل بن أحمد فى الشعر الجيد، ويذكر ما قاله ابن عبد ربه فى باب «أى بيت تقوله العرب أشعر» فيقول: «وكتب صاحب العقد الفريد أن أفضل قول فى هذا الباب هو قول زهير بن أبى سلمى:

(١) حالى: المرجع السابق ص٤٤ .

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٩٠ .

(٣) ابن خلدون: مقدمه ابن خلدون: جـ ص١٢٩٠ - ١٢٩١ .

وأن أحسن بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته: صدقا[١]

والموضع الثانى الذى صرح حالى فيه بكتاب العقد الفريد هو ما نقله حالى عن ابن عبد ربه فى شأن المدح فيقول: «قال صاحب العقد الفريد» ان شعرا العرب كانوا يرفعون شأن الممدوحين وكرامتهم بمدحهم ويحقرون الناس بهجائهم»[٢] وفيما عدا هذين الموصفين فقد نقل حالى عن ابن عبد ربه كثيرا من الآراء ولم يصرح بها وسوف أستعرض هذه الآراء فى الصفحات القادمة.

٥ - ألف ليلة وليلة :

صرح حالى بكتاب ألف ليلة وليلة مرة واحدة عندما نقل عنه قصة «قاسم وعلى بابا» الشهيرة وذلك عندما تناول حالى أهمية تسخير الألفاظ وأن الكلمة لا تستطيع أن تحل محل أى كلمة أخرى وذلك لاختلاف معنى كل منهما عن الآخر «فإذا وضع مكان أى لفظ مرادفه أو غيّر من تركيب الجملة فيبدو التأثير كله سريعًا، فلو أراد أن يقيم شخص نفس التأثير السحرى بعد أن يغير فى كلامه فإنه سوف يجد نفسه فى ورطة مثلما وجد قاسم نفسه فى قصة ألف ليلة وليلة حينما كان يصرخ أمام الباب قائلا: «افتح يا قمح» «افتح يا شعير» لكن الباب لم يفتح أبداً إلا أن يقول: «افتح يا سمسم»[٣].

وفيما عدا هذه المصادر الخمسة الذى صرح حالى بها فى «مقدمة شعروشاعرى» فإنه لم يصرح بأى مصدر آخر نقل عنه فى المقدمة وخاصة العقد الفريد الذى نقل حالى كثيرا من آرائه النقدية ولكنه لم يصرح بها، وفيما يلى سأستعرض الأصول والأفكار والآراء التى تأثر حالى بها وأخذها من الكتب والمصادر العربية دون أن يشير إليها.

---

(١) هذا البيت منسوب خطأ لزهير وهو لحسان بن ثابت انظر: ديوانه طبعة القاهرة ١٩٧٤م ص ٢٧٧، وقد نسبه ابن عبد ربه فى العقد الفريد لزهير خطا وتبعه حالى فى ذلك، انظر: العقد الفريد: ٦ / ١٥١، ابن رشيق العمدة: ١ / ١١٤، عبد القاهر الجرجانى: اسرار البلاغة: ص ٢٤٩، حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٦ / ١٥٢.

(٣) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص ٥٠ - ٥١.

١ - أشار حالى[١] إلى قصة الأعشى والمحلق للدلالة على تأثير الشعر الجاهلى وهى قصة مشهورة ذكرتها كثير من كتب الادب وتحكى أن الاعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكان للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم، فقالت للمحلق أن الأعشى قدم وهو رجل مفوه، مجدود فى الشعر، ما مدح أحداً إلارفعه ولا هجا أحداً إلا وضعه وأنت رجل فقير خامل الذكر وذو بنات وعندنا لقحه نعيش بها فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة، ونحرت له واحتلت لك فيماتشترى به شرابا يتعاطاه، لرجوت لك حسن العاقبة، فسبق إليه المحلق ونحر له فلما أكل الأعشى وأصحابه قدم إليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها، فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس فى كلامه وذكر البنات فقال الأعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أرقت ومـا هذا السـهـاد المؤرق ومـابى من سقم ومـا بى معشق[٢]

إلى قوله:

نفى الذم عن آل المحلق جـفـنـه كـجـابيـه الشيخ العراقى تفهق

ترى القـوم فيـهـا شارعين وبينهم مع القـوم ولدان من النسل دردق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق ويهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريًا يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى فلم تمس منهن واحدة إلا فى عصمة رجل أفضل من أبيها الف ضعف، وهذه القصيدة طويلة تحتوى على ٦٢ بيت[٣].

٢ - وفى موضع آخر أشار حالى[٤] إلى قصيدة للأعشى كذلك فى مدح الرسول على الصلاة والسلام ولكنه لم يذكر أبيات منها، وهذه القصيدة مطلعها:

الم تغـمض عـيناك ليلة أرمـدا وبت كمـا بات السليم مسهدا[٥]

---

(١) حالى: مقدمه شعر وشاعرى، ص ٨.

(٢) الأعشى: ديوان الأعشى ص ٢١٧ - ٢٢٣.

(٣) ابن رشيق: العمدة: ١/٤٨-٤٩، الأغانى: ٩/١١٣ - ١١٧، العقد الفريد: ٦/١٥٤ - ١٥٥، ابن قتيبة: الشعر والشعراء: ١/٢٥٨.

(٤) حالى: مقدمه شعر وشاعر ص٨.

(٥) الأعشى: ديوان الأعشى ص ١٣٠ - ١٣٧.

وهى قصيدة طويلة فى أربعة عشرين بيتًا وينتهى بقوله :

ولا تقـــربن جـــادة إن ســـرها   عليك حـــرام فـــانكحن أو تابداً

ولهذه القصيدة قصة مشهورة تتلخص فى أن الأعشى خرج إلى النبى يريد الإسلام وقد أعد هذه القصيدة ليمدحه بها وكان ذلك فى المدة بين صلح الحديبية سنة ٦هـ وفتح مكة سنة ٨هـ، فلما بلغ مكة وعلمت قريش ما قصد له فمازالوا يبغضون إليه الإسلام ويغرونه بالمال حتى صدوه عن وجهته بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، فقفل الأعشى راجعًا إلى اليمامة . ثم ما لبث أن مات من عامه[١].

٣ - ويشير حالى إلى[٢] مثال آخر يدلل به على تأثير الشعر فى العصر الجاهلى وهى قصة عمرو بن معدى كرب وتعيير أخته كبشه له لقبول دية أخيه عبد الله وكان سيد قبيلته وذات يوم جلس مع بنى مازن يشرب الخمر وكان هناك عبد يسقى القوم فبدأ يتغنى بامرأة من بنى زبيد فلطمه عبد الله فقام رجل سكران من بنى مازن وقتل عبد الله، فسارع بنو مازن إلى أخيه عمرو بن معدى كرب وقالوا له : أن اخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران ونحن يدك وعضدك، فنسألك الرحم وإلا أخذت الدية ما أحببت فهم عمرو بذلك فبلغ ذلك أخته كبشه وكانت ناكحا فى بنى الحارث بن كعب فغضبت وقالت شعراً تعير عمرا[٣] :

أرسل عـــبــــد الله اذ حـــان يومــــه   إلى قـــومـــه لاتعـــقلوا لهم دمى

ولا تأخـــذوا منهم افـــالا وأبكارا   واترك في بيت يصـــعـــده مظلم

ودع عنك عـمـرًا ان عـمـرًا مـسـالم   وهل بطن عـمرو غـيـر شـبـر لمطعم

فـــإن أنتم لم تثـــاروا واتديتم   فـمـــشـــوا بآذان النعـــام المصلم

ولا تردوا إلا فـــضـــول نســـائكم   إذا ارتملت أعـــقـــابهن من الدم

وقد ذكر حالى هذه الأبيات الستة ويذكر التبريزى فى شرحه لديوان الحماسة بيتًا آخر هو :

---

(١) الأغانى : ٩/١٢٥، ابن هشام السيرة النبوية : ١/٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص٩ .

(٣) الأغانى : ١٠/ ٢٣٠ - ٢٣١، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ١/٣٧٤، ٣٧٥، الجاحظ : الحيوان : ٤٣/٣٩٦ .

لا تذكـــروا حـــال الملوك فـــإنكم بعـد الزبيـر كحائض لم تغـتـسل[1]

٤ - تناول حالى قدر الشعراء ومنزلتهم عند العرب فى مقدمته وعقد بابًا لهذا الغرض واستعان بآراء النقاد العرب فيقول[2]: « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليدا لمآثرهم وأشادة لذكره »[3] وقد نقل حالى هذا النص من كتاب « المزهر فى علوم اللغة » لجلال الدين السيوطى ولكنه لم يشر إليه .

٥ - يذكر حالى فى مقدمة شعر وشاعرى[4] « مثالا ثالثًا على تأثير الشعر الجاهلى فيذكر قصة الأعشى مع علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهجاء الأعشى لعلقمة ومدحه لعامر، وهذه القصة موجودة فى كثير من كتب الأدب وذكرها ابن رشيق فى كتابه العمدة فيقول : لما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عند هرم ابن قطبة بن سنان سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر إلى أن قدم الأعشى وكان لعامر عنده يد فقال :

علقم مـــا أنت إلى عـــامــر الـنـــاقــص الأوتــار والـــواتــر

ان تسـد الحـوض فلم تعـدهم وعـــامـــر ســـاد بنى عـــامـــر

فرواه الناس وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى فى شعره وكان فى رأى هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك وهى قصيدة طويلة فى ستين بيتا تبدأ بقول الأعشى[5]:

شـــاقــتك من قـــتله أطلالهـــا بالشط فـــالوتر إلى حـــاجـــر

وهجا الأعشى علقمة بقوله :

وتبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثي يبتن خمائصا

---

(١) أبي تمام: شرح ديوان الحماسة (شرح التبريزى) جـ١ : ص١١٧ - ١١٨ .

(٢) حالى مقدمه شعر وشاعرى ص ١٨ .

(٣) جلال الدين السيوطى : المزهر في علوم اللغة: جـ٢ ص٤٧٣ .

(٤) حالى : مقدمه شعر وشاعرى: ص ١٨ - ١٩ .

(٥) الأعشى: ديوان الأعشى ص ١٣٩ - ١٤٧ .

فلما سمع علقمة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل ذلك بجاراتنا؟[١].

وقلنا أين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا[٢]

وهذه القصيدة من أشهر قصائد الرثاء وتبدأ بقوله:

مضى لسبيله معن وأبقى ... مكارم لن تبيد ولن تنالا

وهى قصيدة طويلة وعدد أبياتها خمسة وثلاثون بيتًا إلى قوله:

وقلنا أين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا

سيذكرك الخليفة غير قال ... إذا هو بالأمور بلا الرجالا[٣]

وكان الخليفة المهدى قد أخرجه من بلاطه بعد أن استنشده هذا البيت ولم يعطه أحد سوى جعفرا لبرمكى، وقد جاء ذكر هذا الخبر فى «الاغانى» «فقد دخل مروان بن أبى حفصة على المهدى بعد وفاة معن بن زائدة فى جماعة من الشعراء فيهم تسلم الخاسر وغيره فأنشده مديحًا فيه، فقال له: ومن أنت؟ فقال شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبى حفصة، فقال المهدى قد ذهب النوال كما قلت فلما جئت تطلب النوال، لا شىء عندنا، جروا برجله، فجروا برجله حتى أخرج»[٤].

وذكر حالى رثاء معن بن زائدة مرة أخرى فى حديثه عن المراثى الاردية[٥].

٧ – أشار حالى إلى المراثى العربية مرة أخرى فى مقدمته عندما ذكر بيتين قالهما الرقاشى فى رثاء البرامكة وهو الفضل بن الرقاشى وكان من «رقاش» من أهل الرى من المعجم وهو كثير الشعر، قليل الجيد وكان منقطعا إلى البرامكة يمدحهم ويعيش بهم فلما زال أمرهم خرج إلى خراسان واتصل بطاهر بن الحسين ومازال بهاحتى مات[٦] وقد ذكر حالى بيتين هما:

---

(١) ابن رشيق: العمدة: ١/٥٣، ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٦٠، الاغانى: ٩/١٢٠-١٢١، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١/١١١.

(٢) حالى: مقدمه شعر وشاعرى ص ١٩.

(٣) ابن المعتز: طبقات الشعراء: ص٤٥-٤٦، ٥١، ٥٣ ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ٢ ص٧٦٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٤ ص٢٢٠ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ترجمة معن بن زائدة ص٢٤٤ – ٢٥١.

(٤) الاغانى: ١٠/٨٧/٨٨.

(٥) حالى: مقدمه شعر وشاعرى ص ١٦٤.

(٦) ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٢٢٦، ٢٢٧.

أمـــا والله لـولا خـــوف واش وعـين لـلـخـلـيـــفـــة لا تـنـام
لطفنا حـول قـبـرك واسـتـلمنا كـمـا للناس بالحـجـر اسـتـلام[١]

وقد قالها الرقاش عندما رأى جعفر بن يحى البرمكى مصلوبا على الجذع فوقف يبكى وعندما علم هارون الرشيد بذلك أحضره وعنفه. وقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال يا أمير المؤمنين كان إلى محسنًا، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى إحسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلت. قال وكم كان يجرى عليك؟ قال ألف دينار فى كل سنة قال: فإنا قد أضعفناها لك[٢].

٨ – استشهد حالى ببيت ابن دارج القسطلى الأندلسى فى وصف ابنه الرضيع عندما عزم على السفر كمثال على الشعر الجيد[٣].

عـــيىّ بمرجـــوع الخطاب ولحظه بموقع أهواء النفـوس خـبـيـر[٤]

وهذا البيت من قصيدة يمدح بها ابن دارج المنصور بن أبى عامر ومطلعها:

دعى عـزمـات المسـتـضـام تسـيـر فـتـنجـد فى عـرض الفـلا وتغـور

٩ – عقد حالى بابا باسم «كثرة الحماسة فى الشعر العربى والعبرى»[٥] وذكر حالى – متأثرًا برأى أحد الأوربيين أن الشعر العبرى شعر حماسى وأن الشعر العربى تأثر بهذه الحماسة وهذا بالطبع رأى خاطىء لأن الدراسات الحديثة أثبتت عكس ذلك وأن شعر الفروسية فى أوربا تأثر بالشعر الحماسى العربى، ويستطرد حالى قائلاً إن العرب لم يترجموا ديوان شعر يونانيًا واحدًا ضمن ما ترجموه فى أيام الدولة العباسية ويغفل كتاب «فن الشعر» لأرسطو الذى ترجم إلى العربية وقام ابن رشد وابن سينا بدراسته بدقه ولخصوا قضاياه، ثم يذكر حالى أبيات فى الفخر مليئة بالحماس لبشامة بن حزن النهشلى للدلالة على قوة العاطفة فى الشعر العربى وقد نقلها حالى من كتاب الحماسة لأبى تمام وهى قصيدة تحتوى على ثلاثة عشر بيتًا

---

(١) حالى: مقدمه شعر وشاعرى ص ٢٠.
(٢) الأغانى: ١٦/٢٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/٢٤٩ – ٢٥١.
(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٢.
(٤) ديوان ابن دراج القسطلى: تحقيق محمود على مكى ص ٢٩٨ واحمد هيكل: الأدب الأندلسى ص ١٣٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/١٣٥ – ١٣٧.
(٥) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٥٧.

اكتفى حالى بنقل تسعة أبيات فقط بعد ترجمتها إلى اللغة الأردية مع اعترافه بأن ترجمة الشعر تفسد من جماله ورونقه وهى :

أنا بنى نشـهل لا ندعى لأب	عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
أن تبتدر غاية يومًا لمكرمه	تلق السوابق منا والمصلينا
ليس يهلك منا سيد أبدًا	إلا افتلينا غلامًا سيدا فينا
إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا	ولو نسام بها فى الأمن أغلينا
بيض مفارقنا تغلى مراجلنا	نأسو بأموالنا آثار أيدينا
إنى لمن معشر أفنى أوائلهم	قول الكماة ألا أين المحامونا
لو كان فى الألف منا واحد فدعوا	من فارس خالهم إياه يعنونا
ولا نراهم وإن حلت مصيبتهم	مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره أحيانا فيفرجه	عنا الحفاظ وأسياف تواتينا(1)

وقد أخطأ حالى فى ترجمة البيت الثانى من قصيدة بشامة بن حزن إلى اللغة الأردية.

١٠- حاول حالى أن يطبق رأى ميلتون فى الشعر الجيد على الشعر العربى والفارسى والأردى فذكر ستة عشر مثالاً من أشعار هذه اللغات مما ينطبق عليها شرط أو شرطين أو الشروط الثلاثة لميلتون وذكر من هذه الأمثلة مثلين من الشعر هما :

أ – المثل الأول الذى أورده(2) حالى كمثال للشعر الجيد هو قول يحيى بن زياد فى وصف الشيب ولكنه نسبه إلى ابن يحيى بن زيادة :

ولما رأيت الشيب لاح بياضه	بمفرق رأسى قلت للشيب مرحبًا
ولو خفت أنى كفت تحيتى	تنكب عنى رمت أن يتنكبا
ولكن إذا ما حل كره فسامحت	به النفس يومًا كان للكره أذهبا

(1) أبى تمام: ديوان الحماسة: شرح المرزوقى: جـ ١، ص ١٠٢ – ١٠٩. – ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ ٢، ٦٣٨.

(2) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٦٠.

وهو وصف رائع للشيب وقد نقل حالى هذه الأبيات من ديوان الحماسة لأبى تمام[١].

ب – والمثل الثانى[٢] هو رثاء متمم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك الذى قتله عزار بن الأزور وهى أبيات مشهورة نقلها حالى من ديوان الحماسة أيضاً :

لقد لامنى عند القبور على البكا	رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكى كل قبر رأيته	لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له إن الشجا يبعثُ الشجا	فدعنى فهذا كله قبر مالك[٣]

وهذه القصيدة من أروع قصائد الرثاء وقد تأثر بها عمر بن الخطاب عندما استنشده إياها وقال هذا والله التأبين! ولو وددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: لو كان أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزانى أحد عن أخى بمثل ما عزانى به متمم[٤].

وقد ذكرت هذه الأبيات فى كتب الأدب وقد ذكر أبى على القالى قصة هذه الأبيات فقال « حدثنا أبو بكر فقال: حدثنى أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى قال: قد كان متمم بن نويرة بالعراق فاقبل لا يرى قبراً إلا بكى عليه فقيل له: يموت أخوك بالملأ وتبكى أنت على قبر بالعراق!! فقال هذه الأبيات[٥].

ويقول ابن رشد فى تلخيص كتاب « الشعر » لارسطو بعد ذكر هذه الأبيات: « والنوع الثالث من المحاكاة هى المحاكاة التى تقع بالتذكر وذلك أن يورد الشاعر شيئاً يتذكر به شىء آخر مثل أن يرى إنسان خط إنسان فيتذكره فيحزن عليه إن كان ميتاً ويتشوق إليه إن كان حياً مثل قول متمم بن نويره فى رثاء أخيه مالك[٦].

---

(١) أبى تمام: ديوان الحماسة (شرح التبريزى) جـ٣ ص ٧٥ – ٧٦.
(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٦٠.
(٣) أبى تمام: المرجع السابق جـ٢: ص ١٤٨ وابن خلكان وفيات الأعيان جـ٦ ص ١٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٣ ص ١٩٣، ابن رشيق: العمدة ٢١/٧٦.
(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء: جـ١ ص ٢٠٤.
(٥) أبى على القالى: الأمالى جـ٢، ص ١.
(٦) أرسطو: فن الشعر: ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٢٥٥.

١١- ذكر حالى[1] المقولة النقدية الشهيرة «أحسن الشعر أكذبه» وذلك عندما تحدث عن قضية الكذب والصدق فى الشعر وهى فى رأيه تنطبق على الشعر الأردى ولكنه يأسف لذلك ويرى ضرورة أن يتمسك كل شاعر بجانب الصدق فى شعره، ولهذه المقولة جذور عميقة فى النقد العربى فما من ناقد إلا وقد تعرض لها.

وقد نقل حالى هذه المقولة من قدامة بن جعفر حيث يقول: «إن الغلو عندى أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديمًا وقد بلغنى عن بعضهم أنه قال: «أحسن الشعر أكذبه» وكذا نرى فلاسفة اليونان فى الشعر على مذهب لغتهم»[2].

١٢- تحدث حالى[3] فى المقدمة عن أشعر بيت والتعريف الكامل للشعر واستشهد فى ذلك برأى الأصمعى حينما سأل عن «أى بيت تقوله العرب أشعر» فقال: الذى يسابق لفظه معناه[4].

وكذلك راى الخليل بن احمد: وهو البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته[5].

ويرى حالى أن تعريف الأصمعى جامع وغير مانع أما تعريف الخليل بن أحمد فهو غير جامع وغير مانع.

١٣- وعقد حالى بابًا فى المقدمة عن «تجنب المبالغة والكذب» واستعان بكتاب «العقد الفريد» فى معظم الشواهد والأخبار التى ذكرها ليدلل بها على آرائه النقدية التى ذكرها فى هذا الباب[6] ومنها قوله: كان شعراء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ينفرون كثيرًا من الكذب ويعتبرونه من ضمن عيوب الشعر، فقد قال زهير بن أبى سلمى الذى كان شاعرًا من شعراء الطبقة الأولى «أحسن القول ما صدقه الفعل» وله بيت مشهور فى هذا الباب:

---

(١) حالى مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٠.
(٢) قدامة بن جعفر: نقد الشعر ص ٩٤.
(٣) حالى: المرجع السابق: ص ٧٢.
(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ٦/١٥١.
(٥) ابن عبد ربه: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٦) حالى: المرجع السابق: ص ٧٧ - ٧٨.

وإن أشـــعـــر بيت أنت قـــائله		بيت يقـــال إذا أنشـــدته صـــدقـــا[1]

وقد نسب حالى لزهير قوله « أحسن القول ما صدقه الفعل » وهو ليس لزهير بل هو تعقيب لابن عبد ربه على بيت زهير المنسوب خطأ إليه وهو لحسان بن ثابت.

ثم يقول حالى: « وينسب لسيدنا عمر بن الخطاب قوله فى زهير« إنه أشعر الشعراء لانه لا يمدح إلا مستحقًا » وقد نقله حالى بتصرف من كتاب « العقد الفريد »[2] حيث يحكى ابن عبد ربه قوله: قال عمر لابن عباس أنشدنى لأشعر الناس الذى لا يعاضل بين القوافى ولا يتبع حوشى الكلام. قال: من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال زهير بن أبى سلمى فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح وكان زهير لا يمدح إلا مستحقًا كمدحه لسنان بن أبى حارثة وهرم بن سنان ».

واشار حالى فى نفس الباب إلى مقولة معاوية فى الشعر وقد ذكره ابن عبد ربه فى كتابه فقد « بعث زياد بولده إلى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالمًا بكل ما ساله عنه، ثم استنشده الشعر فقال لم أر ومنه شيئًا!

فكتب معاوية إلى زياد: ما منعك أن ترويه الشعر؟ فوالله إن العاق ليرويه فيبر وأن البخيل ليرويه فيسخو وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل »[3].

وفى معرض حديث حالى عن المبالغة والصدق والكذب فى الشعر يذكر قول أبى نواس فى مدح الرشيد:

وأخـــفت أهل الشـــرك حـــتى أنه		لتـــخـــافك النطف التى لم تخلق

وقد اعترض عليه الناس فكيف يمكن للنطفة التى لم تخلق بعد أن تخاف؟ فلم يكن فى صف أبى نواس سوى البعض الذين أقروا بصحة ما جاء به بالتأويل ولم يستطع البعض الآخر أن يقول فيه شيئًا[4].

وقد نقل حالى[5] هذا البيت من العقد الفريد « واستفاد من شرح ابن عبد ربه له

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ ٦، ص ١٠٤.

(٢) ابن عبد ربه: المرجع السابق، نفس الصفحة، العمدة: ١/٩٨.

(٣) الأغانى: ١٠/٢٨٩، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء: ١/٦٣ - الشعر والشعراء، جـ ١، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ ٦، ص ١٠٨.

(٥) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٨.

حيث يقول: «وقد عاب الناس قول الحسن بن هانى فقالوا: كيف نخاف من النطف التى لم تخلق؟ ومجاز هذا قريب إذا لحظ أن من خاف شيئًا خافه بجوارحه وسمعه وبصره والنطف داخله فى هذه الجملة، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف أهل النطف التى فى أصلابها»[1]. ويرى أن الشعر العربى كان بعيداً عن الكذب والمبالغة سواء كان فى المدح أو فى الهجاء ويذكر مثال على ذلك قصة المتوكل مع أبى العيناء وهى أن المتوكل قال لبعض الشعراء ذات يوم «إلى كم تمدح الناس وتذمهم» فقال: «ما أساءوا وأحسنوا ثم قال نعوذ بالله أن نكون كالعقرب تلسب النبى والذمى».

وقد استشهد كثير من النقاد العرب بهذا البيت فذكره القاضى الجرجانى فى كتابه «الوساطة» فى حديثه عن أغلاط أبى نواس[2] وذكره قدامة فى كتابه «نقد الشعر» وكذلك المرزبانى فى (الموشح)[3].

كما أشار حالى إلى قول بنى تميم لسلامة بن جندل أحد شعراء العصر الجاهلى عندما قالوا له: «مجدنا بشعرك» قال: «افعلوا حتى أقول»[4] وذكر حالى هذا القول ليثبت به أن العرب لا يمدحون أحد ولا يذمون أحد إلا بما فيه.

١٤- قام حالى بعقد باب بعنوان «متى ينظم الشعر» ونقل فيه العديد من آراء النقاد العرب وأقوالهم فى العملية الشعرية مثل أن: «القريحة تصفو أكثر من الشعر فى أول الليل وقبل الكرى وأول النهار وقبل الغذاء»[5] وقد نقل حالى هذا الرأى من «العقد الفريد» حيث يقول فى باب «أحسن ما يجتلب به الشعر»: «وأسلس ما يكون الشعر أول الليل وقبل الكرى وأول النهار وقبل الغذاء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر واقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة»[6] وقد تأثر حالى بابن عبد ربه فى تسمية هذا الباب.

ثم يذكر حالى قول أحد الحكماء «لم يستدع شارد الشعر بأحسن من الماء الجارى

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٥٩. أبى نواس: ديوان أبى نواس ص ٦٢، طبعة محمود افندى واصف، ط ١ القاهرة ١٨٩٨م.

(٢) القاضى الجرجانى: الوساطة ص ٥٦.

(٣) المرزبانى: الموشح ص ٧٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٠٤.

(٥) حالى: المرجع السابق ص ٩٧.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٥٢، ابن رشيق: العمدة: ١/٢٠٨.

والمكان الخالى والشرف العالى » ولم يذكر حالى صاحب هذا القول ولكن ابن رشيق قد نسب هذا القول للأصمعى[1]. إلا أن حالى لا يوافق على هذه الآراء التى أجمع عليها الشعراء والنقاد ويقول: «إن أحسن مناسبة يقول فيها الشاعر شعره هى عندما توجد لديه الرغبة الشديدة الملحة فى نظم الشعر بدون تكلفة سواء كان فى الغابة أو فى الروضة، فى مكان عامر أوخراب أو فى حديقة أو أرض فقراء أو عند الماء الجارى أو الأرض القاحلة»[2] على أننا لو قرأنا الجزء الأخير من القول الذى نقله حالى من العقد الفريد وهو «وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرهبة» نجد أن حالى لم يأت بجديد فى هذا الرأى ولم يتعد رأيه هذا عن شرح لرأى ابن عبد ربه.

ثم يستشهد حالى بعد ذلك بقصة أبى العتاهية مع أبى نواس حيث قال أبو العتاهية له ذات مرة: «أنت الذى لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك؟ قال: وكيف ينبغى أن يقال إلا على هكذا؟ قال: أما أنا أقوله على الكنيف! ولذلك توجد فيه الرائحة»[3].

إلا أن حالى لا يوافق على الرأيين ويقول: إن نظم الشعر فى رأيى يحتاج إلى العاطفة والرغبة الصادقة لا إلى باقات الزهور ولا إلى الجلوس فى الكنيف[4].

ويؤكد قوله هذا بنقل قول كثير عزة: قيل لكثير عزة لما تركت الشعر؟ قال: ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات ابن أبى ليلى (أى عبد العزيز بن مروان) فما أرغب»[5].

وكذلك قول الفرزدق: أنا أشعر الناس عند اليأس وقد يأتى على الحين وقلع ضرس عندى أهون من قول بيت شعر[6] «وينقل قول الحزيمى عندما قيل له: ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مراثيك قال: كنا حينئذ نعمل على الرخاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد»[7].

---

(١) ابن رشيق: العمدة: ١/٢٠٦.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٩٧.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد: جـ٦، ص ١٥١.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٩٧.

(٥) ابن عبد ربه: المرجع السابق ص ١٥٢.

(٦) ابن عبد ربه: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٧) ابن عبد ربه: المرجع السابق بنفس الصفحة وابن قتيبه: الشعر والشعراء جـ١، ص ٧٩.

ثم يعود حالى مرة أخرى ليذكر أن من دواعى قوة الشعر الرغبة والرهبة فيقول «والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت وهما شيعيان غاليان فى التشيع كانت مدائحهما فى بنى أمية أشرف وأجود منها فى بنى هاشم وما لذلك عليه إلا قوة أسباب الطمع»(١).

١٥- ثم يتطرق حالى بعد ذلك إلى موضوع «السرقات الادبية» ويسلم بأن المتأخرين يستفيدون دائمًا من أفكار القدماء وموضوعاتهم وأساليبهم ويذكر قول كعب بن زهير كدليل على ذلك:

ومـــا أرانا نقـــول إلا مـــعـــارًا أو مـــعـــادًا من قـــولنا مكرورا(٢)

وقضية «السرقات الادبية» من أهم القضايا التى أولاها النقاد العرب برعايتهم فما من ناقد إلا وتحدث عنها بالتفصيل حتى أن ابن رشيق قد ألف كتابًا فى السرقات الادبية ولم يكتف بالباب الذى ذكرها عنها فى كتابه العمدة، وكان ابن قتيبة من أوائل النقاد الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع فيقول: «لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قومًا دون قوم بل جعل الله ذاك مشتركًا مقسومًا بين عباده فى كل دهر وجعل كل قديم حديثًا فى عصره»(٣) ويقول ابن رشيق: «إن ما يؤكد كلام ابن قتيبة كلام على رضى الله عنه «لولا أن الكلام يعاد لنفد» وقول عنترة: «هل غادر الشعراء من متردم» يدل على أنه يعد نفسه محدثًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئًا وقد أتى فى هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم ولا نازعه إياه متأخر وعلى هذا القياس يحمل قول أبى تمام:

يقـــول من تقـــرعـــه أســـمـــاعـــه كـــم تـــرك الاول لـــلآخـــــــــــــــر

فنقضى قولهم «ما ترك الاول للآخر شيئًا»(٤).

وقد نقل حالى الشطر الثانى من بيت أبى تمام «كم ترك الاول للآخر» مع «ما ترك الأول للآخر شيئًا» وقد نقلهما حالى من كتاب العمدة لابن رشيق بعد أن ذكر أنهما

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٦ ص ١٥٢ - ١٥٣.
(٢) كعب بن زهير: ديوان كعب ص ١٥٤.
(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٥.
(٤) ابن رشيق: العمدة: ١/ ٩١.

قولان متناقضان[1].

١٦- ويؤكد حالى على أن المحدثين كانوا يستفيدون من القدماء ويدلل على هذا ببيت أبى نواس:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد[2]

وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها الفضل بن الربيع ويستعطف عليه هارون الرشيد ومطلعها:

قولا لهارون إمام الهدى ... عند احتفال المجلس الحاشد

أنت على ما بك من قدره ... فليست مثل الفضل بالواجد

أوجده الله فما مثله ... لطالب ذاك ولا ناشد

إلى أن يصل إلى البيت الذى ذكره حالى[3] وقد اعترف أبو نواس بأنه أخذ معنى هذا البيت من بيت جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابًا[4]

وهذان البيتان من الشواهد التى ذكرتها كتب البلاغة والنقد فى باب «السرقات الأدبية» وقد ذكرهما حالى عند تناوله لهذه القضية ويرى أنه ليس عيبًا أن يأخذ المحدث من القديم ويستفيد منه وأن هناك أمثلة «عديدة» لذلك فى الآداب الشرقية ثم يذكر أمثلة على ذلك من الشعر الفارسى والأردى وانتقال الأفكار من أحدهما إلى الآخر فيذكر بيت شعر لميرتقى مير أخذ معناه من سعدى الشيرازى ويذكر أن الشاعر الفارسى عرفى قد استقى معنى بيت الشعر هذا:

هركس نه شنا سنده رازست وگرنه ... اينها همه رازست كه معلوم عوام است[5]

من الآية الكريمة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) أبى نواس: ديوان أبى نواس ص ٨٧.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٢١.

(٤) جرير: ديوان جرير: ص ٣٠ - ٣١.

(٥) ليس كل امرىء من عارفى الأسرار وإلا، ستكون هذه الأسرار كلها معروفة لدى عامة الناس.

وبعد ذلك يعقد حالى مقارنة[١] بين ستة أقوال مأثورة وأمثال عربية وبين أبيات شعر لسعدى الشيرازى تتضمن معانى هذه الأمثال مما يؤكده أن سعدى الشيرازى قد اقتبس معانى هذه الأبيات من الأمثال العربية :

الأمثال العربية :

١ – الكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل .

٢ – الصمت زينة العالم وستر الجاهل .

٣ – راع أباك يُراع ابنك .

٤ – سناء ذكاء لا يزول من دعاء الخفافيش .

٥ – السعيد من أكل وزرع والشقى من مات وودع .

٦ – السلطان أحوج إلى العقلاء من العقلاء للسلطان .

أبيات سعدى الشيرازى :

سگ بدريای هفتگان بشوی ‏ ‏ ‏ ‏ چونکه ترشد بليد ترباشد
تراخا مشى أىخد اوند هوش ‏ ‏ ‏ ‏ وقارست ونا اهل راپرده پوش
توبجای پدرچه كردىخبر ‏ ‏ ‏ ‏ تاهمان چشم دارى ازپسرت
شيره كرنور آفتاب نخواهد ‏ ‏ ‏ ‏ رونق بازار آفتاب نكاهد
نيک بخت آنكه خوردوكشت ‏ ‏ ‏ ‏ وبدبخت آنكه مرد وهشت
بادشاهان بخرد مندان محتاج ‏ ‏ ‏ ‏ تراند كه خرد مندان به پادشاهان

ثم يقارن حالى[٢] بين بيت شعر لمير درد أخذ معناه من آية قرآنية وهو :

دل بھی تیرے ھی دھنگ سیکھاھے ‏ ‏ ‏ ‏ آن میں کچھ، ان میں کچھ[٣]

فقد أخذ معناه من الآية الكريمة ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [الرحمن: ٢٩] .

١٧– ثم يعود حالى إلى موضوع المراثى العربية عند حديثه عن فن الرثاء الأردى ومحاولة إصلاحه فيؤكد على أن المراثى العربية تصف الأحداث الواقعية وصفات الموتى

---

(١) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ١٢٥ .

(٢) حالى : مقدمة شعر وشاعرى : ص ١٣٤ .

(٣) بعد تعلم القلب أيضًا أسلوبك، فهو فى آن شىء وفى آن شىء آخر.

الحقيقية واستشهد حالى فى ذلك بالمراثى التى قالتها بنات عبد المطلب بعد وفاته وهن يصفنه بأوصاف حقيقية ولكن حالى لم يذكر أبيات من هذه المراثى[١].

ويقول ابن هشام: أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكن ست نسوة: صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء، وأميمة وأروى فقال لهن: ابكين علىّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت فقالت صفية تبكى أباها:

ارقت لصــــوت نائحـــه بليل ... على رجل بقــارعــه الصــعــيــد

فــفـــاضت عند ذلكم دمـــوعى ... على خـدى كـمنحـدر الفـريد

عـلـى رجـل غــــيــــــر وغـل ... له الفـضـل المبين على العـبـيـد[٢]

وقالت بره:

اعـــــينى جـــــوداً بـدمع درر ... على طيب الخـيم والمعـتـصـر

على مـــاجــد الجــدوارى الزناد ... جـــمــيل المحـيــا عظيم الخطر

وقالت أم حكيم البيضاء:

الا ياعين جـــودى واســتـــهـلى ... وبـكى ذا الـندى والمكرمــــات

الا يا عين ويحك اسـعـفـينى ... بـدمع من دمــــوع هـاطلات[٣]

وقالت أميمه:

الا هلك الراعى العشيرة ذو الفقد ... وساقى الحجيج والمحامى عن المجد

ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته ... إذا مـا سـمـاء الناس تبـخل بالرعـد

وقالت أروى:

بكت عــينى وحق لهـــا البكاء ... على سـمح سـجـيـتـه الحـيـاء

على ســهل الخليــقــه اسطحى ... كــريم الخـيم بيـتــه العـلاء[٤]

---

(١) حالى: المرجع السابق ص ١٥٤.
(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: جـ١ ص ١٠٥.
(٣) ابن هشام: المرجع السابق ص ١٠٦.
(٤) ابن هشام: المرجع السابق ص ١٠٧.

وقالت عاتكه:

أعـينى جـودا ولا تبـخـلا   بدمـعكمـا بعـد نوم النيـام

أعـينى واسـحنفـرا واسكبـا   وشـوبا بكاء كـمـا بالتـدام

وذكر حالى فى مقدمته[1] مثالاً آخر من المراثى العربية وهو رثاء الشريف المرتضى لأبى إسحاق الصائى اعترافًا بعلمه وهى المعروفة بمرثية علم الهدى ولم يذكر حالى أى بيت من أبياتها وهى:

مـا كـان يومك يا أبا إسـحـاق   إلا وداعـى لـلـمـنـى وفـراق

وأشـد مـا كـان الفـراق على الفـتى   مـاكـان مـوصـولا بغـيـر تلاق

ولقـد أتانى من مـصـابك طارق   لـكـنه مـا كـان كـالطـرق

وهى قصيدة طويلة تقع فى خمسة وخمسين بيتًا وتنتهى بقوله:

وإذا مـضـيـت وفـيـك فـضـل باهر   فـيـمن نسلب فـأنت حى باق

وقالها الشريف المرتضى فى رثاء أبى إسحاق الصابئ يتذكر أيامه لما كان بينه وبين هذا البيت من الألفة المتأكدة[2]. وكان إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابئ الحرانى صاحب الرسائل المشهورة وكان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار من معز الدولة بن بويه الديلمى ويحكى أن الخلفاء والأمراء أرادوه كثيرًا على الإسلام وأداروه بكل حيلة حتى أن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة أن أسلم فلم يهده الله للإسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ويخدم الأكابر أرفع خدمة ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القرآن حفظًا يدور على طرف لسانه[3].

وذكر صاحب «الفهرست» أنه ولد سنة نيف وعشرين وثلثمائة وتوفى قبل سنة ثمانين وثلثمائة ودفن بالشونيزى[4].

وقد رثاه الشريف الرضى أخا الشريف المرتضى أيضًا بقصيدته الدالية المشهورة ومطلعها:

---

(١) حالى: تقدمه شعر وشاعرى ص ١٦٤.

(٢) الشريف المرتضى: ديوان الشريف المرتضى: جـ ٢ ص ٢٤٩.

(٣) الثعالبى: يتيمه الدهر: ٢/٢٤١-٢٤٢.

(٤) ابن النديم: الفهرست: ص ١٣٤.

أرأيت من حـــملوا على الأعـــواد؟ أرأيت كـيف خـبـا ضـيـاء النادى

وهى قـصـيـدة طويلة تصل إلى اثنين وثمـانين بيـتًـا وقـد عـاتبـه الناس فى ذلك لكونه شريفًا يرثى صابئًا فقال: إنما رثيت فضله[1].

ويبـدو أن حالى كان يقصـد الشريف الرضى صاحب الرثاء المشهور فى أبى إسحاق الصابئ وليس الشريف المرتضى.

وقد أبدى حالى إعجابه بالمراثى العربية فذكر منها أمثلة عديدة كما مر بنا ولعل شعر المراثى بالذات كان أقرب إلى نفس حالى من غيره سواء كان فى اللغة العربية أو الأردية، ويبدو تأثره بذلك فى المسدس فهو رثاء للمسلمين فى شبه القارة ونلمح الحزن والحداد بين سطوره وفى كلماته، لذلك كان هذا الفن هو أحب فنون الشعر عند حالى فحاول إصلاحه فى الشعر الأردى وحض الشعراء على أن يقلدوا الرثاء العربى الصادق الذى لا يتعدى الحقيقة.

وإلى جانب هذه الأصول النقدية التى استفاد حالى بها فى مقدمته نراه يستشهد فى أماكن كثيرة فى المقدمة بأمثلة عربية مثل «النادر كالمعدوم»[2] و«خذ ما صفا ودع ما كدر» وكذلك بجزء من حديث نبوى شريف هو:

«إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله»[3].

ويتضح مما سبق أن حالى قد تأثر تأثرًا بالغا فى مقدمته بالنقد العربى القديم والحديث ونقل فى «مقدمة شعر وشاعرى» آراء نقدية وشواهد شعرية عربية كثيرة فى محاولة يائسة لتأصيل مفهوم جديد لنظرية نقد الشعر الإسلامى المتمثل فى شعر اللغة العربية والفارسية والأردية، لذلك نراه يستشهد كثيرًا فى مقدمته بالشعر العربى فى المدح والرثاء والهجاء والفخر وكذلك بالقرآن الكريم والحديث النبوى والأمثال العربية والأقوال المأثورة، ونراه يرجع إلى كتب العقد الفريد ومقدمة ابن خلدون والعمدة والشعر والشعراء والأغانى وألف ليلة وليلة وطبقات فحول الشعراء وغيرها من الكتب العربية محاولاً بذلك تأصيل نظرية نقدية محددة يلتزم بها النقاد والشعراء من بعده وذلك

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/٥٢، ٥٣، ٥٤.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٢.

(٣) يشير إلى الحديث النبوى الشريف «إن فى القلب لمضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب».

للمرة الأولى فى الشعر الأردى ولكن ما كان حالى يصبو إليه لم يتحقق لان الشعراء الذين جاءوا بعده تمردوا على هذه الأصول التى لم يكن حالى نفسه قد التزم بها فى ديوانه.

وقد جاءت معظم آراء حالى النقدية مبتثرة وناقصة ولم تتسلسل آراؤه بمنطقية بل إنه لا يكاد يبدأ فى قضية نقدية حتى يتركها إلى أخرى دون أن يفصل القول فيها إلا نادراً – ودون أن يكون قد خرج برأى ذى قيمة منها فى قضية نقدية وبآراء متناقضة فى أخرى كأن ينفى قضية ثم يثبتها في نفس الوقت لذلك لم تتعد المقدمة عن كونها تجميعاً غير منظم للآراء النقدية العربية فى القضايا المختلفة وخاصة فى تحديد مفهوم الشعر والشعر الجيد والردئ وقضية اللفظ والمعنى والكذب والمبالغة والصدق وخصائص الشعر الجيد وغيرها من القضايا التى اهتم بها الشعر العربى قديمًا وحديثًا.

وقد أخطأ حالى فى كثير من المواضع التى نقل عنها الأمثلة أو الشواهد الشعرية فكان يختصر بعضها وينسب بعضها لآخرين ويخطىء أحيانًا فى اسم الشاعر الذى ينسب إليه الأبيات، فلم يرجع حالى فى باقى النصوص والنقول ومصادر النقد واللغة مباشرة بل رجع إلى مصادر أخرى وردت بها هذه النصوص كما رأينا فيما مضى عندما نقل ما نسبه لابن رشيق من نصوص من مقدمة بن خلدون لذلك أرجح أن يكون حالى لم ير كتاب العمدة لابن رشيق.

وكان من جراء عدم اعتماد حالى على المصادر الأصلية والنقل عنها مباشرة ان أخطأ كثيراً فى الاخبار الصحيحة ورد الآراء النقدية إلى أصحابها، وفى حين يذكر حالى النصوص والأقوال والأشعار العربية كما هى باللغة العربية وأحيانًا أخرى يترجمها إلى اللغة الأردية ولم تكن ترجمته جيدة فى بعض المواضع.

الفصل الثانى

أصول من التراث الغربى

١ - الأصول اليونانية.

٢ - الأصول الإنجليزية.

١ - الأصول اليونانية

تمهيــد :

هناك دلائل عديدة تشير إلى تأثر حالى بالنقد الغربى وخاصة النقد الإنجليزى، ويتضح ذلك من ذكره لكم هائل من الشعراء والنقاد الإنجليز واليونانين واستعانته بآرائهم النقدية فى توضيح أفكاره النقدية التى يعرضها لأول مرة فى اللغة الأردية، ويتبادر إلى الذهن سؤال هام هو هل تأثر حالى بالنقاد الإنجليز تأثراً مباشراً أى عن طريق قراءة أعمالهم الأدبية والنقدية باللغة الإنجليزية مباشرة أم عن طريق قراءة ترجمات هذه الأعمال باللغة الأردية؟

من الثابت أن حالى لم يكن يعرف اللغة الإنجليزية ولم يتعلمها كما ذكر فى مقالاته أكثر من مرة[١]، كما اعترف بذلك فى ترجمته[٢] لحياته، لأن هذه اللغة كانت فى نظر أهل بلدته پانى پت تمثل لغة المحتلين الذين قضوا على الحكم الإسلامى لذا تجنبوا تعلمها وعملوا على تحقيق هذا الهدف بفتح المدارس الدينية التقليدية التى تدرس الدين الإسلامى واللغة العربية والفارسية وكانوا ينظرون بعين الاحتقار لمن يقدم على تعلم هذه اللغة وواكب هذا النفور من اللغة الإنجليزية ظهور حركات إسلامية كثيرة تدعو إلى عدم الإقبال على هذا التعليم الإنجليزى.

وهناك دليل آخر على أن حالى لم يدرس اللغة الإنجليزية ولم يعرف آدابها فى مقدمة « مجموعة نظم حالى » حيث يقول: « لم أكن أعرف قواعد الشعر الغربى وأصوله أثناء إقامتى بلاهور ولم أعرفها الآن وأرى أن لغة نامية مثل اللغة الأردية لا تستطيع أن تقلد الشعر الغربى بطريقة كاملة... وليس هناك شىء آخر فى شعرى يدل على تقليدى للشعر الإنجليزى والخروج على طريقة الشعر القديم »[٣] إذا كيف تأثر حالى بالنقاد الإنجليز؟.

عندما رحل حالى إلى دهلى لإكمال تعليمه وشحذ قريحته الشعرية بالقراءات

(١) حالى: كليات نثر حالى: ٢/ ١٣٢١، ٢٣٨، ٢٦٨.
(٢) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٥.
(٣) حالى: مقدمة مجموعة نظم حالى ضمن كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٥٣.

والثقافات المختلفة التى كانت تعج بها دهلى فى ذلك الوقت ومقابلته للشاعر أسد الله غالب واتخاذه أستاذاً له، بدأ يشتهر كشاعر جديد حينئذ بدأ فى التعرف على رجالات الفكر والثقافة والسياسة فى عصره والتقى بالسير سيد أحمد خان الذى كان يدعو إلى الغب من فيض الغرب وتعلم علومه بالإضافة إلى وجود مفكرين وأدباء تعلموا فى كلية دهلى العلوم الحديثة مثل محمد حسين آزاد ونذير أحمد وغيرهم وبدأت حركة ترجمة واسعة فى جامعة البنجاب للكتب الإنجليزية فى النقد والشعر والأدب الإنجليزى وخاصة عندما سنحت له الفرصة لتصحيح هذه الترجمات وبدأ حالى يتأثر بالآراء والأفكار الغربية ولكن كان تأثيراً طفيفًا لم ينجرف معه إلى المدارس النقدية والتيارات الأدبية السائدة فى أوربا آنذاك وازدهار حركة الرومانسيين وثورتهم على المدرسة الكلاسيكية فى الأدب والشعر وحمل لواء الرومانسية شعراء كبار أمثال وردزورث وكولردج، فقد كان حالى على يقين تام بأن هذه المدارس النقدية لا تصلح للغة نامية وليدة كالأردية ولاختلاف موضوعات الشعر بين الآداب الشرقية والغربية ولذلك نراه يركز على القضايا التى تتفق مع المزاج الشرقى مثل الصدق والحقيقة والبساطة وهى أساسيات فطرية وصفات مجردة موجودة فى جميع الآداب العالمية.

حالى والنقد اليونانى:

تتلخص الأفكار التى أخذها حالى من النقد اليونانى فيما يلى:

١ – فكرة طرد أفلاطون للشعراء من جمهوريته المثالية لتعمدهم الكذب على الآلهة وهذه الفكرة فى حد ذاتها تعتبر أحد الآراء التى قيلت فى ذم الشعر.

٢ – فكرة «نظرية المحاكاة الأرسطية» وهى أهم فكرة أخذها حالى من النقد اليونانى، لأن حالى حاول شرح هذه النظرية لأول مرة فى النقد الأردى، وفى مقدمة شعر وشاعرى تناول حالى نظرية المحاكاة وعلاقة الشعر بالفنون الجميلة وكان حالى بذلك أول من آثار هذا الموضوع فى النقد الأردى.

وأشار حالى فى «مقدمة شعر وشاعرى» إلى العديد من كتب النقد والشعر اليونانية والإنجليزية التى استفاد منها ونقل عنها الآراء النقدية التى كانت بمثابة الأداة التى استعان بها فى بلورة أفكاره النقدية التى طرحها فى المقدمة ومن هذه الكتب:

١ - جمهورية أفلاطون :

وقد أشار حالى إليها فى موضعين، الموضع الأول عندما تحدث عن الآراء التى قيلت فى مدح الشعر وذمه وذكر رأى أفلاطون فى الشعر والشعراء وأنه « أسس لليونان جمهورية مثالية أكد فيها أهمية جميع الحرف وأربابها ماعدا الشعراء »[١] وقد طردهم أفلاطون من جمهوريته لتعمدهم الكذب على الآلهة بتصويرهم بصور لا تليق بهم وأكد أفلاطون على ألا نعلم الأطفال والنشىء هذا الشعر[٢]. ثم يعود حالى فى الموضع الثانى من مقدمته ويستنكر ما فعله أفلاطون بالشعراء بالرغم من ميل حالى إلى الجانب الأخلاقى، وبالتالى يكون هناك مجتمع تأسس على البرودة والأنانية والبعد عن المرؤة ولا يقوم بأى عمل ناتج عن الحماس والعاطفة القلبية »[٣].

٢ - فن الشعر لأرسطوطاليس :

عقد حالى بابًا فى مقدمته بعنوان « ماهية الشعر » تحدث فيه عن نظرية المحاكاة الأرسطية فقال يقولون إن « الشعر كما قيل فيه من ألفى عام هو نوع من المحاكاة التى تتشابه فى كثير من الوجود بالرسم والنحت والمسرح غير أن محاكاة الرسام وعمل النحات وأداء الممثل المسرحى أكمل قليلاً من محاكاة الشاعر فمن أى شىء صنعت آلة الشعر؟ صنعت من قطع صغيرة من الألفاظ وهذه الألفاظ وأن استخدمها الصناع المهرة مثل هومر ودانتى فإنهما لا يستطيعان أيضًا رسم الأشياء الخارجية بطريقة جيدة فى مخيلة السامعين كما تتضح هذه الصور فى ذهننا برؤية العمل الذى يقوم به الإزميل والفرشاة لكن ميدان الشعر أوسع فلا تستطيع هذه الفنون الثلاثة أى المسرح والرسم والنحت أن تصل إلى رحابته، فالمثال ينقل الصورة عن طريق النحت فقط والرسام يضيف إلى الصورة بريق الألوان والممثل المسرحى يخلق الحركة بالإضافة إلى اللون والصورة بشرط أن يهئ له الشاعر الألفاظ المناسبة فالشعر يستطيع أن يؤدى الدور الذى تقوم به تلك الفنون الثلاثة فى محاكاة الأشياء الخارجية وأنه يتفوق عليهم بسيطرته على مملكة الشعر التى تكمن فى داخل الإنسان فقط ولا يستطيع أن يصل إليها فن الصور أو النحات أو الممثل المسرحى وغيرها من الفنون الجميلة يستطيعون أن يظهروا

---

(١) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٢ .

(٢) أفلاطون : جمهورية أفلاطون ترجمة فؤاد زكريا ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٣) حالى : المرجع السابق ص ١٤ .

عواطف الإنسان وعاداته بالقدر الذى يظهر من الحركة واللون والصورة وهذه نماذج ناقصة دائمًا وخادعة للنظر وللكيفيات التى توجد فى باطن الإنسان غير أن كيفيات النفس البشرية الدقيقة العميقة المتنوعة لا يمكن إظهارها بوضوح إلا عن طريق الألفاظ، فالشعر يستطيع أن يصور جميع الكون الخارجى والعقلى وجميع الأشياء التى توجد فى الواقع مثل عالم المحسوسات»[١].

وبذلك يكون حالى أول من تحدث عن نظرية «المحاكاة» الأرسطية فى الأدب الأردى وعلى الرغم من أنه لم يعرضها عرضًا دقيقًا كاملاً إلا أنه له الفضل فى إثارة هذا الموضوع لأول مرة فى الأدب الأردى، كما تحدث أيضًا عن علاقة الشعر بالفنون الجميلة (الرسم والنحت والتمثيل).

وقد تأثر حالى بهذه النظرية عن طريق النقاد العرب الذين تناولوا هذه النظرية بالتفصيل فى كتاباتهم النقدية مثل قدامة بن جعفر فى كتابة «نقد الشعر» فضلا عن شرح الفلاسفة المسلمين لهذه النظرية، بالإضافة إلى أن كتب النقد العربى القديم التى تناولت هذه النظرية كانت متوفره فى الهند قبل بداية حركة الترجمة فى جامعة البنجاب التى واكبت حركة على گرطه وكانت ثقافة حالى العربية تؤهله للاطلاع على هذه النظرية كما عرضها النقاد العرب القدماء.

وقد أشار حالى إلى علم اليونان وفلسفتها عندما أشار إلى قصة سولن (Solon) (٦٤٠ - ٥٦٠ ق.م) المقنن اليونانى الشهير وحث شعب أثينا على الاستيلاء على جزيرة سيلمس واستردادها من المجاريين الذين هزموهم واستولوا على الجزيرة فقام سولن بنظم شعر حماسى جعل شعبه يهب مرة واحدة ويسترد الجزيرة بعد أن ظلت فى أيدى المجاريين فترة من الزمن[٢].

وقد جاء فى «مقدمة شعر وشاعرى» أسماء كثير من الشعراء اليونانيين عرضًا مثل: هوميروس صاحب الالياذة والأوديسا وارستوفان (٤٤٨ - ٣٨٠ ق.م) وسوفيكليس (٤٩٥ - ٤٠٦ ق.م) وبندار (٥١٨ - ٤٣٨ ق.م).

---

(١) حالى: المرجع السبق ص ٣٠ - ٣١.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٥.

الأصول الإنجليزية

رجع حالى فى مقدمة شعر وشاعرى إلى العديد من كتب الأدب والنقد الإنجليزى واستشهد بآراء النقاد والشعراء فى كثير من القضايا التى تناولها ولكن ما يلفت انتباهنا هذه المرة أن حالى لم يذكر المراجع التى نقل عنها هذه الآراء بل هو دائمًا يذكر عبارة «قال أحد المؤرخين الأوربيين» فى كل خبر ينقله فى المقدمة إلا أن يذكر شاعرًا معروفًا مثل ميلتون أو مؤرخًا شهيرًا مثل ميكالى، ولعل ذلك يرجع إلى عدم معرفة حالى للغة الإنجليزية. ونتيجة لعدم إلمام حالى بقضايا الأدب والنقد فى الغرب كان كثيرًا ما يخطىء فى فهم هذه النصوص تارة ويعكس المعنى تارة أخرى وفى حين نراه يخطىء فى ترجمة المصطلحات النقدية إلى اللغة الأردية نراه يقتبس بعض النصوص والآراء المبتسرة بعد قطعها عن السياق ويقيم عليها آراءه ويطبق عليها نماذج من الشعر العربى والفارسى والأردى.

وفيما يلى سأتناول المؤثرات والأصول الإنجليزية فى مقدمة شعر وشاعرى مع محاولة ذكر الكتب والمصادر التى نقل حالى عنها.

١ – John Milton (١٦٠٨ – ١٦٧٤م). تأثر حالى كثيرًا بآراء جون ميلتون واستشهد بآرائه فى أكثر من موضع فى المقدمة:

أ – عندما تناول حالى فى مقدمته العملية الإبداعية استشهد برأى ميلتون الذى يرى أن «الشعر ينظم ببذل النفس والجهد وغاية المشقة وأن بيت الشعر الواحد يخضع للعديد من التغييرات المتصلة والمتعاقبة قبل أن يظهر فى صورة جميلة»(١) وهذا الرأى ليس جديدًا فقد تناوله النقاد العرب قبل ميلتون وقد ذكر حالى عدة آراء للعرب القدماء فى هذا الصدد.

ب – وفى موضع آخر من المقدمة يتساءل حالى عن الشروط الواجب توافرها فى الشعر الجيد فيذكر فى هذا الصدد وصف جون ميلتون للشعر الجيد والذى جاء فى كتابه «رسالة التعليم Tractate of Education وهو "Poetry is Simple' Sensuous and Passionate" أى أن الشعر الجيد هو أن يكون «بسيطًا،

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٢.

ومفعمًا بالإحساس والإنفعال»(١) أو بعبارة أخرى «بسيطًا، شعوريًا مؤثرًا»(٢).
وهذا سرد لبعض صفات الشعر وليس حدًا له، وقد عدل ميلتون عنه بعد ذلك وليس له أية أهمية فى الدراسات النقدية التى تناولت آراء ميلتون فى الشعر، ويبدو أن حالى لم ينقل رأى ميلتون هذا مباشرة من كتابه سابق الذكر بل اعتمد على أحد الكتب الكثيرة التى اهتمت بدراسة شعر ميلتون وحياته مثل كتاب "Lives of English poets"(٣) وغيره من كتب النقد والأدب مثل "Essayis in Criticism" (٤) لماثيو أرنولد الذى ذكر هذا القول فى مقالة عن جون كيتسى :John Keats وذكره فى مقالة عن ميلتون وقد أشار إليه كولردج Coleridge (٥) أيضًا.

وظن حالى لكثرة تردد قول ميلتون هذا على ألسنة كثير من النقاد والمحققين وفى العديد من الكتب التى ترجمت حياة ميلتون وآراءه فى النقد، أن هذا رأى ميلتون القاطع فى تعريف الشعر بعد أن قطعه عن سياقه وأقام عليه نظريته فى الشعر الجيد وحاول أن يذكر نماذج من الشعر الأردى والفارسى والعربى وصلت إلى ستة عشر نموذجًا من الشعر ليعرف مدى توفر شروط ميلتون الثلاثة هذه عليها أم لا تنطبق عليها.

وقد نجح حالى فى ترجمة الشرط الأول والثانى ولكنه أخفق فى فهم المعنى الثالث فهو يترجم مصطلح "Simple" إلى الأردية بـ «سادگى» أى البساطة و "Passionate" بـ «جوش» أى العاطفة و "Sensuous" بـ «اصليت» أى الصدق (الحقيقة) فاخطأ فى ترجمة هذه الكلمة. فلم يقصد ميلتون بها معنى الحقيقة Reality(*) فقط بل يقصد أن يكون الشعر حسيًا وبذلك ابتعد عما يقصده

(١) أحمد الشايب: أصول النقد الادبى: ص ٢٩٧.

(٢) ماثيو ارنولد: مقالات فى النقد، ترجمة على جمال الدين عزت جـ ١، ص ٨١.

- Milton, Modern Essays in Criticism. London, p. 3-14.

(٣) Samuel Johnson, Lives of English poests, pp, 37.

(٤) Math ewAr nold, Essays in Criticism, Second Seties. p. 83

(٥) محمد مصطفى بدوى: كولردج ص ٥٧ – ٥٨.

(*) Reality اى الحقيقة وبمعنى الواقعية كذلك، وتستخدم مع المصدر Realism (Joseph. T. Shipley. Dictionary of World Literary Terms London. 1955. P. 335 - 336.

ميلتون ويقول الدكتور أحسن فاروقى[1]: إن كولردج يرى أن تكون هذه الحسية مرتبطة بالحقيقة وليست قائمة على المبالغة» وقد حذف حالى كلمة الحسية واكتفى بالحقيقة لانه لا يجرؤ على الترويج للحسية التى ترتبط بالشهوانية خاصة فى المجتمع الشرقى المحافظ ولعل هذا السبب هو الذى جعله يتغاضى عن هذه الكلمة ويكتفى بالمعنى الآخر وهو الحقيقة.

ويعرض كولردج الصفات الثلاثة التى اشترط الشاعر ميلتون توفرها فى الشعر الجيد قائلاً إن البساطة تميز الشعر عن عمليات التفكير العلمى الاستدلالى الشاقة بينما تحقق الحسية صفة الموضوعية والوضوح فى الصور التى بدونها يصبح الشعر إما صنعة جامدة ميتة وإما أحلام يقظة واهية باهتة، أما وجود العاطفة فيحول دون كون الشعر موضوعيًا حرفًا وينفخ فيه روحًا وحياة إنسانية[2].

وقد ذكر الدكتور عبد القيوم أن مولوى أمير أحمد علوى قد ترجم هذه المصطلحات إلى الأردية كما يلى:

(سادگى، نازک خيالى اورتأثير)[3].

جـ - عقد حالى بابًا فى المقدمة وقارن فيه بين تعريف ابن رشيق (الناشىء الأكبر) وشروط ميلتون للشعر الجيد فيقول: «يوجد فرق دقيق فى تعريف كل من ابن رشيق وميلتون للشعر ويجب علينا أن نمعن النظر فيه، فيفهم من تعريف ابن رشيق أن الشعر الجيد مرهون بكثرة حسن المصادفة فى نهاياته أى قوافيه والتى لا دخل لإرادة الشاعر فيها، فالشاعر لا يخبرنا عن طريقة نظمه للشعر الجيد بل يعرفنا بأن أى شعر من أشعار الشاعر يمكن أن يعتبر جيداً، أما ميلتون فيتوفر فى تعريفه كلا الجانبين، فمن تعريفه للشعر يعرف كلا الشرطين وهما أركان نظم الشعر الجيد ومعرفة الشعر الجيد كذلك وبالرغم من أن هذا ليس ضروريًا بأن مراعاة شروط ميلتون الثلاثة تضمن كونها (الأشعار) سهله ممتنعه دائمًا والتى أخبرنا ابن رشيق بمعيارها ولكن لاشك فى هذا الأمر وهو أن الشاعر الذى سوف يراعى شروطه فى شعره سوف نجد فى شعره لمعان البرق»[4].

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٤١٧.

(٢) محمد مصطفى بدوى: كولردج ص ٥٧ - ٥٨.

(٣) عبد القيوم: المرجع السابق ص ٤٢٥.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٣.

د - وذكر حالى ميلتون عرضاً فى موضع آخر عندما يستشهد برأى اللورد ميكالى فى نظم الشعر بلغة غير اللغة الأم فيقول: إننا قلما نجد شاعراً ينظم الشعر بلغة غير لغته الأم ويبرع فيها على المستوى الفنى اللائق ويذكر أن عدداً من الشعراء الإنجليز الكبار لهم دواوين شعر باللغة اللاتينية ولكنها فى مرتبة أقل من دواوينهم التى نظموها في لغتهم الأم وحتى ميلتون الذى نظم ديوان باللاتينية يعد أقل مرتبة من ديوانه الإنجليزى(١).

٢ - Thomas Babington Macaulay : اللورد ميكالى (١٨٠٠ - ١٨٥٩م).

وقد رجع حالى إليه أكثر من مرة فى مقدمة « شعر وشاعرى » واستفاد حالى كثيراً من مقالات ميكالى المعروفة باسم "Essays" (٢) وخاصة فيما يتعلق بـ Mitton وحياة اللورد بيرون Byron .

أ - عندما تحدث حالى عن ماهية الشعر ذكر أن « ما قاله اللورد ميكالى فى حد الشعر ليس حداً كاملاً »(٣). ثم يذكر ميكالى مرة أخرى عندما يستشهد برأيه فى تأثير شعر ميلتون(٤).

ب - ويسلم حالى فى موضع آخر من المقدمة برأى اللورد ميكالى فى نظم الشعر بلغة غير اللغة الأم للشاعر والتى يعرف قواعدها وأصولها ويتحدث بها فى حياته اليومية فيقول: « وعلى حد قول ميكالى فإن اى شخص لا يستطيع ان يأتى بأفكار وأشعار جيدة إلا فى اللغة التى يذكر منها شيئًا عن كيفية وأسباب تعلمها وظل يتحدث بها مدة طويلة من الزمن قبل أن يعرف نحوها وقواعدها » وذكر أن « كثيراً من علماء إيطاليا ومشاهيرها قد نظموا الشعر باللغة الفرنسية ولكن لم يبق منه اى أثر يذكر على صفحة الزمن وقد رتب كثير من مفكرى إنجلترا ومواطنيها المطبوعون دواوين شعر باللغة اللاتينية ولكن لا يمكن ان يعتبر أى ديوان من دواوينهم من الطبعة الاولى من حيث فن الشعر، بل ولا يمتازون بشىء كذلك من مميزات الطبقة الثانية وكما أن ملكة الشعر شىء فطرى وغريزى فيجب أن يستخدم من أجلها الأداة

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٨٨.

(٢) Lord Macaulay: Essays (Crtical and Historical Essays) London; 1982.

(٣) حالى: المرجع السابق ص ٣٠.

(٤) حالى: المرجع السابق ص ٥٠.

الأكثر ملائمة والتى تكون للشاعر بمنزلة الأشياء الغريزية والفطرية وهى لا يمكن أن تكون أى لغة أخرى سوى لغتها الأم »[١].

٣ – عقد حالى بابًا فى المقدمة ليؤكد على تأثير الشعر على الأمم المختلفة وذكر فيه أمثلة عديدة من الشعر العربى والفارسى والإنجليزى ومن الأمثلة الشعرية التى ذكرها حالى ليدلل بها على تأثير الشعر الإنجليزى هى :

أ – ذكر حالى مثالاً على تأثير شخصية الشاعر بيرون (١٧٨٨ – ١٨٢٤م) على أهل بلده وعلى الناس فى عصره حتى أنهم كانوا « يشترون صوره بشغف كبير ويحتفظون بكل شىء يذكرهم به بكل عناية ويحفظون أشعاره ويحاولون أن يقرضوا أشعاراً على منواله حتى أنهم كانوا يحبون أن يظهروا بمظهره وكثير من الناس كانوا يتدربون أمام المرآة ويضعون التجاعيد فوق شفاههم وجباههم مثلما يوجد فى بعض صور اللورد بيرون وقد بلغ بهم التقليد إلى هذه الدرجة بأن بعضهم قد تركوا لف المنديل حول رقابهم »[٢].

– وأشار حالى فى موضع آخر إلى قصيدته الشهيرة "Childe harolds's[*] Pilgrimage" التى نشرها عام ١٨١٢م وذكر حالى أن بيرون حث الفرنسيين والروس والإنجليز فى هذه القصيدة على تحرير اليونان من الحكم التركى، كما حث اليونانيين على ضرورة الاعتماد على قوة سواعدهم وعدم عقد الآمال على الآخرين وأن يحرروا أنفسهم من عبودية الأتراك، وقد أثرت هذه القصيدة فى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واستراليا وروسيا كما تؤثر النار فى البارد وعندما ثارت اليونان على تركيا وصلت الأساطيل الأوربية المشتركة لمساعدتها على الفور وفى سنة ١٨٢٧م هزم الأسطول الموحد تركيا وأجبرها على تحرير اليونان[٣].

وقد بالغ حالى كثيراً فى وصف تأثير هذه القصيدة العادية الذى جعلها السبب الأول فى تخلص اليونانيين من الحكم التركى مع أن الثابت تاريخيًا أن تركيا كانت قد أصابها الوهن بسبب اتساع امبراطوريتها وكثرة الحروب التى خاضها

(١) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٨٨ .
(٢) حالى : المرجع السابق ص ٤ .
(*) أى رحلة حج الطفل هارولز.
(٣) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢٦ .

جيشها فضلاً عن تكفل أساطيل الدول الأوربية الأخرى مع اليونان وضدها.

ب - أشار حالى أيضاً إلى دور الشعر والشعراء فى إثارة حماس أهل ويلز ضد الجيش الإنجليزى، فعندما أغار الملك إدوارد على ويلز فإن شعراءويلز بدأوا فى قرض أشعار حماسية تأييداً للحماس القومى حتى يثيروا حمية أهل ويلز - على الرغم من أن أهل ويلز لم يكن لهم أى شأن أمام الجيش الإنجليزى إلا أن أشعار شعراء ويلز الحماسية أثارت فيهم حمية حب الوطن.. ولاقى الملك إدوارد كثيراً من الرفض والمقاومة بسبب أشعار الشعراء حتى أنه بعدما انتصر أمر بقتل جميع شعراء ويلز ونسابيها، ومع أن نتيجة الشعر كانت وبالاً على شعراء ويلز ولم تعد بأى فائدة عليهم لكن يتضح جيداً من هذا الحدث مدى تأثير الشعر وإعجازه[1].

جـ - ذكر حالى أيضاً دور الشعر وتأثيره فى قيام الثورة الفرنسية، فعندما بدأ ملك فرنسا شارل العاشر عام ١٨٣٠م باتخاذ الإجراءات ضد قانون الحرية وانتشرت الاضطرابات والقلائل الشديدة بين سكان فرنسا نُظم فى ذلك الوقت قصيدتين هما: «القصيدة الباريسية» و«القصيدة المرسيلية» والأخيرة هى نشيد المارسليز Lamarseillaise الذى نظمه[2] Rouget del, isle وقد ذكرهما حالى مترجمتين إلى اللغة العربية ترجمة[3] رفاعة الطهطاوى.

د -أشار حالى إلى تأثير مسرحيات شكسبير فيقول إن «الناس فى أوربا قد استغلوا الشعر فى تحقيق أغراض عظيمة سامية وخاصة الشعر المسرحى فقد حصل الأوربيون بسببه على فوائد عظيمة من الصعب تقديرها وبهذه الطريقة استفاد الأوربيون كثيراً من مسرحيات شيكسبير فى الموضوعات المختلفة سياسية واجتماعية وأخلاقية ولا يعتبرونها أقل درجة من الإنجيل وحتى الناس الذين تحرروا من قيود الدين كانوا يعتقدون أنها أكثر نفعاً من الإنجيل»[4].

ويبدو أن حالى قد تأثر كثيراً بشراح شيكسبير الذين يرون الجانب الأخلاقى

---

(١) حالى: المرجع السابق ص ٦.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧.

(٣) انظر الترجمة العربية لهما فى مقدمة شعر وشاعرى ص ٧.

(٤) حالى: المرجع السابق ص ٧.

أكثر وضوحًا في مسرحياته ولقى ذلك قبولاً واستحسانًا لدى حالى خاصة وهو يدعو إلى هذا الجانب فى الشعر، بيد ان مسرحيات شيكسبير تحتوى على وجهات نظر متعددة وتحتوى أيضًا على عنصرى الخير والشر ولذلك أخطأ حالى فى مقارنتها بالإنجيل لأن الجانب الأخلاقى شىء طبيعى وضرورى فى كتابته، أما المسرحيات فتحتمل الصدق وتحتمل الكذب.

٤ - وفى باب عقده حالى لبيان عظمة الشعر استشهد فيه بكلام أحد الأوربيين فى الشعر فيقول «إن الشعر ينبه قوى النفس النائمة بسبب الإنهماك فى المشاغل الدنيوية وإنه يجعل عواطفنا البريئة فى مرحلة الطفولة المنزهة عن تلوث المصلحة ناضرة يافعة، أخرى ولاشك أن التدريب وممارسة الأعمال الدنيوية يضاعف من حدة العقل ولكن يموت القلب تمامًا فحينما يسعى الإنسان فى حالة الفقر ويبحث عن قوته ليسد رمقه أو فى حالة الغنى يبحث عن الجاه والمنصب ويرى الأنانية فى كل مكان فإنه يواجه مشاكل جسيمة لو لم يكن لديه وسيلة للترفيه عن القلب والحفاظ على نضارته التى تقوم بعملها بكل هدوء وصمت بصورة قوية بحيث يقوم بعمل المرهم في حالة الفقر والإكسير فى حالة الغنى وقد أودع الله هذه الخاصية فى الشعر بحيث يخرجنا عن دائرة المحسوسات ويمنحنا السيطرة بأحوالنا الماضية والقادمة على حاضرنا، فليس تأثير الشعر على الأخلاق بالعقل فقط بل يؤثر عليه عن طريق الإدراك والذهن فكل شعب يستطيع أن يكتسب الأخلاق الفاضلة من الشعر طبقًا لسمو إدراكه وجودة عقله...»[١].

فهذه العبارة الطويلة التى نقلها حالى ليدلل بها على عظمة الشعر هى ترجمة حرفية لرأى جون ستوارث مل (١٨٠٦ - ١٨٧٣) John Stuart Mill من مقال له عن الشاعر ورد زورث[٢] وقد نقلها حالى دون أن يفهم أنها توضح خصائص شعر ورد زورث فقط ولكن حالى قد عمم هذا الرأى على جميع الشعراء.

٥ - أشار حالى إلى تشبيه الشعر بـ «الفانوس السحرى» وذلك فى موضعين من المقدمة، الموضع الأول يقول فيه: «وقد شبه البعض فى عصرنا الحديث بالفانوس السحرى بحيث إن الفانوس السحرى يظهر جماله وسحره أكثر حينما يكون مضيئًا فى

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٤.

(٢) محمد احسن فاروقى: مطالعه حالى ص ١١٧.

حجره شديدة الحلكة، فهذا الشعر يظهر فى عصور الجهل والظلام ويزداد جمالاً وبهاء »(١) وذكر حالى هذا التشبه مرة أخرى فى المقدمة عندما تحدث عن ازدهار الشعر فى عصور التقدم والحضارة وانحطاطه فى عصور الجهل والظلام فيقول: «إن عدم التحضر يرخى سدوله على الشعر كما يلقى الفانوس السحرى أثره على العيون فكما أن منظر هذا الفانوس يصل إلى ذروة الكمال فى الحجرة المظلمة فالشعر يظهر عجائبه فى العصور المظلمة، فإن جميع مظاهر الفانوس وملامحه تختفى بمجرد مجىء الضوء (ضوء الصباح)(٢).

وهذا التشبيه للشعر بالفانوس السحرى كان شائعًا بين علماء الطبيعة فى أوربا فى عصر النهضة وقد أصبح هذا التشبيه بلا قيمة فى النقد الأدبى الحديث.

٦ - تحدث حالى(٣) عن التجديد فى الشعر وأشار إلى أن الشاعر الذى يقوم بأى محاولة للتجديد فى الشعر وترك المذهب الشعرى الذى يسير عليه قومه ليس عملاً سهلاً بل يجعله يواجه مشكلات صعبة من أهل وطنه الذين تعودوا على طريقة الشعر القديم بما فيه من مبالغة وكذب ويضرب مثلاً على ذلك بما لاقاه الشاعر الإنجليزى جولد سميث (١٧٣٠ - ١٧٧٤) **Gold Smith** من صعوبات فيقول: «لقد واجه جولد سميث نفس المشكلات عندما ترك مذهب شعراء وطنه القدماء الذى كان قائمًا على الكذب والمبالغة واعتنق مذهب الشعر الطبيعى الصادق» ثم يذكر حالى له قصيدة يوجه فيها خطابه إلى شعره الجديد موضحًا فيها للمشاكل والعقبات التى يواجهها وهذه القصيدة بعنوان **"The Desertd Village"** يقول فيها يا شعرى العزيز أنت أول هارب من مجالسهم حيث تطغى النزوات والشهوات النفسية فانت ملام فى كل مكان فى هذا الزمن الوغد فبدلاً من أن تميل القلوب ناحيتك وانال شهرة نزيهة فإننى أشعر بالخجل بسببك فى المجالس العامة، لكننى أفخر بكم عندما أكون بمفردى فانت مرشد طالبى الكمال وحاضنى التقوى فليحفظك الله لتنافسهم أينما انتقدوك أو اعترضوا عليك فى اى مكان فى العالم....» وهذه القصيدة شهيرة وترجم حالى الجزء الأخير منها إلى الأردية والذى ينص فيه الشاعر طغيان النزوات الحسية على المجتمع وليس كدليل على فساد الشعر فى عصره كما

(١) حالى: المرجع السابق ص ٢.
(٢) حالى: المرجع السابق ص ١٢.
(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢٦.

فهم حالى .

٧ - وقد تأثر حالى بالنقد الإنجليزى فيما يتعلق بأهمية الوزن للشعر فيرى أن « الوزن للشعر كالكلمات للموسيقى وكما أن اللحن فى ذاته غير محتاج للألفاظ فإن الشعر أيضًا لا يحتاج إلى الوزن ومن هذا المنطلق فإن هناك كلمتين مستعملتين فى اللغة الإنجليزية إحداهما Poerty والاخرى Verse وأيضًا يستعملون عندنا لفظين هما « الشعر » و« النظم » وكما عندهم شرط الوزن ضرورى لـ Verse وليس ضروريًا لـ Poetry فينبغى أن يعد الوزن شرطًا ضروريًا للنظم وليس للشعر عندما أيضًا »[١] ولعل دعوة حالى هذه بعدم الالتزام بالوزن قد تأثرت بدعوة الرمزيين، فقد أراد هؤلاء الرمزيون أن يجددوا فى أوزانهم فى لغاتهم الأوربية وأن يتخلصوا من سلطان القافية وعندهم أن الوحدة الحق هى وحدة الشعور والإحساس ويجب تطويع الكلمات والتعبيرات لتلائم الفكرة فى التجربة أو الشعور المختمر ولهذا لابد من تحطيم القوالب الرتيبة لتغيير الوحدة الموسيقية مع تغير العبارة، وتتنوع بتنوع الإحساس، فالموسيقى جوهر الشعر وأقوى عناصر الإيحاء فيه والموسيقى تنبعث من وحدة الدافع فى الجملة على حسب الشعور الذى يعبر عنه وتطابق الشعور مع الموسيقى المعبرة عنه هو ما يؤلف وحدة القصيدة كلها، ولا ينبغى أن تكون هذه الموسيقى رتيبة بحال لأنها تعبيرية إيحائية تضفى على الكلمات أقصى ما يستطاع التعبير عنه من معنى وتتنوع من وزن إلى وزن على حساب الحاسة الفنية للنغمات عند الشاعر نفسه فى القصيدة الواحدة فوحدة الإيقاع فى تغير - فى نفس التجربة الشعورية - على حساب ما يمكن فيها من قوى تعبيرية تكشف عن خلجات النفس، والكلمات أصوات ودلالة الاصوات موسيقى إيحائية قبل أن تكون تعبيرية وصفية، والشاعر الحق هو من يستطيع أن يروى من نبع هذه الدلالات الموسيقية الأصيلة فى اللغة[٢].

وعلى الرغم من أن حالى قد هون من أهمية الوزن للشعر، إلا أنه لم يرفضه تمامًا فيرى أنه « لاشك أن جمال الشعر وتأثيره يتضاعف باستخدام الوزن وقد كتب أحد الباحثين الاوربيين أنه على الرغم من أن الشعر لا يتقيد بالوزن وأن الشعر كان فى أول الأمر خاليًا من هذه الزينة لمدة كبيرة فلاشك أن تأثر الشعر بالوزن يصير أكثر

(١) حالى : المرجع السابق ص ٢٧ .

(٢) محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ص ٤٤٠ - ٤٤٦ .

وحدة وسحرًا واعظم نفعًا وتأثيرًا»[1].

على أن الرمزيين لم يقضوا على استعمال الأوزان القديمة بل أباحوا للشاعر أن ينظم أو ينوع فيها وله كذلك أن يخترع أوزاناً - ما بداله - على الأساس السابق ولكنهم لم يحتموا عليه ذلك، فالموسيقى رهينة بتجربته كما يراها الشاعر على أن الرمزيين لم يقضوا على استعمال الأوزان القديمة بل أباحوا للشاعر الأوزان القديمة، وكثير من المعاصرين منهم يلتزمون القيود التقليدية فى الأوزان فى كثير من قصائدهم[2].

٨ - وقد دعا حالى أيضاً إلى التخلص من قيود القافية بتأثير من الدعوات التى صدرت من الغرب فيقول: تعتبر القافية لدينا كذلك لازمة للشعر مثل الوزن غير أن القافية فى الحقيقة ضرورية للنظم وليس للشعر... وقد راج فى أوربا فى الوقت الحاضر الـ Blank Verse، أى الشعر غير المقفى أكثر من المقفى ومع أن القافية أيضاً تزيد من حسن الشعر مثل الوزن ويتلذذ اللسان بقراءته وتستمتع آذان السامعين به إلا أن القافية وخاصة عند شعراء العجم الذين كبلوا بها الشعر بقيود صارمة للغاية ثم أضافوا عليها الرديف فإنها بلاشك تثنى الشاعر عن أداء واجبه ووظائفه[3].

وقد هون الرمزيون من قيمة القافية فنادوا بإهمالها، أو اكتفوا بتقارب فى الاصوات الأخيرة فى الأبيات التى تتوافق فيها ولم يهتموا كذلك بأن يكون للبيت مصراع بل يكون وحده كله وكانت لهذه الدعوة أثرها على الآداب الشرقية فظهرت الدعوى إلى الشعر المنثور أو الحر الذى لا يلتزم بوزن اصطلاحى ولا قافية فالثورة على الوزن والقافية بدأت منذ القديم فقد مل الشعراء النظم على وتيرة واحدة فى القصائد وتاقوا إلى التنويع والتجديد فكانت الموشحات العربية ثورة على نظام القصيدة فى الأوزان والقوافى[4].

وكان حالى أول من نادى بهذه الثورة على نظام القوافى والأوزان القديمة فى الادب الأردى وبدأ الشعراء الأرديون بالفعل النظم فى الشعر الحر او المنثور ولكن هذه التجربة سوف تأخذ وقتاً طويلاً من الزمن لكن تثبت الأيام صدق دعوة حالى أو عدم مصداقيتها ويستطيع النقاد تقييمها.

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢٨.

(٢) محمد غنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث ص ٤٤٦.

(٣) حالى: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٤) محمد غنيمى هلال: المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٤٦.

٩ – تأثر حالى كذلك بكتاب Lives of the English Poets للناقد الإنجليزى Samuel Johnson ورجع إليه فى مواضع عديدة فيذكر حالى السير والترسكوت (١٧٧١ – ١٨٣٢) Sir walter scott، وتجربة الدقة فى نظم شعره فذكر أنه « يعد من كبار شعراء الإنجليز ويتميز بميزتين فى بعض قصائده، الميزة الأولى هى عدم التجاوز عن الحقيقة، والثانية عرضه لكل معنى من المعانى بأساليب مختلفة جديدة ففى أى مكان صور فيه جو الحديقة أو الجهل أو الغابة يظهر منه أنه قد انتخب جميع المميزات التى كانت روحاً للمكان (للمنظر)[١]، وقد تأثر حالى برأى جونسن عندما شرح معنى « الشعراء الطبيعى » فيقول: إن « المقصود من شعر الطبيعة هو الشعر الذى يطابق الطبيعة أى النظرة والعادة من ناحيتى اللفظ والمعنى، والمقصود من مطابقة اللفظ للطبيعة هو أن يكون ألفاظ الشعر وجملة وتراكيبه وتعبيراته موافقة للغة الحديث العادية التى نظم بها الشعر بقدر الإمكان لان لغة الحديث العادية اليومية فى كل لغة تكون فى حكم الطبيعة أو الطبيعة الثانية للناس الذين يتحدثونها فلذا كلما يكون الشعر بعيداً عن اللغة اليومية ولغة الحديث العادية بلا داع فسوف يعتبر شعراً غير طبيعى والمراد من مطابقة المعنى للطبيعة هو بيان تلك الأمور فى الشعر كما حدثت فى الواقع أو كما ينبغى أن تحدث أما معنى الشعر الذى يكون عكس هذا فإنه سيعتبر غير طبيعى[٢].

وهذا المعنى أخذه حالى من كتاب جونسن[٣] على الرغم من أنه لم يكن جديداً فقد تناوله النقاد العرب هذه النقطة جيداً فى كتبهم وخاصة ابن قتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء »، وكان حالى أول من دعا إلى مذهب الطبيعة في الشعر الأردى والتخلص من التقيد بالمحسنات البديعية واللفظية فى الشعر.

١٠ – ويبدو أن حالى قد تأثر بنظرية الخيال عند كولردج Colerdge فهو يقول فى المقدمة معرفاً للخيال، بأنه « هو القوة التى تمنح صورة جديدة بعد إعادة ترتيب ذخيرة المعلومات والتجارب والمشاهد التى تكون موجودة فى الذهن من قبل ويظهر هذه الصورة بالكلمات فى أسلوب جذاب مختلف إلى حد ما عن الأساليب العادية[٤].

---

(١) حالى: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى، ص ٧٩.

(3) Samuel Johnson: Lives of the English poets, Vol II, PP. 347 - 348.

(٤) حالى: المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٥.

وهذا التعريف للخيال ذكره كولردج فى كتابه[١] Biographia Literaria، فيقول: «إننى أعتبر الخيال إذن إماً أولياً أو ثانوياً، فالخيال الأولى فى رأيى القوة الحيوية أو الأولية التى تجعل الإدراك الإنسانى ممكناً وهو تكرار فى العقل المتناهى لعملية الخلق الخالدة فى الأنا المطلقة، أما الخيال الثانوى فهو فى عرفى صدى للخيال الأولى غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية، وهو يشبه الخيال الأولى فى نوع الوظيفة التى يؤديها ولكنه يختلف عنه فى الدرجة وفى طريقة نشاطه، وأنه يذوب ويتلاشى ويتحطم لكن يخلق من جديد وحينما لا تتسنى له هذه العملية فإنه على الأقل يسعى إلى إيجاد الواحدة وإلى تحويل الواقع إلى المثالى، أنه فى جوهره حيوى بينما الموضوعات التى يعمل بها (باعتبارها موضوعات) فى جوهرها ثابتة لا حياة فيها»[٢].

ويصف كولردج الخيال الثانوى بقوله: «هو القوة التى بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صوراً وأحاسيس (فى القصيدة) فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر وهذه القوة تظهر فى صورة عنيفة قوية – وهذه القوة هى أسمى الملكات الإنسانية، تتخذ أشكالاً مختلفة منها العاطفى العنيف ومنها الهادىء الساكن ففى صور نشاطها الهادئة التى تبعث على المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة بينما تفتقد هذه الوحدة فى وصف الرجل العادى الذى لا تتوفر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء إذ نجده يصفها وصفاً بطيئاً الشىء تلو الشىء بأسلوب يخلو من العاطفة، وهذه الوحدة التى تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التى تخلقها الطبيعة ذاتها التى هى أعظم الشعراء جميعاً»[٣].

ولعل تأثر حالى بدور الخيال فى العملية الشعرية أعمق عندما تأثر بآراء الفلاسفة المسلمين فى وصف الخيال ووظيفة الخيال ومكانته بين القوى الإنسانية فيرى أن «الخيال أو القوة المتخيلة والذى يطلقون عليه فى الإنجليزية اسم Imagination هو الشىء الأولى والضرورى والذى يتميز به الشاعر عن غير الشاعر، فعندنا تتوفر هذه القوة بشكل تام لدى شاعر يكون شعره على درجة كبيرة من الجودة، وعندما تقل هذه القوة يكون شعره رديئاً وهذه ملكة فطرية يولد بها الشاعر ولا يستطيع أن ينالها بالاكتساب.. وقوة الخيال هذه تحرر الشاعر من قيد الزمان والوقت وتقرب الماضى والمستقبل إلى الحال «ويجب على الشاعر ألا يترك العنان لخياله فيجول فى كل مكان فلا يستطيع التحكم

---

(١) Colerdge, Biographia Literaria Vol. I. P. 200 - 202.

(٢) محمد مصطفى بدوى: كولردج، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) Colerdge, Shakseperean Criticism Vol: L. PP. 212, 213.

فيه بل يجب عليه أن يستعين بالقوة المميزة للسيطرة على القوة المتخيلة فتؤدى عملها باتقان وجودة[1].

وبالمقارنة بين تعريف الخيال الذى طرحه حالى لأول مرة بمفهومه الحديث فى الشعر الأردى وبين تعريف كولردج يتضح أن حالى لم يستوعب جيداً نظرية كولردج فى الخيال، إما لصعوبتها أو لعدم ترجمة هذه النظرية إلى الأردية ترجمة دقيقة.

وفيما مضى استعرضت أهم القضايا التى تأثر حالى بها من النقد الغربى وهى بالطبع أقل من تأثره بالنقد العربى ولعل ذلك يرجع إلى عدم معرفة حالى للغة الإنجليزية مما جعله يرجع إلى الكتب المترجمة إلى الأردية وكانت ترجمات رديئة لعدم استيعاب اللغة الأردية الوليدة للمصطلحات النقدية الحديثة فى اللغة الإنجليزية علاوة على أن الكتب المترجمة هذه كانت كتباً مدرسية خاصة بالمقررات والمناهج التعليمية فلم يكن من بينها كتاب نقدى مشهور يستطع حالى عن طريقه الإطلاع على النظريات النقدية فى الغرب وخاصة الكلاسيكية والرومانسية وغيرها من المذاهب الأدبية فى الشعر والنقد التى كانت شائعة فى أوربا آنذاك ولربما كان قد أدخل العديد من هذه الأفكار والنظريات إلى النقد الأردى لأول مرة ولكانت مقدمة شعر وشاعرى أكثر عمقاً وتأصيلاً.

ولو أن حالى كان يعرف الإنجليزية جيداً لاتيحت له الفرصة كاملة للإطلاع على منابع الثقافة الإنجليزية وكتب النقد والأدب الإنجليزية بصورة أفضل، ولربما كان يتأثر أكثر بالقضايا النقدية، لذلك لا نلوم حالى على عدم إدراكه للنظريات النقدية الغربية بصورة جيدة، بل وعكسه لمفهومها أحياناً فيذهب عكس ما تريد أو تقصد، لذا كان التأثيرْ العربى أقرب إلى نفسية حالى فثقافته عربية بالإضافة إلى أن الشعر الأردى متأثر بالشعر العربى فى أوزانه وقوافيه وموضوعاته وفنونه.

لذلك يجب علينا ألا نحكم على نقد حالى بالمعايير النقدية الحديثة لأنه على الرغم من سذاجة بعض الأفكار التى وردت فى مقدمة شعر وشاعرى وبساطتها بالنسبة لنا الآن، إلا أنها كانت جديدة ورائدة فى عصره ويكفيه فضل إثارة هذه القضايا المختلفة في الشعر الأردى وطرحه لفكره التجديد فى الشعر الأردى من حيث الشكل والمضمون والوزن والقافية وأهمية الخيال ومقارنته بين الشعر والفنون الجميلة، بالإضافة إلى تناوله لنظرية «الفن للمجتمع» ولنظرية «المحاكاة» التى كانت بمثابة الأسس الثابتة التى انطلقت منها جميع الدراسات النقدية الحديثة فى الشعر الأردى بصفة خاصة وفى الشعر بصفة عامة.

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى، ص ٣٣، ٣٤.

[الفصل الثالث]

مقدمة شعر وشاعرى

(دراسة وصفية - تحليلية - نقدية)

١ - تأثير الشعر ودوره فى المجتمع.

٢ - ماهية الشعر - العناصر الضرورية لتكوين الشاعر - مقاييس الشعر الجيد.

٣ - فنون الشعر الأردى (الغزل - القصيدة - المرثية - المثنوى).

مقدمة شعر وشاعرى

تعتبر مقدمة حالى أول كتاب منهجى فى نقد الشعر الأردى فقد كان النقد قبله نتفا متفرقة فى كتب البلاغة والأدب وطبقات الشعراء وتذاكر الشعراء فكانت مقدمة شعر وشاعرى الكتاب الأول الذى جمع شتات الأفكار والآراء النقدية فى كتاب أفرده صاحبه لهذا الغرض وهو النقد الأدبى وحاول فيه حالى تأصيل مفهوم النقد الأردى ليصبح علماً قائماً بذاته له أصوله وله قواعده التى يجب على كل ناقد أو شاعر الالتزام بها، وقد كان النقد قبل حالى مهتماً بالبلاغة واللغة فقط فإن أجاد الشاعر استخدام اللغة بقوة وبأسلوب بليغ كان شاعراً موهوباً وماعدا ذلك فهو ليس بالشعر وبذلك خضع النقد الإردى لفوضى الأذواق الشخصية فجاء حالى وحاول تأصيل علم للنقد وإرساء قواعد منظمة له يسير عليها الشعراء فى الشعر العربى والفارسى والأردى وبذلك كانت مقدمة شعر وشاعرى حجر الأساس للدراسات النقدية فى الشعر والأدب الأردى كما يعتبر كتاب «فن الشعر» لأرسطو طاليس بالنسبة للنقد الغربى، ومع ذلك فلم تخل محاوله حالى من النقد فكتب عليها كثير من المقالات والكتب التى مازالت تنشر حق اليوم وكان أبرز من نقد «مقدمة شعر وشاعرى» الدكتور عبد القيوم فى كتابه «حالى كى اردو نثر نكارى» والدكتور وحيد قريشى فى «مقدمته على مقدمة شعر وشاعرى» وبالرغم من النقد الذى وجه إلى مقدمة شعر وشاعرى فإن كثيراً من النقاد قد بالغ فى مدحها حتى عدوها لا مثيل لها فى الآداب الشرقية وقارنوا بينها وبين مقدمة «ورد زورث» و«كولردج» فى الأدب الإنجليزى.

ولاشك ان مقدمة حالى لها أهمية كبيرة من الناحية التاريخية فقد نشرت لأول مرة عام ١٨٩٣م ووصلت طبعاتها حتى الآن إلى ما يقرب من مائة طبعة وهذا دليل قاطع على أهميتها فى النقد.

وقد تطرق حالى فى مقدمته إلى موضوعات هامة فتحدث عن تأثير الشعر وعظمته وعن الجانب المفيد فيه واهميته للحضارة الإنسانية وتحدث عن ماهيه الشعر وتعريفه وخصائص الشعر الجيد والشروط الواجب توافرها فى الشاعر الفحل وتناول قضية

الأخلاق فى الشعر والكذب والمبالغة وقضية اللفظ والمعنى والطبع والصنعة وأهمية الشعر للمجتمع وقضية الوزن والقافية وحاول طرح افكاره وآراء الآخرين فيما يتعلق بإصلاح الشعر الأردى وفى النهاية تحدث عن إصلاح الفنون الشعرية الشهيرة فى الشعر الأردى وهى : الغزل والقصيدة والمرثية والمثنوى .

وتنقسم مقدمة « شعر وشاعرى » إلى ثلاثة موضوعات » :

الموضوع الأول : - تأثير الشعر ونوعية هذا التأثير ودور الشعر فى المجتمع .

الموضوع الثانى :- بحث فى ماهية الشعر والعناصر الضرورية لتكوين الشاعر، ومقاييس الشعر الجيد .

الموضوع الثالث :- بحث مفصل فى فنون الشعر الأردى (الغزل - القصيدة - المرثية- المثنوى) .

وسوف نتناول فى الصفحات التالية القضايا النقدية الكبرى التى ذكرها حالى فى المقدمة بقدر من الاختصار[١] .

(١) انظر : الترجمة العربية لكتاب « مقدمة شعر وشاعرى » ترجمة المؤلف .

١ - الموضوع الأول

حاول حالى جاهداً فى هذا الموضوع التأكيد على تأثير الشعر ودوره فى المجتمع وأهمية الشعر للحضارة الإنسانية ومزج بين حكايات من الشرق والغرب فى سبيل تأييد آرائه ليوضح بها مدى تأثير الشعر على الجمهور ولكنها لم تكن آراء عميقة فى أغلبها وكانت تفتقد إلى المنطق فى بعض الأحيان.

ففى بداية المقدمة لم ينس حالى هذه العادة التى لازمت معظم النقاد والشعراء الذين تحدثوا عن الشعر بصفة عامة وأقصد بهذه العادة الحديث عن «مدح الشعر وذمه» وذكر الآراء المختلفة التى قيلت فيه مدحًا أو ذمًا «فقد قيل كلام كثير فى مدح الشعر وذمة والكلام الذى قيل فى ذمه أقرب إلى القياس حتى قال شاعر بنفسه إنه ليس هناك من بين الحرفيين أحقر من الشاعر الذى لا يحتاج المجتمع» وذكر حالى رأى أفلاطون الذى أكد فيه أهمية جميع الحرف وأربابها سوى الشعراء، وأورد أيضًا تشبيه بعض العلماء للشعر بالفانوس السحرى الذى يظهر جماله وسحره أكثر حينما يكون مضيئًا فى حجرة شديدة الحلكة فهكذا «الشعر يظهر فى عصور الجهل والظلام ويزداد جمالاً وبهاء»(١).

ويسلم حالى بأن ملكة الشعر يولد بها الشاعر وهى وديعة فى طبائع الشعراء «ومع أن كثيراً منهم قد استعملوا هذه الملكة الشعرية خلافًا لمقتضى الفطرة لكننا لا نستطيع أن نغير هذه الموهبة الفطرية لمجرد أن أكثر الناس قد أخطأوا فى استعمالها خلافًا للفطرة» فالشعر ليس شيئًا مكتسبًا بل هو موهبة توجد لدى بعض الطبائع.

تأثير الشعر :-

يرى حالى أن أى شخص لا يمكن أن «ينكر تأثير الشعر، فكثيراً ما ينشأ لدى السامعين له الإحساس بالحزن أو السرور أو الكآبة أو الحماس قليلاً أو كثيراً»(٢).

وذكر أمثلة كثيرة على تأثير الشعر والشعراء على الجمهور فهناك أمثلة كثيرة فى التاريخ على أن الشعراء قد ملكوا قلوب الناس ببيانهم السحرى وفى بعض الأحيان يؤثر

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٣.

شعر الشاعر على قلب الجمهور بحيث يصبح كل شيء يتعلق بالشاعر مستحسنا في نظر الناس ويضرب مثلاً على ذلك بمحاولة الناس تقليد الشاعر « بيرون » حتى في عيوبه فقد كان الناس يشترون صوره بشغف كبير ويحفظون أشعاره ويحاولون أن يقرضوا أشعاراً على منواله وقارن حالي بين هذه الشهرة التي نالها بيرون وتلك التي نالها ميرزا أنيس وميزا دبير في شعر المراثي ويرى أن الفرق بينهما وبين اللورد « بيرون » هو أن الإنجليز كانوا يعظمون اللورد بيرون من كل قلوبهم لأنهم كانوا يعتبرونه شاعراً قومياً لذا كان محببا لدى الكاثوليك والبرتستانت على حد السواء، أما ميرزانيس وميرزا دبير فكانت عظمتهما تكمن في كونهما من الشعراء الدينين لذا لم ينالا عظمتهما لدى فرقة مثل ما كانت لدى الفرقة الأخرى وهذا هو الفرق بين أعمالنا القومية والدينية وبين أعمال الأمم الأوربية[1].

ويسلم حالي بأن للشعر دوراً عظيماً في السياسة « فقد اعتبر الأوربيون منذ زمن قديم الشعر من إحدى الوسائل الهامة والقوية لترغيب الأمم وتحريضها في أيام أزماتها السياسية » وذكر حالي على سبيل المثال ذلك النزاع الذي نشب بين الاثينيين والمجاريين واستمر سنينا طويلة بشأن جزيرة سيلموس، ومنيت أثينا بهزائم متلاحقة حتى قام المقنن والمشرع الشهير « سولن » بنظم قصيدة حماسية أثرت على الاثينين فاستردوا الجزيرة، وذكر أيضا أمثلة على تأثير الشعر بالشعر الذي نظمة شعراء ويلز في مواجهة الملك ادوارد وكذلك تأثير قصيدة « بيرون » Childe Harold's Pilgrimage (*) التي كان لها دور بارز في تحرر اليونان من الحكم التركي، كما أشار حالي أيضاً إلى دور « القصيدة الباريسية » و« القصيدة المرسيلية » في قيام الفرنسيين بالثورة على ملكهم شارل العاشر، وإلى جانب هذه الأمثلة من الشعر الغربي التي أوردها حالي كنموذج لتأثير الشعر فقد ذكر أيضاً نماذج من الشعر الشرقي ويورد في سبيله إلى ذلك « تأثير الشعر في العصر الجاهلي »[2] ويذكر نماذج لتأثير الشعر الفارسي كذلك.

وقد اتفق شبلي النعماني مع حالي في أن للشعر تأثيراً كبيراً ودوراً بارزاً في المجتمع، وأكد على ذلك في كتابه « شعر العجم » حيث أن « الشعر شيء مؤثر وجذاب » وهذا أمر

---

(١) حالي: المرجع السابق ص ٤.

(*) أي حج الطفل هارولد.

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ١٤ - ١٥.

بديهى واستشهد برأى أرسطو الذى جاء فى كتابه «فن الشعر». ويرى أن الشعر يتعلق بالعواطف لذا فالتأثير سمة من سماته وأحد عناصره وأن الشعر يؤثر على العواطف الإنسانية كلها لذلك نجد فيه نفسى تأثير الحزن والسعادة والحماس والحيرة الاستعجاب ولا يوجد أحد ينكرتأثير الشعر الذى لا يصور المحسوسات فحسب بل يصور لنا كثيراً من العواطف الخفية التى لا نعرفها أو المستترة التى تغيب عنا، يجعلها ظاهرة أمامنا ويقوم بصقلها وإبرازها(١).

ويرى حالى أن هناك علاقة بين الشعر والأخلاق فالشعر يلهب العواطف النفسية ويحى السعادة الروحية «فهناك علاقة واضحة بين أخلاق الإنسان وسعادته الروحية الطاهرة الذى لا يحتاج لذكرها هنا ومع أن الشعر لا يرشده لا يقوم بتربيته مباشرة مثل علم الأخلاق، لكن الشعر ينوب عنه ويقوم بأعماله وبناء على هذا فالشعر من أهم أركان «السماع» الذى يعتقد به طريقة من طرق الصوفية ويعد وسيلة من وسائل التقرب إلى الله وسببا فى تزكية الباطن وصفاء النفس»(٢).

«وأن تأثير الشعر على الأخلاق لا يكون بالعقل فقط بل يؤثر عليها عن طريق الإدراك والذهن، فكل شعب يستطيع أن يكتسب الأخلاق الفاضلة من الشعر طبقًا لاستعداده ولسمو إدراكه وجودة عقليته... والصفات لا تكتسب لدى أى شعب إلا بالشعر، ولو نجح أفلاطون فى نفى الشعراء وتشريدهم بسبب جمهوريته المثالية لما أسدى أى إحسان أبداً إلى الأخلاق..»(٣).

ويرى شبلى النعمانى أنه «لا يوجد هناك أى إدارة أفضل من الشعر فى تلقين الأخلاق القويمة، فعلم الأخلاق علم مستقل وفرع من الفلسفة وقد كتبت فيه كتب عديدة بكل اللغات، إلا أن بيت الشعر شىء مؤثر والفكرة التى يتناولها الشعر تتعلق بالقلب وتؤثر على العواطف والمشاعر، لذا لو تم بيان الموضوعات الأخلاقية عن طريق الشعر وكذا العواطف الشريفة مثل الشجاعة والغيرة والهمة والحمية والحرية وغيرها من الأفكار فلا يعادلها طريقة، ولا يمكن للموسيقى العسكرية أن تؤدى التأثير الذى يمكن أن يحدثه بيت شعر واحد من الرجز.

---

(١) شبلى النعمانى: شعر العجم، جـ ٤، صـ ١٠١ - ١٠٣.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ١٣.

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٤.

وقد كتب فى علم الأخلاق كتب عديدة مثل أخلاق جلالى وأخلاق ناصرى إلا أن الأخلاق والعادات الإيرانية تتجلى على أكمل وجه فى الگلستان والبوستان(١).

الشعر والمجتمع:

يرى حالى أن اتجاه الشعر « يتغير تبعا لتغير أفكار المجتمع وميوله ورغباته وعاداته وتذوقه تغيرا لا يشعر به أبدا، فالشاعر لا يغير من طابعه وطريقته فى الشعر عمدا بعد رؤية وضع المجتمع بل أنه يتغير تلقائياً مع المجتمع، لأنه من الممكن أن يطرأ على الشعر - تحت ضغط المجتمع أو تحت تأثير متطلبات العصر - حاله ما بحيث يصبح أداة قوية لا فساد أخلاق المجتمع والقضاء عليه بدلا من إصلاحه » ويضرب حالى مثلا على ذلك بعبيد زاكانى(٢) وتحوله إلى موضوعات الهزل والسخرية بتأثير المجتمع ومتطلباته وبذلك يتحول الشاعر العاطفى الحرفى أفكاره بصورة غير ملموسة لصيت البلاط وطعم الصلة إلى طريق التملق والكذب والنفاق والهزل والسخرية ويعتبره الكمال فى الشعر ويصير الشاعر عبدا يستجدى بالشعر كالشحاذين(٣).

ولقد كان القرن الثامن الهجرى الذى عاش فيها شاعرنا (عبيد زاكانى) قرنا مشحونا بالأحداث التاريخية بقدر ما كان مشحونابتيارات ثقافية متعددة لعل أشهى ثمارها شعراء الفكاهة وقد سلك سعدى فى الأدب أساليب مختلفة حتى الهزل فقد نظم فيه رغم صلاحه وتقواه وله فيه قطع سماها « الخبيثات » وله غزليات سماها « الطيبات » يلاحظ فى أدب هذا العصر تفشى روح التهكم والاستهزاءوالسخرية وظهر شعراء كثيرون لكل واحد منهم طريقة معروفة فى الكتابة، فهناك الشاعر أبو اسحق الذى اخترع نوعا من الشعر الفكاهى وهو التغزل فى الأطعمة حيث يتغنى بلذة الطعام فى قالب هزلى قوى طريف. وكان أشهر شعراء الفكاهة والهزل فى عصر المغول بل فى جميع عصور الادب الإسلامى الفارسى هو نظام الدين عبيد زاكانى وكان قلمه يقطر بالسخرية اللاذعة، وقد نظم منظومته المعروفة باسم « موشى وگربه » أى الفأر والهر من أجل تشريح

---

(١) شبلى النعمانى: شعر العجم، جـ ٤، صـ ١٠٧ - ١٠٨.

(٢) عبيد زاكانى: من أشهر شعراء الفكاهة والهزل فى عصر المغول ولد عام ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠ م فى قرية زاكان قرب قزوين. (يوسف صلاح الدين: عبيد زاكانى. رسالة ماجستير لم تنشر جامعة القاهرة، ١٩٦٧م. ص ١٢).

(٣) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٦.

فساد الزمن والناس عن طريق الفكاهة والتندر وتوضيح حالة الاضطراب التى خيمت على الوقت والسخرية عند عبيد تحتوى على أهداف اجتماعية[١].

ويذكر حالى سبب تحول عبيد زاكانى إلى السخرية والهزل فيقول: « ذهب عبيد إلى شيراز عند شاه أبو اسحق انجو وعندما أراد المثول فى بلاط الملك علم أن الملك مشغول بالمهرجين وليس عنده فرصة للقاء أحد فقال عبيد لو يمكن التقرب إلى الملك بالسخرية فلا داعى لطلب العلم ومنذ ذلك الوقت اختار طريقة السخرية فى الأدب والشعر وأصبح مشهورا فى هذا المجال[٢].

وقد نقل حالى هذه الرواية عن دولتشاه السمر قندى الذى أوردها فى كتابه تذكرة الشعراء هكذا: - « .. يقال أنه (أى عبيد زاكانى) قد ألف رسالة فى « علم المعانى » باسم شاه أبو اسحق (اينجو) وأراد أن يعرضها عليه فقالوا له أن الهزالين قد حضروا وأن الملك مشغول بهم فتعجب عبيد وقال بما أنه من السهل التقرب للسلطان بالمساخر وأن الهازلين مقبولون والعلماء والفضلاء محجوبون ومنكوبون فلماذا يتألم (يتعذب) الإنسان بالمذاكرة ويملأ عقله بدخان مصباح المدرسة بلا فائدة وفى النهاية لا ينال التقرب من بلاط الملك »[٣].

وعندئذ صمم عبيد زاكانى أن يتبع طريق الجرأة وسلاطة اللسان إذ يجب أن يحصل على نصيب من ذلك المجتمع، المجتمع السلطانى الراقى، والشىء الذى حدث بالفعل أنه أصبح واحدا من أتباعه وأصفيائه، ثم بدأ بلا هواده يعلن الأقوال اللذاعة ويقول النكات المكشوفة والقفشات النادرة فحصل على هدايا وعطايا لا حصر لها وعندئذ لم يجرؤ أحد أن يتعرض له[٤].

ويتطرق حالى لقضية هامة هى أن « تقدير الشعراء مفيد فى الدول القومية ومضر للحكومة الفردية » وكان الشعراء يتمتعون بالتبجيل الاحترام فى البلاد غير العربية، والشعر يتطور تطورا هائلا بتبجيل الشعراء وتقديرهم فى الدول القومية التى لا يرأسها

---

(١) يوسف صلاح الدين: عبيد زاكانى ص ١٠ - ١٤.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٦.

(٣) دولتشاه السمر قندى: تذكرة الشعرا طبعة بومباى ١٨٨٧ م ص ١٢٥- ١٢٦.

(٤) يوسف صلاح الدين: عبيد زاكانى (رسالة ماجستير لم تنشر جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ ص ١٥ - ١٥م.

حاكم مطلق، فما دام الشاعر غير مقبول لدى الشعب فان الدولة لا تسانده ولا تشجعه، أما الشاعر الذى يؤدى واجبات شعره بحرية تامة دون خوف ورجاء فانه يستطيع أن ينال القبول والشهرة لدى الشعب لأنهلا يحفل بمساعدة الدولة ولا يخاف من عقاب الملك، أما فى الحكومة الفردية فان الشاعر يضع فى الاعتبار ابتغاء مرضاة البلاط فيتخلى عن الحرية فى التعبير حتى يتبدد حماسة وصدق عاطفته تدريجيا والتى بدونها يعتبر الشعر قالبا بلا روح، فهو لا يستطيع أن يمدح أحدا بما يتمناه قلبه ولا يستطيع أن يهجو آخر بعاطفة صادقة. واستشهد حالى على ذلك برثاء مروان بن أبى حفص لمعن بن زائدة وما كان من استدعاء المهدى له واهانته على ذلك، فالحكومة الشخصية تلحق الضرر بحرية الشاعر «فلو أن شاعرا قانع المزاج، حر الطبع، ولم يفكر فى ابتغاء مرضاة البلاط فانه سوف ينال جزاءه كما نال الفردوسى جزاءه فلم يجن من عمله هذا سوى الحرمان وخيبة الأمل وذلك لأنه لم يخضع لتأثير البلاط وضغط المجتمع على طبعه الحر»[1].

ويرى حالى أن «الشعر الفاسد يصيب المجتمع بالضرر أيضًا فعندما ينتشر الشعر الكاذب بين جميع الناس وتأنس آذانهم بالكذب والمبالغة فان الشاعر الذى يكون فى أشعاره كثير من المبالغة والكذب وينال التقدير والاعجاب بشعره فهو يغلو ويبالغ لكى ينال مزيدا من الاعجاب والتقدير، فمن ناحية تنأى طبيعته عن الصدق ومن ناحية أخرى فان الأحاديث الكاذبة التى لا أساس تذيب السم من ذوقه مجتمع السامعين فى صورة الوزن والقافية الجذابة وتقل أهمية الوقائع الأحداث عند الناس يوما بعد يوم وتبدأ قلوبهم تنشرح بالافكارالخيالية وخوارق الطبيعة والأحداث الغريبة وتضطرب قلب السامعين أكثر بسماع أحداث التاريخ الصحيحة يجدون متعة فى القصص الكاذبة وبذلك تتأصل الأخلاق الذميمة فى المجتمع بهدوء وصمت»[2].

ويخلص حالى فى النهاية إلى أن العلاقة التى تربط بين شعر أمة ما وبين أدبها هى نفس العلاقة التى بين القلب والجسد حيث «إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله».

ويرى شبلى النعمانى أن الشعر قوة عظيمة يمكن استخدامها فى المهام الكبرى – فى المجتمع – بشرط أن تستعمل الاستعمال الصحيح وقد استعمل العرب الشعر استعمالا

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى صـ ١٩ – ٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢.

صحيحا على عكس شعراء ايران الذين لم يستعملوه كما ينبغى وكان يغلب على شعرهم مضوعات فقط هما: مدح الملوك والأمراء وما يتضمنه هذا المدح من كبالغة وكذب، وموضوعات العشق المليئة بالمبالغة الفضول»(١).

إصلاح الشعر:

تناول حالى قضية إصلاح الشعر والتجديد فيه وما يواجه المصلحين والمجددين له من مشاكل تثنى أكثرهم عن الاستمرار فى هذا الطريق ويذكر حالى مثالا لذلك الشاعر «جولد سميث» وما واجهه من مشكلات عندما ترك مذهب شعراء وطنه القدماء الذى كان قائمًا على الكذب والمبالغة واعتنق مذهب الشعر الطبيعى الصادق(٢).

وذكر حالى قصيدة «جولد سميث» التى وجه فيها الشاعر خطابه إلى طريقة نظمه الجديدة ولم يفطن حالى إلى أن «جولد سميث» كان ينعى طغيان النزوات المادية على المجتمع وليس فساد الشعر فى عصره كما فهم.

إذن كيف يمكن إصلاح الشعر؟ يرى حالى أنه من أجل وضع أسس للشعر الحديث لابد أن تنشر نماذجه الجيدة بقدر الإمكان بين الناس، ومن الضرورى توضيح حقيقة الشعر والشروط اللازمة من أجل تكوين الشاعر هناك شرط ضرورى وهام بالنسبة للشاعر فى العصر الحديث هو أن يكون موزون الطبع، فالشخص الذى يستطيع أن يقترض الشعر فى عدة بحور بسيطة شائقة – ولو لم تستمر – فإنه ليس بحاجة إلى شىء آخر ليجعله شاعرا، فالموضوعات العادية والتشبيهات والاستعارات البسيطة التى يرددها الناس فى شعرهم من القرون الماضية موجودة ومتوفرة وبالصدقة هو موزون الطبع فماذا يريد أكثر من هذا؟(٣).

الوزن والقافية:

لم يتناول ابن خلدون قضية الوزن والقافية بشىء من التفصيل فى مقدمته فهو عند الحديث عن الشعريقول أنه «كلام مفصل قطعا قطعا متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الأخير من كل قطعة تسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتًا ويسمى

---

(١) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤، ص ١٠٤.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٦ – ٢٧.

الحرف الأخير الذى تتفق فيه رويا وقافية... ويراعى فيه الوزن الواحد حذرا من أن يتساهل الطبع فى الخروج من وزن إلى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق فى الطبع استعملته العرب فى هذا الفن إنما هى أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها فى خمس عشر بحرا»(١).

ويرى حالى أن الشعر لا يحتاج إلى الوزن والدليل على ذلك أن هناك كلمتين مستعملتين فى اللغة الإنجليزية بهذا الصدد، أحدهما تسمى "Verse" والأخرى "Poetry" فى مقابل كلمتى الشعر والنظم عندنا وكما أن عندهم شرط الوزن ضرورى لل "Verse" وليس لل "Poetry" فينبغى أن يعد الوزن شرطا ضروريًا للنظم وليس للشعر عندنا كذلك. إلا أن حالى يعود مرة أخرى ويقرر أن جمال الشعر وتأثيره يزداد باستخدام الوزن ويصير أكثر حدة وسحراً».

ثانيًا: القافية: يعتبر حالى القافية - كذلك - غير ضرورية للشعر وإن كانت فى الحقيقة ضرورية للنظم وذكر رأيًا لصاحب «أساس الاقتباس»(٢)، ذكر فيه أن اليونانيين لم يلتزموا بالقافية فى شعرهم وأن الشاعر المجوسى «جشونى» ألف كتابا جمع فيه أشعارا بدون قوافٍ وقد راج فى أوربا الآن الشعر غير المقفى.

ويعترف حالى أن القافية تزيد من حسن الشعر مثل الوزن، ويتلذذ اللسان بقراءته وتستمتع به الآذان إلا أن القافية وخاصة عند شعراء العجم الذين كبلوا بها الشعر بقيود صارمة للغاية وأضافوا عليها الرديف(*) فإنها بلا شك تثنى الشاعر عن أداء واجباته ووظائفه، فكما أن الالتزام بالصنائع اللفظية يقتل المعنى فهذا الالتزام بالرديف يصبح

---

(١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون جـ٣. ص ١٢٩٩ - ١٣٠٠ (طبعة نهضة مصر).

(٢) نصير الدين العلوسى: أساس الاقتباس: انتشارات دا نشكاه تهران. چاب دوم ص ٥٨٧.

(*) الرديف: الرديف عبارة عن كلمة أو أكثر تاتى بعد حروف الروى فى الشعر الفارسى فيسميه أهل الصنعة بـ «الشعر المردف» وليس للعرب «رديف» إلا ما يتكلفه المحدثون، وأكثر أشعار العجم مردفة وثبات طبع الشاعر وقدرته على بسط الكلام يثبتان بقدرته على عقد الرديف المستحسن، ويسمى بعض أهل الصناعة كلمة الرديف بالـ «حاجب» ويطلقون على الشعر المردف كلمة «المحجوب» وقال البعض: إنما المقصود بكلمة «الحاجب» هو اللفظة التى يذكرونها قبل القافية فى كل بيت بينما المقصود بالرديف الكلمة التى ترد بعد القافية.

(رشيد الدين الوطواط: حدائق السحر فى دقائق الشعر. ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ص ١٨٤).

قيدا أكبر من قيد القافية ويحدث الخلل فى أداء المعنى فيقترح الشاعر القافية أولا بدلا من أن يرتب أفكاره أولاً فى ذهنه بعد أن يهيء الألفاظ المناسبة لها»[١].

وبذلك يعتبر حالى الوزن والقافية خارجين عن ماهيةالشعر.

ولم يوفق حالى فى رأيه هذا عن القافية لأن القافية هى التى تميز الشاعر وغير الشاعر وهى دليل على تمكن الشاعر من اللغة كما أن القافية شرط هام فى الشعر العربى والفارسى، قد لاقت فكرة حالى هذه معارضة شديدة فى الأوساط الأدبية آنذاك لأنه اقترح على الشعراء التجديد فى الأوزان والقوافى – مع أنه لم يخرج بنفسه عن الأوزان والقوافى المعروفة وكان لآرائه تأثير كبير على الشعراء من بعده مثل إسماعيل ميرتهى وعبد الحليم شرر وحركة الشعر الحر والمرسل. ويعترف شبلى النعمانى فى كتابه « شعر العجم » بأن الشعر الجيد يحتوى على كثير من العناصر الضرورية أهمها الوزن... وأن هذا العنصر إذا فقده الشعر لا يصبح الشعر شعرا، لذا فان عامة الناس يطلقون على الشعر اسم « الكلام الموزون » إلا أن هذا الرأى ليس رأى النقاد الذين يعتبرون الوزن شيئاً ضرورياً للشعر ولكنهم مع ذلك لا يعتبرونه شرطاً أساسياً للشعر[٢].

وشبلى برأيه هذا يكون قد سلم برأى حالى الذى سبق ذكره فيما يتعلق بالوزن وأهميته للشعر.

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٢٨ – ٢٩.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤، ص ٧ – ٨.

٢ - الموضوع الثانى

وقد تناول حالى فى الموضوع الثانى من «مقدمة شعر وشاعرى» ماهية الشعر والعناصر اللازمة لتكوين الشعر الجيد بالإضافة إلى قضايا نقدية عديدة مثل :

الطبع والصنعة واللفظ والمعنى وشعر الطبيعة وتعريف الشعر وقضية الكذب والمبالغة.

ماهية الشعر :

تعريف ابن خلدون للشعر : يبدأ ابن خلدون أولاً بتعريف الشعر عند العروضيين :

فيقول : « . . . وقول العروضيين فى حده أنه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر الذى نحن بصدده، ولا رسم له وصناعتهم إنما تنظر فى الشعر باعتبار ما فيه من الأعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة» ويرفض ابن خلدون هذا الحد للشعر ويرى أنه لا يصلح للشعر عندنا ولابد من تعريف للشعر يوضح لنا حقيقته فيقول : «الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى، مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله بعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة به»(١).

وقد حاول حالى أن يحدد ماهية الشعر فذكر أن هناك تعريفات عديدة فى تحديد ماهية الشعر إلا أنها غير جامعة وغير مانعة وأن ما يقصد بالشعر فى الوقت الحاضر هو «نوع من المحاكاة التى تتشابه فى كثير من الوجوه بالرسم والنحت والمسرح. . . »(٢).

وهذا التعريف قد ذكره أرسطو فى كتابه «فن الشعر»(٣)، ونقله عنه جميع النقاد الذين جاءوا من بعده واجتهدوا فى شرح المحاكاة وشروط كمالها.

وقد تعرض شبلى النعمانى لحد الشعر فقال «إننا لا نستطيع أن نضع حداً جامعا مانعًا للشعر فى بضعة كلمات لأن الشعر خاص بالذوق والوجدان وقد وهب الله للإنسان قى

---

(١) ابن خلدون : مقدمة بن خلدون جـ٣، ص ١٣٠٤ - ١٣٠٥.

(٢) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٠.

(٣) أرسطو طاليس : فن الشعر ترجمة عبد الرحمن بدوى صـ٣ - ٥.

متعددة وجعل لكل منها عملها الخاص بها ومن بين هذه القوى قوتان تعتبران منبعًا لأفعاله ورغباته وهما قوة الإدراك وقوة الاحساس وبهما يتفوق الإنسان على الحيوان، فعندما تعتريه أية عاطفة تجده يعبر عنها بألفاظ موزونة بلا تكلف وهذا ما نسميه شعراً[(١)].

ولو أردنا تعريف الشعر تعريفا منطقيا نقول أن الشعر هو وصف للعواطف بيانها فى صورة كلمات ولما كانت هذه الكلمات تؤثر أيضًا على عواطف السامعين لذا يمكن تعريف الشعر كذلك بأنه الكلام الذى يهيج المشاعر الإنسانية ويحركها، وقد عرف أحد النقاد الأوربيين الشعر بقوله: «كل شيء يولد الاستعجاب أو الحيرة أو الحماس فى القلب يعد شعراً»[(٢)].

والأشياء التى تؤثر على القلب كثيرة متنوعة كالموسيقى والتصوير وغيرها، إلا أن الشعر أكثر هذه الأشياء تأثيراً لأن حاسة السمع فقط هى التى تتمتع بالموسيقى وحاسة البصر هى التى تتأثر بالتصوير فى حين أن الشعر يؤثر على الحواس كلها، وقد سلم الجميع بأن أنسب وصف للشعر هو أنه الشيء الذى يؤثر على العواطف البشرية أى أن الشعر يترك أثره على الشخص الذى يسمعه فيبدو عليه الحماس أو السعادة أ الحزن، وبهذه الميزة يتفوق الشعر على العلوم الفنون الأخرى لأنه يخاطب العواطف والمشاعر»[(٣)].

الشروط اللازمة لفن الشعر:

ذكر حالى ثلاثة شروط لازمة لبلوغ الجودة فى الشعر وهى الخيال ودراسة الكون والكائنات وانتقاء الألفاظ.

١ - الخيال:

الخيال أو القوة المتخيلة الذى يطلق عليه فى الإنجليزية اسم "Imagination" هو الشيء الهام والضرورى الذى يتميز به الشاعر عن غير الشاعر وكما تتوفر هذه القوة بشكل تام لدى شاعر يكون شعره على درجة كبيرة من الجودة وعندما تقل هذه القوة

---

(١) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤ ص ١ - ٢.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤ ص ٣.

(٣) شبلى النعمانى: المرجع السابق ص ٤.

يكون شعره رديئًا وهذه الملكة الفطرية التى يولد بها الشاعر لا يمكن أن ينالها بالاكتساب، فإذا كانت هذه الملكة موجودة فى ذات الشاعر تقل عنده باقى الشروط الضرورية لجودة الشعر فأنه يستطيع بهذه الملكة أن يتدارك هذا النقص، لكن إذا لم تكن هذه الملكة الفطرية موجودة فى شخص فانه لا يستحق مطلقًا أن يسمى بالشاعر مهما استحوذ على مجموعة كبيرة من الشروط اللازمة الأخرى.

ويعترف حالى بصعوبة تعريف الخيال - مثل حد الشعر - لكن من الممكن أن نشعر بماهيته فى القلب بطريقه ما من الكلمات التى يستعملها الشاعر، أى أن الخيال هو القوة التى تمنح صورة جديدة بعد إعادة ترتيب ذخيرة المعلومات والتجارب والمشاهد التى تكون موجودة من قبلفى الذهن ويظهر هذه الصورة بالكلمات فى أسلوب جذاب مختلف إلى حد ما عن الأساليب العادية(١).

وحالى فى هذا التعريف متأثر بتعريف الشعراء الرومانسيين وخاصة كولردج.

وقد عقد شبلى النعمانى فى كتابه «شعر العجم» بابًا فى هذا الموضوع وذكر فيه شرطين فقط لبلوغ النضج فى الشعر وهما «الخيال والمحاكاة» وهما شرطان مهمان للشعر إذا وجد أحدهما فى شعر ما يمكن لنا أن نطلق عليه اسم الشعر، أما باقى الشرط الأخرى كالسلاسة والصفاء والعذوبة وغيرها لا تعد أشياء جوهرية بل هى أشياء عارضة ومن الأفضل توافرها فى الشعر»(٢).

ولم يكتف شبلى بتعريف موجز للخيال - كما فعل حالى - بل قدم بحثا قيما له، وه فى البداية يذكر رأى هنرى لويس فى تعريف الخيال بانه «القوة التى تقوم بجعل الأشياء غير المرئية التى تبصرها نواظرنا بسبب تصور الحواس ماثله أمام اعيننا» لكنه يرى أن هذا التعريف ليس جامعا مانعا وغير منطقى.

والخيال فى الأصل اسم لقوة الاختراع، ويرى العامة أن المناطقة والفلاسفة لا يمكن أن يكونوا أصحاب خيال، بل أن الفيلسوف الذى يوسف بأنه صاحب خيال يعتبر ذلك عارا إلا أن الخيال فى الحقيقة يعتبر على درجة واحدة من الأهمية بالنسبة للفلاسفة والشعراء (للفلسفة والشعر) على حد سواء، فقوة الخيال نفسها هى التى تستعمل فى

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم، جـ ٤، ص ٨.

الاختراع والاكتشافات من ناحية هى التى تولد الموضوعات الشعرية من ناحية أخرى، فالعلماء والفلاسفة الذين ليس لديهم قوة خيال، ليس لديهم قوة الاختراع أيضًا، فلدى نيوتن وأرسطو قوة خيال محكمة وقوية كالتى عند هومر والفردوسى إلا أن هناك اختلافا فى المقاصد والأهداف بينهم وكل منهم يستعمل خياله بطريقة مختلفة عن الآخر، فالشاعر يمنح الجمادات الروح ويجعلها تسعى أمامنا وذلك باستعمال الخيال(١).

ثم يتطرق شبلى لموضوع الخيال مرة أخرى عندما يتحدث عن المحاكاة وارتباطهابالخيال فيقول: «مع أن المحاكاة والخيال يعدان من عناصر الشعر، إلا أن الخيال يعتبر فى الحقيقة بمثابة الروح للمحاكاة وإلا أصبحت المحاكاة لا تعدو عن كونها مجرد نقل فقط، لأن مهمة المحاكاة هى أداء ما يسمع أو يرى كما ه بالكلمات ولابد أنه يكون فيها نوع من الترتيب الخاص، ثم تأتى قوة الخيال فتمنحها الرقة والرونق وأن هناك صور متعددة للخيال هى:

١ - تخلق قوة الخيال عالمًا جديداً فالشاعر يستطيع مثلاً أن يمنح الحياة للجمادات كالشمس والقمر والنجوم والليل ويجعلها تتكلم.

٢ - يستطيع الخيال أن يكشف الأسرار الخفية عن خاصة الناس فضلا عن عامتهم، ويختلف استدلال الخيال عن طريقة الاستدلال العامة فمثلا الأمور التى انتهى عنها البحث والتحقيق بطرق مختلفة يثبتها الخيال بطريقة جديدة فالمتلقى لا ينظر إلى صحتها وخطئها بل يهتم بسحرها وعدم تصنعها(٢).

٣ - الأسباب والنتائج،والعلة والمعلول التى نسلم بها بشكل عام مختلفة تمامًا عما يتصوره خيال الشاعر الذى يرى جميع الأشياء من منظور خيال فحسب دون الالتفات إلى الاعتبارات الاخرى. وقوة الخيال هى القوة التى تراها مئات المرات وفى كل مرة تبدو جديدة وعجيبة، فمثلاً ربما ترى الوردة مئات المرات وفى كل مرة تتمتع بلونها ورائحتها فقط، أما الشاعر فيرى بقوة خياله الوردة من جوانب متعددة أخرى وبشكل جديد ومبتكر فى كل مرة، ويرى الشاعر الأشياء بطريقة دقيقة وبصفات خاصة ثم يهتم بمقارنة هذه الأشياء وإثبات العلاقة بينهم فيبحث عن

---

(١) شبلى النعمانى: المرجع السابق ص ١٢ - ١٣.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم. جـ ٤، ص ٣١ - ٣٩.

الأوصاف المشتركة لها ويربط بينها ويرى أحياناً الأشياء المختلفة بمنظور واحد[1].

٢ - دراسة الكون والكائنات:

رغم أن الخيال يستطيع أن يأتى بأى نتيجة من دائرة ذخيرة المعلومات المحددة الضيقة الموجودة لدى الشاعر لكن يجب مطالعة كتاب الفطرة وبالأخص دراسة الفطرة الإنسانية للوصول إلى درجة الكمال فى الشعر وأن يتعمق فى دراسة حالات الإنسان المختلفة التى يواجهها فى الحياة وأن يمرن نفسه على ترتيب الأمور التى يشاهدها وأن يلاحظ بعمق تلك الخواص والكيفيات الكونية التى تكون فى خفاء عن أعين العامة وخلق القوة بالممارسة والمران فى التفكير والتى يستخرج بها على الفور الخصائص المختلفة من الأشياء المتحدة وبالعكس ويحتفظ الشاعر بهذه الثروة فى خزانة ذاكرته... فالقوة المتخيلة لا تستطيع أن تخلق شيئًا بدون المادة، بل إنها تتصرف فى المواد التى تحصل عليها من الخارج وتمنحها شكلاً جديداً[2].

ويستشهد حالى بالشاعر «والترسكوت» واهتمامه بمطالعة الكون والكائنات حتى لا ينضب معين خياله.

ويتفق شبلى النعمانى مع حالى فى هذه الفكرة فيقول أن «معظم الناس يعتبرون المشاهدات والمعلومات غير ضرورية أوهامه للخيال لأن الخيال ليس وقفا على الموجودات العملية والواقعية فيمكن للشاعر أن يولد من الأشياء البسيطة جداً مئات الأخيلة والأفكار المبتكرة، وهناك شعراء لم يهتموا بالمشاهدات وخلقوا عالما متنوعا من الأفكار والأخيلة مثل: جلال واسير وشوكت بخارى وبيدل وناصر على وغيرهم فقد أعدوا ديوانا على البلبل والوردة فقط وصنعوا للشعر روضة للخيال وهذه الفكرة كما يرى شبلى خاطئة تماماً وقد أفسد الشعراء المتأخرون الشعر بهذا الخطأ لأن الخيال لا يتولددون الأحداث والمشاهدات[3].

ويستطرد حالى فى شرحه للخيال بقوله: «يجب أن يكون الخيال قائمًا على الاعتدال بقدر الإمكان فلا يتغلب على قريحة الشاعر وطبيعته لأنه عندما يزداد تفوقه على طبيعته ويتحرر من سيطرة القوة المميزة التى تقيده فان هذه الحالة تصبح خطرا فى حق

(١) المرجع السابق: ص ٤١ - ٤٧.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤، ص ٤٩ - ٥٠.

الشاعر، فالقوة المتخيلة تميل إلى الابداع والتحليق دائمًا، أما القوة المميزة فهى تحد من تحليقها وتقف فى سبيل ابداعها ولا تدعها تخطو خطوات عشائية، فالقوة المتخيلة مهما كانت جريئة قادرة على السمو فى التحليق لا يمكن أن تكون ضارة للشعر ما دامت تابعة للقوة المميزة وكلما ازداد تحليق القوة المتخيلة فإن ذلك يساعد الشعر على الوصول للسمو، وحينما يتغلب الخيال على القوة المميزة فان تحليقه سوف يكون خطرا على الشاعر كالحصان الجامح الذى ليس له لجام فيصبح خطرا للفارس نفسه، فحرية هذه القوة وانطلاقها قد أضل آلاف من الشعراء الكبار»[1].

ثم يعود شبلى للأسباب التى جعلت الشعراء المتأخرين يستعملون الخيال فى غير محله بقوله «لقد وقع الشعراء المتأخرون فى خطأ استعمال الخيال فى غير محله للأسباب التالية:

١ – تعد المبالغة من أهم المبررات لشطط الخيال وهى غير لازمة للصدق والواقعية وبناء على هذا تحلق الخيال بعد أن يستعد لها القلب فتضل طريقها.

٢ – يعتبر الخيال عقيما وبلا هدف إذا استخدم فقط بقصد الايهام والتناسب اللفظى.

٣ – الاستعارات والتشبيهات تعد من العوامل القوية فى جنوح الخيال وشططه، فعندما تكون الاستعارات والتشبيهات لطيفة وجيدة وصادقة فإنها تمنح الشعر الجمال والعذوبة ولكن عندما تسنح الفرصة لشطط الخيال تكون تشبيهات عقيمة وبعيدة عن المعنى.

٤ – من شطط الخيال وعدم اعتداله تشبيه شىء بشىء آخر تم إثبات جميع الصفات فى هذا الشىء بقدر الإمكان مثل تشبيه الخصر بالشعرة والحاجب بالسيف مع أنه لا توجد أى علاقة أو توافق بينهما.

٥ – يعد حسن التعليل من أبرز عوامل تحليق الخيال، أى أن الشاعر يقوم بالاستعانة بقوة الخيال بتعليل شىء بآخر مع أن هذه العلة – فى الأصل – غير موجودة فى هذا الشىء المراد وصفه»[2].

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٧ – ٤٨.

(٢) شبلى النعمانى: المرجع السابق ص ٥٤ – ٥٨.

٣ - انتقاء الألفاظ :

يرى حالى أن دراسة الألفاظ وتفحصها وانتقاءها شرط هام للشاعر، فتلك الألفاظ هى التى تحمل الفكرة من المخاطب إلى المخاطب، وفى بداية صناعة الشعر والقريض يقوم الشاعر باختيار الألفاظ المناسبة ثم تنظيمها وتنسيقها على أكمل وجه بحيث لا يبقى أى تردد لدى المخاطب فى فهم المعنى المقصود من الشعر فتتمثل صورة الخيال أمام العين كما هى بعينها.... ولمخيلة الشاعر دخل فى ترتيب الألفاظ كما دخل فى ترتيب الأفكار، لكن لو لم تسيطر المخيلة على جزء هام من لغة الشاعر ولم تفحص وتنقيها بصبر وأناة أثناء ترتيب الشعر فإنها لا يمكن أن تقوم بأى عمل بمفردها(١).

ويؤكد شبلى النعمانى على هذا الرأى ويرى أن للألفاظ أنواعا متعددة وتأثيرات عديدة فبعضها لطيف ودقيق وصافى وسلس والبعض الآخر قوى وفخم وعظيم، فالنوع الأول منها مناسب لأداء موضوعات الغزل والحب التى تحتاج إلى الرقة والعذوبة ويرجع تفوق القدماء على المحدثين فى الغزل بسبب استخدام الألفاظ القوية والمناسبة، ويجب أن يكون هناك تناسب وتوافق بين الألفاظ وأن يسود بينها نوع من الانسجام والتوازن والفصاحة(٢).

وتحتوى كل لغة على ألفاظ مترادفة تحمل جميعا نفس المعنى لكن إذا أمعنا النظر فيها نجد أن لكل معنى منها مفهوما وخاصية متفردة لا توجد فى الأخرى، فمثلاً يطلقون فى الفارسية على لفظ الجلالة أسماء عديدة منها: خدا، پرودگار، ايزد، افريدگار، وهذه الكلمات لها معنى واحد فى الظاهر إلا أن لكل منها معنى خاصا وتأثيرا مختلفا عن الأخرى، ولذا يدقق الشاعر فى اختيار اللفظ المناسب فى المكان المناسب وإلا لا يبقى لشعره أى تأثير، ويجب على الشاعر أن يتفحص الكلمات الفصيحة والمأنوسة ويحاول جاهدا ألا يأتى بأى لفظ غير فصيح فلا يأتى بأية كلمة مخالفة للقياس اللغوى أو نادرة الاستعمال فينفر منها الذوق السليم(٣).

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤، ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) شبلى النعمانى: المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٦.

المحاكاة:

تطرق حالى إلى موضوع المحاكاة الشعرية التى ذكرها أرسطو طاليس فى كتابة «فن الشعر» ولكن بشىء من السطحية وذلك عند حديثه عن ماهية الشعر فيقول أن الشعر «نوع من المحاكاة التى تتشابه فى كثير من الوجوه بالرسم والنحت والمسرح. غير أن محاكاة الرسام وعمل النحات وأداء الممثل المسرحى أكمل قليلا من محاكاة الشاعر... لكن ميدان الشعر أوسع فلا تستطيع هذه الفنون الثلاثة أى المسرح والرسم والنحت أن تصل إلى رحابته، فالمثال ينقل الصورة عن طريق النحت فقط والرسام يضيف إلى الصورة بريق الألوان والممثل المسرحى يخلق الحركة بالإضافة إلى اللون والصورة بشرط أن يهىء له الشاعر الألفاظ المناسبة، فالشعر يستطيع أن يؤدى الدور الذى تقوم به تلك الفنون الثلاثة فى محاكاة الأشياء الخارجية، وأنه يتفوق عليهم بسيطرته على مملكة الشعر التى تكمن داخل الإنسان الشاعر فقط فلا يستطيع أن يصل إليها كل من المصور أو النحات أو الممثل»(١).

وقد تناول شبلى النعمانى نظرية المحاكاة أيضًا ولكن بشىء من التفصيل حيث بدأ بتعريفها فيقول:

«إن المحاكاة هى أداء أى شىء أو أية حالة كما هى وبنفس الطريقة، بحيث يتحول هذا الشىء إلى صورة من الشىء المراد محاكاته، وهناك فرق بين التصوير والمحاكاة، فالتصوير يمكنه بيان العواطف والمشاعر إلى جانب الأشياء المادية، وعلى هذا فان أعظم المصورين هو الذى يستطيع تصوير المشاعر الإنسانية التى تعترى الوجه مثل: الاضطراب والقلق والعجب والحيرة والسعادة والألم فأداء الأفكار والعواطف صعب للغاية. وهناك فرق كبير بين التصوير والشعر، فالجمال الأصلى للتصوير يكمن فى إبرازه لكل ملامح الشىء المراد تصويره وإلا لن يكون التصوير كاملا وسيكون غير مطابق، أما الشعر فعلى العكس من ذلك حيث أن هذا الالتزام غير ضرورى فالشاعر فى الغالب يأخذ هذه الأشياء(٢)، ويظهرها لنا بطريقه تؤثر على عواطفنا ويتغاضى عن بقية الأشياء أو يخفف منها بحيث لا تحدث الخلل فى التأثير والآخر بين التصوير والشعر هو أن المصور يستطيع أن يخلق التأثير أكثر فأكثر فى الشىء الذى يصوره كما يبدو له لكن الشاعر على الرغم

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٠ - ٣١.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤، ص ١٠٩.

من أنه لا يستطيع أن يبرز جميع أجزاء الصورة إلا أنه يستطيع أن يضغى عليها التأثير العظيم.

والميزة الكبرى للتصوير هى أنه يطابق الأصل وإذا نجح المصور فى هذا الأمر فان فنه يعتبر فنا كاملا إلا أن الشاعر فى أكثر الأحيان يواجه مشكلتين هما: الأولى أنه لن يستطيع أن يصور الأصل تصويرا كاملا وتاماً لأن هذا التطابق الكامل لهذا النوع لا يمكن أن يؤثر على العواطف والاحساسات ويمكن ألا يبتعد كثيرا عن الأصل ولأنه يستعمل خياله فى هذه المناسبة فيصور لنا صورة أجمل من الأصل(١).

ثم يذكر شبلى الشروط التى تتوجب فى المحاكاة السليمة وهى:

١ - الشرط الأول للمحاكاة هو تناسب الوزن، فهناك اختلاف فى الصوت واللهجة عند إظهار كل من الغضب أو الحماس أو الحزن لذا يجب أن يتوفر الوزن المناسب، فمثلاً أخيلة الحرب يناسبها بحر المتقارب أما الغزل فله بحور تناسبه وخاصة به.

٢ - من كمال المحاكاة تطابقها مع الأصل، بحيث تبين الشىء المراد التعبير عنه بطريقة واضحة مجسمة وبما أن هدف الشعر هو التأثير فى الطبيعة البشرية بسطا فان رسم الصورة نفسه يورث الانبساط فى النفس لانه لا يبحث فى محاسن الشىء أو عيوبه، وللتطابق طرق مختلفة هى: -

١ - يجب استقصاء جميع أجزاء الشىء الذى يعبر عنه بطريقة ترتسم معها صورته أمام العين مثل مواقف الفراق بين الأحباب.

٢ - معظم الأشياء تشتمل فى ذاتها على أنواع مختلفة وكل نوع له خصوصية منفصلة فمثلا الصوت شىء عام لكن له صور مختلفة كالعالى والمنخفض والعذب والرقيق ولتمام المحاكاه يجب استعمال نفس الكلمات التى تدل على هذه الخصوصيات.

٣ - يجب مراعاة الخصائص الكاملة عند بيان أية حالة مثل تصوير طفل أو رجل أو امرأة أو أى شىء آخر، فمثلاً عند بيان كلام طفل ما يجب أداء ذلك بلغة وطريقة الأطفال(٢).

---

(١) المرجع السابق: ص ١١ - ١٢.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم، جـ ٤، ص ١٥ - ٢١.

الطبع والصنعة:

تعتبر قضية الطبع والصنعة من القضايا النقدية الهامة والتى تطرق إليها النقاد قديما وحديثا على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم، وقد عقد ابن خلدون بابا فى مقدمته عن الطبع والصنعة، فالكلام المطبوع عند ابن خلدون هو الذى «كملت طبيعته وسجيته من أفادة مدلوله المقصود منه، لأنه عبارة وخطاب ليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما فى ضميره أفادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة، ثم يتبع تراكيب الكلام فى هذه السجية التى له بالأصالة ضروب من التحسين والتزيين بعد كمال الإفادة وكأنها تعطيها رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع والموازنة بين جمل الكلام»(١).

ثم يقول ابن خلدون عن الصنعة أنها «ما يقع من غير تكلف ولا اكتراث فيما يقصد منها، وأما العفو فلا كلام فيه لأنها إذا برئت من التكلف سلم الكلام من عيب الاستهجان، لأن تكلفها ومعاناتها يصير إلى الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام فتخل بالإفادة من أصلها وتذهب بالبلاغة رأسا، ولا يبقى فى الكلام الاتلك التحسينات - وأصحاب البلاغة يسخرون من كلفهم بهذه الفنون ويعدون ذلك من القصور عن سواه»، «أما الشعر المصنوع فكثير من لدن بشار ثم حبيب وطبقتهما ثم ابن المعتز خاتم الصنعة الذى جرى المتأخرون بعدهم فى ميدانهم ونسجوا على منوالهم، وقد تعددت أصناف هذه الصنعة عند أهلها واختلفت اصطلاحاتهم فى ألقابها وكثير منهم يجعلها مندرجة فى البلاغة على أنهاغير داخلة فى الإفادة وإنما هى تعطى التحسين والرونق»(٢).

وقد تطرق حالى فى «مقدمة شعر وشاعرى» إلى قضية الطبع والصنعة فنجده لا يبتعد كثيرا عن رأى ابن خلدون الذى نقل عنه كثيراً من الآراء وتأثر به فى كثير من القضايا النقدية التى تعرض لها فى كتابه سابق الذكر، فيقول «يرى كثير من النقاد ان الشعر الذى ينظمه الشاعر فى فترة من الوقت بعد التأنى والتفكير فيه بدون أى تكلف يكون أكثر لذة ولطافة من الشعر الذى ينظمه الشاعر بعد النظر والتدبر فيه، ولذلك يطلقون على الصورة الاولى اسم «آمد» أى الطبع (الارتجال) والثانية اسم «آورد» أى الصنعة (البديهة) وأن أجمل الاشعار هى التى تنظم بعد تفكير وبحث كامل، إلا فى الحالات المستثناه، لانه من الممكن أن يأتى الشاعر بأفكار جديدة وطريفة بالالفاظ اللائقة

---

(١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون. جـ٣، ص ١٣١٨.

(٢) المرجع السابق: ص ١٣٢٠.

المحفوظة بنظام من قبل فى ذاكرته، والتى ترد فى ذهنه فورا بدون تفكير، ولكن مثل هذه المصادفات نادرة، والأفكار المناسبة لها كانت تختمر فى خلده منذ فترة، فكيف نستطيع القول بأنها تأتى بسرعة البرق بدون تفكير وروية»[1].

ثم يذكر حالى طريقة بعض الشعراء الكبار فى نظم الشعر وكيف أنهم يقومون بالتنقيح والتعديل والتفحيص المتكرر فى القصيدة، وذكر على سبيل المثال «فرجل» و «ميلتون» وخرج حالى فى نهاية حديثه عن الطبع والصنعة إلى أنه لا يوجد أية قصيدة طويلة كانت أم قصيرة أثرت على الناس إلا وقد نظمت بجهد ومشقة وبعد اتقان وتفكير وتدبر وإصلاح وتنقيح.

اللفظ والمعنى:

تناول حالى قضية اللفظ والمعنى وتفضيل النقاد لاحدهما على الآخر، وفى بداية طرحه لهذه القضية يذكر رأى ابن خلدون فى تفضيل اللفظ على المعنى وهو: «أعلم أن صناعة الكلام نظما أو نثراً إنما هى فى الألفاظ لا فى المعانى..... والمعانى موجوده عند كل واحد فلا تحتاج إلى صناعة. وهى بمثابة القوالب للمعانى، فكما أن الأوانى التى يفترق بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد فى نفسه، وتختلف الجودة فى الأوانى المملؤة بالماء باختلاف جنسيتها لا باختلاف الماء، فكذلك جودة اللغة وبلاغتها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تاليفه»[2].

ويعترف حالى بأن محور الشعر يدور على الألفاظ أكثر من المعانى، فالمعانى مهما كانت لطيفة وجيدة ومسامية لا يمكن أن تجد لنفسها مكانا فى قلوب الناس أن لم تؤد فى ألفاظ جيدة قوية.

ويرى حالى أنه لا يمكن غض النظر عن المعانى على أساس أنها موجودة فى ذهن كل فرد، فلو اجتمعت عدة أفكار محدودة فقط فى ذهن الشاعر والتى كان المتقدمون ينظمونها فى شعرهم، أو لديه معرفة بالأمور العادية مثلما يعرفها عامة الناس، ولم يوسع

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤١ - ٤٢.

(٢) ابن خلدون: مقدمة بن خلدون جـ ٣. ص ١٣١٢ - ١٣١٣.

من نطاق معلوماته من أجل كمال شاعريته، ولم يتعود على دراسة صحيفة الفطرة، ولا يجمع المواد الكافية للقوة المتخيلة فسوف يواجه مشكلة حتما، فأما أنه يردد نفس الأفكار التى التزم بها الشعراء القدماء فى أساليبهم مع تغيير طفيف أوانه سيبحث عن موضوع قديم مبتذل وسيكوننجاحه مشكوكا فيه »(١).

ومع أن حالى من أنصار نظرية اللفظ، إلا أنه لا يغفل المعنى ويحث الشعراء على الالتزام باللفظ والمعنى معا.

ويتفق شبلى النعمانى مع حالى فى رأيه عن الألفاظ ويرى أن الشعر والنثر يدور محور كل منهما على الألفاظ لا على المعانى، فالأفكار والأخيلة الموجودة فى « گلستان سعدى » ليست جديدة أو نادرة، لكن هناك سحر فى فصاحة الألفاظ وحسن ترتيبها وتناسبها واستدل على رأيه هذا بقوة ألفاظ الشاهنامة التى جعلت لها شهرة فائقة(٢).

واستشهد شبلى فى هذا الباب برأى ابن رشيق الذى ورد فى كتابه « العمدة » ونقل عنه رأيه فى باب اللفظ والمعنى:

« اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد، يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه... وكذلك أن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للأجسام من المرضى بمرض الأرواح..... »(٣).

وبعد ذلك يردد شبلى نفس رأى ابن رشيق فى انقسام الشعراء إلى مجموعتين الأولى ترجح اللفظ على المعنى تحاول جاهدة إثبات فخامة الألفاظ وجمالها. والثانية ترجح المعنى على اللفظ ولا تبالى به كابن الرومى والمتنبى ومن شاكلهما، لكن الذين يفضلون اللفظ على المعنى أكثر ويقولون إن المعنى موجود لدى الجميع، وإنما معيار جمال الشعر فى الألفاظ »(٤).

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٤.
(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٤، ص ٧٣.
(٣) ابن رشيق: العمدة: جـ ١ ص ١٢٤.
(٤) شبلى النعمانى: شعر العجم. جـ ٤. ص ٧٢.

ثقافة الشاعر : يرى حالى أن على الشاعر أن « يحفظ أشعار الفحول عن ظهر قلب لكى يؤسس منوال شعره عليها لأن الشاعر الذى يكون ذهنه خاليًا من أشعار الأساتذة فإنه يستطيع أن يكتب الشعر بطبيعته ولكن كتابته لا تعتبر شعرًا بل تعتبر نظمًا ساقطًا خارجًا عن دائرة صنعة الشعر » وهذا الرأى أورده حالى ونسبه خطأ لابن رشيق وهو لابن خلدون(١) . ويقول أن هذه النصيحة (الشرط) ربما يكون مناسبًا للغة العربية لأن الشعر فى اللغة العربية مر عليه أكثر من ألف عام وبزغ فيها شعراء عظماء واتسعت دائرة اللغة اتساعًا كبيرًا فهى غنية بالأساليب والطرق لاداء كل غرض فلا يحتاج الشاعر إلى خلق أسلوب جديد بل يمكن له أن يقلد أساليب القدماء فى بيان كل موضوع .

ثم يفضل حالى الرأى الثانى لابن خلدون(٢) وهو أن « يقرأ الشاعر شعر الشعراء الفحول ثم يمحوها من خاطره فإن بقاءها فى ذاكرته يمنع الشاعر من استعمال التراكيب والأساليب التى استوعبها ولكنه حينما يمحوها من ذاكرته فسوف يستطيع أن يستعمل نفس التراكيب والأساليب الواردة فى أشعار فحول الشعراء التى اتخذت سبيلها فى نفسه بسبب كثرة القراءة . ويرى حالى أن هذا الرأى جدير بالاحترام، لأنه ما دام الشاعر لا يمحو من ذهنه شعر الفحول فسيبقى طبعه محصوراً ومقيداً بطريقتهم وأساليبهم وتصبح له بمثابة الطبيعة الثانية بسبب كثرة قراءتها وحفظها والتى بسببها لا تظهر ملكة إبداع الأساليب والطرق الجديدة فى البيان عند الشعراء ونتيجة لهذا لا يتقدم فن الشعر قيد أنملة(٣) .

ما المحاسن التى يجب توافرها فى الشعر ؟

اعتمد حالى فى الإجابة على هذا التساؤل على وصف جون ميلتون للشعر الجيد بأنه « بسيط شعورى، مؤثر » أو بعبارة أخرى يجب أن يكون الشعر قائمًا على البساطة ومفعمًا بالعاطفة والواقعية » ثم ذكر حالى شرحًا لأحد الباحثين الأوروبيين لهذه الكلمات والذى يقول فيه : « **ليس المقصود بالبساطة فى الألفاظ فقط، بل وفى الأفكار أيضًا**، بل يجب ألا تكون الأفكار دقيقة ولطيفة إلى هذه الدرجة بحيث يصعب على أذهان العوام من الناس الوصول إليها وتتماشى مع إحساسات الشارع بدون تكلف ولا تحيد عن الطريق المستقيم ومنع الاسترسال الفكرى وهذا هو مدلول البساطة » و« الأمر

(١) ابن خلدون : مقدمة بن خلدون جـ٣ : ص١٣٠٦ .

(٢) ابن خلدون : المرجع السابق : ص١٣٠٦-١٣٠٧ .

(٣) حالى : المرجع السابق ص٤٦-٤٧ .

الثانى الذى ذكره ميلتون هو أن يكون الشعر مبنيًا على الواقعية والحقيقة والهدف من هذا هو أن يبنى الخيال على شيء له وجود ما فى الحقيقة وأن لا يكون الموضوع بأسره كمنظر الحلم الذى يتبدد بمجرد فتح العيون وكما أن هذا الأمر ضرورى وهام فى المعنى ويجب أن يكون كذلك فى الألفاظ فلا يستعمل التشبيهات الموجودة فى المثل والأمر الثالث هو أن يكون الشعر مفعمًا بالعاطفة وليس الغرض من هذا هو أن ينظم الشعر فى حالة الحماس والعاطفة فقط أو تنبثق عاطفته وحماسه من أسلوب وطريقة شعره، بل من الضرورى إلى جانب هذا أيضًا أن يخلق شعره العاطفة فى قلوب الذين يخاطبهم وأن يحدث فى بيانه جاذبية – كالمغناطيس – بها يكشف قلوبهم ويجذبهم تجاهه»[١].

وبعد ذلك يسهب حالى فى وصف هذه الشروط الثلاثة ويتناولها بمزيد من التفصيل والشرح كما يلى:

١ – ما المقصود من البساطة:

استخدم حالى هنا لفظ «سادكى» أى البساطة فى الشعر كمصطلح نقدى خاص به ويرى حالى أن البساطة أمر إضافى، فالشعر الذى يعد بسيطًا فى نظر حكيم بحيث يتبادر معناه فى ذهنه بمجرد سماته ويدرك فورًا الجمال الذى وضعه فيه الشاعر يعجز الرجل العادى عن فهمه وإدراك جماله، وهكذا الشعر العادى الذى يجعل الإنسان الجاهل بمجرد سماعه يأخذه الوجد ويجعل الإنسان العاقل الحكيم يشمئز بسماعه ويفقد الإحساس بالسرور ويعتبره ركيكًا وسخيفًا ولا يجد فيه من الشعر سوى الوزن الناقص وفى رأينا أن إطلاق كلمة البساطة على تلك البساطة التى تصل إلى درجة السخافة والركاكة هو إساءة لسمعة اسم البساطة، فمثل ذلك الشعر لا يعتبر بسيطًا فحسب، بل يقال أنه شعر عامى، لكن الشعر الذى يعتبر بسيطًا وسهلاً فى نظر الطبقة العليا والوسطى من الناس وتعجز الطبقة الدنيا من الناس عن فهم منابع جماله يجب أن يدخل هذا الشعر ضمن تعريف البساطة»[٢].

ويعترف حالى بأن البساطة شيء نسبى من شخص إلى آخر ولا توجد أشعار مفهومة تمامًا لدى العامة والخاصة سواء كانت ناظمها هومر أو شكسبير وإلا ما كانت أعمال شكسبير بحاجة إلى كتابة الشروح، فمعيار البساطة عند حالى هى ألا يكون «الشعر

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص٤٩–٥٠.

(٢) حالى: المرجع السابقع ص٥١.

معقداً وعراً مهما بلغ درجة السمو فى الخيال وأن تكون الفاظه قريبة من لغة الحديث العادية بقدر الإمكان فكلما تكون لغة الشعر بعيدة عن التراكيب العادية يصبح الشعر عارياً من حلى البساطة »(١). ويشير حالى إلى مدى التزام شعراء الأردية بالبساطة فى أشعارهم فيرى أنه لا يمكن الالتزام بالبساطة فى جميع أصناف الشعر الأردى التزاماً كاملاً إلا فى الغزل والمثنوى إلى حد ما عندما يتناول فيهما موضوعات العشق كما هو عند مير وسودا وكثير من المعاصرين لهما وعند بعض المتأخرين، أما فى القصيدة لم يستطع أحد من الشعراء المحنكين مثل ذوق وسودا الالتزام بالبساطة.

ويؤكد « شبلى النعمانى » على أهمية عنصر البساطة فى الشعر فالبساطة فى الأداء هى أن تؤدى المعانى فى الشعر بدون تكلف فيسهل فهمه ويتحقق هذا الأمر بالأسباب الآتية:

١- ضرورة الاهتمام بالوزن والقافية بعد ترتيب أجزاء الجملة الشعرية.

٢- يجب على الشاعر ألا يترك جزءاً من المعنى يبدو منه أنه ناقص.

٣- عدم استعمال الاستعارات والتشبيهات البعيدة عن الفهم.

٤- يجب ألا تكون التلميحات التى يقيم عليها الشاعر قصته غامضة.

٥- بساطة الاداء تقتضى من الشاعر الإعتناء بلغة الحديث اليومية وأن يسهل الموضوعات الصعبة على أن أعظم محاسن الشعر الجدة فى الأداء أى سهولة الالفاظ وبعدها عن التعقيد(٢).

وبهذا يتفق شبلى مع حالى فى تحديد مفهوم البساطة وأهميتها للشعر.

*** ما المقصود بالحقيقة (الواقعية):**

استعمل حالى هنا كلمة « (أصليت » أى الواقعية فى الشعر كمصطلح نقدى خاص به ويرى أنه « ليس المقصود من بناء الشعر على الحقيقة (الواقعية) أن يكون موضوع كل بيت فى القصيدة قائماً على حقيقة الأمر نفسه، بل المقصود من ذلك أن يكون الأمر الذى أسس عليه الشعر موجوداً فى نفس الشىء أو فى عقيدة الناس أو فى فكر الشاعر أو يبدو بصورة ما أن الفكرة موجودة ومتحققة فى الواقع وليس الهدف من كونه قائماً على

(١) حالى: المرجع السابق ص٥٢.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ٤. ص٨٧-٩٠.

الحقيقة ألا يتعدى فى أسلوبه عن الحقيقة قيد شعرة بل معنى هذا يجب أن يكون للحقيقة فيه نصيب أكبر وإن زاد الشاعر أو نقص شيئًا ما، فلا ضمير فى ذلك»[١].

إلا أن حالى قد أخطأ فى ترجمة «Sensuaus» بكلمة «اصليت» أى الحقيقة لأن ميلتون لم يقصد بها معنى الحقيقة "Reality" بل يقصد أن يكون الشعر حسيًا وبذلك ابتعد عما يقصده ميلتون.

وذكر حالى خمس صور للواقعية لم ترد عند شبلى وهى:

١- الصورة الأولى: وهى التى يقوم فيها الشعر على حقائق نفس الأمر فقط مثل قصيدة سعدى الشيرازى فيوصف الربيع، فليس فيها أية مبالغة لأن الربيع يأتى كل عام بنفس الكيفية.

٢- الصورة الثانية: وهى التى يقوم فيها الشعر على أساس ما يعتقد به السامعون كما جاء فى رثاء الإمام الحسين فى مراثى مير أنيس[٢].

٣- الصورة الثالثة: وهى التى يبنى فيه الشاعر شعره على ما لديه من فكرة بعينها كما يقول سعدى الشيرازى فى مخاطبة الحبيب.

٤- الصورة الرابعة: وهى التى يتضح للسامعين فيها أن هذه الفكرة كما يصورها الشاعر فى شعره مثلما يقول نظيرى فى عظمته وعدم تقدير الناس له.

٥- الصورة الخامسة: وهى التى يضيف الشاعر فيها شيئًا قليلاً على الحقيقة كما يقول الشيخ سعدى فى مدح تركان خاتون الكرمانية.

وقد أسهب حالى فى شرح هذه الصور الخمس ودعها بأمثلة شعرية كثيرة من الشعر العربى والفارسى والأردى[٣].

*** ما المقصود بالعاطفة الجياشة «جوش»:**

استعمل حالى هنا كلمة «جوش» بمعنى العاطفة القوية أو الجياشة ويرى حالى أن المقصود بكلمة «جوش» هو أن يؤدى الشاعر المضمون بألفاظ غير متكلفة وبأسلوب

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص٥٢.

(٢) المرجع السابق: ص٥٢-٥٣.

(٣) المرجع السابق: ص٥٣-٥٥.

مؤثر بحيث يتضح منه أنه ينظم هذا الموضوع بإرادته، بل أن الموضوع ذاته هو الذى فرض نفسه على الشاعر لينظمه ومثل هذا الحماس يوجد فى جميع أصناف البيان لدى الشاعر سواء يبين حالة أو شقاء إنسان آخر أو يمدحه أو يهجوه»[١].

ويعقب حالى على هذا الرأى بأمثلة من الشعر الفارسى فى الحماس فيذكر بيت شعر لخاقانى واصفًا اطلال إيوان كسرى بعد أن رأى خرابها، ويشير إلى كثرة الحماس فى الشعر العربى والعبرى ويذكر قصيدة طويلة لبشامة بن حزن النهشلى وفى نهاية حديث حالى عن شروط ميلتون الثلاثة فى الشعر الجيد ويذكر نماذج شعرية عربية وفارسية وأردية عديدة ويحاول أن يطبق عليها هذه الشروط.

*** المبالغة والكذب:**

تناول حالى قضية الكذب والمبالغة فى الشعر واعتمد فى طرحه لهذه القضية على كتب النقد والادب العربى فيذكر أن «متطلبات العصر تقتضى الإحتراز من الكذب والمبالغة والبهتان والافتراء والتملق الصريح والادعاء الكاذب وغيرها من الصفات التى تتنافى مع الصدق والحقيقة التى تدخل فى تكوين شعرنا بقدر الإمكان، فالكذب والمبالغة فى ازدياد مستمر فى شعرنا منذ العصر العباسى وحتى يومنا هذا ولم يكن الكذب جائزًا فى الشعر فحسب[٢] بل كان من محاسن الشعر وحليه، وقد تدهور الشعر منذ ذلك الوقت الذى دخل فيه الكذب والمبالغة فى شعرنا فقد كان شعراء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ينفرون كثيراً من الكذب ويعتبرونه ضمن عيوب الشعر فقد قال زهير بن أبى سلمى الذى كان شاعراً من الطبقة الأولى «أحسن القول ما صدقه الفعل»[٣] وله بيت مشهور فى هذا الباب:

وان اشـعـر بيت أنت قـائله ... بيت يقال إذا انشدته: صدقًا[٤]

وذات مرة طلبت بنو تميم من سلامة بن جندل أحد شعراء الجاهلية قائلين له «مجدنا

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص:٥٦.

(٢) المرجع السابق: ص٧٧.

(٣) هذا القول لابن عبد ربه وليس لزهير بن أبى سلمى كما ذكر حالى. انظر العقد الفريد: تحقيق محمد سعيد العريان: ٤/ ١٠٤.

(٤) هذا البيت لحسان بن ثابت: انظر ديوانه تحقيق د. سيد حنفى ص٢٧٧ طبعة القاهرة ١٩٧٤م.

فى شعرك » فأجاب « افعلوا حتى أقول »[1].

وساق حالى عدة أمثلة أخرى من الأدب العربى ليؤكد بها على قيمة الصدق فى الشعر.

وقد تطرق شبلى النعمانى إلى قضية الصدق والكذب والمبالغة فى الشعر واتفق تمامًا مع حالى بل واعتمد هو كذلك على نفس المصادر النقدية العربية فى هذا الصدد ويرى أن « الأدباء والنقاد انقسموا فى موضوع للصدق فى الشعر إلى فريقين، الأول يرى ضرورة الصدق للشعر، والثانى يرى أن المبالغة من محاسن الشعر فقد قال الناس للنابغة الذبيانى : « من أشعر الناس » قال : « من استجيد كذبه »[2] وهناك غلو ومبالغة فى أشعار كبار الشعراء كالفردوسى، وعلى الرغم من أننا لا ننكر أن كثير من الناس يخالفون ذلك، ثم يذكر شبلى بيت حسان بن ثابت الذى ذكره حالى آنفًا ويردد رأى حالى فى ظهور المبالغة فى العصر العباسى فيقول : « إن التكلف بدأ يظهر فى كل شىء مع بداية حكم الدولة العباسية، وازدادت الحياة سعة وترف وعم الخير وتأثر الشعر من هذه الحياة المتكلفة، فشعر القدماء خال[3] من المبالغة ولم يكن العرب فى الجاهلية يفضلون الكذب فى الشعر.

ويرى شبلى أن السبب الأصلى فى ظهور المبالغة فى الشعر هو أن احساس الشاعر يتأثر بكل واقعة أكثر من الآخرين، المهم أن الشعر لا يبدو مؤثرًا إذا خلا من الصدق فالشعر العربى فى أوج ازدهاره فى الجاهلية لم يخل من الصدق، ثم ذكر مقولة سلامة بن جندل لبنى تميم الذين قالوا له « مجدنا فى شعرك » قال « افعلوا حتى اقول »[4].

* كيف يمكن تطوير الشعر الأردى طبقًا لتطور العصر ؟

طرح حالى هذا السؤال فى المقدمة وحاول جاهداً أن يجيب عليه طبقًا لتجاربه الطويلة فى نظم الشعر الأردى، ويأسف على ما وصل إليه الشعر الأردى فى عصره من ضعف، حيث أن « الأسباب التى تساعد على رقى الشعر فى آسيا مفقود فى عصرنا

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٦/١٠٤.

(٢) ابن رشيق : العمده : ٢/٥٣.

(٣) شبلى النعمانى : شعر العجم جـ٤ . ص٩٢-٩٦.

(٤) المرجع السابق ص٩٨-١٠٠.